مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
lisanerab.com
رابط بديل

الجمهورية التونسية
وزارة التربية القومية

الامتاع
في الأدب والحضارة

كتاب النصوص
للسنة السابعة من التعليم الثانوي

تأليف
علي حمريت
متفقد التعليم الثانوي
ابراهيم بن مراد
استاذ مجاز
محمد الصالح المنتصر
استاذ مجاز

المركز القومي البيداغوجي
نشرة تجريبية

الجمهورية التونسية

وزارة التربية القومية

الإمتاع في الأدب والحضارة

كتاب النصوص

للسنة السابعة من التعليم الثانوي

تأليف

علي حمريت

متفقد التعليم الثانوي

إبراهيم بن مراد

أستاذ مجاز

محمد الصالح المنتصر

أستاذ مجاز

المركز القومي البيداغوجي

نشرة تجريبية 1979

مَكْتَبَةُ لِسَانِ العَرَب

رابط بديل
lisanerab.com

أ. علاء الدين شوقى

www.lisanarb.com

twitter مكتبة لسان العرب

facebook مكتبة لسان العرب

instagram مكتبة لسان العرب

المُقَدِّمَة

هَذَا كِتَابٌ وَضَعْنَاهُ لِلسَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنَ التَّعْلِيمِ الثَّانَوِيِّ ، مُطَابِقًا لِلبَرَامِجِ الرَّسْمِيَةِ الجَدِيدَةِ . وَقَدْ تَضَمَّنَ قِسْمَيْنِ اثْنَيْنِ :

الأَوَّلُ يَحْتَوِي المَادَّةَ الأَدَبِيَّةَ المُقَرَّرَةَ لِتَلَامِيذِ السَّنَةِ السَّابِعَةِ . بِمَا فِيهَا الأَدَبُ القَدِيمُ وَالأَدَبُ الحَدِيثُ .

وَالثَّانِي يَحْتَوِي النُّصُوصَ الحَضَارِيَّةَ .

وَقَدْ رَأَيْنَا مِنَ المُفِيدِ فِي هَذَا التَّقْدِيمِ أَنْ نُلْفِتَ انْتِبَاهَ نَاشِئَتِنَا وَزُمَلَائِنَا مِنَ المُسْتَعْمِلِينَ لِهَذَا الكِتَابِ إِلَى مَا سَعَيْنَا أَنْ نُحَقِّقَهُ فِيهِ وَإِلَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي نَهَجْنَاهَا فِي وَضْعِهِ .

فَقَدْ سَعَيْنَا جُهْدَنَا أَن تَكُونَ النُّصُوصُ المُخْتَارَةُ قَصِيرَةً مِن حَيْثُ الحَجْمُ ، يَسِيرةً سَهْلَةَ التَّنَاوُلِ مِنْ حَيْثُ اللَّفْظُ وَالأُسْلُوبُ ، جَدِيدَةً مِن حَيْثُ مُحْتَوَاهَا .

وَتَحْقِيقًا لِهَذِهِ الغَايَاتِ حَاوَلْنَا - عِنْدَ الاقْتِضَاءِ - تَتْوِيجَ النُّصُوصِ المُدْرَجَةِ بِتَقْدِيمٍ ، وَخَاصَّةً الأَدَبِيةَ وَالقَصَصِيَّةَ وَالمَسْرَحِيَّةَ مِنْهَا ، وَقَدْ رَاعَيْنَا فِي التَّقْدِيمِ الرَّبْطَ بَيْنَ أَجْزَاءِ الأَثَرِ كَامِلًا ، بِوَضْعِ النُّصُوصِ المُقَدَّمَةِ فِي مَوَاضِعِهَا مِنَ الأَثَرِ المَدْرُوسِ ، وَرَبْطِهَا بِمَا سَبَقَ مِنْ أَحْدَاثِ القِصَّةِ أَوِ المَسْرَحِيَّةِ بِتَلْخِيصِ مَا سَبَقَ مِنْهَا حَتَّى لَا يَكُونَ النَّصُّ فِي حَدِّ ذَاتِهِ مَبْتُورًا .

وَلِلزِّيَادَةِ فِي تَيْسِيرِ تَنَاوُلِ هَذَا ٱلْكِتَابِ سَعَيْنَا إِلَى شَكْلِ نُصُوصِهِ شَكْلاً تَامًّا . وَمَا مِنْ شَكٍّ فِي أَنَّ أَيَّ كِتَابٍ مَدْرَسِيٍّ مُحْتَاجٌ إِلَى وَسَائِلِ إِيضَاحٍ تَجْعَلُهُ أَتَمَّ فَائِدَةً وَأَجْدَى عَائِدَةً . وَإِنْ كَانَ لِأَقْسَامِ سَنَةٍ نِهَائِيَّةٍ . وَقَدْ جَاءَتْ تِلْكَ ٱلْوَسَائِلُ مُتَمَثِّلَةً فِي ،

1 - ٱلْجِهَازِ ٱلْبِيدَاغُوجِيِّ ، فَقَدْ عَقَّبْنَا كُلَّ نَصٍّ بِجِهَازٍ بِيدَاغُوجِيٍّ ٱحْتَوَى ثَلاَثَةَ أَقْسَامٍ رَئِيسِيَّةٍ ، هِيَ ٱلتَّعْرِيفُ بِالأَعْلاَمِ وَالشَّرْحُ ٱللُّغَوِيُّ وَٱلأَسْئِلَةُ . وَقَدْ سَعَيْنَا ، أَنْ تَكُونَ الشُّرُوحُ ٱللُّغَوِيَّةُ دَقِيقَةً مُخْتَصَرَةً تَعْتَمِدُ ٱلاِشْتِقَاقَ أَسَاسًا ، بَعِيدَةً عَنِ ٱلطُّرُقِ ٱلتَّقْلِيدِيَّةِ ٱلَّتِي تَعْتَمِدُ شَرْحَ ٱلْكَلِمَةِ بِٱلضِّدِّ أَوْ بِالتَّرَادُفِ . وَنَفْسُ هَذِهِ ٱلْغَايَةِ فِي ٱلدِّقَّةِ قَصَدْنَاهَا فِي ٱلأَسْئِلَةِ ، فَسَعَيْنَا أَنْ تَكُونَ وَاضِحَةً بَعِيدَةً عَنِ ٱلْغُمُوضِ .

2 - تَرَاجِمِ ٱلأَعْلاَمِ ، وَنَعْنِي بِالأَعْلاَمِ هُنَا ٱلشَّخْصِيَاتِ الرَّئِيسِيَّةَ ٱلْمُقَرَّرَةَ دِرَاسَةُ آثَارِهَا فِي ٱلْبَرْنَامَجِ . وقد سَعَيْنَا فِي تِلْكَ ٱلتَّرَاجِمِ أَنْ نَجْعَلَهَا شَامِلَةً لِتَرَاجِمِ حَيَاةِ ٱلْمُتَرْجَمِ لَهُمْ ، كَاشِفَةً عَنْ أَهَمِّ ٱلْعَوَامِلِ وَٱلْمُؤَثِّرَاتِ ٱلَّتِي جَعَلَتْهُمْ يَتَمَيَّزُونَ عَنْ غَيْرِهِمْ سَوَاءٌ فِي أَفْكَارِهِمْ أَوْ فِي أَسَالِيبِهِمْ ، مُحِيطَةً بِأَهَمِّ ٱلإِنْتَاجِ ٱلأَدَبِيِّ أَوْ ٱلْفِكْرِيِّ ٱلَّذِي أَسْهَمُوا بِهِ فِي ٱلتُّرَاثِ ٱلْعَرَبِيِّ ٱلإِسْلاَمِيِّ .

3 - نُصُوصِ ٱلْمُطَالَعَةِ ، قَدْ أَضَفْنَا هَذِهِ ٱلنُّصُوصَ مَذْيَلَةً هِيَ أَيْضًا بِأَجْهِزَتِهَا ٱلْبِيدَاغُوجِيَّةِ . وَهِيَ نُصُوصٌ قَلِيلَةٌ إِذْ لَيْسَتِ ٱلْغَايَةُ مِنْهَا ٱسْتِعْرَاضَ مُخْتَلَفِ ٱلْمَوَاقِفِ وَٱلآرَاءِ مِنَ ٱلأَعْلاَمِ ٱلْمُقَرَّرَةِ وَٱلآثَارِ ٱلْمَدْرُوسَةِ . بَلْ قَصَدْنَا إِطْلاَعَ ٱلتِّلْمِيذِ عَلَى بَعْضٍ مِنْ تِلْكَ ٱلْمَوَاقِفِ وَٱلآرَاءِ لِتَكُونَ لَهُ مُنْطَلَقًا فِي فَهْمِ ٱلْخَصَائِصِ ٱلْفِكْرِيَّةِ وَٱلأَدَبِيَّةِ بِالنُّصُوصِ ٱلْمَدْرُوسَةِ .

أَمَّا ٱلنُّصُوصُ ٱلْحَضَارِيَّةُ فَإِنَّنَا لَمْ نَعَامِلْهَا مُعَامَلَتَنَا ٱلنُّصُوصَ ٱلأَدَبِيَّةَ . إِذِ ٱلْغَايَةُ مِنْهَا تَحْسِيسُ ٱلتِّلْمِيذِ بِبَعْضِ قَضَايَا ٱلْعَصْرِ الحَدِيثِ وَفَتْحُ آفَاقِهِ

ٱلْفِكْرِيَّةِ . فَهِيَ نَظْرَةٌ أَشْمَلُ وَأَوسَعُ مِنَ ٱلنَّظْرَةِ ٱلَّتِي يُتِيحُهَا ٱلأَدَبُ . إِذِ ٱلأَدَبُ فِي حَدِّ ذَاتِهِ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ ٱلْحَضَارَةِ . أَيْ أَنَّنَا قَدْ أَسْهَمْنَا فِي مُعَالَجَةِ هَذِهِ ٱلنُّصُوصِ بِضَبْطِ مَخَاوِرِ ٱلاهْتِمَامِ فِيهَا ، وَشَرْحِ ٱلْمُصْطَلَحَاتِ ٱلْحَضَارِيَّةِ ٱلْمُهِمَّةِ ٱلَّتِي تُعِينُ عَلَى فَهْمِهَا وَتوجيهِهَا وِجْهَتَهَا ٱلصَّحِيحَةَ .

تِلْكَ مَقَاصِدُنَا مِنْ هَذَا ٱلْكِتَابِ وَتِلْكَ طَرِيقَتُنَا فِي وَضْعِهِ ، وَقَدْ حَاوَلْنَا مَا أَمْكَنَنَا ٱلْجَهْدُ أَنْ تَكُونَ ٱلْمَقَاصِدُ مُفِيدَةً وَٱلطَّرِيقَةُ مُيَسَّرَةً . عَلَى أَنَّنَا لاَنَدَّعِي لِهَذَا ٱلْعَمَلِ ٱلْكَمَالَ وَٱلْخُلُوَّ مِمَّا قَدْ يُؤَاخَذُ بِهِ .

ٱلمؤلفون

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
lisanerab.com
رابط بديل

أبو حيان التوحيدي

(310هـ/922م - 414هـ/1023م)

أَبُو حَيَّانَ التَّوْحِيدِيّ

1 - حَيَاتُهُ :

هُوَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ التَّوْحِيدِيُّ ، اِخْتَلَفَ النُّقَّادُ وَمُؤَرِّخُو الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ فِي مَكَانِ وِلَادَتِهِ وَفِي السَّنَةِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا . كَمَا اخْتَلَفُوا فِي مَكَانِ وَفَاتِهِ وَالسَّنَةِ الَّتِي تُوُفِّيَ فِيهَا . إِلَّا أَنَّهُ قَدْ أَصْبَحَ مِنَ الْمُرَجَّحِ الْآنَ أَنَّهُ وُلِدَ فِي بَغْدَادَ سَنَةَ 310 هـ / 922 م فِي عَائِلَةٍ فَقِيرَةٍ . وَكَانَ نَسَبُهَا عَرَبِيًّا وَيُمْكِنُ تَقْسِيمُ حَيَاتِهِ إِلَى مَرَاحِلَ ثَلَاثٍ :

1) الْمَرْحَلَةُ الْأُولَى : مِنْ 310 هـ / 922 م إِلَى 348 هـ / 958 م . هَذِهِ الْمَرْحَلَةُ الْأُولَى مَجْهُولَةٌ لَا نَكَادُ نَعْرِفُ عَنْهَا إِلَّا الْقَلِيلَ . وَجُلُّ مَا نَعْرِفُهُ هُوَ أَنَّ التَّوْحِيدِيَّ فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ قَدْ شُغِلَ بِالتَّصَوُّفِ . فَلَا شَكَّ أَنَّ تِلْكَ الْحِرْفَةَ قَدْ أَتَاحَتْ لَهُ الْاِطِّلَاعَ عَلَى النَّادِرِ النَّافِعِ مِنَ الْكُتُبِ .

2) الْمَرْحَلَةُ الثَّانِيَةُ : مِنْ 348 هـ / 958 م إِلَى 375 هـ 985 م . هَذِهِ الْمَرْحَلَةُ الثَّانِيَةُ هِيَ الْمَرْحَلَةُ الْمَعْرُوفَةُ من حَيَاةِ أَبِي حَيَّانَ . وَقَدِ اعْتَبَرَتْ

هَذِهِ ٱلْفَتْرَةَ فِي حَيَاتِهِ هَزَّاتٌ وَخَيْبَاتٌ كَثِيرَةٌ . وَخَاصَّةً فِي صِلَاتِهِ بِبَعْضِ وُزَرَاءِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْبُوَيْهِيَّةِ فِي ٱلْعِرَاقِ . وَأَوَّلُ أُولَئِكَ ٱلْوُزَرَاءِ هُوَ ٱلْوَزِيرُ ٱلْمُهَلَّبِيُّ (تُوُفِّيَ سَنَةَ 352 هـ / 963 م) ٱلَّذِي نَفَاهُ مِنْ بَغْدَادَ مُتَّهِمًا إِيَّاهُ بِٱلْإِلْحَادِ . وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهَا إِلَّا سَنَةَ 352 هـ / 963 م ، عِنْدَ وَفَاةِ ٱلْمُهَلَّبِيِّ .

لَكِنَّ إِقَامَتَهُ فِي بَغْدَادَ لَمْ تَطُلْ إِذْ غَادَرَهَا إِلَى مَكَّةَ لِلْحَجِّ سَنَةَ 353 هـ / 963 م ، وَقَدْ عَادَ مِنْ مَكَّةَ فِي ٱلسَّنَةِ ٱلْمُوَالِيَةِ إِلَى بَغْدَادَ ٱلَّتِي بَقِيَ فِيهَا حَتَّى سَنَةِ 358 هـ / 968 م . وَفِي هَذِهِ ٱلْمُدَّةِ قَامَ بِرِحْلَةٍ إِلَى أَرْجَّانَ حَيْثُ قَدِ ٱلْتَقَى بِأَبِي ٱلْوَفَاءِ ٱلْمُهَنْدِسِ (تُوُفِّيَ سَنَةَ 376 هـ / 986 م) وَهُوَ رَجُلُ عِلْمٍ وَسِيَاسَةٍ سَيَكُونُ لَهُ أَثَرٌ فِي حَيَاةِ ٱلتَّوْحِيدِيِّ . وَبَعْدَ ذَلِكَ كَانَ لِأَبِي حَيَّانَ عَلَاقَةٌ بِثَلَاثَةٍ مِنَ ٱلْوُزَرَاءِ ٱلْبُوَيْهِيِّينَ أَوَّلُهُمْ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱبْنُ ٱلْعَمِيدِ ٱلْمُلَقَّبِ بِذِي ٱلْكِفَايَتَيْنِ ـ كِفَايَةِ ٱلسَّيْفِ وَكِفَايَةِ ٱلْقَلَمِ ـ ٱلْمُتَوَفَّى سَنَةَ 366 هـ / 976 م . فَقَدْ قَصَدَ ٱلتَّوْحِيدِيُّ مَدِينَةَ ٱلرَّيِّ قَصْدَ ٱلْٱتِّصَالِ بِهِ بَحْثًا عَنْ مَوْرِدٍ لِلْعَيْشِ فِي بَلَاطِهِ وَٱبْتِعَادًا عَنِ ٱلْوِرَاقَةِ ـ حِرْفَةِ ٱلشُّؤْمِ كَمَا يُسَمِّيهَا ـ وَلَكِنَّ ٱلصِّلَةَ بَيْنَ ٱلرَّجُلَيْنِ لَمْ تَكُنْ كَمَا كَانَ ٱلتَّوْحِيدِيُّ يَرْجُو . فَقَدْ ٱنْتَهَتْ بِفَشَلٍ وَخَيْبَةٍ ، فَرَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ . وَلَكِنْ لِيُغَادِرَهَا مَرَّةً أُخْرَى إِلَى ٱلرَّيِّ وَلِيَتَّصِلَ بِوَزِيرٍ بُوَيْهِيٍّ آخَرَ هُوَ ٱلصَّاحِبُ ٱبْنُ عَبَّادٍ (تُوُفِّيَ سَنَةَ 385 هـ / 995 م) دَامَتِ ٱلصِّلَةُ بَيْنَهُمَا مِنْ سَنَةِ 367 هـ / 977 م حَتَّى سَنَةِ 370 هـ / 980 م . وَقَدْ سَاءَتِ ٱلْعَلَاقَةُ بَيْنَ ٱلرَّجُلَيْنِ وَخَاصَّةً نَتِيجَةَ ٱحْتِقَارِ ٱبْنِ عَبَّادٍ لِلتَّوْحِيدِيِّ فَقَدْ كَلَّفَهُ بِٱلْوِرَاقَةِ ـ ٱلْمِهْنَةِ ٱلَّتِي يَمْقُتُهَا ـ وَتَكَرَّرَتْ مِنْهُ ٱلْإِهَانَاتُ جَزَاءَ ٱلْأَنَفَةِ ٱلتَّوْحِيدِيِّ مَعَهُ .

رَجَعَ إِذَنْ سَنَةَ 370 هـ / 980 م إِلَى بَغْدَادَ مِنْ جَدِيدٍ ، حَيْثُ لَقِيَ صَدِيقَهُ ٱلْقَدِيمَ أَبَا ٱلْوَفَاءِ ٱلْمُهَنْدِسَ ٱلَّذِي حَاوَلَ إِعَانَتَهُ بِتَشْغِيلِهِ فِي بِيمَارِسْتَانِ بَغْدَادَ ٱلَّذِي يُدِيرُهُ ، رَيْثَمَا يَجِدُ لَهُ حَلًّا بَدِيلًا أَحْسَنَ . حَتَّى وَصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱبْنِ سَعْدَانَ . وَيَبْدُو أَنَّ ٱلْوَزِيرَ نَفْسَهُ كَانَ قَدْ سَعَى فِي مَجِيءِ

ٱلتَّوْحِيدِيِّ إِلَى بَلَاطِهِ .

١

وَقَدْ لَازَمَ التَّوْحِيدِيُّ مَجْلِسَ ٱبْنِ سَعْدَانَ . فَكَانَ نِتَاجُ تِلْكَ ٱلْمُجَالَسَاتِ كِتَابَ « ٱلإِمْتَاعِ وَٱلْمُؤَانَسَةِ » . وَلَكِنَّ ٱلصِّلَةَ بَيْنَ ٱلرَّجُلَيْنِ قَدْ فَتَرَتْ فِي ٱلسَّنَةِ الأَخِيرَةِ مِنْ حَيَاةِ ٱبْنِ سَعْدَانَ . فَقَدْ كَثُرَ أَعْدَاءُ ٱبْنِ سَعْدَانَ وَكَثُرَتِ ٱلْوِشَايَاتُ بِهِ وَٱلدَّسَائِسُ ضِدَّهُ عِنْدَ ٱلأَمِيرِ صَمْصَامِ ٱلدَّوْلَةِ . وَذَلِكَ مَا ٱضْطَرَّهُ إِلَى ٱلٱنْصِرَافِ عن مَجَالِسِهِ ٱلْعِلْمِيَّةِ إِلَى شُؤُونِ ٱلْوِزَارَةِ . وَلَكِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ لَمْ يُفِدْهُ . فَقَدْ ٱنْتَهَى ٱلأَمْرُ بِقَتْلِهِ سَنَةَ 375 هـ / 985 م لِيَحُلَّ مَحَلَّهُ ٱبْنُ يُوسُفَ ٱلَّذِي يَمْقُتُهُ ٱلتَّوْحِيدِيُّ مَقْتًا شَدِيدًا . فَخَشِيَ عِنْدَئِذٍ عَلَى [illegible] وَٱضْطُرَّ إِلَى ٱلٱخْتِفَاءِ .

3) **ٱلْمَرْحَلَةُ ٱلثَّالِثَةُ** : مِنْ 375 هـ / 985 م حَتَّى 414 هـ 1023 م :

هَذِهِ ٱلْمَرْحَلَةُ هِيَ أَيْضًا غَامِضَةٌ فِي حَيَاةِ ٱلتَّوْحِيدِيِّ مِثْلُ ٱلْمَرْحَلَةِ ٱلأُولَى . فَقَدِ ٱخْتَفَى عَنِ ٱلظُّهُورِ بَعْدَ سَنَةِ 375 هـ . وَمِنَ ٱلأَكِيدِ أَنَّهُ غَادَرَ بَغْدَادَ وَلَكِنَّهُ كَانَ يَزُورُهَا من حِينٍ إِلَى آخَرَ . مِنْ ذَلِكَ وُجُودُهُ بِهَا سَنَةَ 391 هـ / 1000 م فِي أَحَدِ مَجَالِسِ أَبِي سُلَيْمَانَ ٱلْمَنْطِقِيِّ . إِلَّا أَنَّ ٱلْمُؤَكَّدَ هُوَ أَنَّهُ قَدْ عَادَ إِلَى ٱلتَّصَوُّفِ مِثْلَمَا كَانَ قَدْ ٱبْتَدَأَ حَيَاتَهُ بِهِ . وَلَعَلَّ ٱنْصِرَافَهُ إِلَى ٱلتَّصَوُّفِ كَانَ أَقْوَى مُنْذُ سَنَةِ 400 هـ / 1009 م . وَهِيَ ٱلسَّنَةُ ٱلَّتِي أَحْرَقَ فِيهَا كُتُبَهُ وَأَنْهَى بَعْدَهَا كِتَابَهُ « الإِشَارَاتُ الإِلَهِيَّةُ » ٱلَّذِي يُمَثِّلُ حَصِيلَةَ تَجْرِبَتِهِ فِي ٱلْحَيَاةِ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ، وَخُلَاصَةَ مَشَاعِرِهِ بَعْدَ خَيْبَاتِهِ ٱلْمُتَتَالِيَةِ . وَمِنَ ٱلْمُرَجَّحِ أَنَّهُ عَاشَ ٱلسَّنَوَاتِ ٱلأَخِيرَةَ مِنْ حَيَاتِهِ فِي شِيرَازَ مِنْ بِلَادِ فَارِسَ حَيْثُ مَاتَ وَدُفِنَ بِشِيرَازَ سَنَةَ 414 هـ / 1023 م .

2 - مُـــؤَلَّفَـاتُـــهُ :

1 - ٱلْهَوَامِل وَالشَّوَامِلُ » ، هُو أَسْئِلَةٌ فِي مَوَاضِيعَ شَتَّى أَدَبِيَّةٍ وَفَلْسَفِيَّةٍ وَلُغَوِيَّةٍ طَرَحَهَا أَبُو حَيَّانَ عَلَى مِسْكَوَيْهِ (تُوُفِّيَ سَنَةَ 421 هـ / 1030 م) ٱلَّذِي أَجَابَ عَنْهَا .

2 - « ٱلإِمْتَاعُ وَٱلْمُؤَانَسَةُ » . أَلَّفَهُ ٱلتَّوْحِيدِيُّ لِأَبِي ٱلْوَفَاءِ ٱلْمُهَنْدِسِ بَعْدَ أَنْ سَامَرَ بِهِ ٱلْوَزِيرَ ٱبْنَ سَعْدَانَ .

3 - « ٱلصَّدَاقَةُ وَٱلصَّدِيقُ » ، قَدْ أَلَّفَ هَذَا ٱلْكِتَابَ حَوَالَيْ سَنَةِ 371 هـ لِٱبْنِ سَعْدَانَ . قَبْلَ أَنْ يَتَوَلَّى ٱلْوِزَارَةَ . وَلَكِنَّهُ قَدْ تَرَكَهُ فِي ٱلْمُسْوَدَّةِ إِلَى أَنْ بَيَّضَهُ سَنَةَ 400 هـ / 1009 م .

4 - « ٱلْبَصَائِرُ وَٱلذَّخَائِرُ » ، هُوَ كِتَابٌ أَدَبِيٌّ سَجَّلَ فِيهِ ٱلتَّوْحِيدِيُّ مَحْفُوظَاتِهِ وَمَسْمُوعَاتِهِ وَمُطَالَعَاتِهِ سَوَاءٌ فِي ٱلْمَجَالِسِ ٱلْأَدَبِيَّةِ أَوْ فِي ٱلدُّرُوسِ ٱلَّتِي حَضَرَهَا مَعَ شُيُوخِهِ أَوْ فِي ٱلْكُتُبِ ٱلَّتِي وَقَعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ .

5 - « ٱلْمُقَابَسَاتُ » ، جَمَعَ ٱلتَّوْحِيدِيُّ فِي هَذَا ٱلْكِتَابِ مُلَخَّصَاتِ لِلدُّرُوسِ ٱلَّتِي كَانَ يَحْضُرُهَا مَعَ أَكَابِرِ شُيُوخِهِ وَخَاصَّةً مِنْهُمْ شُيُوخُ ٱلْفَلْسَفَةِ مِثْلُ أَبِي سُلَيْمَانَ ٱلسِّجِسْتَانِيِّ ٱلْمَنْطِقِيِّ .

6 - « ٱلْإِشَارَاتُ ٱلْإِلَهِيَّةُ » ، هُوَ كِتَابٌ فِي جُزْئَيْنِ . لَمْ يَصِلْنَا مِنْهُمَا سِوَى ٱلْجُزْءِ ٱلْأَوَّلِ وَقِسْمٌ مِنَ ٱلْجُزْءِ ٱلثَّانِي . وَٱلْكِتَابُ مَجْمُوعَةٌ مِنَ ٱلرَّسَائِلِ وَهِيَ رَسَائِلُ تَعْتَمِدُ بِنَاءً مُتَشَابِهًا « يَقُومُ عَلَى رُكْنَيْنِ أَسَاسِيَّيْنِ هُمَا ٱلْمُنَاجَاةُ (أَوِ ٱلدُّعَاءُ) وَمُخَاطَبَةُ شَخْصٍ مَا . وَٱلرِّسَالَةُ غَالِبًا مَا تَبْدَأُ بِٱلدُّعَاءِ وَتَنْتَهِي بِٱلدُّعَاءِ . وَتَتَرَاوَحُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ بَيْنَ ٱلْخِطَابِ وَٱلدُّعَاءِ وَأَغْرَاضٍ أُخْرَى أَبْرَزُهَا شَكْوَى ٱلْحَالِ وَٱلزَّمَانِ » (وِدَادُ ٱلْقَاضِي مُقَدِّمَةُ ٱلْإِشَارَاتِ . ص 12، طَبْعَةُ دَارِ ٱلثَّقَافَةِ، بَيْرُوتُ ، 1973) .

وَلِلتَّوْحِيدِيِّ مُؤَلَّفَاتٌ أُخْرَى وَرَسَائِلُ مَا يَزَالُ بَعْضُهَا مَجْهُولًا مَفْقُودًا حَتَّى ٱلْآنَ .

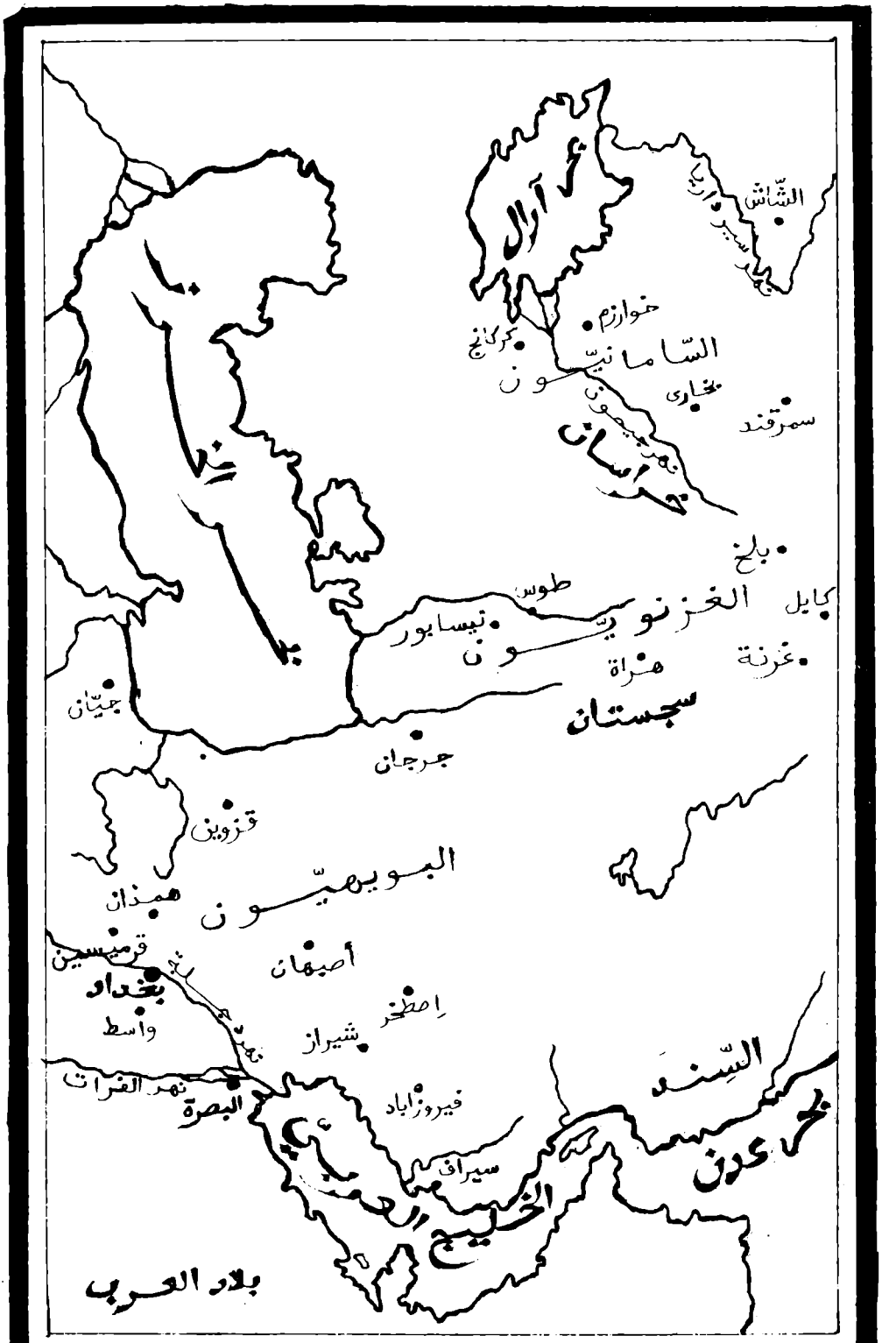

بلاد فارس على عهد أبي حيان التوحيدي
(القرن الرابع الهجري).

صِـــرَاعُ ٱلْعَصَبِيَّـــاتِ.

١

قَالَ ٱلْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو*، « ... قَدْ رُمِّيَ أَبُو سُفْيَانَ * صَخْرُ بْنُ حَرْبٍ وَقَدْ وَقَفَ عَلَى قَبْرِ حَمْزَةَ * بْنِ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ وَهُوَ يَقُولُ، «رَحِمَكَ ٱللَّهُ يَا أَبَا عُمَارَةَ، لَقَدْ قَاتَلْتَنَا عَلَى أَمْرٍ صَارَ إِلَيْنَا».

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ، « فَقَدْ وَصَلَ هَذَا ٱلْأَمْرُ بَعْدَ مُدَّةٍ إِلَى آلِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »، فَٱلْجَوَابُ، صَدَقْتَ، وَلَكِنْ لَمَّا ضَعُفَ ٱلدِّينُ وَتَحَلْحَلَ [1] رُكْنُهُ وَتَدَاوَلَهُ ٱلنَّاسُ بِالْغَلَبَةِ وَٱلْقَهْرِ فَتَطَاوَلَ لَهُ نَاسٌ [2] مِنْ آلِ رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِٱلْعَجَمِ [3] وَبِقُوَّتِهِمْ وَنَهْضَتِهِمْ وَعَادَتِهِمْ فِي مُسَاوَرَةِ ٱلْمُلُوكِ وَإِزَالَةِ الدُّوَلِ وَتَنَاوُلِ ٱلْعِزِّ كَيْفَ كَانَ، وَمَا وَصَلَ إِلَى أَهْلِ الْعَدَالَةِ وَالطَّهَارَةِ وَالزُّهْدِ وَٱلْعِبَادَةِ وَٱلْوَرَعِ وَٱلْأَمَانَةِ. أَلَا تَرَى أَنَّ ٱلْحَالَ ٱسْتَحَالَتْ عَجَمًا، كِسْرَوِيَّةً وَقَيْصَرِيَّةً؟ فَأَيْنَ هَذَا مِنْ حَدِيثِ ٱلنُّبُوَّةِ ٱلنَّاطِقَةِ وَٱلْإِمَامَةِ الصَّادِقَةِ؟ هَذَا الرَّبِيعُ * وَهُوَ حَاجِبُ ٱلْمَنْصُورِ * يَضْرِبُ مَنْ شَمَتَ [4] ٱلْخَلِيفَةَ عِنْدَ ٱلْمَطْسَةِ، فَيُشْكَى ذَلِكَ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ ٱلْمَنْصُورِ، فَيَقُولُ، أَصَابَ ٱلرَّجُلُ ٱلسُّنَّةَ وَأَخْطَأَ ٱلْأَدَبَ، وَهَذَا هُوَ ٱلْجَهْلُ. كَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ أَنَّ ٱلسُّنَّةَ أَشْرَفُ مِنَ ٱلْأَدَبِ، بَلِ ٱلْأَدَبُ كُلُّهُ فِي ٱلسُّنَّةِ وَهِيَ ٱلْجَامِعَةُ لِلْأَدَبِ النَّبَوِيِّ وَٱلْأَمْرِ ٱلْإِلَهِيِّ. وَلَكِنْ لَمَّا غَلَبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْعِزَّةُ وَدَخَلَتِ ٱلنُّعْرَةُ فِي آنَافِهِمْ وَظَهَرَتِ ٱلْخُنْزُوَانَةُ [5] بَيْنَهُمْ، سَمَّوْا أَيْمِنَ ٱلْعَجَمِ [6] أَدَبًا، وَقَدَّمُوهُ عَلَى ٱلسُّنَّةِ ٱلَّتِي هِيَ ثَمَرَةُ النُّبُوَّةِ، هَذَا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ من الْأُمُورِ

ٱلْمَعْرُوفَةِ ، وَٱلْأَحْوَالِ ٱلْمُتَعَالَمَةِ ٱلْمُتَدَاوَلَةِ ٱلَّتِي لَا وَجْهَ لِذِكْرِهَا وَلَا فَائِدَةَ لِنَشْرِهَا ، لِأَنَّهَا مُقَرَّرَةٌ فِي ٱلتَّارِيخِ وَدَائِرَةٌ فِي عَرْضِ ٱلْحَدِيثِ .

أَبُو حَيَّانَ ٱلتَّوْحِيدِيُّ
ٱلْإِمْتَاعُ وَٱلْمُؤَانَسَةُ
ٱللَّيْلَةُ ٱلْعِشْرُونَ . 2 / 75 ـ 76
طَبْعَةُ ٱلْمَكْتَبَةِ ٱلْعَصْرِيَّةِ ـ بَيْرُوتُ
تَحْقِيقُ أَحْمَدَ أَمِينَ وَأَحْمَدَ ٱلزَّيْنَ

شَرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ :

1) تَخَلْخَلَ رُكْنُهُ ، تَزَعْزَعَ وَزَالَ مِن مَوْضِعِهِ
2) نَاسٌ ، يَقْصِدُ ٱلْعَبَّاسِيِّينَ ٱلَّذِينَ ثَارُوا عَلَى ٱلْأُمَوِيِّينَ وَأَفْنَوْا مِنْهُمْ ٱلْخِلَافَةَ . فَٱنْتَصَرَتْ بِذَلِكَ ٱلْعَصَبِيَّةُ ٱلْهَاشِمِيَّةُ عَلَى ٱلْعَصَبِيَّةِ ٱلْأُمَوِيَّةِ مِنْ جَدِيدٍ .
3) ٱلْعَجَمُ ، يَقْصِدُ ٱلْفُرْسَ ٱلَّذِينَ أَعَانُوا بَنِي ٱلْعَبَّاسِ عَلَى ٱلْإِطَاحَةِ بِبَنِي أُمَيَّةَ .
4) شَمَتَ ، قَالَ لَهُ « رَحِمَكَ ٱللَّهُ » عِنْدَ ٱلْعُطْسَةِ .
5) ٱلْخُنْزُوَانَةُ ، ٱلْكِبْرُ وَٱلْعُجْبُ بِٱلنَّفْسِ .
6) آيِينُ ٱلْعَجَمِ ، عُرْفُهُمْ وَعَادَاتُهُمْ . وَٱلْكَلِمَةُ فَارِسِيَّةٌ .

2) تَرَاجِمُ ٱلْأَعْلَامِ :

* ٱلْعَقَّادُ بْنُ عَمْرٍو ٱلتَّمِيمِيُّ (تُوُفِّيَ حَوَالَيْ سَنَةِ 140 . 660 م . أَحَدُ فُرْسَانِ ٱلْعَرَبِ . وَأَبْطَالِهِمْ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ وَٱلْإِسْلَامِ . شَهِدَ وَاقِعَةَ ٱلْيَرْمُوكِ وَفَتْحَ دِمَشْقَ وَأَكْثَرَ وَقَائِعِ أَهْلِ ٱلْعِرَاقِ مَعَ ٱلْفُرْسِ فَحَلَّ
* أَبُو سُفْيَانَ ، هُوَ صَخْرُ بْنُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ . هُوَ أَحَدُ أُثَرِيَاءِ قُرَيْشٍ فِي مَكَّةَ وَمِنْ أَشَدِّ ٱلْمُنَاوِئِينَ لِلْإِسْلَامِ لِمَا تُمَثِّلُهُ دَعْوَةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تَهْدِيدٍ لِمَصَالِحِ بَنِي أُمَيَّةَ وَخَطَرٍ عَلَى بُطُونِهِمْ وَعَصَبِيَّتِهِمْ فِي قُرَيْشٍ . قَادَ ٱلْمُشْرِكِينَ ضِدَّ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي بَدْرٍ وَأُحُدٍ وَٱلْخَنْدَقِ . وَهُوَ وَالِدُ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ مُؤَسِّسِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْأُمَوِيَّةِ . تُوُفِّيَ فِي سَنَةِ 31 هـ/ 651 م .

* حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، مِنْ أَعْيَانِ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ . مِنْ بَطْنِ هَاشِمٍ . قَدْ أَسْلَمَ بَعْدَ مُدَّةٍ فِي الْشِّعْبِ وَكَانَ مِنْ أَكْبَرِ الْمُؤَازِرِينَ لِلرَّسُولِ . تُوُفِّيَ فِي أُحُدٍ سَنَةَ 4 هـ / 625 م .

* الرَّبِيعُ ، فَارِسِيٌّ مِنَ الْعَائِلَةِ الْبَرْمَكِيَّةِ . عَمِلَ حَاجِبًا لِلْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ الْمَنْصُورِ .

* الْمَنْصُورُ (أَبُو جَعْفَرٍ) ، هُوَ الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِيُّ الثَّانِي (136 هـ / 754 م ـ 154 هـ / 775 م) . خَلَفَ أَخَاهُ السَّفَّاحَ . انْتَصَرَ عَلَى عَمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيِّ الْمُطَّلِبِ بِالْعَرْشِ . ثُمَّ أَطَاحَ بِقَائِدِهِ أَبِي مُسْلِمٍ الْخُرَاسَانِيِّ (الْفَارِسِيِّ) . أَخْضَعَ ثَوْرَاتِ الْعَلَوِيِّينَ .

3 - الأَسْئِلَـــةُ :

1 - مَاذَا عَابَ التَّوْحِيدِيُّ عَلَى الْعَبَّاسِيِّينَ ؟
2 - مَا هُوَ مَوْقِفُ الْكَاتِبِ مِنَ الْعَجَمِ ؟ مَا هِيَ أَسْبَابُهُ ؟
3 - يَظْهَرُ فِي النَّصِّ إِعْجَابُ الْعَرَبِ بِالْفُرْسِ . بَيِّنْ ذَلِكَ وَاذْكُرْ أَسْبَابَهُ ؟
4 - لِمَاذَا ظَهَرَتِ الْعَصَبِيَّةُ الْفَارِسِيَّةُ إِلَى جَانِبِ الْعَصَبِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ ؟ مَا هُوَ أَثَرُ تِلْكَ الْعَصَبِيَّةِ عَلَى الْوَضْعِ السِّيَاسِيِّ ؟

ٱسْتِفَائَةُ أُولِي ٱلأَمْرِ بِأَهْلِ عَصَبِيَّتِهِمْ

وَجَدْتُ ٱبْنَ بَرْمَوَيْهِ * يَذْكُرُ أَشْيَاءَ هِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِجَانِبِكَ وَيَرَى أَنَّهَا لَوْ لَمْ تَكُنْ لَكَانَ مَجْلِسُكَ أَشْرَفَ ، وَدَوْلَتُكَ أَعَزَّ وَأَيَامُكَ أَدْوَمَ ، وَوَلِيُّكَ أَحْمَدَ وَعَدُوُّكَ أَكْمَدَ . قَالَ [1]، « مَا هَذَا ٱلاِسْتِرْسَالُ كُلُّهُ إِلَى ٱبْنِ شَاهَوَيْهِ * ؟ وَمَا هَذَا ٱلْكَلَفُ بِبَهْرَامَ * ؟ وَمَا هَذَا التَّعَصُّبُ لِٱبْنِ مَكِيخَا * ؟ وَمَا هَذَا السُّكُونُ إِلَى ٱبْنِ طَاهِرٍ * وَمَا هَذَا ٱلتَّعْوِيلُ عَلَى ٱبْنِ عَبْدَانَ ؟ وَمَا مِنْ هَؤُلَاءِ أَحَدٌ إِلَّا يَرِيشُ [2] عَدُوَّهُ وَيَبْرِيهِ ، وَيُضِلُّ صَاحِبَهُ وَيُغْوِيهِ » .

... « وَمَا أَدْرِي كَيْفَ ٱسْتَكْفَى هَذِهِ ٱلْجَمَاعَةَ حَوْلَهُ ؟ وَكَيْفَ يُظَاهِرُ [3] هُوَ بِهَا وَيَسْكُنُ إِلَيْهَا ؟ وَمَا فِيهِمْ إِلَّا مَنْ وَكَدَهُ ٱلرِّجْسُ وَٱلإِفْسَادُ وَالأَخْذُ بِٱلْمُصَانَعَةِ وَإِغْرَاءُ ٱلأَوْلِيَاءِ بِمَا يَعُودُ بِالوَبَالِ عَلَى ٱلْبَرِيءِ وَٱلسَّقِيمِ وَعَلَى ٱلزَّكِيِّ [4] وَالظَّنِينِ [5] . هَؤُلَاءِ سِبَاعٌ ضَارِيَةٌ وَكِلَابٌ عَاوِيَةٌ ، وَعَقَارِبُ لَسَّاعَةٌ وَأَفَاعٍ نَهَّاشَةٌ . وَقَى ٱللَّهُ هَذَا ٱلإِنْسَانَ ٱلْحُرَّ ٱلْمَبَارَكَ ٱلْكَرِيمَ ٱلرَّحِيمَ ، فَإِنَّهُ شَرِيفُ النَّفْسِ طَاهِرُ ٱلطَّوِيَّةِ ، لَيِّنُ ٱلْعَرِيكَةِ ، كَثِيرُ ٱلدِّيَانَةِ ، وَهَذِهِ أَخْلَاقٌ لَا تَصْلُحُ ٱلْيَوْمَ مَعَ ٱلنَّاسِ » .

... فَقَالَ لَهُ ٱبْنُ جَبَلَةَ ، « مَا عِنْدِي إِلَّا أَنَّ ٱلْوَزِيرَ أَبْقَاهُ ٱللَّهُ ـ عَارِفٌ بِهِمْ وَمُسْتَبْطِنٌ لِأَمْرِهِمْ ، مَعَ ٱلْمِشْرَةِ ٱلْقَدِيمَةِ وَٱلْمُلَابَسَةِ ٱلْمُتَّصِلَةِ وَٱلْخِبْرَةِ ٱلْوَاقِعَةِ . وَلَكِنْ لَا بُدَّ لِمَنْ كَانَ فِي مَحَلِّهِ وَرِفْعَتِهِ مِنْ جَمَاعَةٍ يُقَرِّبُهُمْ

وَيَرْجِعُ إِلَيْهِمْ وَيَسْمَعُ مِنْهُمْ وَيَنْظُرُ بِأَعْيُنِهِمْ وَيُصْغِي بِآذَانِهِمْ وَيَتَنَاوَلُ بِأَيْدِيهِمْ » . فَقَالَ لَهُ مُجَاوِبًا ، « إِنْ كَانَ عَارِفًا بِهِمْ وَمُسْتَبْطِئًا لِأَمْرِهِمْ وَخَبِيرًا بِشَأْنِهِمْ ، فَلِمَ سَلَّطَهُمْ وَبَسَطَهُمْ ، وَحَدَّدَ أَنْيَابَهُمْ ، وَقَوَّى أَسْنَانَهُمْ ، وَفَتَحَ أَشْدَاقَهُمْ ، وَطَوَّلَ أَعْنَاقَهُمْ ، وَقَطَّعَ أَرْبَاقَهُمْ ، [6] وَأَبْطَرَهُمْ فَأَسْكَرَهُمْ ، حَتَّى صَارُوا يَجْهَلُونَ أَقْدَارَهُمْ ، وَيَنْسَوْنَ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ ٱلْقِلَّةِ وَٱلذِّلَّةِ ؟ هَلَّا رَتَّبَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِيمَا تَظْهَرُ فِيهِ كِفَايَتُهُ وَلَا يَرْفَعُهُ إِلَى مَا يُظَنُّ مَعَهُ ٱلظَّنُّ ٱلْفَاسِدُ ؟ وَلِمَ يَضْحَكُ فِي وُجُوهِهِم وَيُغْضِي عَلَى جِنَايَتِهِمْ ؟ أَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ ٱبْنَ يُوسُفَ * قَالَ ، تَشَبُّثُهُ بِٱبْنِ شَاهَوَيْهِ لِأَنَّهُ قَدْ أَعَدَّهُ لِلْهَرَبِ إِلَى ٱلْقَرَامِطَةِ [7] إِنْ دَهَمَهُ أَمْرٌ ؟ وَأُنْسُهُ بِبِهْرَامَ إِنَّمَا هُوَ لِٱسْتِمْدَادِ ٱلْفَسَادِ مِنْهُ ؟ وَتَقْدِيمُهُ لِٱبْنِ طَاهِرٍ لِلسُّرْقَةِ عَلَى يَدِهِ ؟ وَفَرَحُهُ بِٱبْنِ مَكِيخَا لِلسُّخْرِيَةِ بِهِ ؟ وَتَقْرِيبُهُ لِٱبْنِ ٱلْحَجَّاجِ * لِلسُّخْفِ ؟ وَلَهَجُهُ بِٱبْنِ هَارُونَ لِلْهُزْءِ وَٱللَّعِبِ ؟ » .

أَبُو حَيَّانَ ٱلتَّوْحِيدِيُّ
ٱلْإِمْتَاعُ وَٱلْمُؤَانَسَةُ
ٱللَّيْلَةُ ٱلثَّالِثَةُ ، 1 / 43 ـ 48

1 - شَرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ :

1) قَالَ ، مَا هٰذَا ٱلْاِسْتِرْسَالُ ... ، ٱلضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى ٱبْنِ بَرْمَوَيْهِ.

2) يَرِيشُ ، مِنْ رَاشَ ٱلسَّهْمَ . يَرِيشُهُ إِذَا ٱلْصَقَ بِهِ ٱلرِّيشَ لِيَكُونَ أَسْرَعَ إِلَى ٱلْهَدَفِ . وَفِي ٱلنَّصِّ كِنَايَةٌ عَنْ تَقْوِيَةِ كُلٍّ مِنَ ٱلْمَذْكُورِينَ لِلْعَدُوِّ وَإِعَانَةٌ لَهُ عَلَى ٱلنِّكَايَةِ.

3) يُظَاهِرُ ، يُعَاوِنُ . يُقَالُ كَانَ لَهُ ظَهِيرًا ، أَيْ سَنَدًا وَعَوْنًا .

4) ٱلزَّكِيُّ ، ٱلطَّاهِرُ ٱلنَّقِيُّ .

5) ٱلْمَظْنُونُ ، ٱلْمُتَّهَمُ .

6) أَرْبَاقُهُمْ ، جَمْعٌ مُفْرَدُهُ رَبْقَةٌ وَرِبْقَةٌ ، ٱلْعُرْوَةُ فِي ٱلْحَبْلِ ، يُقَالُ « حَلَّ رِبْقَتَهُ » أَيْ فَرَّجَ عَنْهُ كُرْبَتَهُ .

7) ٱلْقَرَامِطَةُ ، نِسْبَةٌ إِلَى قَرْمَطٍ حَمْدَانَ بْنِ ٱلْأَشْعَثِ مُؤَسِّسِ ٱلْمَذْهَبِ ٱلْقَرْمَطِيِّ ، إِتَّصَلَ بِرُؤَسَاءِ ٱلطَّرِيقَةِ فِي عَسْكَرِ مُكْرَمٍ بِخُرَاسَانَ . شَيَّدَ لَهُ مَقَامًا بِٱلْقُرْبِ مِنَ ٱلْكُوفَةِ دَعَاهُ « دَارَ ٱلْهِجْرَةِ » وَتُوُفِّيَ فِي دِمَشْقَ . « وَٱلْقَرَامِطَةُ » هُمْ أَصْحَابُ حَرَكَةٍ دِينِيَّةٍ سِيَاسِيَّةٍ نَشَأَتْ فِي بَادِيَةِ ٱلسَّمَاوَةِ فِي جَنُوبِ ٱلْعِرَاقِ وَاسِطَ بِٱلْعِرَاقِ عَلَى عَهْدِ ٱلْخَلِيفَةِ ٱلْمُعْتَضِدِ (نِهَايَةِ ٱلْقَرْنِ ٱلتَّاسِعِ ٱلْمِيلَادِيِّ) ، تَعَالِيمُهَا مَزِيجٌ مِنْ تَعَالِيمِ ٱلشِّيعَةِ ٱلْإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَٱلْعَقَائِدِ ٱلْإِيرَانِيَّةِ وَٱلْفَلْسَفَةِ ٱلْيُونَانِيَّةِ . عَقِيدَتُهَا بَاطِنِيَّةٌ . نَادَوْا بِمُسَاوَاةِ ٱلْأَعْضَاءِ وَشُيُوعِ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلنِّسَاءِ ، أَنْشَأُوا دَوْلَةً فِي ٱلْبَحْرَيْنِ جَعَلُوهَا مَرْكَزَ ٱنْطِلَاقٍ لِغَزَوَاتِهِمْ . أَغَارُوا عَلَى ٱلْعِرَاقِ وَعُمَانَ وَٱلْيَمَنِ وَخُرَاسَانَ وَقَطَعُوا ٱلطَّرِيقَ عَلَى قَوَافِلِ ٱلْحُجَّاجِ ثُمَّ ٱسْتَوْلَوْا عَلَى مَكَّةَ وَأَخَذُوا ٱلْحَجَرَ ٱلْأَسْوَدَ . وَكَانَ ذٰلِكَ كُلُّهُ فِي ٱلنِّصْفِ ٱلْأَوَّلِ مِنَ ٱلْقَرْنِ ٱلرَّابِعِ ٱلْهِجْرِيِّ (ٱلنِّصْفِ ٱلْأَوَّلِ مِنَ ٱلْقَرْنِ ٱلْعَاشِرِ ٱلْمِيلَادِيِّ) .

2 - تَرَاجِمُ ٱلْأَعْلَامِ :

* إِبْنُ بَرْمَوَيْهِ ، هُوَ ٱلْحَسَنُ بْنُ بَرْمَوَيْهِ ، وَكَانَ كَاتِبًا لِوَالِدَةِ صَمْصَامِ ٱلدَّوْلَةِ وَكَانَ مِمَّنْ تَآمَرُوا عَلَى ٱلْإِيقَاعِ بِٱبْنِ سَمْدَانَ وَقَتْلِهِ . ثُمَّ ٱسْتَوْزَرَهُ صَمْصَامُ ٱلدَّوْلَةِ مُشْتَرِكًا فِي ٱلْوَزَارَةِ مَعَ أَبِي ٱلْقَاسِمِ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ بْنِ يُوسُفَ .

ٱبْنُ شَاهَوَيْهِ ، أَحَدُ عُمَّالِ صَمْصَامِ ٱلدَّوْلَةِ ، قَامَ بِٱلدَّعْوَةِ لَهُ بِعُمَانَ حَتَّى أَذْعَنَتْ لَهُ سَنَةَ 375 هـ . ثُمَّ غَضِبَ عَلَيْهِ صَمْصَامُ ٱلدَّوْلَةِ وَحَبَسَهُ مَعَ ٱبْنِ سَعْدَانَ . وَعَفَى عَنْهُ سَنَةَ 375 هـ / 985 م .

* بَهْرَامُ ، هُوَ بَهْرَامُ بْنُ أُرْدَشِيرَ ، كَانَ مِنْ رِجَالَاتِ صَمْصَامِ ٱلدَّوْلَةِ صَدِيقًا لِٱبْنِ سَعْدَانَ . وَقَدْ قُبِضَ عَلَيْهِ مَعَ ٱبْنِ سَعْدَانَ وَقُتِلَ بَعْدَ سَنَةِ 375 هـ / 985 م .
* إِبْنُ مَكِيخَا ، هُوَ أَبُو عَلِيٍّ بْنُ مَكِيخَا ، صَاحِبُ دِيوَانِ ٱلْخَزَائِنِ لِعَضُدِ ٱلدَّوْلَةِ ، كَمَا عَمِلَ مِن بَعْدِهِ لِصَمْصَامِ ٱلدَّوْلَةِ .
* إِبْنُ طَاهِرٍ ، أَبُو عَبْدِ ٱللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ ، كَانَ نَائِبًا عَنْ أَبِي نَصْرٍ سَابُورَ ، كَمَا كَانَ مِنْ رِجَالَاتِ صَمْصَامِ ٱلدَّوْلَةِ . قُتِلَ سنة 380 هـ / 990 م .
* إِبْنُ يُوسُفَ ، هُوَ أَبُو ٱلْقَاسِمِ عَبْدُ ٱلْعَزِيزِ بْنُ يُوسُفَ ، كَانَ مِن أعداء ٱبْنِ سَعْدَانَ وَٱلْمُوقِعِينَ بِهِ عِنْدَ صَمْصَامِ ٱلدَّوْلَةِ ، قَدِ ٱسْتَوْزَرَهُ صَمْصَامُ ٱلدَّوْلَةِ بَعْدَ ٱبْنِ سَعْدَانَ .
* إِبْنُ ٱلْحَجَّاجِ ، هُوَ أَبُو عَبْدِ ٱللَّهِ ٱلْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ ٱلْحَجَّاجِ شَاعِرٌ مَاجِنٌ فِي شِعْرِهِ مَشْهُورٌ ، إِتَّصَلَ بِٱلْوَزِيرِ ٱلْمُهَلَّبِيِّ وَسَابُورَ بْنِ أَرْدَشِيرَ وَعَضُدِ ٱلدَّوْلَةِ وَٱبْنِ عَبَّادٍ وَٱبْنِ ٱلْعَمِيدِ . لِشِعْرِهِ مُنْتَخَبَاتٌ فِي « ٱلْيَتِيمَةِ » لِلثَّعَالِبِيِّ . مَاتَ سَنَةَ 391 هـ / 1000 م .

3 - ٱلْأَسْئِلَـــةُ :

1 - حَلِّلْ أَبْعَادَ ٱلْمُحِيطِ ٱلسِّيَاسِيِّ ٱلَّذِي عَاشَ فِيهِ ٱلتَّوْحِيدِيُّ مِنْ خِلَالِ هَذَا ٱلنَّصِّ .
2 - مَا هِيَ ٱلنَّقَائِصُ ٱلَّتِي أَخَذَ بِهَا ٱبْنُ بَرْمَوَيْهِ ٱبْنَ سَعْدَانَ وَحَاشِيَتَهُ ؟
3 - كَانَ ٱبْنُ بَرْمَوَيْهِ مِنْ أَعْدَاءِ ٱبْنِ سَعْدَانَ . فَهَلْ يُقَلِّلُ ذَلِكَ مِنْ قِيمَةِ آرَائِهِ فِي ٱبْنِ سَعْدَانَ وَحَاشِيَتِهِ ؟ لِمَاذَا ؟
4 - قَدْ أَقَرَّ ٱبْنُ جَبَلَةَ فِي دِفَاعِهِ عَنِ ٱلْوَزِيرِ فَسَادَ حَاشِيَتِهِ . فَلِمَاذَا يُصِرُّ ٱبْنُ سَعْدَانَ - حَسَبَ رَأْيِكَ - عَلَى تَقْرِيبِهَا مِنْهُ ؟

ٱلْمُهِمَّةُ ٱلصَّعْبَةُ

وَلَقَدْ قَالَ أَبُو سَلِيمَانَ* أَمْسِ ، « كَيْفَ نَشَاطُ الوَزِيرِ ـ أَدَامَ ٱللَّهُ سَعَادَتَهُ ـ فِي شَأْنِهِ ، وَكَيْفَ كَانَ تَقَبُّلُهُ لِرِسَالَتِي إِلَيْهِ ، وَتَلَطُّفِي لَهُ ، وَخِدْمَتِي لِدَوْلَتِهِ ؟ فَقُلْتُ ، « مَاتَمَّ شَيْءٌ يَحْتَاجُ إِلَى ٱلزِّيَادَةِ مِنْ فَهْمٍ وَدِرَايَةٍ ، وَبَيَانٍ وَٱسْتِبَانَةٍ ، وَهَشَاشَةٍ وَرِفْقٍ وَٱطِّلَاعٍ وَتَأَنٍّ ، وَلَكِنَّ ٱلْوَقْتَ مُسْتَوْعَبٌ بِالتَّدْبِيرِ وَٱلنَّظَرِ وَكَفِّ ٱلْعَدُوِّ بِٱلْمُدَاوَرَةِ مَرَّةً ، وَبِٱلإِحْسَانِ مَرَّةً » . فَقَالَ ، « ٱللَّهُ يُبْقِيهِ وَيُرِينَا مَا نُحِبُّهُ فِيهِ » .

وَقَالَ أَيْضًا أَبُو سُلَيْمَانَ ، « كَيْفَ لَا يَكُونُ مَا تَقَلَّدَهُ [1] ثَقِيلًا ، وَمَا تَصَدَّى لَهُ عَظِيمًا ، وَمَا يُبَاشِرُهُ بِلِسَانِهِ وَقَلَمِهِ صَعْبًا ، وَٱلْأَوْلِيَاءُ أَعْدَاءٌ ، وَٱلْأَعْدَاءُ جُهَّالٌ وَٱلْحَضُّ عَلَيْهِ [2] مِنْ وَرَائِهِ شَدِيدٌ ، وَنَصِيحُهُ غَاشٌّ ، وَثِقَتُهُ مُرِيبٌ ، وَٱلشَّغَبُ مُتَّصِلٌ ، وَطَلَبُ ٱلْمَالِ لَا آخِرَ لَهُ ، وَٱلْمُصْطَنَعُ [3] مُسْتَزِيدٌ ، وَٱلْمَحْرُومُ سَاخِطٌ ، وَٱلْمَالُ مُمَزَّقٌ ، وَٱلتَّجْدِيفُ [4] مِنَ ٱلطَّالِبِ وَاقِعٌ ، وَٱلتَّحَكُّمُ بِٱلْإِدْلَالِ دَائِمٌ ، وَٱلاسْتِقَالَةُ مِنَ ٱلْكَبِيرِ وَٱلصَّغِيرِ زَائِدَةٌ ، وَٱلْكَلَامُ لَيْسَ يَنْفَعُ ، وَٱلتَّدَبُّرُ لَيْسَ يُقْمَعُ ، وَٱلْوَعْظُ هَبَاءٌ مَنْثُورٌ ، وَٱلْأَصْلُ مَقْطُوعٌ مَبْتُورٌ ، وَٱلسِّرُّ مَكْشُوفٌ ، وَٱلْمَلَانِيَةُ فَاضِحَةٌ » .

« وَقَدْ رَكِبَ كُلٌّ هَوَاهُ ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِكْرٌ فِي عُقْبَاهُ ، وَٱخْتَلَطَ ٱلْمُبْرَمُ [5] بِٱلسَّجِيلِ [6] ، وَضَاقَ عَلَى ٱلسَّالِكِ كُلُّ سَبِيلٍ ، وَمَنَابِعُ ٱلْفَسَادِ وَمَنَابِتُ ٱلتَّغْلِيطِ كُلُّهَا مِنَ ٱلْحَاشِيَةِ ٱلَّتِي لَاتَعْرِفُ نِظَامَ ٱلدَّوْلَةِ وَلَا ٱسْتِقَامَةَ ٱلْمَمْلَكَةِ . وَإِنَّمَا سُؤْلُهَا تَعْجِيلُ حَظٍّ وَإِنْ كَانَ

نَزْرًا ، وَٱسْتِلَابُ دِرْهَمٍ وَإِنْ كَانَ زَيْفًا . وَلَعَمْرِي لَيْسَ يَكُونُ ٱلْكَدَرُ إِلَّا بَعْدَ ٱلصَّفْوِ ، كَمَا لَا يَكُونُ ٱلصَّفْوُ إِلَّا بَعْدَ ٱلْكَدَرِ . هٰكَذَا ٱللَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ ، وَٱلنُّورُ وَٱلظَّلَامُ، هٰذَا يَخْلُفُ هٰذَا ، وَهٰذَا يَتْلُو هٰذَا .

أَبُو حَيَّانَ ٱلتَّوْحِيدِيُّ
ٱلْإِمْتَاعُ وَٱلْمُؤَانَسَةُ
ٱللَّيْلَةُ ٱلرَّابِعَةُ وَٱلْعِشْرُونَ
– ج 2 ص 115 – 116

1 – شَرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ :

1) تَقَلَّدَهُ ، ٱلضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى ٱلْوَزِيرِ ٱبْنِ سَعْدَانَ .
2) عَلَيْهِ ، ٱلضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى ٱبْنِ سَعْدَانَ أَيْضًا .
3) ٱلْمُصْطَنَعُ (بِفَتْحِ ٱلنُّونِ) ، ٱلْمُحْسَنُ إِلَيْهِ مِنِ ٱصْطَنَعَ عِنْدَهُ صَنِيعَةً أَيْ أَحْسَنَ
4) ٱلتَّجْدِيفُ ، مِنْ جَدَّفَ تَجْدِيفًا ، أَيْ كَفَرَ بِٱلنِّعْمَةِ .
5) ٱلْمُبْرَمُ ، ٱلَّذِي أُحْكِمَ قَتْلُهُ .
6) ٱلسَّحِيلُ ، ضِدُّ ٱلْمُبْرَمِ ، أَيْ مَا لَمْ يُحْكَمْ قَتْلُهُ .

2 – تَرَاجِمُ ٱلْأَعْلَامِ :

* أَبُو سُلَيْمَانَ ، هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرِ بْنِ بَهْرَامَ ٱلْمَنْطِقِيُّ ٱلسِّجِسْتَانِيُّ أَكْبَرُ عُلَمَاءِ بَغْدَادَ فِي عَصْرِ أَبِي حَيَّانٍ فِي ٱلْمَنْطِقِ وَٱلْحِكْمَةِ وَٱلْفَلْسَفَةِ . كَانَ مَجْلِسُهُ حَافِلًا بِٱلْعُلَمَاءِ وَٱلْحُكَمَاءِ ، وَاسِعَ ٱلِٱطِّلَاعِ فِي ٱلْفَلْسَفَةِ ٱلْيُونَانِيَّةِ وَكَانَ بِهِ عَوَرٌ وَبَرَصٌ يَمْنَعَانِهِ مِنْ غِشْيَانِ مَجَالِسِ ٱلْأُمَرَاءِ وَٱلْوُزَرَاءِ ، وَهُوَ أَكْبَرُ شُيُوخِ أَبِي حَيَّانٍ فِي ٱلْفَلْسَفَةِ . مَاتَ فِي أَغْلَبِ ٱلظَّنِّ فِي ٱلسَّنَوَاتِ ٱلْعَشْرِ ٱلْأَخِيرَةِ مِنَ ٱلْقَرْنِ ٱلرَّابِعِ ٱلْهِجْرِيِّ (بِدَايَةِ ٱلْقَرْنِ ٱلْحَادِي عَشَرَ ٱلْمِيلَادِيِّ)

3 - الأسئلة :

1 - هَلْ يُمْكِنُ اعْتِبَارُ هَذِهِ الشَّهَادَةِ مِنْ أَبِي سُلَيْمَانَ تَعْبِيرًا عن مَوْقِفِ التَّوْحِيدِيِّ أَيْضًا ؟ لِمَاذَا ؟
2 - بَيِّنْ أَوْجُهَ الْفَسَادِ السِّيَاسِيِّ الَّتِي يَرَاهَا أَبُو سُلَيْمَانَ .
3 - مَا هِيَ أَسْبَابُ الْفَسَادِ الَّتِي يَرَاهَا أَبُو سُلَيْمَانَ ؟
4 - هَلْ هُنَاكَ أَسْبَابٌ أُخْرَى لِهَذَا الْفَسَادِ لَمْ يَذْكُرْهَا أَبُو سُلَيْمَانَ ؟ مَا هِيَ ؟
5 - هَلْ يُمْكِنُ اعْتِبَارُ التَّوْحِيدِيِّ فِي هَذَا النَّصِّ مُصْلِحًا اجْتِمَاعِيًّا ؟ فِيمَ تَرَى ذَلِكَ ؟

ثَـوْرةُ ٱلـــرومِ

كَانَ أَوَّلَ هَذِهِ ٱلْحَادِثَةِ ٱلْفظِيعَةِ ٱلْبَشِعَةِ ٱلَّتِي حَيَّرتِ ٱلْعُقُولَ وَوَلَّهتِ ٱلأَلْبَابَ [1] وَسَافَرَ عَنْهَا ٱلتَّوْفِيقُ وَٱسْتَوْلَى عَلَيْهَا ٱلْخِذْلَانُ وَعُدِمَتْ فِيهَا ٱلْبَصَائِرُ شَيْءٌ كَلَا شَيْءٍ . وَإِذَا أَرَادَ ٱللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ أَنْ يُعَظِّمَ صَغِيرًا فَعَلَ وَإِذَا شَاءَ أَنْ يُصَغِّرَ عَظِيمًا قَدَرَ ...

وَذَاكَ أَنَّ ٱلرُّومَ تَهَايَجَتْ عَلَى ٱلْمُسْلِمِينَ ، فَسَارَتْ إِلَى نَصِيبِينَ [2] بِجَمْعٍ عَظِيمٍ زَائِدٍ عَلَى مَا عُهِدَ عَلَى مَرِّ ٱلسِّنِينِ ، وَكَانَ هَذَا فِي آخِرِ سَنَةِ ٱثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ [3] ، فَخَافَ ٱلنَّاسُ بِٱلْمَوْصِلِ وَمَا حَوْلَهَا وَأَخَذُوا فِي ٱلاِنْحِدَارِ عَلَى رُعْبٍ قُذِفَ فِي قُلُوبِهِمْ لِيَكُونَ سَبَبًا لِمَا صَارَ إِلَيْهِ ٱلأَمْرُ ، وَمَاجَ ٱلنَّاسُ بِمَدِينَةِ ٱلسَّلَامِ وَٱضْطَرَبُوا وَتَقَسَّمَ هَذَا ٱلْمَوْجَ وَٱلاِضْطِرَابُ بَيْنَ ٱلْخَاصَّةِ وَٱلْعَامَّةِ . وَصَارَتِ ٱلْعَامَّةُ طَائِفَتَيْنِ ، طَائِفَةٌ تَرِقُّ لِلدِّينِ وَلِمَا دَهَمَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَتَسْتَعْظِمُ ذَلِكَ فَرَقًا [4] مِمَّا يُنْتَهَى إِلَيْهِ ، بَعْدَ مَا يُؤْتَى عَلَيْهِ وَطَائِفَةٌ وَجَدَتْ فُرْصَتَهَا فِي ٱلْعَيْثِ وَٱلْفَسَادِ وَٱلنَّهْبِ وَٱلْغَارَةِ بِوَاسِطَةِ ٱلتَّعَصُّبِ لِلْمَذْهَبِ .

وَٱفْتَرَقَتِ ٱلْخَاصَّةُ أَيْضًا فِرْقَتَيْنِ ، فِرْقَةٌ أَحَبَّتْ أَنْ تَكُونَ لِلنَّاسِ حَمِيَّةٌ لِلْإِسْلَامِ ، وَنُهُوضٌ إِلَى ٱلْغَزْوِ وَٱنْبِعَاثٌ فِي نُصْرَةِ ٱلْمُسْلِمِينَ . إِذْ قَدْ أَضْرَبَ ٱلسُّلْطَانُ عَنْ هَذَا ٱلْحَدِيثِ لِأَنَّهِمَاكِهِ فِي ٱلْقَصْفِ وَٱلْعَزْفِ وَإِعْرَاضِهِ عَنِ ٱلْمَصَالِحِ ٱلدِّينِيَّةِ وَٱلْخَيْرَاتِ ٱلسِّيَاسِيَّةِ ، وَطَائِفَةٌ ٱخْتَارَتْ

ٱلسُّكُونَ وَٱلْإِقْبَالَ عَلَى مَا هُوَ أَحْسَمُ لِمَادَّةِ ٱلْوُثُوبِ وَٱلْهَيْجِ ، وَأَقْطَعُ لِشَغَبِ ٱلشَّاغِبِ وَأَقْمَعُ لِخِلَافِ ٱلْمُتَّهَمِ فَإِنَّ ٱلْاخْتِلَافَ إِذَا عَرَضَ خَفِيَ مَوْضِعُ ٱلْاتِّفَاقِ ، وَٱلتَّبَسَ ٱلْأَمْرُ عَلَى ٱلصِّغَارِ وَٱلْكِبَارِ ، وَبِمِثْلِ هذا فُتِحَتِ ٱلْبِلَادُ وَمُلِكَتِ ٱلْحُصُونُ ، وَأُزِيلَتِ ٱلنِّعَمُ ، وَأُرِيقَتِ ٱلدِّمَاءُ وَهُتِكَتْ ٱلْمَحَارِمُ وَأُبِيدَتِ ٱلْأُمَمُ ، وَنَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنْ غَضَبِ ٱللَّهِ وَمِمَّا قَرُبَ مِنْ سُخْطِ ٱللَّهِ ، وَإِذَا أَرَادَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَشَّرَ بَوَاعِثَهُ ، وَفَرَّقَ نَوَابِثَهُ . (5)

أَبُو حَيَّانَ ٱلتَّوْحِيدِيُّ
ٱلْإِمْتَاعُ وَٱلْمُؤَانَسَةُ
ٱللَّيْلَةُ ٱلثَّامِنَةُ وَٱلثَّلَاثُونَ
3 / 151 ـ 152

1 - شَرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ :

1) وَلَهَتِ ٱلْأَلْبَابَ ، أَوْقَعَتْهَا فِي ٱلْوَلَهِ ، أَيْ ٱلْحُزْنِ وَٱلْحَيْرَةِ ٱلشَّدِيدَيْنِ .
2) نَصِيبِينَ ، مَدِينَةٌ مِنْ بِلَادِ ٱلْجَزِيرَةِ ، عَلَى طَرِيقِ ٱلْقَوَافِلِ بَيْنَ ٱلْمَوْصِلِ إِلَى ٱلشَّامِ .
3) سَنَةَ ٱثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ ، أَيْ وَثَلَاثِمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ .
4) فَرَقًا ، خَوْفًا وَفَزَعًا . مِنْ فَرِقَ يَفْرَقُ مِنْهُ ، فَزِعَ .
5) نَوَابِثُ ٱلْأَمْرِ ، ج ـ نَابِثَةٍ ، مِنْ نَبَثَ ٱلْبِئْرَ ، نَبَشَهَا وَأَخْرَجَ تُرَابَهَا . وَيُقَالُ نَبَثَ عَنِ ٱلسِّرِّ أَوِ ٱلْأَمْرِ ، بَحَثَ عَنْهُ . وَٱلْمَعْنَى فِي ٱلنَّصِّ ، مُثِيرَاتُ دَفِينِهِ وَمُظْهِرَاتُ خَفِيِّهِ .

2 - ٱلْأَسْئِلَـــةُ:

ا - مَا هِيَ أَسْبَابُ نَهَايَةِ ٱلرُّومِ عَلَى ٱلْمُسْلِمِينَ حَسَبَ ٱلتَّوْحِيدِيِّ ؟

ب - قَسَّمَ ٱلتَّوْحِيدِيُّ ٱلْعَامَّةَ وَٱلْخَاصَّةَ إِلَى طَائِفَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ فِي مَوْقِفِهِمَا مِنَ ٱلْفِتْنَةِ . مَا هِيَ قِيمَةُ ذَلِكَ ٱلْاجْتِمَاعِيَّةُ ؟ وَمَا هِيَ ٱلْاخْتِلَافِ فِي ٱلْمَوْقِفِ مِنَ ٱلْفِتْنَةِ ؟

ا - مَا هُوَ مَوْقِفُ ٱلتَّوْحِيدِيِّ مِنَ ٱلْفِتْنَةِ مِنْ خِلَالِ ٱلنَّصِّ ؟

ا - مَا هِيَ صُورَةُ ٱلْمُجْتَمَعِ ٱلْعَرَبِيِّ ٱلإِسْلَامِيِّ فِي ٱلْمَشْرِقِ ٱلإِسْلَامِيِّ - فِي ٱلْعِرَاقِ خَاصَّةً - حَسَبَ هَذَا ٱلنَّصِّ ؟

ٱلنَّائِسُ ٱلسَّاهِي.

لَمَّا ٱشْتَعَلَتِ ٱلنَّائِرَةُ [1] وَٱشْتَغَلَتِ ٱلثَّائِرَةُ ، صَاحَ ٱلنَّاسُ ، ٱلنَّفِيرَ ٱلنَّفِيرَ ،[2] وَا إِسْلَامَاهُ ! وَامُحَمَّدَاهُ ! وَاصَوْمَاهُ ! واصَلَاتَاهُ ! وَاحَجَّاهُ ! وَاغَزْوَاهُ ! وَٱسْرَاهُ فِي أَيْدِي ٱلرُّومِ وَٱلطَّغَاةِ ! وَكَانَ عِزُّ ٱلدَّوْلَةِ قَدْ خَرَجَ فِي ذَلِكَ ٱلْأَوَانِ إِلَى ٱلْكُوفَةِ لِلصَّيْدِ ، وَلِأَغْرَاضٍ غَيْرِ ذَلِكَ ، فَٱجْتَمَعَ ٱلنَّاسُ عِنْدَ ٱلشُّيُوخِ وَٱلْأَمَاثِلِ وَٱلْوُجُوهِ وَٱلْأَشْرَافِ وَٱلْعُلَمَاءِ ، وَكَانَتِ ٱلنَّبِيَّةُ بَعْدُ حَسَنَةً ، وَلِلنَّاسِ فِي ظِلِّ ٱلسُّلْطَانِ مَبِيتٌ وَمَقِيلٌ ، يَسْتَعْذِبُونَ وِرْدَهُ ، وَيَسْتَسْهِلُونَ صَدْرَهُ وَعَجُّوا وَضَجُّوا وَقَالُوا ، ٱللَّهَ ٱللَّهَ ! ٱنْظُرُوا فِي أَمْرِ ٱلضُّعَفَاءِ وَأَحْوَالِ ٱلْفُقَرَاءِ ، وَٱغْضَبُوا لِلَّهِ وَلِدِينِهِ ، فَإِنَّ هَذَا ٱلْأَمْرَ إِذَا تَفَاقَمَ تَعَدَّى ضُعَفَاءَنَا إِلَى أَقْوِيَائِنَا ، وَبَطَلَ رَأْيُ كُبَرَائِنَا فِي تَدْبِيرِ صُغَرَائِنَا ، وَٱلتَّدَارُكُ وَاجِبٌ ، وَهُوَ ٱلْإِسْلَامُ ، إِنْ لَمْ نَذُبَّ عَنْهُ غَلَبَ ٱلْكُفْرُ ، وَهُوَ ٱلْأَمْنُ وَٱلسُّكُونُ إِنْ لَمْ يُحْفَظَا فَهُوَ ٱلْخَوْفُ وَٱلْبَلَاءُ وَذَهَابُ ٱلْحَرْثِ وَٱلنَّسْلِ ، وَفَضِيحَةُ ٱلْوَلَدِ وَٱلْأَهْلِ ، فَسَكَنَ ٱلْمَشَايِخُ مِنْهُمْ ، وَطَيَّبُوا نَفْسَهُمْ وَقَوَّوْا مِنَّتَهُمْ ، وَوَعَدُوهُمْ أَنْ يَرتَأُوا فِيهِ مُتَّفِقِينَ ، وَيَجْتَمِعُوا عَلَيْهِ مُجْتَهِدِينَ ، وَيَسْتَخِيرُوا ٱللَّهَ ضَارِعِينَ ، وَٱنْصَرَفَ ٱلنَّاسُ عَنْهُمْ ، وَٱجْتَمَعَ ٱلْقَوْمُ (...) وَتَشَاوَرُوا وَتَفَاوَضُوا ، وقَلَّبُوا ٱلْأَمْرَ ، وَشَعَّبُوا ٱلْقَوْلَ ، وَصَوَّبُوا وَصَعَّدُوا وَقَرَّبُوا وَبَعَّدُوا ، وَٱلْتَأَمَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَخْرُجَ طَائِفَةٌ وَرَاءَ ٱلْأَمِيرِ بَخْتِيَارَ* إِلَى ٱلْكُوفَةِ وَتَلْقَاهُ وَتُعَرِّفَهُ مَا قَدْ شَمِلَ مَدِينَةَ ٱلسَّلَامِ [3] مِنَ ٱلْاهْتِمَامِ ، وَإِنَّ ٱلْخَوْفَ قَدْ غَلَبَهُمْ ، وَإِنَّ ٱلذُّعْرَ قَدْ مَلَكَهُمْ وَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ ، « لَوْ كَانَ لَنَا خَلِيفَةٌ أَوْ

أميرٌ أوْ نَاظِرٌ سَائِسٌ لَمْ يُفْضِ ٱلأَمْرُ إِلَى هٰذِهِ ٱلشَّنَاعَةِ ، وَأَنَّ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْمُطِيعَ لِلَّهِ* إِنَّمَا وَلاَّهُ مَا وَرَاءَ بَابِهِ لِيَتَيَقَّظَ فِي لَيْلِهِ ، مُتَفَكِّرًا فِي مَصَالِحِ ٱلرَّعَايَا وَيُنَفِّذَ فِي نَهَارِهِ آمِرًا وَنَاهِيًا مَا يَعُودُ بِمَرَاشِدِ ٱلدِّينِ ، وَمَنَافِعِ ٱلدَّانِينَ وَٱلْقَاصِينَ وَإِلاَّ فَلاَ طَاعَةَ (...) . »

... وَسَارَتِ ٱلْجَمَاعَةُ إِلَى ٱلْكُوفَةِ ، وَلَحِقَتْ عِزَّ ٱلدَّوْلَةِ* فِي ٱلتَّصَيُّدِ ، وَٱنْتَظَرَتْهُ ، فَلَمَّا عَادَ قَامَتْ فِي وَجْهِهِ ، وَٱسْتَأْذَنَتْ فِي ٱلْوُصُولِ إِلَيْهِ عَلَى خَلْوَةٍ وَسُكُونِ بَالٍ وَقِلَّةِ شُغْلٍ . فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ وَلاَ عَاجَ عَلَيْهِمْ ـ وَكَانَ وَافِرَ ٱلْحَظِّ مِن سُوءِ ٱلأَدَبِ ، قَلِيلَ ٱلتَّحَاشِي مِنْ أَهْلِ ٱلْفَضْلِ وَٱلْحِكْمَةِ ، ثُمَّ قِيلَ لَهُ ، إِنَّ ٱلْقَوْمَ وَرَدُوا فِي مُهِمٍّ لاَ يَجُوزُ ٱلتَّغَافُلُ عَنْهُ وَٱلإِمْسَاكُ دُونَهُ ، فَأَذِنَ لَهُمْ بَيْنَ ٱلْمَغْرِبِ وَٱلْعَتَمَةِ [4] فَجَلَسُوا بِحَضْرَتِهِ كَمَا ٱتَّفَقَ مِنْ غَيْرِ تَرْتِيبٍ .

أَبُو حَيَّانَ ٱلتَّوْحِيدِيُّ
ٱلإِمْتَاعُ وَٱلْمُؤَانَسَةُ
ٱللَّيْلَةُ ٱلثَّامِنَةُ وَٱلثَّلاَثُونَ . 3 / 152 ـ 154

1 - شَرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ :

1) ٱلنَّائِرَةُ ، جَمْعُ نَوَائِرَ ـ ٱلْعَدَاوَةُ وَٱلشَّحْنَاءُ ، وَيُشِيرُ بِٱلنَّائِرَةِ فِي ٱلنَّصِّ وَٱلثَّائِرَةِ أَيْضًا ، إِلَى ٱلْفِتْنَةِ ٱلَّتِي أَحْدَثَتْهَا ثَوْرَةُ ٱلرُّومِ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ . سَنَةَ 362 هـ / 973 م

2) ٱلنَّفِيرَ ٱلنَّفِيرَ ، دَعْوَةُ ٱلنَّاسِ إِلَى ٱلْقِيَامِ لِقِتَالِ ٱلْعَدُوِّ مِنْ نَفَرَ يَنْفِرُ نُفُورًا وَنِفَارًا وَنَفِيرًا ٱلْقَوْمُ لِلْقِتَالِ أَوْ ٱلْأَمْرِ ، ذَهَبُوا .

3) مَدِينَةُ ٱلسَّلَامِ ، بَغْدَادُ .

4) ٱلْعَتَمَةُ ، تَعْنِي ظُلْمَةَ ٱللَّيْلِ مُطْلَقًا ، وَالثُّلُثُ ٱلْأَوَّلُ مِنَ ٱللَّيْلِ .

2 - تَرَاجِمُ ٱلْأَعْلَامِ :

* عِزُّ ٱلدَّوْلَةِ ، هُوَ بَخْتِيَارُ ، ٱلْأَمِيرُ ٱلْبُوَيْهِيُّ ، كَانَ أَمِيرَ ٱلْعِرَاقِ وَعَاصِمَتُهُ بَغْدَادُ . قَدْ وَلِيَ ٱلْإِمَارَةَ سَنَةَ 356 هـ / 967 م فِي عَهْدِ ٱلْخَلِيفَةِ ٱلْعَبَّاسِيِّ ٱلْمُطِيعِ ، وَبَقِيَ بِٱلْإِمَارَةِ حَتَّى سَنَةِ 367 هـ / 978 م ، فِي عَهْدِ ٱلْخَلِيفَةِ ٱلْعَبَّاسِيِّ ٱلطَّائِعِ ، ٱبْنِ ٱلْمُطِيعِ ، وَقَدْ خَلَفَهُ فِي ٱلْإِمَارَةِ عَضُدُ ٱلدَّوْلَةِ .
* ٱلْمُطِيعُ لِلّٰهِ ، هُوَ ٱلْخَلِيفَةُ ٱلْعَبَّاسِيُّ ٱلثَّالِثُ وَٱلْعِشْرُونَ . حَكَمَ بَيْنَ سَنَتَيْ 334 هـ 946 م ـ 363 هـ / 974 م . وَقَدْ كَانَ ٱلْخَلِيفَةُ فِي أَيْدِي ٱلْبُوَيْهِيِّينَ ، وَتَنَازَلَ بِٱلْخِلَافَةِ لِٱبْنِهِ ٱلطَّائِعِ (363 هـ / 974 م ـ 381 هـ / 991 م)

3 - ٱلْأَسْئِلَةُ :

1 - مَا هُوَ مَوْقِفُ ٱلرَّعِيَّةِ مِنَ ٱلرَّاعِي فِي هَذَا ٱلنَّصِّ ؟
2 - مَا هِيَ ٱلدَّوَافِعُ ٱلَّتِي جَعَلَتْ هَذَا ٱلْأَمِيرَ ٱلْبُوَيْهِيَّ يُهْمِلُ وَاجِبَاتِهِ ؟
3 - هَلْ يُمْكِنُ ٱعْتِبَارُ هَؤُلَاءِ ٱلْمَشَايِخِ غَيُورِينَ عَلَى دِينِهِمْ وَوَطَنِهِمْ ؟ بَيِّنْ لِمَاذَا ؟
4 - مَا هُوَ مَوْقِفُ ٱلتَّوْحِيدِيِّ مِنْ هَذَا ٱلْأَمِيرِ ؟ لِمَاذَا وَقَفَ مِنْهُ ذَلِكَ ٱلْمَوْقِفَ ؟

كَمَا تَكُونُونَ يُوَلَّى عَلَيْكُمْ.

تقديم : (سَمَحَ ٱلْأَمِيرُ « بُخْتَيَارُ » لِلشُّيُوخِ بِمُلَاقَاتِهِ . فَأَثَارُوا مَا أَصَابَ ٱلْمُسْلِمِينَ مِنْ هَوَانٍ وَمَا يَشْعُرُونَ بِهِ مِنْ خَوْفٍ . وَقَدْ عَنَّفُوا فِي حَدِيثِهِمْ عَلَى ٱلْأَمِيرِ وَٱسْتَنْهَضُوهُ كَيْ يَقُومَ بِوَاجِبِهِ نَحْوَ ٱلرَّعِيَّةِ وَٱلْبِلَادِ . وَقَدْ تَكَلَّمَ أَمَامَهُ ، أَبُو بَكْرٍ ٱلرَّازِي ، وَعَلِيُّ بْنُ عِيسَى ، وَأَبُو كَعْبٍ ٱلْأَنْصَارِيُّ ، وَٱلْعَوَّامِيُّ)

وَنَظَرَ بُخْتَيَارُ إِلَى ٱبْنِ حَسَّانَ ٱلْقَاضِي ـ وَكَانَ مُنْبَسِطًا مَعَهُ لِقَدِيمِ خِدْمَتِهِ ـ فَقَالَ ، أَيُّهَا ٱلْقَاضِي ، أَنْتَ لَا تَقُولُ شَيْئًا ؟ قَالَ ، أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ ، وَمَا ٱلْقَوْلُ وَعِنْدَكَ هَؤُلَاءِ ٱلْعُلَمَاءُ ، وَٱلْمَصَاقِعُ [1] ٱلْأَلِبَّاءُ ؟ وَإِنَّ سِوَاجِي لَا يَزْدَهِرُ فِي شَمْسِهِمْ ، وَإِنَّ سَحَابَتِي لَا تَبُلُّ عَلَى بِلَالِهِمْ [2] ، وَقَدْ قَالُوا فَأَنْعَمُوا [3] ، وَجَرَوْا فَأَمْعَنُوا وَلَيْسَ قُدَّامَهُمْ إِمَامٌ ، وَلَا وَرَاءَهُمْ إِمَامٌ ، لَكِنِّي أَقُولُ ، مَا جَشَمْنَا إِلَيْكَ هَذِهِ ٱلْكُلَفَ ، إِلَّا لِتَنْظُرَ عَلَى ضَعْفِ أَرْكَانِنَا ، وَعُلُوِّ أَسْنَانِنَا [4] وَقِلَّةِ أَعْوَانِنَا لِأَنَّا رَأَيْنَاكَ أَهْلًا لِلنَّظَرِ فِي أَمْرِنَا ، وَٱلْاِهْتِمَامِ بِحَالِنَا ، وَبِمَا يَعُودُ نَفْعُهُ عَلَى صَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا .

فَقَالَ عِزُّ ٱلدَّوْلَةِ ، مَا زُوِيَ عَنِّي مَا طَرَقَ هَذِهِ ٱلْبِلَادَ ، وَلَقَدْ أَشْرَفْتُ عَلَيْهِ وَفَكَّرْتُ فِيهِ ، وَمَا أَحْبَبْتُ تَجَشُّمَ هَذِهِ ٱلطَّائِفَةِ عَلَى هَذَا ٱلْوَجْهِ ، وَمَا أَعْجَبَنِي هَذَا ٱلتَّقْرِيعُ مِنَ ٱلصَّغِيرِ وَٱلْكَبِيرِ ، وَمَا كَانَ يَجُوزُ لِي أَنْ أَنْعَسَ عَلَى هَذِهِ ٱلْكَارِثَةِ ، وَأَنْعَمَ بِٱلْعَيْشِ مَعَهَا . وَلَعَمْرِي إِنَّ ٱلْغَفْلَةَ عَلَيْنَا أَغْلَبُ ، وَٱلسَّهْوَ فِينَا أَعْمَلُ ، وَلَكِنْ فِيمَا رَكِبْتُمُوهُ مِنِّي تَهْجِينٌ [5] شَدِيدٌ ، وَتَوْبِيخٌ فَاحِشٌ ، وَإِنَّ هَذَا ٱلْمَجْلِسَ لَمِمَّا يُتَهَادَى حَدِيثُهُ بِٱلزَّائِدِ وَٱلنَّاقِصِ ، وَٱلْحَسَنِ وَٱلْقَبِيحِ وَإِنَّكُمْ لَتَظُنُّونَ

أَنَّكُمْ مَظْلُومُونَ بِسُلْطَانِي عَلَيْكُمْ ، وَوِلَايَتِي لِأُمُورِكُمْ ؟ كَلَّا وَلَكِنْ كَمَا تَكُونُونَ يُوَلَّى عَلَيْكُمْ ، هَكَذَا قَوْلُ صَاحِبِ ٱلشَّرِيعَةِ فِينَا وَفِيكُمْ . وَٱللَّهِ لَوْ لَمْ تَكُونُوا أَشْبَاهِي لَمَا وَلَّيْتُكُمْ ، وَلَوْلَا أَنِّي كَوَاحِدٍ مِنْكُمْ لَمَا جُعِلْتُ قَيِّمًا عَلَيْكُمْ ، وَلَوْ خَلَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا بِعَيْبِ نَفْسِهِ لَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَسَعُهُ وَعْظُ غَيْرِهِ ، وَتَهْجِينُ سُلْطَانِهِ ...

أَبُو حَيَّانَ ٱلتَّوْحِيدِيُّ
ٱلْإِمْتَاعُ وَٱلْمُؤَانَسَةُ
ٱللَّيْلَةُ ٱلثَّامِنَةُ وَٱلثَّلَاثُونَ
ج 3 ـ ص 157 ـ 1958

1 - شَرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ ،

1) ٱلْمَصَاقِعُ ، مُفْرَدُهَا مِصْقَعٌ ، هُوَ ٱلْعَالِي ٱلصَّوْتِ ، وَٱلْبَلِيغُ ، وَٱلَّذِي لَا يُرْتَجُ عَلَيْهِ فِي كَلَامِهِ ، وَمِنْهُ ، « خَطِيبٌ مِصْقَعٌ » .
2) بِلَالِهِمْ ، بِكَسْرِ ٱلْبَاءِ وَضَمِّهَا ، ٱلْمَاءُ .
3) أَنْعَمُوا ، مِنْ أَنْعَمَ فِي ٱلْأَمْرِ ، بَالَغَ فِيهِ وَأَجَادَ .
4) أَسْنَانٌ ، جَمْعُ سِنٍّ ، هُوَ مِقْدَارُ ٱلْعُمُرِ يُقَالُ « لَهُ ٱبْنُ سِنِّ ٱبْنِكِ وَأَوْلَادُ أَسْنَانِ بَنِيكَ » أَيْ تِرْبُ ٱبْنِكِ وَأَتْرَابُ بَنِيكَ .
5) تَهْجِينٌ ، مِنْ هَجَنَ ٱلْأَمْرَ ، قَبَّحَهُ وَعَابَهُ .

2 - تَرَاجِمُ ٱلْأَعْلَامِ ،

- أَبْنُ حَسَّانَ ٱلْقَاضِي ، يَذْكُرُ ٱلتَّوْحِيدِيُّ أَنَّهُ كَانَ « صَاحِبَ ٱلْوُقُوفِ » أَيْ صَاحِبَ ٱلْأَوْقَافِ . وَٱلْوَقْفُ عِنْدَ ٱلْفُقَهَاءِ هُوَ (حُبُسُ ٱلْعَيْنِ عَلَى مِلْكِ ٱلْوَاقِفِ أَوْ عَلَى مِلْكِ ٱللَّهِ وَٱلتَّصَدُّقِ) كَمَا يَبْدُو مِنَ ٱلنَّصِّ أَنَّهُ كَانَ عَلَى صِلَةٍ بِٱلْأَمِيرِ عِزِّ ٱلدَّوْلَةِ وَكَانَ فِي خِدْمَتِهِ .

3 - الأسئلة :

١ - ما هي قيمة تعقيب ابن حسان القاضي على أقوال بقية الشيوخ ، وهو من المقربين إلى الأمير ؟
٢ - بماذا تعلل انصرافه عن الاهتمام بشؤون الرعية ؟
٣ - اتهم الأمير المشائخ أنفسهم بأنهم أشباهه ، وأن لكل منهم عيوبه مثله ، فما هي أهمية اتهامه ذلك ؟
٤ - ما معنى قول الأمير ، « هكذا قول صاحب الشريعة فينا وفيكم » من المقصود بالحديث ؟
٥ - « كما تكونون يولى عليكم » . ما هي أهمية هذه العبارة التي استشهد بها الأمير لفهم الحالتين السياسية والاجتماعية في المراتع في تلك الفترة ؟

عِيشَةُ ٱلرِّضَى وَٱلْهُرُوبِ.

حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنَ ٱلصُّوفِيَّةِ فِي هَذِهِ ٱلْأَيَّامِ ، قَالَ ،«كُنْتُ بِنِيسَابُورَ* سَنَةَ سَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَقَدْ ٱشْتَعَلَتْ خُرَاسَانُ بِٱلْفِتْنَةِ وَتَبَلْبَلَتْ دَوْلَةُ آلِ سَامَانَ بِٱلْجَوْرِ وَطُولِ ٱلْمُدَّةِ فَلَجَأَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ صَاحِبُ ٱلْجَيْشِ إِلَى قَايِينَ [1] وَهِيَ حِصْنُهُ وَمَعْقِلُهُ ، وَوَرَدَ أَبُو ٱلْعَبَّاسِ صَاحِبُ جَيْشِ آلِ سَامَانَ لِنِيسَابُورَ بِعِدَّةٍ عَظِيمَةٍ ، وَعُدَّةٍ عَمِيمَةٍ ، وَزِينَةٍ فَاخِرَةٍ وَهَيْئَةٍ بَاهِرَةٍ وَغَلَا ٱلسِّعْرُ ، وَأُخِيفَتِ ٱلسُّبُلُ وَكَثُرَ ٱلْإِرْجَافُ [2] ، وَسَاءَتِ ٱلظُّنُونُ وَضَجَّتِ ٱلْعَامَّةُ وَٱلْتَبَسَ ٱلرَّأْيُ ، وَٱنْقَطَعَ ٱلْأَمَلُ ، وَنَبَحَ كَلْبٌ كَلِبٌ مِنْ كُلِّ زَاوِيَةٍ ، وَزَأَرَ كُلُّ أَسَدٍ مِنْ كُلِّ أَجَمَةٍ ، وَضَبَحَ كُلُّ ثَعْلَبٍ مِنْ كُلِّ تَلْعَةٍ »

قَالَ ،«وَكُنَّا جَمَاعَةً غُرَبَاءَ نَأْوِي إِلَى دُوَيْرَةِ ٱلصُّوفِيَّةِ لَا نَبْرَحُهَا . فَتَارَةً نَقْرَأُ وَتَارَةً نُصَلِّي ، وَتَارَةً نَنَامُ ، وَتَارَةً نَهْذِي ، وَٱلْجُوعُ يَعْمَلُ عَمَلَهُ . وَنَخُوضُ فِي حَدِيثِ آلِ سَامَانَ ، وَٱلْوَارِدِ مِن جِهَتِهِمْ إِلَى هَذَا ٱلْمَكَانِ ، وَلَا قُدْرَةَ لَنَا عَلَى ٱلسِّيَاحَةِ [3] لِٱنْسِدَادِ ٱلطُّرُقِ ، وَتَخَطُّفِ ٱلنَّاسِ لِلنَّاسِ ، وَشُمُولِ ٱلْخَوْفِ ، وَغَلَبَةِ ٱلرُّعْبِ . وَكَانَ ٱلْبَلَدُ يَتَّقِدُ نَارًا بِٱلسُّؤَالِ وَٱلتَّعَرُّفِ وَٱلْإِرْجَافِ بِٱلصِّدْقِ وَٱلْكَذِبِ ، وَمَا يُقَالُ بِالْهَوَى وَٱلْعَصَبِيَّةِ فَضَاقَتْ صُدُورُنَا ، وَخَبُثَتْ سَرَائِرُنَا . وَٱسْتَوْلَى عَلَيْنَا ٱلْوَسْوَاسُ ، وَقُلْنَا لَيْلَةً ، مَا تَرَوْنَ يَا صِحَابَنَا مَا دُفِعْنَا إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ ٱلْأَحْوَالِ ٱلْكَرِيهَةِ ، كَأَنَّا وَٱللَّهِ أَصْحَابُ نَعَمٍ وَأَرْبَابُ ضِيَاعٍ نَخَافُ عَلَيْهَا ٱلْغَارَةَ وَٱلنَّهْبَ ، وَمَا عَلَيْنَا مِنْ وِلَايَةِ زَيْدٍ وَعَزْلِ عَمْرٍو

وَهَلاَكِ بَكْرٍ وَنَجَاةِ بِشْرٍ ؟ نَحْنُ قَوْمٌ قَدْ رَضِينَا فِي هَذِهِ ٱلدُّنْيَا ٱلْمَسِيرَةِ وَلِهَذِهِ ٱلْحَيَاةِ ٱلْقَصِيرَةِ بِكِسْرَةٍ يَابِسَةٍ وَخِرْقَةٍ بَالِيَةٍ ، وَزَاوِيَةٍ مِنَ ٱلْمَسْجِدِ مَعَ ٱلْعَافِيَةِ مِنْ بَلاَيَا طُلاَّبِ ٱلدُّنْيَا . فَمَا هَذَا ٱلَّذِي يَغْتَرِينَا مِنْ هَذِهِ ٱلأَحَادِيثِ ٱلَّتِي لَيْسَ لَنَا فِيهَا نَاقَةٌ وَلاَ جَمَلٌ ، وَلاَ حَظٌّ وَلاَ أَمَلٌ ؟ قُومُوا بِنَا غَدًا حَتَّى نَزُورَ أَبَا زَكَرِيَّاءَ ٱلزَّاهِدَ ، وَنَظَلَّ نَهَارَنَا عِنْدَهُ لاَهِينَ عَمَّا نَحْنُ فِيهِ سَاكِنِينَ مَعَهُ ، مُقْتَدِينَ بِهِ . فَاتَّفَقَ رَأْيُنَا عَلَى ذَلِكَ ، فَغَدَوْنَا وَصِرْنَا إِلَيْهِ ».

أَبُو حَيَّانَ ٱلتَّوْحِيدِيّ
ٱلإِمْتَاعُ وَٱلْمُؤَانَسَةُ
ٱللَّيْلَةُ ٱلرَّابِعَةُ وَٱلثَّلاَثُونَ 3 / 91 ـ 92

1 - شَرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ :

* نِيسَابُورُ (أَوْ شَابُورُ) : عَاصِمَةُ خُرَاسَانَ . مِنْ أَعْظَمِ ٱلْمُدُنِ ٱلإِسْلاَمِيَّةِ فِي ٱلْقُرُونِ ٱلْوُسْطَى مَعَ بَلْخ . وَهَرَاةَ وَمَرْوٍ. مَسْقَطُ رَأْسِ عُمَرَ ٱلْخَيَّامِ وَفَرِيدِ ٱلدِّينِ ٱلْعَطَّارِ .

1) قَايِينُ ، بَلَدٌ قَرِيبٌ مِنْ طُبْسَ بَيْنَ نِيسَابُورَ وَأَصْبَهَانَ .

2) ٱلإِرْجَافُ ، مِنْ أَرْجَفَ ، خَاضَ فِي ٱلأَخْبَارِ ٱلسَّيِّئَةِ وَٱلْفِتَنِ قَصْدَ تَهْيِيجِ ٱلنَّاسِ .

3) ٱلسِّيَاحَةُ ، كَلِمَةٌ صُوفِيَّةٌ ، مِنْ سَاحَ سَيْحًا وَسَيْحَانًا وَسِيَاحَةً وَسُيُوحًا ، ذَهَبَ فِي ٱلأَرْضِ لِلْعِبَادَةِ وَٱلتَّزَهُّدِ .

2 - تَرَاجِمُ ٱلأَعْلاَمِ :

- آلُ سَامَانَ . يَقْصِدُ ٱلدَّوْلَةَ ٱلسَّامَانِيَّةَ ٱلَّتِي أَسَّسَهَا سَامَانُ خُوَادَةُ ٱلْفَارِسِيُّ فِي مَا وَرَاءَ ٱلنَّهْرِ وَبُخَارَى وَسَمَرْقَنْدَ . اِشْتَهَرَ مِنْ أُمَرَائِهَا نَصْرٌ ٱلثَّانِي (300 هـ / 913 م ـ 331 هـ / 942) وَنُوحٌ ٱلأَوَّلُ (331 هـ / 942 م ـ 342 هـ 954 م) وَقَدِ ٱزْدَهَرَتِ ٱلْحَضَارَةُ فِي عَهْدِهِمَا وَقَدْ قَضَى عَلَيْهَا ٱلْغَزْنَوِيُّونَ (سَنَةَ 395 هـ / 1004 م) .

3 - الأسئلة :

1 - حلل التناقض الناتج من محاولة هؤلاء الجماعة من الصوفية أن يظهروا عدم انشغالهم بالأحوال الكريهة الجارية في مجتمعهم . ورغبتهم في التعرف عليها في مواضع كثيرة من النص ، وبين أسباب ذلك التناقض .

2 - حلل مفهوم هؤلاء المتصوفة للحياة وموقفهم منها .

3 - بين آثار الأحوال الاجتماعية والسياسية السيئة على هؤلاء المتصوفة .

4 - ما هي قيمة النص الاجتماعية ؟

وَلَـعُ ٱلشُّـيُـوخِ بِٱللَّهْـوِ

... وَطَرِبَ ٱبْنُ فَهْمٍ ٱلصُّوفِيُّ عَلى غِنَاءِ « نِهَايَةَ » جَارِيَةِ ٱبْنِ ٱلْمُغَنِّي إِذَا ٱنْدَفَعَتْ بِشَدْوِهَا ،

« أَسْتَوْدِعُ ٱللَّهَ فِي بَغْدَادَ لِي قَمَـرًا بِٱلْكَرْخِ ، مِنْ فَلَكِ ٱلْأَزْرَارِ مَطْلَعُهُ

« وَدَّعْتُهُ ، وَبِوُدِّي لَوْ يُوَدِّعُنِـي صَفْوُ ٱلْحَيَاةِ وَأَنِّي لَا أُوَدِّعُـهُ »

فَإِنَّهُ إِذَا سَمِعَ هَذَا مِنْهَا ضَرَبَ بِنَفْسِهِ ٱلْأَرْضَ ، وَتَمَرَّغَ فِي ٱلتُّرَابِ ، وَهَاجَ وَأَزْبَدَ ، وَتَعَفَّرَ شَعْرُهُ ، وَهَاتِ مِن رِجَالِكَ مَنْ يَضْبِطُهُ وَيُمْسِكُهُ ، وَمِن يَجْسُرُ عَلَى ٱلدُّنُوِّ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ يَعَضُّ بَنَابَهُ ، وَيَخْمِشُ بِظُفْرِهِ وَيَرْكُلُ بِرِجْلِهِ وَيَخْرِقُ ٱلْمُرَقَّعَةَ [1] قِطْعَةً قِطْعَةً وَيَلْطِم وَجْهَهُ أَلْفَ لَطْمَةٍ فِي سَاعَةٍ ، ...

... (وَكَذَلِكَ) طَرِبَ ٱلْجَرَاحِيُّ أَبِي ٱلْحَسَنِ مَعَ قَضَائِهِ فِي ٱلْكَرْخِ وَرِدَائِهِ ٱلْمُحَشَّى وَكُمَّيْهِ ٱلْمُفَدَّرَيْنِ [2] وَوَجْنَتَيْـهِ ٱلْمُتَخَلْجَتَيْنِ [3] وَكَلَامِهِ ٱلْفَخْمِ وَإِطْرَاقِهِ ٱلدَّائِمِ ، فَإِنَّهُ يَغْمِزُ بِٱلْحَاجِبِ إِذَا رَأَى مِرْطًا [4] وَأَمَلَ أَنْ يُقَبِّلَ خَدًّا وَقُرْطًا عَلَى غِنَـاءِ « شُغْلَةَ » ،

لَابُدَّ لِلْمُشْتَاقِ مِنْ ذِكْرِ ٱلْوَطَنْ وَٱلْيَأْسِ وَٱلسُّلْوَةِ مِنْ بَعْدِ ٱلْحَزَنْ

وَقِيَامَتُهُ تَقُومُ إِذَا سَمِعَهَا تُرَجِّعُ فِي لَحْنِهَا ،

لَوْ أَنَّ مَا تَبْتَلِينِي ٱلْحَادِثَاتُ بِهِ يُلْقَى عَلَى ٱلْمَاءِ لَمْ يُشْرَبْ مِنَ ٱلْكَدَرِ

فَهُنَاكَ تَرَى شَيْبَةً قَدِ ٱبْتَلَّتْ بِٱلدُّمُوعِ وَفُؤَادًا قَدْ نَزَا إِلَى ٱللَّهَاةِ ، مَعَ أَسَفٍ قَدْ ثَقَبَ ٱلْقَلْبَ وَأَوْهَنَ ٱلرُّوحَ وَجَابَ ٱلصَّخْرَ [3]

وَأَذَابَ الحَدِيدَ ، وَهُنَاكَ تَرَى وَاللّهِ أَحْدَاقَ الحَاضِرِينَ بَاهِتَةً وَدُمُوعَهُمْ مُتَحَدِّرَةٌ وَشَهِيقَهُمْ قَدْ عَلَا رَحْمَةً لَهُ وَرِقَّةً عَلَيْهِ وَمُسَاعَدَةً لِحَالِهِ ، وَهَذِهِ صُورَةٌ إِذَا اسْتَوْلَتْ عَلَى أَهْلِ مَجْلِسٍ وَجَدْتَ لَهَا عَدْوَى لَا تُمْلَكُ وَغَايَةً لَا تُدْرَكُ ، لِأَنَّهُ قَلَّمَا يَخْلُو إِنْسَانٌ مِنْ صَبْوَةٍ [6] أَوْ صَبَابَةٍ [7] أَوْ حَسْرَةٍ عَلَى فَائِتٍ ، أَوْ فِكْرٍ فِي مُتَمَنًّى ، أَوْ خَوْفٍ مِنْ قَطِيعَةٍ أَوْ رَجَاءٍ لِمُنْتَظَرٍ أَوْ حُزْنٍ عَلَى حَالٍ ، وَهَذِهِ أَحْوَالٌ مَعْرُوفَةٌ وَالنَّاسُ مِنْهَا عَلَى جَدِيلَةٍ [8] مَعْهُودَةٍ .

أبو حيان التوحيدي الإمتاع والمؤانسة ـ الليلة الثامنة والعشرون 2 / 167 ـ 169

1 - شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ :

1) الْمُرَقَّمَةُ ، مِنَ النَّاسِ الصُّوفِيَّةِ . لِمَا فِيهَا مِنَ الرُّقَعِ .
2) الْمُقَدِّرِينَ ، مِنْ قَدَّرَ الْحِجَارَةَ أَيْ كَسَرَهَا كِبَارًا وَصِغَارًا . وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْكُمَّيْنِ مَشْقُوقَانِ .
3) الْمُتَخَلْجَتَانِ ، أَيِ الْمُضْطَرِبَتَانِ الْمُرْتَعِشَتَانِ . وَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْ كِبَرِ السِّنِّ وَالضَّعْفِ
4) الْبِرْطُ ، مِنْ لِبَاسِ النِّسَاءِ .
5) جَابَ الصَّخْرَ ، أَيْ قَطَعَهُ .
6) صَبْوَةٌ ، مِنْ صَبَا يَصْبُو إِلَيْهِ وَلَهُ ، حَنَّ إِلَيْهِ .
7) الصَّبَابَةُ ، مِنْ صَبَّ يَصِبُّ صَبَابَةً إِلَيْهِ ، كَلِفَ بِهِ .
8) الْجَدِيلَةُ ، الطَّرِيقَةُ وَالشَّاكِلَةُ . يُقَالُ « عَمِلَ عَلَى جَدِيلَتِهِ » أَيْ عَلَى طَرِيقَتِهِ الَّتِي جُبِلَ عَلَيْهَا .

2 - اَلْأَسْئِلَـــةُ :

1 - حَلِّلِ اَلدَّوَافِعَ اَلَّتِي جَعَلَتْ كُلًّا مِنَ اَلشَّيْخَيْنِ ، اَلصُّوفِيِّ وَالقَاضِي ، تَهْفُو نَفْسُهُ إِلَى اَلطَّرَبِ وَالْغِنَاءِ.

2 - بِمَ تُعَلِّقُ عَلَى سُلُوكِ هَذَيْنِ اَلشَّيْخَيْنِ أَنْ خَلَعَا وَقَارَهُمَا ؟

3 - فَمَا تَسْتَنْتِجُ مِنْ تَخَلُّصِ اَلتَّوْحِيدِيِّ فِي آخِرِ اَلنَّصِّ مِنَ اَلْوَصْفِ إِلَى اَلتَّحْلِيلِ وَالتَّعْلِيقِ ؟

4 - هَلْ سَلَكَ هَذَانِ اَلشَّيْخَانِ سُلُوكًا عَادِيًّا ؟ أَوْضِحْ ذَلِكَ ؟

فِي ٱلنَّظْمِ وَٱلنَّثْرِ

وَقَالَ ـ أَدَامَ ٱللَّهُ دَوْلَتَهُ ـ لَيْلَةً: «أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ كَلَامًا فِي مَرَاتِبِ ٱلنَّظْمِ وَٱلنَّثْرِ، وَإِلَى أَيِّ حَدٍّ يَنْتَهِيَانِ، وَعَلَى أَيِّ شَكْلٍ يَتَّفِقَانِ؛ وَأَيُّهُمَا أَجْمَعُ لِلْفَائِدَةِ. وَأَرْجَعُ بِٱلْعَائِدَةِ [1]، وَأَدْخَلُ فِي ٱلصَّنَاعَةِ، وَأَوْلَى بِٱلْبَرَاعَةِ؟»

فَكَانَ ٱلْجَوَابُ: «... قَدْ قَالَ ٱلنَّاسُ فِي هَذَيْنِ ٱلْفَنَّيْنِ ضُرُوبًا مِنَ ٱلْقَوْلِ لَمْ يَبْعُدُوا فِيهَا مِنَ ٱلْوَصْفِ ٱلْحَسَنِ، وَٱلْإِنْصَافِ ٱلْمَحْمُودِ وَٱلتَّنَافُسِ ٱلْمَقْبُولِ، إِلَّا مَا خَالَطَهُ مِنَ ٱلتَّعَصُّبِ وَٱلْمَحْكِ [2] قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ: ٱلْبَلَاغَةُ ضُرُوبٌ، فَمِنْهَا بَلَاغَةُ ٱلشِّعْرِ، وَمِنْهَا بَلَاغَةُ ٱلْخَطَابَةِ، وَمِنْهَا بَلَاغَةُ ٱلنَّثْرِ...

قَالَ: فَأَمَّا بَلَاغَةُ ٱلشِّعْرِ فَأَنْ يَكُونَ نَحْوُهُ مَقْبُولًا، وَٱلْمَعْنَى مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ مَكْشُوفًا، وَٱللَّفْظُ مِنَ ٱلْغَرِيبِ بَرِيئًا، وَٱلْكِنَايَةُ لَطِيفَةً وَٱلتَّصْرِيحُ ٱحْتِجَاجًا، وَٱلْمُؤَاخَاةُ مَوْجُودَةً، وَٱلْمُوَاءَمَةُ ظَاهِرَةً.

وَأَمَّا بَلَاغَةُ ٱلْخَطَابَةِ، فَأَنْ يَكُونَ ٱللَّفْظُ قَرِيبًا، وَٱلْإِشَارَةُ فِيهَا غَالِبَةً، وَٱلسَّجْعُ عَلَيْهَا مُسْتَوْلِيًا، وَٱلْوَهْمُ فِي إِضْمَارِهَا سَابِحًا، وَتَكُونَ نَقْرُهَا قِصَارًا، وَيَكُونَ رِكَابُهَا شَوَارِدَ إِبِلٍ.

وَأَمَّا بَلَاغَةُ ٱلنَّثْرِ، فَأَنْ يَكُونَ ٱللَّفْظُ مُتَنَاوَلًا، وَٱلْمَعْنَى مَشْهُورًا، وَٱلتَّهْذِيبُ مُسْتَعْمَلًا، وَٱلتَّأْلِيفُ سَهْلًا، وَٱلْمُرَادُ سَلِيمًا، وَٱلرَّوْنَقُ عَالِيًا، وَٱلْحَوَاشِي رَقِيقَةً، وَٱلصَّفَائِحُ مَصْقُولَةً، وَٱلْأَمْثِلَةُ

خَفِيفَةٌ ٱلْمَأْخَذِ ، وَٱلْهَوَادِي [3] مُتَّصِلَةٌ ، وَٱلْأَعْجَازُ [4] مُفَصَّلَةٌ ....

وَأَمْثِلَةُ هٰذِهِ ٱلْأَبْوَابِ مَوجُودَةٌ فِي ٱلْكُتُبِ ، وَلَوْلَا ذٰلِكَ لَرَسَمْتُ فِي هٰذَا ٱلْمَكَانِ لِكُلِّ فَنٍّ مِثَالًا وَشَكَّلْتُ شَكْلًا ، وَلَوْ فَعَلْتُ ذٰلِكَ لَكُنْتُ مُكَرِّرًا لِمَا قَدْ سُبِقَ إِلَيْهِ ، وَمُتَكَلِّفًا مَا قَدْ لُقِّنَ مِنْ قَبْلُ ، عَلَى أَنَّ الزُّهْدَ فِي هٰذَا ٱلشَّانِ قَدْ وَضَعَ عَنَّا وَعَنْ غَيرِنَا مَؤُونَةَ ٱلْخَوْضِ فِيهِ ، وَٱلتَّغْنِّي بِهِ ، وَٱلتَّوَفُّرِ عَلَيْهِ ، وَتَقْدِيمِهِ عَلَى مَا هُوَ أَهَمُّ مِنْهُ ، أَعْنِي طَلَبَ ٱلْقُوتِ ٱلَّذِي لَيْسَ إِلَيْهِ سَبِيلٌ « إِلَّا بِبَيْعِ ٱلدِّينِ وَأَخْلَاقِ ٱلْمُرُوءَةِ ، وَإِرَاقَةِ مَاءِ ٱلْوَجْهِ ، وَكَدِّ ٱلْبَدَنِ ، وَتَجَرُّعِ ٱلْأَسَى ، وَمُقَاسَاةِ ٱلْحُرْقَةِ ، وَمَضِّ ٱلْحِرْمَانِ . وَٱلصَّبْرِ عَلَى ٱلْوَانٍ وَٱلْوَانٍ ، وَٱللّٰهُ ٱلْمُسْتَعَانُ » .

وَقَدْ كَانَ هٰذَا ٱلْبَابُ يَتَنَافَسُ فِيهِ أَوَانَ كَانَ لِلْخِلَافَةِ بَهْجَةٌ ، وَلِلنِّيَابَةِ عَنْهَا بَهَاءٌ ، وَلِلدِّيَانَةِ مُعْتَقَدٌ ، وَلِلْمُرُوَّةِ عَاشِقٌ ، وَلِلْخَيْرِ مُنْتَهِزٌ ، وَلِلصِّدْقِ مُؤْثِرٌ ، وَلِلْأَدَبِ شُرَاةٌ ، وَلِلْبَيَانِ سُوقٌ ، وَلِلصَّوَابِ طَالِبٌ ، وَفِي ٱلْعِلْمِ رَاغِبٌ ، فَأَمَّا ٱلْيَوْمَ ، وَٱلْيَدُ عَنْهُ مَقْبُوضَةٌ ، وَٱلذَّيْلُ دُونَهُ مُشَمَّرٌ ، وَٱلْمُتَحَلِّي بِجَمَالِهِ مَطْرُودٌ ، وَٱلْمُبَاهِي بِشَرَفِهِ مُبْعَدٌ فَمَا يُصْنَعُ بِهِ ؟ وَلِلّٰهِ أَمْرٌ هُوَ بَالِغُهُ ...

وَفِي ٱلْجُمْلَةِ أَحْسَنُ ٱلْكَلَامِ مَا رَقَّ لَفْظُهُ ، وَلَطُفَ مَعْنَاهُ ، وَتَلَأْلَأَ رَوْنَقُهُ ، وَقَامَتْ صُورَتُهُ بَيْنَ نَظْمٍ كَأَنَّهُ نَثْرٌ ، وَنَثْرٌ كَأَنَّهُ نَظْمٌ يُطْمِعُ مَشْهُودُهُ بِٱلسَّمْعِ وَيَمْتَنِعُ مَقْصُودُهُ عَلَى ٱلطَّبْعِ حَتَّى إِذَا رَامَهُ مُرِيعٌ [5] حَلَقَ ، وَإِذَا حَلَقَ أَسَفَّ ، أَعْنِي يَبْعُدُ عَلَى ٱلْمُحَاوِلِ

بِمُنْفٍ ، وَيَقْرُبُ مِنَ ٱلْمُتَنَاوِلِ بِلُطْفٍ

أَبُو حَيَّانَ ٱلتَّوْحِيدِيُّ
ٱلْإِمْتَاعُ وَٱلْمُؤَانَسَةُ
ٱللَّيْلَةُ ٱلْخَامِسَةُ وَٱلْعِشْرُونَ
ج 2 ص 130 ـ 145

1 - شَرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ :

1) ٱلْعَائِدَة ، جَمْعُ عَوَائِدَ ، ٱلْمَنْفَعَةُ .
2) ٱلْمَحْكُ ، مِنْ مَحَكَ يَمْحَكُ ٱلرَّجُلُ ، شَارَ وَنَازَعَ فِي ٱلْكَلَامِ وَتَمَادَى فِي ٱللَّجَاجَةِ عِنْدَ ٱلْمُسَاوَمَةِ .
3) ٱلْمَوَادِي ، هَوَادِي ٱللَّيْلِ ، أَوَائِلُهُ ، وَهَادِي ٱلْإِبِلِ ، أَوَّلُ مَا يَطْلَعُ مِنْهَا جَمْعُ هَادِيَةٍ .
4) ٱلْأَعْجَازُ ، جَمْعُ ٱلْعَجْزِ وَٱلْمُعْجَزِ وَٱلْمَعْجِزِ ، مُؤَخَّرُ ٱلشَّيْءِ أَوِ ٱلْجِسْمِ .
5) مُرِيغٌ ، مِنْ أَرَاغَ إِرَاغَةَ ٱلشَّيْءَ أَرَادَهُ وَطَلَبَهُ .

2 - تَرَاجِم الاعْلَام :

* أَبُو سُلَيْمَانَ ، هُوَ أَبُو سُلَيْمَانَ ٱلْمَنْطِقِيُّ ، ٱنْظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي نَصِّ ٱلْمُهِمَّةُ ٱلصَّعْبَةُ ص 23

3 - ٱلْأَسْئِلَـــةُ :

1 - مَا هُوَ مَوْقِفُ أَبِي سُلَيْمَانَ مِنَ ٱلنَّظْمِ وَٱلنَّثْرِ ؟ مَاذَا يَسْتَقْبِحُ وَمَاذَا يَسْتَحْسِنُ مِنْهُمَا ؟
2 - مَا هُوَ مَوْقِفُ ٱلتَّوْحِيدِيِّ نَفْسِهِ مِنَ ٱلنَّظْمِ وَٱلنَّثْرِ ؟ مَاذَا يَسْتَحْسِنُ فِيهِمَا خَاصَّةً ؟
3 - هَلْ يُمْكِنُ ٱعْتِبَارُ مَوْقِفِ أَبِي سُلَيْمَانَ يُمَثِّلُ أَيْضًا مَوْقِفَ ٱلتَّوْحِيدِيِّ ؟ لِمَاذَا ؟
4 - مَا ٱلَّذِي زَهَدَ أَبَا سُلَيْمَانَ فِي ٱلْخَوْضِ أَكْثَرَ فِي أَبْوَابِ ٱلنَّظْمِ وَٱلنَّثْرِ ؟ مَا هِيَ حَالَةُ ٱلْأَدِيبِ بِصِفَةٍ عَامَّةٍ ٱسْتِنْفَاجًا مِنْ ذَلِكَ ؟
5 - لِمَاذَا أَصْبَحَ ٱلْأَدَبُ عَامَّةً بِدُونِ ثَرَاءٍ فِي عَصْرِ ٱلتَّوْحِيدِيِّ ؟ هَلْ يُمْكِنُ تَطْبِيقُ مَا كَانَ فِي ٱلْقَرْنِ ٱلرَّابِعِ ٱلْهِجْرِيِّ فِي ٱلْعِرَاقِ عَلَى ٱلْعَصْرِ ٱلْحَدِيثِ ؟ لِمَاذَا ؟

نَقْدُ مَعَاصِرِيهِ مِنَ الشُّعَرَاءِ

قَالَ «فَصِلْ حَدِيثَكَ [1] عَنْ هَؤُلَاءِ [2] ، بِحَدِيثِ أَصْحَابِنَا الشُّعَرَاءِ ، صِفْ لِي جَمَاعَتَهُمْ وَاذْكُرْ لِي بِضَاعَتَهُمْ وَمَا خَصَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ» قُلْتُ «لَسْتُ مِنَ الشِّعْرِ وَالشُّعَرَاءِ فِي شَيْءٍ ، وَأَكْرَهُ أَنْ أَخْطُوَ عَلَى دَحْضٍ [3] ، وَأَحْتَسِيَ غَيْرَ مَحْضٍ» [4] ، قَالَ «دَعْ هَذَا الْقَوْلَ فَمَا خُضْنَا فِي شَيْءٍ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ إِلَّا عَلَى غَايَةِ مَا كَانَ فِي النَّفْسِ ، وَنِهَايَةِ مَا أَفَادَ مِن الْأُنْسِ ، فَكَانَ مِنَ الْوَصْفِ ،

أَمَّا السَّلَامِيُّ* فَهُوَ حُلْوُ الْكَلَامِ ، مُتَّسِقُ النِّظَامِ ، كَأَنَّمَا يَبْسِمُ عَن ثَغْرِ الْغَمَامِ ، خَفِيُّ السَّرِقَةِ،لَطِيفُ الْأَخْذِ ، وَاسِعُ الْمَذْهَبِ ، لَطِيفُ الْمَغَارِسِ ، جَمِيلُ الْمَلَابِسِ ، لِكَلَامِهِ لَيْطَةٌ بِالْقَلْبِ [5] وَعَبَثٌ بِالرُّوحِ ، وَبَرْدٌ عَلَى الْكَبِدِ .

وَأَمَّا الْحَاتِمِيُّ* فَنَقِيُّ اللَّفْظِ ، كَثِيرُ الْمُقَدِ ، يُحِبُّ أَن يَكُونَ بَدَوِيًّا قُحًّا وَهُوَ لَمْ يَتِمَّ حَضَرِيًّا ، غَزِيرُ الْمَحْفُوظِ ، جَامِعٌ بَيْنَ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ ، عَلَى تَشَابُهٍ بَيْنَهُمَا فِي الْجَفْوَةِ ، وَقِلَّةِ السَّلَاسَةِ،وَالْبُعْدِ عَنِ الْمَسْلُوكِ ، بَادِي الْعَوْرَةِ فِيمَا يَقُولُ ، فَكَأَنَّمَا يُبْرِزُ مَا يُخْفِي ، وَيُكَدِّرُ مَا يُصَفِّي ، لَهُ سَكْرَةٌ فِي الْقَوْلِ إِذَا أَفَاقَ مِنْهَا خُمِرَ ، [6] وَإِذَا خُمِرَ سَدَرَ ، [7] يَتَطَاوَلُ شَاخِصًا ، فَيَتَضَاءَلُ متقَاعِسًا إِذَا صَدَقَ فَهُوَ مَهِينٌ [8] ، وَإِذَا كَذَبَ فَهُوَ مُشِينٌ .

... وَأَمَّا الْخَالِعُ* فَأَدِيبُ الشِّعْرِ ، صَحِيحُ النَّحْتِ . كَثِيرُ الْبَدِيعِ،مُسْتَوِي الطَّرِيقَةِ ، مُتَشَابِهُ الصِّنَاعَةِ ، بَعِيدٌ مِنْ طَفْرَةٍ

ٱلْمُتَحَيِّرِ ، قَرِيبٌ مِنْ فُرْصَةِ ٱلْمُتَخَيِّرِ ...

... وَأَمَّا ٱبْنُ نَبَاتَةَ* فَشَاعِرُ ٱلْوَقْتِ ، لَا يَدْفَعُ مَا أَقُولُ إِلَّا حَاسِدٌ أَوْ جَاهِلٌ أَوْ مُعَانِدٌ (...) حَسَنُ ٱلْحَذْوِ عَلَى مِثَالِ سُكَّانِ ٱلْبَادِيَةِ ، لَطِيفُ ٱلْاِئْتِمَامِ بِهِمْ ، خَفِيُّ ٱلْمَقَاصِ فِي وَادِيهِمْ ظَاهِرُ ٱلْإِطْلَالِ عَلَى نَادِيهِمْ ، هَذَا مَعَ شُعْبَةٍ [9] مِنَ ٱلْجُنُونِ، وَطَائِفٍ مِنَ ٱلْوَسْوَاسِ ،

أَبُو حَيَّانَ ٱلتَّوْحِيدِيُّ
ٱلْإِمْتَاعُ ، ٱللَّيْلَةُ ٱلثَّامِنَةُ - 1 / 134 - 137

1 - شَرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ :

1) قَالَ : فَصِلْ حَدِيثَكَ : يَعْنِي ٱلْوَزِيرَ ٱبْنَ سَعْدَانَ .

2) هَؤُلَاءِ : يُشِيرُ إِلَى ٱلْعُلَمَاءِ ٱلنَّحْوِيِّينَ ٱلَّذِينَ كَانَ ٱلتَّوْحِيدِيُّ يَتَحَدَّثُ عَنْهُمْ قَبْلَ ٱلْاِنْتِقَالِ إِلَى ٱلْحَدِيثِ عَنِ ٱلشُّعَرَاءِ .

3) دَحْضُ : مِنْ دَحَضَ يَدْحَضُ ، دَحَضَتْ رِجْلُهُ : زَلِقَتْ ، وَٱلدَّحَضُ مَزَلَّةٌ وَمَزْلَقَةٌ لِلْأَقْدَامِ .

4) مَحْضُ : مِنْ مَحَضَ يَمْحَضُ ٱلرَّجُلَ ، سَقَاهُ ٱلْمَحْضَ ، أَيْ ٱللَّبَنَ وَنَحْوَهُ ، ٱلْخَالِصَ ٱلَّذِي لَمْ يُخَالِطْهُ غَيْرُهُ .

5) لَيْطَةُ بِٱلْقَلْبِ : أَيْ ٱلْتِصَاقٌ بِهِ وَتَعَلُّقٌ ، مِنْ لَاطَ يَلِيطُ لَيْطًا ، لَصِقَ .

6) خُمِرَ : أَيْ أُصِيبَ بِٱلْخُمَارِ ، وَهُوَ ٱلَّمُّ فِي ٱلرَّأْسِ وَصُدَاعٌ يَعْقِبَانِ ٱلسُّكْرَ

7) سَدَرَ : تَحَيَّرَ أَيْ لَمْ يُبَالِ مَا صَنَعَ وَلَمْ يَهْتَمَّ .

8) مُهَيْنَةٌ : جَمْعُ مُهَنَاءَ ، ٱلْحَقِيرُ ٱلضَّعِيفُ ، أَوِ ٱلْقَلِيلُ ٱلرَّأْيِ وَٱلتَّمْيِيزِ .

9) شِعْبَةٌ : مِنْ شَعَبَ يَشْعَبُ فُلَانًا ، شَغَلَهُ .

2 - تَرَاجِمُ ٱلْأَعْلَامِ :

* ٱلسَّلَامِيُّ ، شَاعِرٌ عَرَبِيُّ ٱلْأَصْلِ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ ، وُلِدَ بِكَرْخِ بَغْدَادَ سَنَةَ 336 هـ / 948 م ، ٱتَّصَلَ بِٱلصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ وَعَضُدِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلدَّيْلَمِيِّ ، يَمْدَحُهُمَا . مَاتَ 394 هـ 1003 م .

* ٱلْعَاتِمِيُّ ، هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ ٱلْحُسَيْنِ ٱلْعَاتِمِيُّ ، مَدَحَ ٱلْخَلِيفَةَ ٱلْقَادِرَ بِٱللّٰهِ (381 هـ / 991 - 422 هـ / 1031 م) ٱتَّصَلَ بِأَبِي ٱلطَّيِّبِ ٱلْمُتَنَبِّيِّ ، تُوُفِّيَ سَنَةَ 388 هـ / 998 م .

* ٱلْخَالِعُ ، هُوَ أَبُو عَلِيٍّ ٱلْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ٱلْخَالِعُ ، شَاعِرٌ مِنْ شُعَرَاءِ ٱلْوَزِيرِ أَبِي نَصْرٍ سَابُورَ بْنِ أَرْدَشِيرَ أَوْرَدَ لَهُ ٱلثَّعَالِبِيُّ فِي ٱلْيَتِيمَةِ بَعْضًا مِنْ أَشْعَارِهِ .

* ٱبْنُ نُبَاتَةَ ، هُوَ عَبْدُ ٱلْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نُبَاتَةَ ٱلسَّعْدِيُّ ، مِنْ شُعَرَاءِ سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْحَمْدَانِيِّ وَٱتَّصَلَ كَذٰلِكَ بِٱبْنِ ٱلْعَمِيدِ ، وَمَدَحَهُ ، كَانَتْ وِلَادَتُهُ سَنَةَ 327 هـ / 938 م وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي بَغْدَادَ سَنَةَ 405 هـ / 1014 م .

3 - ٱلْأَسْئِلَـــةُ ،

1 - مَا هِيَ ٱلْقَايِيسُ ٱلْفَنِّيَّةُ وَٱلْجَمَالِيَّةُ ٱلَّتِي ٱعْتَمَدَهَا ٱلتَّوْحِيدِيُّ فِي نَقْدِ هٰؤُلَاءِ ٱلشُّعَرَاءِ ؟

2 - مَا هِيَ أَهَمِّيَّةُ قَوْلِهِ ، لَسْتُ مِنَ ٱلشِّعْرِ وَٱلشُّعَرَاءِ فِي شَيْءٍ ؟

3 - هَلْ تَدُلُّ آرَاءُ ٱلتَّوْحِيدِيِّ فِي هٰؤُلَاءِ ٱلشُّعَرَاءِ عَلَى ٱزْدِهَارِ ٱلْحَرَكَةِ ٱلشِّعْرِيَّةِ فِي ٱلْعِرَاقِ فِي ٱلْقَرْنِ ٱلرَّابِعِ ٱلْهِجْرِيِّ ؟ بَيِّنْ ذٰلِكَ .

4 - ٱسْتَنْتِجْ مِنَ ٱلنَّصِّ بَعْضَ خَصَائِصِ ٱلشِّعْرِ ٱلْعَرَبِيِّ فِي ٱلْقَرْنِ ٱلرَّابِعِ ٱلْهِجْرِيِّ .

اَلْفَلْسَفَـةُ وَالشَّرِيعَـــةُ.

... إنَّ أَبَا سُلَيْمَانَ * يَقُولُ ، إنَّ اَلْفَلْسَفَةَ حَقٌّ لَكِنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ اَلشَّرِيعَةِ فِي شَيْءٍ ، وَاَلشَّرِيعَةُ حَقٌّ لَكِنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ اَلْفَلْسَفَةِ فِي شَيْءٍ . وَصَاحِبُ اَلشَّرِيعَةِ مَبْعُوثٌ ، وَصَاحِبُ اَلْفَلْسَفَةِ مَبْعُوثٌ إِلَيْهِ ، وَأَحَدُهُمَا مَخْصُوصٌ بِاَلْوَحْيِ وَاَلْآخَرُ مَخْصُوصٌ بِبَحْثِهِ ، وَاَلْأَوَّلُ مَكْفِيٌّ وَاَلثَّانِي كَادِحٌ ، وَهَذَا يَقُولُ ، أُمِرْتُ وَعُلِّمْتُ ، وَقِيلَ لِي ، وَمَا أَقُولُ شَيْئًا مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ، وَهَذَا يَقُولُ ، رَأَيْتُ وَنَظَرْتُ وَاسْتَحْسَنْتُ وَاسْتَقْبَحْتُ ، وَهَذَا يَقُولُ ، نُورُ العَقْلِ أَهْتَدِي بِهِ ، وَهَذَا يَقُولُ ، مَعِي نُورُ خَالِقِ اَلْخَلْقِ أَمْشِي بِضِيَائِهِ ، وَهَذَا يَقُولُ ، قَالَ اَللَّهُ تَعَالَى ، وَقَالَ اَلْمَلَكُ ، وَهَذَا يَقُولُ ، قَالَ أَفْلَاطُنُ * وَسُقْرَاطُ * ، وَيُسْمَعُ من هَذَا ظَاهِرُ تَنْزِيلٍ ، وَسَائِغُ تَأْوِيلٍ ، وَتَحْقِيقُ سُنَّةٍ ، وَاتِّفَاقُ أُمَّةٍ . وَيُسْمَعُ مِنْ اَلْآخَرِ اَلْهَيُولَى [1] وَاَلصُّورَةُ وَالطَّبِيعَةُ وَاَلْأُسْطُقُسُّ [2] وَاَلذَّاتِيُّ وَاَلْعَرَضِيُّ وَاَلْأَيْسِيُّ [3] وَاللَّيْسِيُّ ، وَمَا شَاكَلَ هَذَا مِمَّا لَا يُسْمَعُ مِن مُسْلِمٍ وَلَا يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ وَلَا مَجُوسِيٍّ وَلَا مَانَوِيٍّ [4] ...

وَيَقُولُ أَيْضًا ، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَفَلْسَفَ فَيَجِبُ عَلَيْهِ أن يُعْرِضَ بِنَظَرِهِ عَنِ اَلدِّيَانَاتِ وَمِنِ اَخْتَارَ اَلتَّدَيُّنَ فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُعَرِّدَ [5] بِعِنَايَتِهِ عَن الفَلْسَفَة ، وَيَتَحَلَّى بِهِمَا مُفْتَرِقَيْنِ فِي مَكَانَيْنِ عَلَى حَالَيْنِ ، مُخْتَلِفَيْنِ ، وَيَكُونُ بِاَلدِّينِ مُتَقَرِّبًا إِلَى اَللَّهِ تَعَالَى ، عَلَى مَا أَوْضَحَهُ لَهُ صَاحِبُ اَلشَّرِيعَةِ عَنِ اَللَّهِ تَعَالَى ، وَيَكُونُ بِاَلْحِكْمَةِ مُتَصَفِّحًا لِقُدْرَةِ اَللَّهِ تَعَالَى فِي هَذَا اَلْعَالَمِ اَلْجَامِعِ

لِلزِّينَةِ ٱلبَاهِرَةِ لِكُلِّ عَيْنٍ . ٱلمُحَيِّرَةِ لِكُلِّ عَقْلٍ وَلَا يُهْدَمَ أَحَدُهُمَا بِالآخَرِ، أَعْنِي يَجْحَدُ مَا أُلْقِيَ إِلَيْهِ صَاحِبُ ٱلشَّرِيعَةِ مُجْمَلًا وَمُفَصَّلًا . وَلَا يَغْفِلُ عَمَّا ٱسْتَخْزَنَ ٱللَّهُ تَعَالَى هَذَا ٱلْخَلْقَ ٱلعَظِيمَ عَلَى مَا ظَهَرَ بِقُدْرَتِهِ . وَٱشْتَمَلَ بِحِكْمَتِهِ وَٱسْتَقَامَ بِمَشِيئَتِهِ وَانْتَظَمَ بِإِرَادَتِهِ وَٱسْتَتَمَّ بِعِلْمِهِ . وَلَا يَعْتَرِضُ عَلَى مَا يَبْعُدُ فِي عَقْلِهِ وَرَأْيِهِ مِنَ ٱلشَّرِيعَةِ وَبَدَائِعِ آيَاتِ ٱلنُّبُوَّةِ . بِأَحْكَامِ ٱلفَلْسَفَةِ . فَإِنَّ ٱلفَلْسَفَةَ مَأْخُوذَةٌ مِنَ ٱلعَقْلِ ٱلمَقْصُورِ عَلَى ٱلغَايَةِ، وَٱلدِّيَانَةَ مَأْخُوذَةٌ مِنَ ٱلوَحْيِ ٱلوَارِدِ مِنَ ٱلعِلْمِ بِٱلقُدْرَةِ .

قَالَ ، وَلَعَمْرِي إِنَّ هَذَا صَعْبٌ . وَلَكِنَّهُ جِمَاعُ ٱلكَلَامِ وَأَخْذُ ٱلمُسْتَطَاعِ . وَغَايَةُ مَا عَرَضَ لَهُ ٱلإِنْسَانُ ٱلمُؤَيَّدُ بِٱللَّطَائِفِ ٱلمُزَاجِ بِٱلعِلَلِ وَبِضُرُوبِ ٱلتَّكَالِيفِ .

أَبُو حَيَّانَ ٱلتَّوْحِيدِيُّ
ٱلإِمْتَاعُ وَٱلمُؤَانَسَةُ ٱللَّيْلَةُ ٱلسَّابِعَةَ عَشْرَةَ
ـ ج 2 / ص ، 18 ـ 19

1 - شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ :

1) الْهَيُولَى ، وَيُقَالُ أَيْضًا الْهَيُولَى (بِتَضْعِيفِ الْيَاءِ) تُجْمَعُ عَلَى هَيُولِيَّاتٍ ، هِيَ الْمَادَّةُ الْأُولَى.

2) الْأَنْطُقُسُّ ، وَيُقَالُ أَيْضًا الْإِنْطِقُسُ ، الْأَصْلُ وَالْعُنْصُرُ وَهِيَ الْمَاءُ وَالْأَرْضُ وَالْهَوَاءُ وَالنَّارُ حَسَبَ مَذْهَبِ الْأَقْدَمِينَ .

3) الْآنِيسِيُّ ، نِسْبَةٌ إِلَى الْآنِسِ ، وَهُوَ الْوُجُودُ - وَأَصْلُ الْكَلِمَةِ عِبْرِيٌّ - وَضِدُّهُ اللَّنِسِيُّ أَيْ اللَّاوُجُودُ . وَمِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ اشْتُقَّتْ كَلِمَةُ « لَيْسَ » الْعَرَبِيَّةُ الْمُتَرَكِّبَةُ مِنْ لَا وَآنِسَ أَيْ لَا وُجُودَ ، وَقَعَ الدَّمْجُ بَيْنَهُمَا .

4) الْمَانَوِيُّ ، نِسْبَةٌ إِلَى « مَانِي » (215 م - 276 م) مُؤَسِّسِ مَذْهَبِ الْمَانَوِيَّةِ الْقَائِلِ بِمَبْدَأَيْنِ لِلْوُجُودِ ، مَبْدَإِ الْخَيْرِ وَمَبْدَإِ الشَّرِّ لِلنُّورِ وَالظَّلَامِ ...

5) يُعَرِّدُ ، يُنَكِّبُ وَيَبْعُدُ .

2 - تَرَاجِمُ الْأَعْلَامِ :

* أَبُو سُلَيْمَانَ ، يَعْنِي أَبَا سُلَيْمَانَ الْمَنْطِقِيَّ وَقَدْ سَبَقَتْ تَرْجَمَتُهُ فِي نَصِّ « الْمُهِمَّةُ الصَّعْبَةُ » ، ص. 23

* أَفْلَاطُنُ ، يَعْنِي أَفْلَاطُونَ ، الْحَكِيمُ الْفَيْلَسُوفُ الْيُونَانِيُّ ، وُلِدَ فِي أَثِينَا سَنَةَ 447 ق.م ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ 347 ق . م . قَدِ اشْتَهَرَ خَاصَّةً بِحِوَارَاتِهِ الْفَلْسَفِيَّةِ وَبِكِتَابِهِ « الْجُمْهُورِيَّةُ أَوِ السِّيَاسَةُ الْمَدَنِيَّةُ » وَهُوَ فِي نِظَامِ الْمَدِينَةِ وَفِي سَنِّ الشَّرَائِعِ وَالْعَدَالَةِ وَنِظَامِ الْحُكُومَةِ وَالشَّعْبِ .

* سُقْرَاطُ ، هُوَ أُسْتَاذُ أَفْلَاطُونَ ، فَيْلَسُوفٌ يُونَانِيٌّ مَعْرُوفٌ أَيْضًا ، وَيُسَمَّى سُقْرَاطِيسَ كَذَلِكَ . وُلِدَ حَوَالَيْ 470 ق . م فِي أَثِينَا وَتُوُفِّيَ بِهَا سَنَةَ 339 ق . م. عَلَّمَ فِي أَثِينَا فَأَحْدَثَ ثَوْرَةً فِي الْفَلْسَفَةِ بِأُسْلُوبِهِ وَتَفْكِيرِهِ ، جَعَلَ مِحْوَرَ الْفَلْسَفَةِ مَعْرِفَةَ الْإِنْسَانِ ذَاتِهِ وَدَرْسَ تَصَرُّفَاتِهِ وَالنَّوَامِيسَ الَّتِي تَدْفَعُ إِلَيْهَا وَبِهَذَا أَسَّسَ "عِلْمَ الْأَخْلَاقِ". كَانَ تَعْلِيمُهُ شَفَهِيًّا عَنْ طَرِيقِ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ فَسَاعَدَ تَلَامِيذَهُ عَلَى اكْتِشَافِ الْمَعْرِفَةِ بِأَنْفُسِهِمْ . حَارَبَ السَّفْسَطَةَ وَانْتَقَدَ الْحُكْمَ ، فَاتَّهَمَهُ خُصُومُهُ بِالزَّنْدَقَةِ وَحُكِمَ عَلَيْهِ بِالْإِعْدَامِ فَفَضَّلَ الْمَوْتَ عَنِ الْهَرَبِ احْتِرَامًا لِشَرَائِعِ مَدِينَتِهِ ، وَشَرِبَ السُّمَّ فَمَاتَ فِي سِجْنِهِ وَبَلَغَ مِنْ تَعْظِيمِهِ الْحِكْمَةَ أَنْ لَا يَسْتَوْدِعَهَا الصُّحُفَ وَالْقَرَاطِيسَ تَنْزِيهًا لَهَا عَنْ ذَلِكَ ، وَصَلَتْ إِلَيْنَا آرَاؤُهُ فِي كُتُبِ تِلْمِيذَيْهِ أَفْلَاطُونَ وَكِسِينُوفُونَ (XÉNOPHON) .

3 - الأسئلة :

1 - فيمَ تتفقُ الفلسفةُ والشريعةُ وفيمَ تختلفانِ حسبَ أبي سليمانَ المنطقيّ ؟ .
2 - هلْ ترى في موقفِ أبي سليمانَ موقفاً توفيقيّاً بينَ الفلسفةِ والشريعةِ ؟ بيّنْ ذلكَ .
3 - أيّهما أسبقُ وأيّهما أفضلُ حسبَ أبي سليمانَ ؛ الشريعةُ أمِ الفلسفةُ ؟ لماذا ؟ .
4 - ما هيَ مهمّةُ الفيلسوفِ وما هيَ مهمّةُ صاحبِ الشريعةِ حسبَ أبي سليمانَ ؟
5 - لماذا يجبُ على الإنسانِ أنْ « يتحلّى » بهما مُفترقيْنِ ؟

طَرِيقَةُ تَأْلِيفِ كِتَابِ « ٱلْإِمْتَاعِ ».

قَسَمَ أَبُو حَيَّانَ كِتَابَهُ إِلَى لَيَالٍ ، فَكَانَ يُدَوِّنُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مَا دَارَ فِيهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْوَزِيرِ ٱبْنِ سَعْدَانَ عَلَى طَرِيقَةِ ، « قَالَ لِي وَسَأَلَنِي وَقُلْتُ لَهُ وَأَجَبْتُهُ » . وَكَانَ ٱلَّذِي يَقْتَرِحُ ٱلْمَوْضُوعَ دَائِمًا هُوَ ٱلْوَزِيرُ ، وَأَبُو حَيَّانَ يُجِيبُ عَمَّا ٱقْتَرَحَ ، وَكَانَ ٱلْوَزِيرُ يَقْتَرِحُ أَوَّلًا مَوْضُوعًا حَسْبَمَا ٱتَّفَقَ وَيَنْتَظِرُ ٱلْإِجَابَةَ ، فَإِذَا أَجَابَ أَبُو حَيَّانَ أَثَارَتْ إِجَابَتُهُ أَفْكَارًا وَمَسَائِلَ عِنْدَ ٱلْوَزِيرِ فَيَسْتَطْرِدُ إِلَيْهَا وَيَسْأَلُهُ عَنْهَا ، فَقَدْ يَسْأَلُهُ سُؤَالًا يَأْتِي فِي أَثْنَاءِ ٱلْإِجَابَةِ عَنْهُ ذِكْرٌ لِٱبْنِ عَبَّادٍ * أَوِ ٱبْنِ ٱلْعَمِيدِ * أَوْ أَبِي سُلَيْمَانَ ٱلْمَنْطِقِيِّ * . فَيَسْأَلُهُ ٱلْوَزِيرُ عَنْهُمْ وَعَنْ رَأْيِهِ فِيهِمْ ، وَهَكَذَا يَسْتَطْرِدُ مِنْ بَابٍ لِبَابٍ ، حَتَّى إِذَا ٱنْتَهَى ٱلْمَجْلِسُ كَانَ ٱلْوَزِيرُ يَسْأَلُهُ غَالِبًا أَنْ يَأْتِيَهُ بِطُرْفَةٍ مِنَ ٱلطَّرَائِفِ يُسَمِّيهَا غَالِبًا ، مُلْحَةَ ٱلْوَدَاعِ « فَيَقُولُ ٱلْوَزِيرُ ـ مَثَلًا ـ « إِنَّ ٱللَّيْلَ قَدْ دَنَا مِنَ فَجْرِهِ هَاتِ مُلْحَةَ ٱلْوَدَاعِ » . وَهَذِهِ ٱلْمُلْحَةُ تَكُونَ ـ عَادَةً ـ نَادِرَةً لَطِيفَةً أَوْ أَبْيَاتًا رَقِيقَةً وَأَحْيَانًا يَقْتَرِحُ ٱلْوَزِيرُ أَنْ تَكُونَ مُلْحَةُ ٱلْوَدَاعِ شِعْرًا بَدَوِيًّا يُشَمُّ مِنْهُ رَائِحَةُ ٱلشِّيحِ وَٱلْقَيْصُومِ [1] وَهَكَذَا .

وَأَحْيَانًا يُكَلِّفُهُ ٱلْوَزِيرُ أَنْ يُتِمَّ لَهُ ٱلْمَسْأَلَةَ ٱلْمَعْرُوضَةَ فِي رِسَالَةٍ . فَقَدْ سَأَلَهُ مَرَّةً عَنِ ٱلْمَصَادِرِ ٱلَّتِي تَجِيءُ عَلَى وَزْنِ تَفْعَالٍ ،

فأجابه أبو حيان عن بعضها ، ثم طلب منه الوزير أن يجمع له ما جاء في اللغة منها .

وأحيانا يتخذ الكلام شكل حوار، فابن حيان - مثلا - يروي عن ديوجانيس * أنه سئل ، متى تطيب الدنيا ؟ فقال ، « إذا تفلسف ملوكها ، وملك فلاسفتها » . فلم يرض الوزير عن هذا ، وقال ، « إن الفلسفة لا تصح إلا لمن رفض الدنيا وفرغ نفسه للدار الآخرة ، فكيف يكون الملك رافضا للدنيا وقاليا [2] لها ، وهو محتاج إلى سياسة أهلها ، والقيام عليها باجتلاب مصالحها ونفي مفاسدها » - وأطال في ذلك - وفي كثير من الأحيان يعلق الوزير على إجابة أبي حيان بالاستحسان أو الاستهجان مع ذكر أسباب ذلك .

وأحيانا يطلب إليه الوزير أن يحضر له رسالة في موضوع ، ثم يتلوها عليه في جلسة مقبلة كما فعل مرة ، إذ كلفه أن يكتب له في المجون والملح . ففعل أبو حيان وقرأها عليه في مجلس . قال أبو حيان ، فلما قرأتها على الوزير قال ، ما علمت أن مثل هذا الحجم يحوي هذه الوصايا والملح ؛ وآونة يثير الوزير مسائل أشكلت [3] عليه في اللغة والفلسفة والاجتماع يعرضها على أبي حيان ويطلب منه الجواب فيفعل .

ويحدث أحيانا أن الوزير يدفع لأبي حيان برقعة فيها أسئلة يطلب إليه أن يفكر في الإجابة عنها ويتصل بغيره من العلماء ليأخذ رأيهم فيها ، كما حدث مرة أنه دفع إليه رقعة

بِخَطِّهِ فِيهَا مَطَالِبُ وَقَالَ ، « بَاحِثْ عَنْهَا أَبَا سُلَيْمَانَ * وَأَبَا ٱلْخَيْرِ * وَمَنْ تَعْلَمُ أَنَّ فِي مُحَاوَرَتِهِ فَائِدَةً . وَكَانَ فِي ٱلرُّقْعَةِ أَسْئِلَةٌ مِنْهَا عَنِ الرُّوحِ وَصِفَتِهِ وَمَنْفَعَتِهِ . وَمَا ٱلْمَانِعُ أَنْ تَكُونَ ٱلنَّفْسُ جِسْمًا أَوْ عَرَضًا [4] أَوْ هَبَاءً [5] وَهَلْ تَبْقَى ؟ وَإِنْ كَانَتْ تَبْقَى فَهَلْ هِيَ تَعْلَمُ مَا كَانَ ٱلإِنْسَانُ فِيهِ هَهُنَا إلخ ... » وَيَقُولُ ٱلْوَزِيرُ فِي آخِرِ هَذِهِ ٱلرُّقْعَةِ ، « إِنَّ هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ شَاغِلٌ لِقَلْبِي وَجَاثِمٌ فِي صَدْرِي . وَمُعْتَرِضٌ بَيْنَ نَفْسِي وَفِكْرِي وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَبُوحَ بِهِ لِكُلِّ أَحَدٍ » . وَيَأْمُرُهُ بِأَنْ يَكْتُمَ خَطَّهُ فَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِضَ هَذِهِ ٱلْمَسَائِلَ مَكْتُوبَةً عَلَى أَبِي سُلَيْمَانَ * فَلْيَنْسَخْهَا بِخَطِّهِ هُوَ ، ثُمَّ سَأَلَ أَبُو حَيَّانَ أَبَا سُلَيْمَانَ * وَذَكَرَ إِجَابَتَهُ عَنْهَا وَنَقَلَهَا إِلَى ٱلْوَزِيرِ . وَعَلَى هَذَا ٱلنَّمَطِ يَجْرِي تَأْلِيفُ ٱلْكِتَابِ .

وَمَوْضُوعَاتُ ٱلْكِتَابِ مُتَنَوِّعَةٌ تَنَوُّعًا ظَرِيفًا لَاتَخْضَعُ لِتَرْتِيبٍ وَلَا تَبْوِيبٍ ، إِنَّمَا تَخْضَعُ لِخَطَرَاتِ ٱلْعَقْلِ وَطَيَرَانِ ٱلْخَيَالِ وَشُجُونِ ٱلْحَدِيثِ ، حَتَّى لَنَجِدَ فِي ٱلْكِتَابِ مَسَائِلَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ وَفَنٍّ ؛ فَأَدَبٌ وَفَلْسَفَةٌ وَحَيَوَانٌ وَمُجُونٌ وَأَخْلَاقٌ وَطَبِيعَةٌ وَبَلَاغَةٌ وَتَفْسِيرٌ وَحَدِيثٌ وَغِنَاءٌ وَلُغَةٌ وَسِيَاسَةٌ وَتَحْلِيلُ شَخْصِيَّاتٍ لِفَلَاسِفَةِ ٱلْعَصْرِ وَأُدَبَائِهِ وَعُلَمَائِهِ وَتَصْوِيرٌ لِلْعَادَاتِ وَأَحَادِيثِ ٱلْمَجَالِسِ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ شَرْحُهُ .

أَحْمَدُ أَمِينٌ *
مِنْ مُقَدِّمَةِ « ٱلْإِمْتَاعِ »
ص. (م - س)

1 - شَرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ ،

1) ٱلْقَيْصُومُ ، نَبَاتٌ طَيِّبُ ٱلرَّائِحَةِ ، يُتَدَاوَى بِهِ (L'aurone) . ٱنْظُرْ كِتَابَ تَرْجَمَةِ جَامِعِ ٱلْمُفْرَدَاتِ لِٱبْنِ ٱلْبَيْطَارِ ، قَامَ بِهَا (Lucien Leclerc) ج 3 ص124 ، ط . بَارِيسَ 1883 .

2) قَالِيًا ، مِنْ قَلِيَ يَقْلَى قَلًى ، أَبْغَضَ .

3) أَشْكَلَتْ ، يُقَالُ أَشْكَلَ الْأَمْرُ ، أَيِ ٱلْتَبَسَ .

4) عَرَضٌ ، يُجْمَعُ عَلَى أَعْرَاضٍ ، وَهُوَ ٱسْمٌ لِمَا لَا دَوَامَ لَهُ . وَٱلْعَرَضُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَا كَانَ قَائِمًا فِي جَوْهَرِهِ وَلَيْسَ بِجَوْهَرٍ .

5) هَبَاءٌ ، يُجْمَعُ عَلَى أَهْبَاءٍ ، وَهُوَ ٱلْغُبَارُ ، وَدَقَائِقُ ٱلتُّرَابِ سَاطِعَةً وَمَنْشُورَةً عَلَى وَجْهِ ٱلْأَرْضِ .

2 - تَرَاجِمُ ٱلْأَعْلَامِ ،

* أَحْمَدْ أَمِينٌ ، أَدِيبٌ وَبَاحِثٌ مِصْرِيٌّ ، وُلِدَ سَنَةَ 1886 ، تَخَرَّجَ مِنَ ٱلْأَزْهَرِ وَٱلْتَحَقَ بِدَارِ الْمُعَلِّمِينَ ثُمَّ بِالْقَضَاءِ ٱلشَّرْعِيِّ ، ثُمَّ ٱنْتَقَلَ مِنْهُ إِلَى ٱلتَّدْرِيسِ فِي ٱلْجَامِعَةِ ثُمَّ ٱنْصَرَفَ إِلَى ٱلتَّأْلِيفِ وَٱلتَّرْجَمَةِ بَعْدَ أَنْ أَتْقَنَ ٱللُّغَةَ ٱلْإِنْكِلِيزِيَّةَ ، وَقَدِ ٱشْتَرَكَ أَحْمَدُ أَمِينٌ فِي عَمَلَيْنِ كَبِيرَيْنِ كَانَ لَهُمَا أَثَرُهُمَا ٱلْوَاضِحُ فِي ٱلثَّقَافَةِ ٱلْمِصْرِيَّةِ ٱلْحَدِيثَةِ خَاصَّةً وَٱلثَّقَافَةِ ٱلْعَرَبِيَّةِ عُمُومًا ، وَهُمَا ، تَكْوِينُ لَجْنَةِ ٱلتَّأْلِيفِ وَٱلتَّرْجَمَةِ وَٱلنَّشْرِ سَنَةَ 1914 ، وَتَأْسِيسُ مَجَلَّةِ ٱلثَّقَافَةِ سَنَةَ 1939 ، وَتُوُفِّيَ أَحْمَدُ أَمِينٌ سَنَةَ 1954 ، وَمِنْ أَهَمِّ إِنْتَاجِهِ ، فَجْرُ ٱلْإِسْلَامِ فِي جُزْءٍ ، وَضُحَى ٱلْإِسْلَامِ فِي ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ ، وَظُهْرُ ٱلْإِسْلَامِ فِي أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ ، وَقَدْ بَدَأَ ٱلْعَمَلَ فِي هَذِهِ ٱلْإِسْلَامِيَّاتِ سَنَةَ 1929 وَٱنْتَهَى مِنْهَا سَنَةَ 1946 ، كَمَا أَنَّهُ أَصْدَرَ مَجْمُوعَةَ مَقَالَاتِهِ فِي كِتَابِ « فَيْضِ ٱلْخَاطِرِ » .

* ٱبْنُ سَعْدَانَ ، سَبَقَ ٱلتَّعْرِيفُ بِهِ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي حَيَّانَ . ص 10 و 11 و 12

* ٱبْنُ عَبَّادٍ ، هُوَ ٱلصَّاحِبُ ، ٱبْنُ عَبَّادٍ ، سَبَقَ ٱلتَّعْرِيفُ بِهِ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي حَيَّانَ ص 10

* ٱبْنُ ٱلْعَمِيدِ ، سَبَقَ ٱلتَّعْرِيفُ بِهِ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي حَيَّانَ ، ص10 .

* أَبُو سُلَيْمَانَ ٱلْمَنْطِقِيُّ ، سَبَقَ ٱلتَّعْرِيفُ بِهِ فِي نَصِّ « ٱلْهِمَّةُ ٱلصَّعْبَةُ » ، لِأَبِي حَيَّانَ ص23 .

* دِيوجَانِيسُ ، هُوَ دِيُوجَانُ ٱلْكَلْبِيُّ (Diogène le Cynique) هُوَ فَيْلَسُوفٌ يُونَانِيٌّ عَاشَ بَيْنَ سَنَتَيْ 423 ـ 323 ق . م . كَانَ يُقَاوِمُ أَشَدَّ ٱلْمُقَاوَمَةِ ٱلْعَادَاتِ وَٱلتَّقَالِيدَ وَيَصُبُّ وَابِلَ ٱلْاحْتِقَارِ عَلَى ٱلِّيَاقَاتِ ٱلْاجْتِمَاعِيَّةِ فَلُقِّبَ بِٱلْكَلْبِيِّ .

* أَبُو ٱلْخَيْرِ ، هُوَ ٱبْنُ ٱلْخَمَّارِ ٱلْحَسَنُ بْنُ سُوَّارٍ ، وَهُوَ طَبِيبٌ وَفَيْلَسُوفٌ نَصْرَانِيٌّ ، نَقَلَ إِلَى

ٱلْعَرَبِيَّةِ عِدَّةَ مُؤَلَّفَاتٍ سُرْيَانِيَّةً مِنْهَا « رِسَالَةٌ فِي ٱلْآثَارِ ٱلْمُتَخَيَّلَةِ فِي ٱلْجَوِّ مِنَ ٱلْبُخَارِ ٱلْمَائِيِّ وَهِيَ ٱلْهَالَةُ وَٱلْقَوْسُ وَٱلشُّمُوسُ وَٱلْقُضْبَانُ » . عَاشَ فِي ٱلْقَرْنِ ٱلرَّابِعِ ٱلْهِجْرِيِّ (ٱلْعَاشِرِ ٱلْمِيلَادِيِّ) .

3 - ٱلْأَسْئِلَـــةُ :

1 - مَا هُوَ دَوْرُ ٱلْوَزِيرِ ٱبْنِ سَعْدَانَ فِي تَأْلِيفِ كِتَابِ « ٱلْإِمْتَاعِ » ؟

2 - مَا هِيَ ٱلْمَشَاغِلُ ٱلْفِكْرِيَّةُ أَوِ ٱلْأَدَبِيَّةُ ٱلَّتِي كَانَتْ تَشْغَلُ ٱلْوَزِيرَ وَيَسْأَلُ عَنْهَا أَبَاحَيَّانَ حَسَبَ ٱلنَّصِّ ؟

3 - كَيْفَ كَانَ أَبُو حَيَّانَ يُجِيبُ عَنْ ٱلْمَسَائِلِ ٱلَّتِي يَطْرَحُهَا ٱبْنُ سَعْدَانَ ؟

4 - هَلْ تَجِدُ فِي طَرِيقَةِ تَأْلِيفِ كِتَابِ « ٱلْإِمْتَاعِ » بِتَقْسِيمِهِ إِلَى لَيَالٍ أُبْتِكَارًا ؟ عَلِّلْ إِجَابَتَكَ ؟

الإشارات الإلهية

ٱلْغَرِيبُ مَنْ هُوَ فِي غُرْبَتِهِ غَرِيبٌ.

سَأَلْتَنِي ، رَفَقَ ٱللَّهُ بِكَ وَعَطَفَ عَلَيَّ قَلْبَكَ ـ أَنْ أَذْكُرَ لَكَ ٱلْغَرِيبَ وَمِحَنَهُ وَأَصِفَ لَكَ ٱلْغُرْبَةَ وَعَجَائِبَهَا ، وَأَمُرَّ فِي أَضْعَافِ ذَلِكَ بِأَسْرَارٍ لَطِيفَةٍ وَمَعَانٍ شَرِيفَةٍ إِمَّا مَعَرَّضًا وَإِمَّا مُصَرَّحًا وَإِمَّا مُبَعَّدًا وَإِمَّا مَقَرَّبًا،فَكُنْتُ عَلَيَّ أَنْ أُجِيبَكَ إِلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ إِنِّي وَجَدْتُ فِي حَالِي شَاغِلًا عَنْكَ وَحَائِلًا دونَكَ وَمُفَرِّقًا بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، وَكَيْفَ أَخْفِضُ ٱلْكَلَامَ ٱلْآنَ وَأَرْفَعُ،وَمَا ٱلَّذِي أَقُولُ وَأَصْنَعُ ، وَبِمَاذَا أَصْبِرُ ، وَعَلَى مَاذَا أَجْزَعُ ؟ وَعَلَى ٱلْمِلَّاتِ ٱلَّتِي وَصَفْتُهَا وَٱلْعَوْرَاتِ ٱلَّتِي سَتَرْتُهَا أَقُولُ ... ،

وَمَا جَزَعًا مِنْ خَشْيَةِ ٱلْبَيْنِ أَخْضَلَتْ [1]

دُمُوعِي ، وَلَكِنَّ ٱلْغَرِيبَ غَرِيبُ

[ٱلْبَحْرُ ٱلطَّوِيلُ] يَا هَذَا ، هَذَا وَصْفُ غَرِيبٍ نَأَى عَنْ وَطَنٍ بُنِيَ بِٱلْمَاءِ وَٱلطِّينِ ، وَبَعُدَ عَنْ أُلَّافٍ لَهُ عَهْدُهُمْ ٱلْخُشُونَةُ وَٱللِّينُ.وَلَعَلَّهُ عَاقَرَهُم [2] ٱلْكَأْسَ بَيْنَ ٱلْغُدْرَانِ وَٱلرِّيَاضِ،وَٱجْتَلَى بِعَيْنِهِ مَحَاسِنَ ٱلْحَدَقِ ٱلْمِرَاضِ،وَكَانَ عَاقِبَةُ ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَى ٱلذَّهَابِ وَٱلْانْقِرَاضِ.فَأَيْنَ أَنْتَ عَنْ قَرِيبٍ قَدْ طَالَتْ غُرْبَتُهُ فِي وَطَنِهِ،وَقَلَّ حَظُّهُ ونصيبُه مِنْ حَبِيبِهِ وَسَكَنِهِ ؟ وَأَيْنَ أَنْتَ عَنْ غَرِيبٍ لَاسَبِيلَ لَهُ إِلَى ٱلْأَوْطَانِ وَلَا طَاقَةَ بِهِ عَلَى ٱلْاسْتِيطَانِ ﴿ قَدْ عَلَاهُ ٱلشُّحُوبُ وَهُوَ فِي كَنٍّ وَغَلَبَهُ ٱلْحُزْنُ حَتَّى صَارَ كَأَنَّهُ شَنٌّ [3] إِنْ نَطَقَ نَطَقَ خَزْيَانَ مُنْقَطِعًا . وَإِنْ سَكَتَ سَكَتَ حَيرَانَ مُرْتَدِعًا،وَإِنْ قَرُبَ قَرُبَ خَاضِعًا،وَإِنْ بَعُدَ بَعُدَ خَاشِعًا ، وَإِنْ ظَهَرَ ظَهَرَ ذَلِيلًا،وَإِنْ تَوَارَى تَوَارَى عَلِيلًا،وَإِنْ

طَلَبَ طَلَبَ وَٱلْيَاسُ غَالِبٌ عَلَيْهِ،وَإِنْ أَمْسَكَ أَمْسَكَ وَٱلْبَلَاءُ قَاصِدٌ إِلَيْهِ، وَإِنْ أَصْبَحَ أَصْبَحَ حَائِلَ ٱللَّوْنِ مِنْ وَسَاوِسِ ٱلْفِكْرِ . وَإِنْ أَمْسَى أَمْسَى مُنْتَهَبَ ٱلسِّرِّ مِن هَوَاتِكِ ٱلسِّتْرِ . وَإِنْ قَالَ قَالَ هَائِبًا . وَإِنْ سَكَتَ سَكَتَ خَائِبًا. قَدْ أَكَلَّلَهُ ٱلْخُمُولُ . وَمَضَّهُ ٱلذُّبُولُ وَحَالَفَهُ ٱلنُّحُولُ . لَا يَتَمَنَّى إِلَّا عَلَى بَعْضِ بَنِي جِنْسِهِ،حَتَّى يُفْضِيَ إِلَيْهِ بِكَامِنَاتِ نَفْسِهِ،وَيَتَعَلَّلَ بِرُؤْيَةِ طَلْعَتِهِ . وَيَتَذَكَّرَ بِمُشَاهَدَتِهِ قَدِيمَ لَوْعَتِهِ ، فَيَنْثُرَ ٱلدُّمُوعَ عَلَى صَحْنِ خَدِّهِ،طَالِبًا لِلرَّاحَةِ مِنْ كَدِّهِ ...

وَقَدْ قِيلَ ، ٱلْغَرِيبُ مَنْ جَفَاهُ ٱلْحَبِيبُ ، وَأَنَا أَقُولُ ، بَلِ ٱلْغَرِيبُ مَنْ وَاصَلَهُ ٱلْحَبِيبُ . بَلِ ٱلْغَرِيبُ مَنْ تَغَافَلَ عَنْهُ ٱلرَّقِيبُ.بَلِ ٱلْغَرِيبُ مَنْ حَابَاهُ ٱلشَّرِيبُ [4] . بَلِ ٱلْغَرِيبُ مَنْ نُودِيَ مِنْ قَرِيبٍ،بَلِ ٱلْغَرِيبُ مَنْ هُوَ فِي غُرْبَتِهِ غَرِيبٌ . ٱلْغَرِيبُ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَسِيبٌ . بَلِ ٱلْغَرِيبُ مَنْ لَيْسَ لَهُ مِنَ ٱلْحَقِّ نَصِيبٌ . فَإِنْ كَانَ هَذَا صَحِيحًا فَتَعَالَ حَتَّى نَبْكِيَ عَلَى حَالٍ أَحْدَثَتْ هَذِهِ ٱلْهَفْوَةَ وَأَوْرَثَتْ هَذِهِ ٱلْجَفْوَةَ .

« لَعَلَّ ٱنْحِدَارَ ٱلدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً مِنَ ٱلْوَجْدِ أَوْ يُشْفِي نَجِيَّ ٱلْبَلَابِلِ»[5]

أَبُو حَيَّانَ ٱلتَّوْحِيدِيُّ (ٱلْإِشَارَاتُ ٱلْإِلَهِيَّةُ) ٱلرِّسَالَةُ 12 ٱلْجُزْءُ ٱلْأَوَّلُ ص 80 ـ 82 تَحْقِيقُ وِدَادُ ٱلْقَاضِي ، دَارُ ٱلثَّقَافَةِ ، بَيْرُوتُ 1973

ـ شرح المفردات :

1) أَخْضَلَتْ ، مِنْ خَضِلَ يَخْضَلُ خَضْلًا ، وَأَخْضَلَ وَاخْضَلَّ وَاخْضَوْضَلَ ، نَدِيَ وَٱبْتَلَّ فَهُوَ خَضِلٌ وَخَاضِلٌ.وَٱلْمَعْنَى ٱلْمَقْصُودُ أَنَّ ٱلدُّمُوعَ قَدْ نَزَلَتْ بِغَزَارَةٍ...

2) عَاقَرَهُمْ ، مِنْ عَاقَرَ مُعَاقَرَةً ٱلشَّيْءَ ، لاَزَمَهُ وَأَدْمَنَ عَلَيْهِ ، وَعَاقَرَ ٱلْخَمْرَ ، أَدْمَنَ شُرْبَهَا ـ وَيَقْصُدُ فِي ٱلنَّصِّ شَارِكَهُ فِي ٱلإِدْمَانَ عَلَى شُرْبِ ٱلْخَمْرِ .

3) شَنٌّ ، تُجْمَعُ عَلَى شِنَانٌ وَأَشْنَانٌ ، ٱلْقِرْبَةُ ٱلْقَدِيمَةُ ٱلصَّغِيرَةُ .

4) ٱلشَّرِيبُ ، ٱلْمُشَارِكُ فِي ٱلشُّرْبِ .

5) « لعل انحدار الدمع » ... : بَيْتٌ شِعْرِيٌّ لِذِي ٱلرُّمَّةِ . (ٱلدِّيوَانُ ، ٱلطَّبْعَةُ ٱلثَّانِيَةُ . ٱلْمَكْتَبُ ٱلإِسْلاَمِيُّ لِلطِّبَاعَةِ وَٱلنَّشْرِ 1384 هـ . / 1964 ـ ٱلْبَيْتُ عدد (577

2 - ٱلأَسْئِلَةُ :

1 - مَا هِيَ أَحْوَالُ ٱلْغَرِيبِ ٱلَّتِي ذَكَرَهَا ٱلتَّوْحِيدِيُّ فِي هَذَا ٱلنَّصِّ ؟ حَدِّدْهَا وَمَيِّزْ بَيْنَهَا .

2 - يُفَرِّقُ ٱلتَّوْحِيدِيُّ بَيْنَ نَوْعَيْنِ مِنَ « ٱلْغُرَبَاءِ » ، مَا هُمَا وَإِلَى أَيِّ مِنْهُمَا يَنْتَمِي هُوَ ؟

3 - مَاذَا يَعْنِي ٱلْكَاتِبُ بِقَوْلِهِ ، « بَلِ ٱلْغَرِيبُ مَنْ هُوَ فِي غُرْبَتِهِ غَرِيبٌ » ؟

4 - مَا تَعْنِي « ٱلإِشَارَاتُ ٱلإِلَهِيَّةُ » حَسَبَ هَذَا ٱلنَّصِّ ؟ ثُمَّ بَيِّنْ مَا هُوَ أَثَرُ ٱلتَّصَوُّفِ فِي هَذَا ٱلنَّصِّ ؟

5 - مَنْ يُخَاطِبُ ٱلتَّوْحِيدِيُّ فِي هَذَا ٱلنَّصِّ ؟

أَغْـرَبُ ٱلْغُـرَبَاءِ.

يَا هَذَا : ٱلْغَرِيبُ مَنْ غَرَبَتْ شَمْسُ جَمَالِهِ ، وَٱغْتَرَبَ عَنْ حَبِيبِهِ وَعُذَّالِهِ،وَأَغْرَبَ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ،وَغَرَّبَ فِي إِدْبَارِهِ وَإِقْبَالِهِ ، وَٱسْتَغْرَبَ فِي طِمْرِهِ [1] وَسِرْبَالِهِ . [2]

يَا هَذَا: ٱلْغَرِيبُ مَنْ نَطَقَ وَصْفُهُ بِٱلْمِحْنَةِ بَعْدَ ٱلْمِحْنَةِ ، وَدَلَّ عُنْوَانُهُ عَلَى ٱلْفِتْنَةِ عُقَيْبَ ٱلْفِتْنَةِ ،وَبَانَتْ حَقِيقَتُهُ فِيهِ فِي ٱلْفَيْنَةِ حَدَّ ٱلْفَيْنَةِ . ٱلْغَرِيبُ مَنْ إِنْ حَضَرَ كَانَ غَائِبًا ، وَإِنْ غَابَ كَانَ حَاضِرًا ، ٱلْغَرِيبُ مَن إِنْ رَأَيْتَه لَمْ تَعْرِفْهُ،وَإِنْ لَمْ تَرَهُ لَمْ تَسْتَعْرِفْهُ [3] أَمَا سَمِعْتَ ٱلْقَائِلَ حِينَ قَالَ ،

بِمَ ٱلتَّعَلُّلُ لا أَهلٌ وَلا وَطَنٌ وَلا نَدِيمٌ وَلا كَأْسٌ وَلا سَكَنُ [4]؟

هَذَا وَصْفُ رَجُلٍ لَحِقَتْهُ ٱلْغُرْبَةُ فَتَمَنَّى أَهْلًا يَأْنَسُ بِهِمْ،وَوَطَنًا يَأْوِي إِلَيْهِ ،وَنَدِيمًا يَحُلُّ عُقَدَ سِرِّهِ مَعَهُ ،وَكَأْسًا يَنْتَشِي مِنْهَا، وَسَكَنًا يَتَوَادَعُ عِنْدَهُ ـ فَأَمَّا وَصْفُ ٱلْغَرِيبِ ٱلَّذِي ٱكْتَنَفَتْهُ ٱلْأَحْزَانُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ،وَٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ٱلْأَشْجَانُ مِنْ كُلِّ حَاضِرٍ وَغَائِبٍ . وَتَحَكَّمَتْ فِيهِ ٱلْأَيَّامُ مِنْ كُلِّ جَاءٍ وَذَاهِبٍ ، وَٱسْتَغْرَقَتْهُ ٱلْحَسَرَاتُ مِنْ كُلِّ فَائِتٍ وَآيِبٍ ، وَشَتَّتَهُ ٱلزَّمَانُ وَٱلْمَكَانُ بَيْنَ كُلِّ ثِقَةٍ وَرَائِبٍ [5] ، ـ وَفِي ٱلْجُمْلَةِ ـ أَتَتْ عَلَيْهِ أَحْكَامُ ٱلْمَصَائِبِ وَٱلنَّوَائِبِ وَحَطَّتْهُ بِأَيْدِي ٱلْعَوَاقِبِ عَنِ ٱلْمَرَاتِبِ ـ فَوَصْفٌ يَخْفَى دُونَهُ ٱلْقَلَمُ وَيَفْنَى مِنْ

وَرَائِهِ ٱلْقَرْطَاسُ وَيَسْأَلُ عَنْ تَحْبِيرِهِ ٱللَّفْظَ لِأَنَّهُ وَصْفُ ٱلْغَرِيبِ ٱلَّذِي لَا ٱسْمَ لَهُ فَيُذْكَرُ، وَلَا رَسْمَ لَهُ فَيُشْهَرُ، وَلَا طَيَّ لَهُ فَيُنْشَرُ، وَلَا عُذْرَ لَهُ فَيُعْذَرُ، وَلَا ذَنْبَ لَهُ فَيُغْفَرُ، وَلَا عَيْبَ عَنْهُ فَيُسْتَرُ.

هَذَا غَرِيبٌ لَمْ يَتَزَحْزَحْ عَنْ مَسْقِطِ رَأْسِهِ وَلَمْ يَتَزَعْزَعْ عَنْ مَهَبِّ أَنْفَاسِهِ. - وَأَغْرَبُ ٱلْغُرَبَاءِ مَنْ صَارَ غَرِيبًا فِي وَطَنِهِ، وَأَبْعَدُ ٱلْبُعَدَاءِ مَنْ كَانَ بَعِيدًا فِي مَحَلِّ قُرْبِهِ. لِأَنَّ غَايَةَ ٱلْمَجْهُودِ أَنْ يَسْلُوَ عَنِ ٱلْمَوْجُودِ، وَيُغْمِضَ عَنِ ٱلْمَشْهُودِ، وَيُغْضِيَ عَنِ ٱلْمَعْهُودِ لِيَجِدَ مَنْ يُغْنِيهِ عَنْ هَذَا كُلِّهِ بِعَطَاءٍ مَمْدُودٍ، وَرِفْدٍ مَرْفُودٍ، وَرُكْنٍ مَوْطُودٍ، وَحَدٍّ غَيْرِ مَحْدُودٍ.

يَا هَذَا: الغريبُ مَنْ إِذَا ذُكِرَ ٱلْحَقُّ هُجِرَ، وَإِذَا دُعِيَ إِلَى ٱلْحَقِّ زُجِرَ. ٱلْغَرِيبُ مَنْ إِذَا أَسْنَدَ [6] كُذِّبَ، وَإِذَا تَظَاهَرَ عُذِّبَ. ٱلْغَرِيبُ مَنْ إِذَا ٱمْتَارَ [7] لَمْ يُمَرْ، وَإِذَا قَعَدَ لَمْ يُزَرْ، يَارَحْمَتًا لِلْغَرِيبِ: طَالَ سَفَرُهُ مِنْ غَيْرِ قُدُومٍ، وَطَالَ بَلَاؤُهُ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ، وَٱشْتَدَّ ضَرَرُهُ مِنْ غَيْرِ تَقْصِيرٍ، وَعَظُمَ عَنَاؤُهُ مِنْ غَيْرِ جَدْوَى. ٱلْغَرِيبُ مَنْ إِذَا قَالَ لَمْ يَسْمَعُوا قَوْلَهُ، وَإِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَدُورُوا حَوْلَهُ. ٱلْغَرِيبُ مَنْ إِذَا تَنَفَّسَ أَحْرَقَهُ ٱلْأَسَى وَٱلْأَسَفُ، وَإِنْ كَتَمَ أَكْمَدَهُ ٱلْحُزْنُ وَٱللَّهَفُ [8]. ٱلْغَرِيبُ مَنْ إِذَا أَقْبَلَ لَمْ يُوَسَّعْ لَهُ، وَإِذَا أَعْرَضَ لَمْ يُسْأَلْ عَنْهُ. ٱلْغَرِيبُ مَنْ إِنْ سَأَلَ لَمْ يُعْطَ، وَإِنْ سَكَتَ لَمْ يُبْدَأْ. ٱلْغَرِيبُ مَنْ إِذَا عَطَسَ لَمْ يُشَمَّتْ وَإِنْ مَرِضَ لَمْ يُتَفَقَّدْ. ٱلْغَرِيبُ مَنْ إِنْ زَارَ أُغْلِقَ دُونَهُ ٱلْبَابُ، وَإِنْ ٱسْتَأْذَنَ لَمْ يُرْفَعْ لَهُ ٱلْحِجَابُ ... ٱلْغَرِيبُ مَنْ إِذَا نَادَى لَمْ يُجَبْ، وَإِذَا هَادَى [9] لَمْ يُحَبَّ.

اللَّهُمَّ ، إِنَّا قَد أَصْبَحْنَا غُرَبَاءُ بين خَلْقِكَ فَأَنْسْنَا فِي فِنَائِكَ اللَّهُمَّ وَأَمْسَيْنَا مهْجُورِينَ عِنْدَهُمْ ، فَصِلْنَا بِحَبَائِكَ .

أبو حيان التوحيدي
الإشارات الإلهية ، الرسالة 12 ـ الجزء الاول
ص 82 ـ 84

1 - شرح المفردات :

1) اَلطِّمْرُ ، جَمْعُهَا أَطْمَارٌ ، اَلثَّوْبُ اَلْبَالِي .
2) اَلسِّرْبَالُ ، جَمْعُهَا سَرَابِيلُ ، اَلْقَمِيصُ أَوْ كُلُّ مَا يُلْبَسُ .
3) اِسْتَعْرَفَهُ ، سَعَى إِلَى مَعْرِفَتِهِ أَوْ طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُعَرِّفَ نَفْسَهُ
4) بِمَ اَلتَّعَلُّلُ لا أهل ... ، هَذَا اَلْبَيْتُ مَشْهُورٌ لأَبِي اَلطَّيِّبِ اَلْمُتَنَبِّي . وَهو مَطْلَعُ قَصِيدَةٍ لَهُ وَاَلْبَيْتُ فِي اَلدِّيوَانِ يُرْوَى رِوَايَةً ثَانِيَةً ، وَهِيَ ، ... لاَ أَهْلٌ وَلاَ زَمَنٌ ، عِوَضَ لاَ أَهْلٌ وَلاَ وَطَنٌ (اَلدِّيوَانُ ، تَحْقِيقُ اَلدُّكْتُور عَبْد اَلْوَهَّابِ عَزَّام اَلْقَاهِرَةُ 1944)
5) رَائِبٌ ، مِنْ رَابَ يَرِيبُ رَيْبًا وَرِيبَةً ، شَكٌّ وَظَنٌّ وَاتِّهَامٌ .وَالْمَعْنَى هُنَا هُوَ اَلْمُتَّهَمُ بِالرِّيبَةِ .
6) أَسْنَدَ ، أَيْ أَسْنَدَ اَلْحَدِيثَ إِلَى فُلاَنٍ إِسْنَادًا ، عَزَاهُ لَهُ وَرَفَعَهُ إِلَيْهِ .
7) اِمْتَارَ ، طَلَبَ اَلْمِيرَةَ ، اَلطَّعَامُ اَلَّذِي يَدَّخِرُهُ اَلإِنْسَانُ ، وَلَمْ يَمِرْ ، أَيْ مَنَعَ اَلْمِيرَةَ .
8) اَلْلَهَفُ ، مِنْ لَهِفَ يَلْهَفُ لَهَفًا عَلَى مَا فَاتَ حَزِنَ وَتَحَسَّرَ .
9) هَادَى ، أَهْدَى كُلٌّ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ ، أَوْ هَادَى فُلاَنٌ فُلاَنًا ، جَاءَ أَحَدُهُمَا بِطَعَامٍ وَاَلآخَرُ بِطَعَامٍ فَأَكَلاَ مَعًا فِي مَكَانٍ .

2 - اَلأَسْئِلَةُ :

1 - اِسْتَعْمَلَ اَلتَّوْحِيدِيُّ فِي اَلْجُمْلَةِ اَلأُولَى مِنَ اَلنَّصِّ اَلأَلْفَاظَ اَلتَّالِيَةَ « غَرُبَتْ » « أَغْتَرَبَ » « أَغْرَبَ » « غَرَّبَ » إِسْتَغْرَبَ ، مَا هُوَ اَلْفَرْقُ بَيْنَ تِلْكَ اَلأَفْعَالِ ، وَهَلْ تُعَبِّرُ كُلُّهَا عَنْ مَعْنَى اَلْغُرْبَةِ ؟ لِمَاذَا ؟

2 - مَنْ هُوَ « أَغْرَبُ ٱلْغُرَبَاءِ » حَسَبَ ٱلنَّصِّ ؟

3 - مَا هِيَ أَحْوَالُ ٱلْغَرِيبِ فِي هَذَا ٱلنَّصِّ ؟ وَهَلْ هُنَاكَ فُرُوقٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَحْوَالِ ٱلْغَرِيبِ فِي ٱلنَّصِّ ٱلْفَارِطِ ؟

4 - مَا هُوَ ٱلْفَرْقُ بَيْنَ غُرْبَةِ ٱلْمُتَنَبِّي - حَسَبَ ٱلنَّصِّ وَغُرْبَةِ ٱلتَّوْحِيدِي ؟ هَلْ يُمْكِنُ ٱلْمُقَارَنَةُ بَيْنَ ٱلرَّجُلَيْنِ ؟

5 - مَا هِيَ أَهَمِّيَّةُ ٱلْجُمْلَةِ ٱلْأَخِيرَةِ فِي ٱلنَّصِّ ؟

أَنْتَ ٱلْغَرِيبُ فِي مَعْنَاكَ.

يَا هَذَا:ٱلْغَرِيبُ فِي ٱلْجُمْلَةِ مَنْ كُلُّهُ حُرْقَةٌ ، وَبَعْضُهُ فُرْقَةٌ ، وَلَيلُهُ أَسَفٌ،وَنَهارُهُ لَهَفٌ ، وَغَدَاؤُهُ حُزْنٌ،وَعَشَاؤُهُ شَجَنٌ،وَرُؤَاهُ ظِنَنٌ [1] ، وَجَمِيعُهُ فِتَنٌ،وَمَفْرَقُهُ مِحَنٌ،وَسِرُّهُ عَلَنٌ،وَخَوْفُهُ وَطَنٌ.ـ ٱلْغَرِيبُ مَنْ إِذَا دَعَا لَمْ يُجَبْ،وَإِذَا هَابَ لَمْ يُهَبْ.ٱلْغَرِيبُ مَنْ إِذَا ٱسْتَوحَشَ ٱسْتُوحِشَ مِنْهُ ، إِسْتَوْحَشَ لِأَنَّهُ يَرَى ثوبَ ٱلْأَمانَةِ مُمزَّقًا،وَٱسْتُوحِشَ مِنْهُ لِأَنَّهُ يَجِدُ لِمَا بِقَلْبِهِ مِن ٱلْغَلِيلِ مُحَرِّقًا ـ ٱلْغَرِيبُ منْ فَجْعَتُهُ مُحْكَمَة ، ولَوْعَتُهُ مُضْرَمَةٌ ، أَلْغَرِيبُ مَنْ لِبْسَتُهُ خِرْقَةٌ ، [2] وَأُكْلَتُهُ سَلْقَةٌ [3] ، وَهَجْمَتُهُ خَفْقَةٌ.دَعْ هَذَا كُلَّهَ :ٱلْغَرِيبُ مَنْ أَخْبَرَ عَنِ اللّهِ بِأَنْبَاءِ ٱلْغَيْبِ ،دَاعِيًا إِلَيْهِ .بَلِ ٱلْغَرِيبُ مَنْ تَهَالَكَ فِي ذِكْرِ ٱللّهِ مُتَوكِّلًا عَلَيْهِ . بَلِ ٱلْغَرِيبُ مَنْ تَوَجَّهَ إِلَى ٱللّهِ قَالِيًا لِكُلِّ مَنْ سِوَاهُ ، بَلِ ٱلْغَرِيبُ مَنْ وَهَبَ نَفْسَهُ لِلّهِ مُتَعَرِّضًا لِجَدْوَاهُ .

يَا هَذَا:أَنْتَ ٱلْغَرِيبُ فِي مَعْنَاكَ ...

وَيْلَكَ ! إِلَى مَتَى تَنْخَدِعُ وَعِنْدَكَ أَنَّكَ خَادِعٌ ؟ وَإِلَى مَتَى تَظُنُّ أَنَّكَ رَابِحٌ وَأَنْتَ خَاسِرٌ ؟ وَإِلَى مَتَى تَدَّعِي وَأَنْتَ مَنْفِيٌّ،وَإِلَى مَتَى تَحْتَاجُ وَأَنْتَ مَكْفِيٌّ ؟ وَإِلَى مَتَى تُبْدِي ٱلْقَلَقَ وَأَنْتَ غَنِيٌّ ؟ وَإِلَى مَتَى تَهْبِطُ وَأَنْتَ عَلِيٌّ ؟ مَا أَعْجَبَ أَمْرَكَ ! وَاهًا بِعَيْنِكَ ٱلْعَمَاكَ عَنْ أَمْرٍ لَاتَرَاه بِعَقْلِكَ ... قَدْ وَٱللّهِ فَسَدَتْ فَسَادًا لا أَرْجُوكَ مَعَهُ لِفَلَاحٍ ، وَلِذَلِكَ مَا أَدْرِي بِأَيِّ لِسَانٍ أُحَاوِرُكَ ،وَبِأَيِّ خُلُقٍ أُجَاوِرُكَ ، وَفِي أَيِّ حَقِيقَةٍ أُشَاوِرُكَ، وَبِأَيِّ شَيْءٍ أُدَاوِرُكَ ؛ سِرُّكَ كُفْرَانٌ ، وَلَفْظُكَ بُهْتَانٌ ، وَسُرُورُكَ

طُفْيَانٌ، وَحُزْنُكَ عِصْيَانٌ، وَغِنَاكَ مَرَحٌ وَبَطَرٌ، وَفَقْرُكَ تَرَحٌ وَضَجَرٌ، وَشِبَعُكَ كِظَّةٌ[4] وَتُخْمَةٌ، وَجُوعُكَ قُنُوطٌ وَتَهْمَةٌ، وَغَزْوُكَ رِيَاءٌ وَسُمْعَةٌ، وَحَجُّكَ حِيلَةٌ وَخُدْعَةٌ، وَأَحْوَالُكَ كُلُّهَا بَهْرَجٌ وَزَيْفٌ، وَأَنْتَ لَاتُحَاسِبُ نَفْسَكَ عَلَيْهَا بِلِمَ، وَلَا بِكَمْ، وَكَيْفَ.

أَبُو حَيَّانَ ٱلتَّوْحِيدِيُّ
ٱلْإِشَارَاتُ ٱلْإِلَهِيَّةُ ٱلرِّسَالَةُ 12
ٱلْجُزْءُ ٱلْأَوَّلُ، ص 84 . 86

1 - شَرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ،

1) ظِنَنٌ، جَمْعُ مُفْرَدُهُ ظِنَّةٌ وَهِيَ ٱلتُّهْمَةُ. يُقَالُ « فِيهِ ظِنَّةٌ » أَيْ تُهْمَةٌ. وَٱلظِّنَّةُ أَيْضًا، ٱلْقَلِيلُ مِنَ ٱلشَّيْءِ. وَقَدْ يَكُونُ ٱلْكَاتِبُ قَصَدَ بِٱلظِّنَنِ ٱلظُّنُونَ مَعَ ظَنٍّ، وَهِيَ ٱلرُّؤَى ٱلْمُتَضَارِبَةُ ٱلْمُتَنَاقِضَةُ. بَيْنَ ٱلْيَقِينِ وَٱلشَّكِّ.

2) خِرْقَةٌ، ٱلْخِرْقَةُ هِيَ ٱلْقِطْعَةُ مِنَ ٱلثَّوْبِ، وَهِيَ مِنْ مُصْطَلَحَاتِ ٱلصُّوفِيَّةِ وَتُفِيدُ ٱلثَّوْبَ ذَا ٱلْخُرُوقِ، أَيِ ٱلثَّوْبَ ٱلْبَالِي.

3) سِلْقَةٌ، مِنْ سَلَقَ يَسْلَقُ سَلْقًا ٱلْبَقْلَ وَنَحْوَهُ، أَغْلَاهُ بِٱلنَّارِ وَطَبَخَهُ بِٱلْمَاءِ، وَٱلْكَاتِبُ يَعْنِي هُنَا رَدَاءَةَ ٱلْأَكْلَةِ.

4) ٱلْكِظَّةُ، ٱلْبِطْنَةُ، مَا يَعْتَرِي ٱلْإِنْسَانَ عِنْدَ ٱلْإِمْتِلَاءِ مِنَ ٱلطَّعَامِ.

ٱلْأَسْئِلَةُ،

1 - مَا هِيَ مُسْتَوَيَاتُ ٱلْغُرْبَةِ فِي هَذَا ٱلنَّصِّ؟ حَدِّدْ أَنْوَاعَهَا
2 - مَا يَعْنِي ٱلْكَاتِبُ بِقَوْلِهِ « أَنْتَ ٱلْغَرِيبُ فِي مَعْنَاكَ »؟ مَا عَلَاقَةُ هَذِهِ ٱلْجُمْلَةِ بِٱلنَّصِّ كُلِّهِ؟
3 - قَالَ ٱلْكَاتِبُ.. « مَا أَعْجَبَ أَمْرًا تَرَاهُ بِعَيْنِكَ، أَلْهَاكَ عَنْ أَمْرٍ لَاتَرَاهُ بِعَقْلِكَ » مَاذَا يَقْصِدُ بِذَلِكَ؟ وَهَلْ تَجِدُ فِيهَا إِشَارَةً إِلَى طَرِيقَةِ ٱلْمَعْرِفَةِ عِنْدَ ٱلصُّوفِيِّ؟ مَا هِيَ تِلْكَ ٱلطَّرِيقَةُ؟
4 - مَنِ ٱلْمُخَاطَبُ فِي ٱلنَّصِّ؟ دَعِّمْ رَأْيَكَ
5 - مَا رَأْيُكَ فِي أُسْلُوبِ ٱلْكَاتِبِ فِي هَذَا ٱلنَّصِّ؟

سَعَـــادَةُ ٱلْمُـؤْمِـنِ .

مَا أَسْعَدَ مَنْ كَانَ فِي صَدْرِهِ وَدِيعَةُ ٱللّٰهِ بِٱلْإِيمَانِ فَحَفِظَهَا حَتّٰى لَا يَسْلُبَهَا مِنْهُ أَحَدٌ ! أَتَدْرِي مَا هَذِهِ ٱلْوَدِيعَةُ ؟ هِيَ وَٱللّٰهِ وَدِيعَةٌ رَفِيعَةٌ هِيَ ٱلَّتِي سَبَقَتْ لَكَ مِنْهُ وَأَنْتَ بَدْدٌ فِي ٱلتُّرَابِ لَمْ تَجْمَعْكَ بَعْدُ ٱلصُّورَةُ ، وَلَمْ يَقَعْ عَلَيْكَ ٱسْمٌ ، وَلَمْ تُعْرَفْ لَكَ عَيْنٌ وَلَمْ يَدُلَّ عَلَيْكَ خَبَرٌ ، وَلَمْ يَحْوِكَ مَكَانٌ وَلَمْ يَصِفْكَ عِيَانٌ ، وَلَمْ يُعْطَكَ بَيَانٌ ، وَلَمْ يَأْتِ عَلَيْكَ أَوَانٌ ، أَنْتَ فِي مَلَكُوتِ غَيْبِ ٱللّٰهِ ثَابِتٌ فِي عِلْمِ ٱللّٰهِ ، مُطْلٌ من كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ مَشِيئَةِ ٱللّٰهِ تُرَشَّحُ لِمَعْرِفَتِهِ وَتُلْحَظُ فِي صَفْوَتِهِ ، وَتُؤَهَّلُ لِدَعْوَتِهِ .

فَمَا أَسْعَدَكَ أَيُّهَا ٱلْعَبْدُ بِهٰذِهِ ٱلْعِنَايَةِ ٱلْقَدِيمَةِ مِن رَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ٱلَّذِي نَظَرَ لَكَ قَبْلَ انْ تَنْظُرَ لِنَفْسِكَ وَأَيَّدَكَ بِمَا لَمْ تَهْتَدِ إِلَيْهِ هِمَّتُكَ حَتّٰى إِذَا نَشَرَ مَطْوِيَّكَ وَرَتَقَ مُفْتَتَقَكَ وَجَمَعَ مُفْتَرَقَكَ وَقَوَّمَ مُنْآدَكَ [1] ، وَسَوّٰى مُعْوَجَّكَ وَفَتَحَ عَيْنَكَ وَطَرَحَ شُعَاعَهَا عَلَى مَلَكُوتِهِ ٱلَّتِي جَعَلَهَا قُبَالَةَ بَصَرِكَ وَعَرَّفَكَ نَفْسَكَ ، وَدَعَاكَ بِٱسْمِكَ وَشَهَّرَكَ بِحِكْمَتِهِ فِيكَ وَأَظْهَرَ قُدْرَتَهُ عَلَيْكَ وَعَجَّبَكَ وَعَجَّبَ غَيْرَكَ مِنْكَ ، وَلَاطَفَكَ وَلَطَفَ لَكَ ، وَبَيَّنَ لَكَ مَكَانَتَكَ إِذَا أَطَعْتَ وَمَهَانَتَكَ إِذَا عَصَيْتَ وَثَبَّتَ عَلَى شَهَوَاتِكَ فَتَنَاوَلْتَهَا وَعَلَى لَذَّاتِكَ فَٱنْهَمَكْتَ فِيهَا ، وَعَلَى مَعَاصِيكَ ، فَرَكِبْتَ سَنَامَهَا [2] ، وَلَمْ تُفَكِّرْ فِيمَا خَلْفَهَا وَأَمَامَهَا ، وَلَمَّا قِيلَ لَكَ ، ٱتَّقِ ٱللّٰهَ أَخَذَتْكَ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ وَبُؤْتَ فِيمَا فِيكَ مِن نِعَمِ ٱللّٰهِ عَلَيْكَ

تَهِرُّ [3] عَلَى نَاصِحِكَ وَتَهَزَأُ بِٱلْمُشْفِقِ عَلَيْكَ ، وَتُحَاجُّهُ بِٱلْجَهَالَةِ وَتُقَابِلُهُ بِٱلْكِبْرِيَاءِ وَٱلْمَخِيلَةِ إِنَّكَ عِنْدِي لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ، بَلْ مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ، بَلْ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ ، بَلْ مِنَ ٱلْفَاسِقِينَ ، بَلْ مِنَ ٱلْمَطْرُودِينَ ، بَلْ مِمَّنْ قَدْ تَعَرَّضَ لِأَنْ يَسْلُبَهُ ٱللَّهُ مَا أَعْطَاهُ وَيَجْعَلَ ٱلنَّارَ مَأْوَاهُ حَتَّى يَصِيرَ عِبْرَةً لِمَنْ وَرَاهُ.

يَا هَذَا ، أَحَجَرٌ أَنْتَ ؟ فَمَا أَقْسَى قَلْبَكَ ، وَمَا أَذْهَبَكَ فِيمَا يُغْضِبُ عَلَيْكَ رَبُّكَ ، أَبَيْنَكَ وَبَيْنَ نَفْسِكَ تِرَةٌ [4] أَوْ كَيْدٌ ؟ أَهَلْ [5] يَفْعَلُ ٱلْإِنْسَانُ ٱلْعَاقِلُ بِعَدُوِّهِ مَا تَفْعَلُهُ أَنْتَ بِرُوحِكَ ؟ لَا يَنْفَعُكَ وَعْظٌ وَإِنْ كَانَ شَافِيًا وَلَا يَنْجَعُ فِيكَ نُصْحٌ وَإِنْ كَانَ كَافِيًا . ٱللَّهُمَّ تَفَضَّلْ عَلَيْنَا بِعَفْوِكَ إِنْ لَمْ نَسْتَحِقَّ رِضَاكَ يَا ذَا ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ .

أَبُو حَيَّانَ ٱلتَّوْحِيدِيُّ
ٱلْإِشَارَاتُ ٱلْإِلَهِيَّةُ . ٱلرِّسَالَةُ 12
ٱلْجُزْءُ ٱلْأَوَّلُ . ص 86 ـ 87

1 - شرح المفردات :

1) مُنَادَكَ ، مِنْ آدَ يَؤُودُ أَوْدًا ٱلْحِمْلُ فُلَانًا ، أَثْقَلَهُ . وَآدَهُ ٱلْأَمْرُ ، أَضْنَكَهُ وَثَقُلَ عَلَيْهِ وَمِنْهُ إِنْآدٌ إِنْئِيَادًا ، إِنْحَنَى وَٱنْعَطَفَ .

2) سَنَامُهَا ، ٱلسَّنَامُ أُسْنِمَةٌ ، حَدَبَةٌ فِي ظَهْرِ ٱلْبَعِيرِ ، وَمِنْهُ « فُلَانٌ سَنَامُ قَوْمِهِ » أَيْ كَبِيرُهُمْ .

3) تَهِرُّ ، يُقَالُ هَرَّ فِي وَجْهِ ٱلسَّائِلِ ، عَبَسَ وَصَوْتَ كَمَا يَهِرُّ ٱلْكَلْبُ ، وَهَرَّ ٱلْكَلْبُ أَيْ صَاتَ دُونَ نُبَاحٍ .

4) تِرَةٌ ، مَصْدَرٌ مِنْ وَتَرَ يَتِرُ وَتْرًا وَتِرَةً فُلَانًا ، أَصَابَهُ بِظُلْمٍ أَوْ مَكْرُوهٍ . وَوَتَرَ فُلَانًا مَالَهُ أَوْ حَقَّهُ ، نَقَصَهُ إِيَّاهُ وَٱلْمَقْصُودُ فِي ٱلنَّصِّ ٱلْعَدَاوَةُ .

5) أَهَلْ ، إِسْتَعْمَلَ ٱلْكَاتِبُ أَدَاتَيْ ٱسْتِفْهَامٍ مَعًا ، وَذَلِكَ جَائِزٌ .

ٱلْأَسْئِلَـــةُ :

1 - فِيمَ تَتَمَثَّلُ سَعَادَةُ ٱلْمُؤْمِنِ حَسَبَ هَذَا ٱلنَّصِّ ؟

2 - يَقُولُ ٱلْكَاتِبُ « أَنْتَ عِنْدِي مِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ . بَلْ مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ بَلْ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ . بَلْ مِنَ ٱلْفَاسِقِينَ . بَلْ من ٱلْمَطْرُودِينَ . بَلْ مِمَّنْ قَدْ تَعَرَّضَ لِأَنْ يَسْلُبَهُ ٱللَّهُ مَا أَعْطَاهُ . وَيَجْعَلَ ٱلنَّارَ مَأْوَاهُ » بَيِّنْ ٱلتَّدَرُّجَ فِي ٱلْمَعْنَى مُبْرِزًا ٱلْفُرُوقَ بَيْنَ ٱلْحَالَاتِ ٱلَّتِي ذَكَرَهَا ٱلْكَاتِبُ . مِنْ حَيْثُ قُوَّتُهَا . مُوَضِّحًا أَهَمِّيَّةَ هَذِهِ ٱلْمَرَاتِبِ فِي ٱلْمَعْنَى (فِي فَسَادِ ٱلْإِنْسَانِ وَعَلَاقَتِهِ بِٱلْإِلَهِ بِٱلنِّسْبَةِ إِلَى ٱلتَّفْكِيرِ ٱلصُّوفِيِّ) .

3 - يَظْهَرُ فِي هَذَا ٱلنَّصِّ . وَخَاصَّةً فِي ٱلْفَقْرَةِ ٱلْأُولَى تَأْثِيرُ ٱلثَّقَافَةِ ٱلْفَلْسَفِيَّةِ عَلَى وِجْدَانِ ٱلتَّوْحِيدِيِّ ٱلْمُتَصَوِّفِ . بَيِّنْ ذَلِكَ وَٱذْكُرْ أَسْبَابَهُ

4 - مَا ٱلْغَالِبُ عَلَى أُسْلُوبِ هَذَا ٱلنَّصِّ ؟

5 - هَلْ يُمْكِنُ ٱعْتِبَارُ « ٱلْإِشَارَاتِ ٱلْإِلَهِيَّةِ » مِنْ خِلَالِ هَذِهِ ٱلرِّسَالَةِ ٱلثَّانِيَةَ عَشْرَةَ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَٱلَّتِي تَمَّ عَرْضُهَا فِي ٱلنُّصُوصِ ٱلثَّلَاثَةِ ٱلْمَاضِيَةِ وَهَذَا ٱلنَّصِّ مُجَرَّدَ ٱبْتِهَالَاتٍ صُوفِيَّةٍ ؟ بَيِّنْ خَاصَّةً أَهَمِّيَّةَ مَوْضُوعِ « ٱلْغُرْبَةِ » وَ « ٱلْغَرِيبِ » فِيهَا .

لِلْمُطَالَعَةِ :

اَلْإِشَارَةُ اَلصُّوفِيَّةُ فِي كِتَابِ « اَلْإِشَارَاتِ » .

تَمُدُّنَا « اَلْإِشَارَاتُ » بِمَفْهُومٍ وَاضِحٍ لِلتَّصَوُّفِ حَسْبَمَا كَانَ يُؤْمِنُ بِهِ أَبُو حَيَّانَ . فَقَدْ عَرَّفَ أَبُو حَيَّانَ اَلتَّصَوُّفَ بِأَنَّهُ إِشَارَاتٌ إِلٰهِيَّةٌ وَعِبَارَاتٌ وَهْمِيَّةٌ ، كَمَا أَنَّ الإِشَارَةَ إِلَى عِلْمِ اَلتَّصَوُّفِ بِالإِشَارَاتِ وَاَلْعِبَارَاتِ كَانَ أَمْرًا مَعْرُوفًا مُتَدَاوَلًا لَدَى اَلصُّوفِيَّةِ فِي عَصْرِ أَبِي حَيَّانَ وَقَبْلَهُ وَإِذَا شَاءَ اَلْمَرْءُ أَنْ يَسْتَدِلَّ عَلَى مَا يَعْنِيهِ أَبُو حَيَّانَ بِكَلِمَةِ « اَلْإِشَارَةِ » (أَوِ اَلْإِشَارَاتِ) بِدِقَّةٍ أَشَدَّ ، فَإِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَتَأَمَّلَ اَلنُّصُوصَ اَلَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا تِلْكَ اَلْكَلِمَةُ ، إِذْ ذَاكَ يُدْرِكُ أَنَّ اَلْمَعْنِيَّ بِهَا لَدَيْهِ ، مُحَاوَلَةُ اَلرَّجُلِ اَلْمُتَصَوِّفَ ـ اَلَّذِي اِرْتَفَعَ عَنِ اَلْبَشَرِ وَاقْتَرَبَ مِنَ اَلْوُصُولِ إِلَى اَللّٰهِ ـ أَنْ يُعَبِّرَ عَنِ اَلْحَقِيقَةِ اَلْإِلٰهِيَّةِ بِصُنُوفٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ اَلْعِبَارَاتِ اَلَّتِي يَسْتَعْمِلُهَا اَلْبَشَرُ جَمِيعُهُمْ ، سَوَاءٌ أَكَانَ ذَلِكَ اَلتَّعْبِيرُ لِتَسْبِيحِ اَللّٰهِ وَحْدَهُ أَمْ لِهِدَايَةِ اَلْبَشَرِ إِلَى اَللّٰهِ . فَاَلْإِشَارَةُ هِيَ اَلطَّرِيقُ اَلَّتِي يُشِيرُ بِهَا مَنْ هُمْ فِي مَنْزِلَةِ « أَرْبَابِ اَلْقُلُوبِ وَاَلرَّافِعِينَ لِأَسْتَارِ اَلْغُيُوبِ » إِلَى غَايَاتِ اَلْحَقِيقَةِ (ص 48*) إِلَى « عَيْنٍ مِنْ غَيْرِ كَيْفَ وَلَا أَيْنَ ، وَلَا تَمْوِيهٍ وَلَا مَيْنٍ ، عَيْنٍ هِيَ يَنْبُوعُ اَلْعُيُونِ،وَحَقِيقَةُ مَا كَانَ وَيَكُونُ ، عَلَى اِخْتِلَافِ اَلْقَلَقِ وَاَلسُّكُونِ » (ص 267) وإن كَانَتْ إِشَارَاتُهُمْ تَطِيحُ دُونَ اَلْحَقِيقَةِ ذَاتِهَا ، « فَلَا جَرَمَ لا إِشَارَةَ وَلَا عِبَارَةَ إِلَّا عَلَى وَجْهِ اَلْاِسْتِعَارَةِ وَاَلْإِعَارَةِ » (ص ، 197) . فَاَلْإِشَارَةُ صَعْبَةٌ « مُدْمَجَةٌ »

(ص ، 122) قَدْ يَتِيهُ ٱلْمَرْءُ فِي أَوَائِلِهَا (ص ، 222 ـ 223) وَبِهَذَا ٱلْمَعْنَى فَإِنَّهَا تَخْتَلِفُ عَنْ (ٱلْعِبَارَة) رَغْمَ أَنَّهَا (مَدْفُونَةٌ) فِيهَا (ص ، 61) « فَإِنَّهُ لَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكَ مِنْ هَذِهِ ٱلْعِبَارَة إِلاَّ مَا تَجِدُهُ فِي بَابِ ٱلإِشَارَة » (ص ، 125) ، كَمَا أَنَّهَا تَخْتَلِفُ عَنْهَا فِي أَنَّهَا وَاحِدَةٌ بِهَدَفِهَا وَمُؤَدَّاهَا ـ رَغْم تَكَثُّرِ أَشْكَالِهَا (ص ، 274) ـ مُقَابِلَ ٱلتَّكَثُّرِ فِي ٱلْعِبَارَة ، « وَإِنَّمَا لَطُفَتِ ٱلإِشَارَةُ عَنْهَا لأَنَّهَا تَنَزَّهَتْ عَمَّا يَتَحَكَّمُ فِي ٱلأَسْمَاء وَالأَفْعَالِ والظُّرُوفِ » (ص ، 61) ـ فَٱلْعِبَارَةُ هِيَ وَسِيلَةُ ٱلإِشَارَة وَحَسْبُ . وَلِذَلِكَ نَجِدُ أَبَا حَيَّانَ يُخَاطِبُ مُخَاطِبَهُ بِقَوْلِهِ ، « طَالَ ٱلْقَوْلُ ٱلْمُزَيِّنُ ، فَحَصَلَ ٱلْمُرَادُ ٱلْمُعَيِّنُ ، كَثُرَتِ ٱلْعِبَارَةُ ، فَحَقِّقِ ٱلإِشَارَةَ » ، (ص ، 227) وَإِنَّمَا تَشْتَرِكُ ٱلْعِبَارَةُ وَالإِشَارَةُ فِي تَقْرِيبِ ٱلْحَقِيقَةِ ٱلإِلَهِيَّةِ إِلَى ٱلنَّاسِ إِذِ ، « ٱلإِشَارَةُ ٱلَّتِي هِيَ إِلَيْكَ هِيَ مِنْكَ ... وَلَمْ تَخْتَلِفْ هَذِهِ ٱلْحُرُوفُ إِلاَّ لِحَاجَةِ ٱلْخَلْقِ إِلَيْهَا فِي ٱلنُّكُورِ ، [1] وَإِلاَّ فَٱلْمَعْنَى وَاحِدٌ ... » (ص ، 203) وَهَذَا مَعْنَى أَنْ يَكْتُبَ أَبُو حَيَّانَ كِتَابًا فِي ٱلإِشَارَاتِ ، وَهُوَ لِذَلِكَ يَقُولُ لِمُخَاطِبِهِ ، « يَا هَذَا كُنْ ذَاكِرًا لِمَا أَلْقَيْتُهُ إِلَيْكَ فِي هَذَا ٱلْجُزْء مِنْ وَصْفِ ٱلْعِبَارَة وَالإِشَارَة . فَإِنَّكَ تَجِدُ مَا يُقِلُّكَ إِذَا نَهَضْتَ ، وَيُظِلُّكَ إِذَا ضَحَيْتَ » (ص ، 130) وَمِنْ هُنَا كَانَتِ ٱلإِشَارَةُ لَيْسَتْ إِشَارَةً بِٱلْقَلْبِ تُومِئُ إِلَى صَفَاءٍ فِيهِ وَحَسْبُ ، وَإِنَّمَا إِشَارَةٌ بِٱلسَّمْعِ أَيْضًا تُشِيرُ إِلَى حُضُورِ ٱللَّهِ أَمَامَ مَنْ يُخَاطَبُ بِهَا (ص ، 138) .

فَٱلصُّوفِيُّ ـ إلى جَانِبِ كَوْنِهِ يَحْيَا حَيَاةً نَقِيةً عِنِ ٱلأَدْرَانِ [2] لاَيَسْتَسْلِمُ فِيهَا لِلدُّنْيَا وَإِنَّمَا يَعْمَلُ لِكَيْ يَنَالَ ٱلآخِرَةَ ـ هُوَ ٱلإِنْسَانُ ٱلَّذِي يَسْتَغِلُّ ٱلْمِبَارَةَ مِن أَجْلِ ٱلإِشَارَةِ إِلَى ٱلْحَقِيقَةِ الإِلَهِيَّةِ . فَيَهْدِي ٱلنَّاسَ بِذَلِكَ إِلَى ٱلْحَقِّ ، وَيَكُونُ ـ مِثْلَ قَرِينِ أَبِي حَيَّانَ ٱلصُّوفِيِّ ـ « خَيْرَ وَاسِطَةٍ وَخَيْرِ سَفِيرٍ » وَخَيْرِ شَفِيعٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱللَّهِ .

أَمَّا ٱلإِغْرَاقُ فِي ٱلتَّصَوُّفِ حَتَّى ٱدِّعَاءِ ٱلاتِّحَادِ [3] مَعَ ٱللَّهِ وَٱلتَّعْبِيرُ عَنْ ذَلِكَ بِأَبْيَاتٍ مِثْلِ .

تَبَارَكْتَ خَطَرَاتِي فِي تَعَالاَئِي [4] فَلاَ إِلَهَ إِذَا فَكَّرْتُ إِلاَّئِي

أَوْ :

لاَيَةُ ٱلْهُوَ [5] فِي هُوِّيَّةِ ٱللاَّئِي مِثْلُ ٱلدَّوَاءِ ٱلَّذِي تَبْغِيهِ لِلدَّاءِ

(ص : 396) فَهَذَا مَا لَمْ يَكُنْ أَبُو حَيَّانَ لِيَرْضَى بِهِ ، وَإِذْ وَجَدَ شَيْخَهُ ٱلصُّوفِيَّ يَدَّعِيهِ عَبَّرَ عَنِ ٱسْتِكْرَاهِهِ لَهُ بَحَذَرٍ ، وَعَلَّلَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : « إِنَّ ٱللَّفْظَ بِهِ كَدَرٌ وَٱلْمَعْنَى عُسْرٌ » وَلَكِنَّه لَمْ يَسْتَطِعْ إِلاَّ أَنْ يَسْتَعِيذَ بِٱللَّهِ مِنْهُ فِي آخِرِ الرِّسَالَةِ ٱلَّتِي ذَكَرَهَا فِيهِ . فَوَضَعَ فِي النِّهَايَةِ بَعْدَ بِضْعَةِ أَسْطُرٍ ٱلآيَةَ ٱلَّتِي يُسْتَعَاذُ فِيهَا مِنَ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ [6] (ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ) .وَهَذَا مَوْقِفٌ قَدْ يَجْعَلُ نِسْبَةَ كِتَابِ « الحَجُّ العَقْلِيُّ إِذَا ضَاقَ الفَضَاءُ عَنِ ٱلْحَجِّ ٱلشَّرْعِيِّ » إِلَى أَبِي حَيَّانَ مَوْضِعَ شَكٍّ كَبِيرٍ

وِدَادُ ٱلْقَاضِي ـ مِنْ مُقَدِّمَةِ « ٱلإِشَارَاتِ ٱلإِلَهِيَّةِ » (مَعَ بَعْضِ ٱلتَّصَرُّفِ)
(ص 20 ـ 22) طَبْعَةُ بيروت 1973

1 - شَرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ :

1) ٱلنُّكُورُ : مَصْدَرُ نَكِرَ يَنْكَرُ ٱلْأَمْرَ : جَهِلَهُ .
2) ٱلْأَذْرَانُ : جَمْعُ مُفْرَدُهُ دَرَنٌ : ٱلْوَسَخُ .
3) ٱلْاتِّحَادُ : هُوَ مُصْطَلَحٌ مِنْ مُصْطَلَحَاتِ ٱلصُّوفِيَّةِ . وَيَعْنِي فَنَاءَ ذَاتِ ٱلْمُتَصَوِّفِ فِي ٱلذَّاتِ ٱلْإِلَهِيَّةِ .
4) تَعَالَانِي : مِنْ عَلِيَ يَعْلَى : صَعَدَ . وَيَعْنِي هُنَا ٱلتَّعَالِي أَيْ ٱلتَّرَفُّعُ وَٱلتَّسَامِي .
5) ٱلْهُوْ : ضَمِيرُ ٱلْغَائِبِ ٱلْمُفْرَدِ قَدْ أُضِيفَتْ إِلَيْهِ أَدَاةُ ٱلتَّعْرِيفِ . وَمِنْهَا ٱلْهُوِيَّةُ .
6) ٱلْخَنَّاسُ : هُوَ ٱلشَّيْطَانُ . لِأَنَّهُ يَنْقَبِضُ وَيَتَأَخَّرُ عِنْدَ ذِكْرِ ٱللَّهِ تَعَالَى .

2 - تَرَاجِمُ الاعْلَامِ :

* ٱلْمَقْصُودُ بِهَذِهِ ٱلصَّفَحَاتِ . أَرْقَامُهَا فِي كِتَابِ ٱلْإِشَارَاتِ ٱلْإِلَهِيَّةِ تَحْقِيقُ وِدَادِ ٱلْقَاضِي .

- وِدَادُ ٱلْقَاضِي : بَاحِثَةٌ وَأُسْتَاذَةٌ جَامِعِيَّةٌ لُبْنَانِيَّةٌ تَحْمِلُ دَرَجَةَ دُكْتُورَاهْ دَوْلَةٍ فِي ٱلْآدَابِ ٱلْعَرَبِيَّةِ . تَهْتَمُّ بِالتُّرَاثِ ٱلْأَدَبِيِّ ٱلْعَرَبِيِّ ٱلْإِسْلَامِيِّ دِرَاسَةً وَتَحْقِيقًا وَمِنْ أَهَمِّ مَا حَقَّقَتْ كِتَابَ « ٱلْإِشَارَاتِ ٱلْإِلَهِيَّةِ » لِأَبِي حَيَّانَ ٱلتَّوْحِيدِيِّ (بَيْرُوتُ . 1973) وَكِتَابَ « أَفْتِتَاحِ ٱلدَّعْوَةِ » لِلْقَاضِي ٱلنُّعْمَانِ (بَيْرُوتُ . 1970)

3 - ٱلْأَسْئِلَةُ :

1 - مَا هُوَ مَفْهُومُ ٱلْإِشَارَةِ ٱلصُّوفِيَّةِ عِنْدَ أَبِي حَيَّانَ حَسَبَ هَذَا ٱلنَّصِّ ؟
2 - مَا هُوَ مَفْهُومُ ٱلْعِبَارَةِ ٱلصُّوفِيَّةِ عِنْدَ أَبِي حَيَّانَ حَسَبَ ٱلنَّصِّ ؟
3 - كَيْفَ حَلَّلَتِ ٱلْكَاتِبَةُ ٱلْإِشَارَةَ وَٱلْعِبَارَةَ ٱلصُّوفِيَّتَيْنِ عِنْدَ أَبِي حَيَّانَ ؟
4 - لِمَاذَا تَرَى ٱلْكَاتِبَةُ أَنَّ نِسْبَةَ كِتَابِ « ٱلْحَجِّ ٱلْعَقْلِيِّ » إِذَا ضَاقَ ٱلْفَضَاءُ عَنِ ٱلْحَجِّ ٱلشَّرْعِيِّ » مَوْضِعُ شَكٍّ كَبِيرٍ ؟

إخوان الصفا.

إِخْـــوَانُ ٱلصَّفَـــاءِ وَخِـــلَّانُ ٱلـــوَفَـــاءِ.

إِنَّ مَا ٱتُّفِقَ عَلَيْهِ بَعْدَ ٱلْبَحْثِ ٱلطَّوِيلِ أَنَّ إِخْوَانَ ٱلصَّفَاءِ جَمْعِيَّةٌ مِنَ ٱلشِّيعَةِ ٱلْبَاطِنِيَّةِ عَامَّةً وَمِنَ ٱلإِسْمَاعِيلِيَّةِ ٱلْقَرْمَطِيَّةِ خَاصَّةً . وَقَدْ وَضَعَ ٱلرَّسَائِلَ ٱلْمَعْرُوفَةَ بِٱسْمِهِمْ جَمِيعًا نُخْبَةٌ مِنْهُمْ مِثْلُ أَحْمَدَ ٱبْنِ عَبْدِ ٱللَّهِ وَزَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ وَأَبِي سُلَيْمَانَ ٱلْمَقْدِسِيِّ وَأَبِي أَحْمَدَ ٱلنَّهْرَ جُورِيِّ وَأَبِي ٱلْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ هَارُونَ ٱلزَّنْجَانِيِّ وَعَنْهُ يَرْوِي أَبُو حَيَّانَ ٱلتَّوْحِيدِيُّ خَبَرًا يُورِدُهُ فِي ٱلْجُزْءِ ٱلثَّانِي مِنْ كِتَابِ ٱلإِمْتَاعِ وَٱلْمُؤَانَسَةِ (الإمتاع ج 2 . ص 157 . 160)

وَقَدْ لَزِمَ إِخْوَانُ ٱلصَّفَاءِ ٱلتَّكَتُّمَ فَلَمْ يُسْمَعْ بِهِمْ وَبِرَسَائِلِهِمْ قَبْلَ سَنَةِ 334 هـ ، أَيْ قَبْلَ ٱنْتِصَارِ بَنِي بُوَيْهِ وَٱسْتِيلَائِهِمْ عَلَى مُلْكِ بَغْدَادَ . وَقَدْ ظَهَرُوا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي ٱلْبَصْرَةِ وَمِنْهَا ٱنْتَشَرُوا فِي ٱلْبُلْدَانِ حَيْثُ كَانَ لَهُمْ دُعَاةٌ وَمَجَالِسُ . وَٱنْتَهَى صَدَاهُمْ إِلَى ٱلأَنْدَلُسِ إِذْ حَمَلَ إِلَيْهَا ٱلْحَكِيمُ ٱلْمَجْرِيطِيُّ ٱلْقُرْطُبِيُّ « ٱلرِّسَالَةَ ٱلْجَامِعَةَ » وَهِيَ تَفْسِيرٌ لِكُلِّ ٱلرَّسَالَةِ ٱلْحَادِيَةِ وَٱلْخَمْسِينَ وَتَعْلِيقٌ عَلَيْهَا . وَقَدْ خَصَّهُمْ ٱلتَّوْحِيدِيُّ بِحَدِيثٍ طَوِيلٍ فِي ٱللَّيْلَةِ ٱلسَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ كِتَابِ ٱلإِمْتَاعِ وَٱلْمُؤَانَسَةِ (ج 2 . ص 2).

وَٱتَّخَذَ هَؤُلَاءِ ٱلْحُكَمَاءُ ٱسْمَ (إِخْوَانِ ٱلصَّفَاءِ وَخِلَّانِ ٱلْوَفَاءِ) لِلدَّلَالَةِ عَلَى حَقِيقَةِ حَالِهِمْ . فَهُمْ « عِصَابَةٌ قَدْ تَأَلَّفَتْ بِالْعِشْرَةِ، وَتَصَافَتْ بِٱلصَّدَاقَةِ ، وَٱجْتَمَعُوا عَلَى ٱلْقُدْسِ وَٱلطَّهَارَةِ» (الإمتاع 2 / 5) فَشِعَارُهُمْ إِنَّمَا هُوَ ٱلتَّمَازُجُ وَٱلتَّصَافِي .

وَيَذْكُرُ ٱلإِخْوَانُ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَقَاطِعِ رَسَائِلِهِمْ أَنَّهُمْ يَهْدِفُونَ إِلَى غَايَةٍ وَاضِحَةٍ يَعْرِضُ لَهَا أَبُو حَيَّانَ ٱلتَّوْحِيدِيُّ وَهِيَ ، « إِنَّ ٱلشَّرِيعَةَ قَدْ دُنِّسَتْ بِٱلْجَهَالَاتِ وَٱخْتَلَطَتْ بِالضَّلَالَاتِ وَلَا سَبِيلَ إِلَى غَسْلِهَا وَتَطْهِيرِهَا إِلَّا بِالفَلْسَفَةِ وَذَلِكَ لِأَنَّهَا حَاوِيَةٌ لِلْحِكْمَةِ ٱلاعْتِقَادِيَّةِ وَٱلْمَصْلَحَةِ ٱلاجْتِهَادِيَّةِ وَزَعَمُوا أَنَّهُ مَتَى ٱنْتَظَمَتِ ٱلفَلْسَفَةُ ٱلْيُونَانِيَّةُ وَالشَّرِيعَةُ ٱلعَرَبِيَّةُ فَقَدْ حَصَلَ ٱلكَمَالُ » (الإمتاع ج 2 ص 5) .

وَلإِخْوَانِ ٱلصَّفَاءِ آرَاءٌ خَاصَّةٌ لَا يُصَرِّحُونَ بِهَا فِي رَسَائِلِهِمْ وَإِنَّمَا يُقَدِّمُونَهَا مُمَوَّهَةً وَفِي أُسْلُوبٍ رَمْزِيٍّ يَعْتَمِدُ ٱلْمَثَلَ وَٱلْقِصَّةَ أَوِ ٱلْحِكَايَةَ لِذَلِكَ فَهِيَ تَحْتَمِلُ ٱلتَّأْوِيلَاتِ ٱلْمُخْتَلِفَةَ . يَفْهَمُهَا « ٱلْمُتَطَفِّلُ حَسَبَ مَذْهَبِهِ ٱلخَاصِّ وَلَا يَخْلُصُ إِلَى ٱلْمَغْزَى ٱلْمَقْصُودِ مِنْهَا إِلَّا ٱلأَخُ ٱلْمُدَرَّبُ .

وَيَتَّضِحُ أَنَّ لِإِخْوَانِ الصَّفَاءِ أَهْدَافًا دِينِيَّةً وَسِيَاسِيَّةً ، وَهُمْ يَرْمُونَ إِلَى تَحْقِيقِ ٱلأَغْرَاضِ ٱلسِّيَاسِيَّةِ عَنْ طَرِيقِ تَفَهُّمٍ جَدِيدٍ لِلدِّينِ . فَدِينُهُمْ فَلْسَفِيٌّ "عَقْلِيٌّ" وَطَرِيقَتُهُمْ تَعْتَمِدُ تَفْسِيرَ ٱلدِّينِ بِمِثْلِ ٱلْعُلُومِ ٱلطَّبِيعِيَّةِ ، بِٱلْعَقْلِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُمْ مَرْجَعُهُ ٱلطَّبِيعَةُ « فَدِينُهُمْ إِلَهِيٌّ مَادِيٌّ وَتَشْيُعُهُمْ ظَاهِرٌ ، وَتَصَوُّفُهُمْ عَقْلِيٌّ » .

وَقَدْ وَرَدَ فِي ٱلْكَثِيرِ مِنْ مَقَاطِعِ رَسَائِلِهِمْ فِكْرَةُ ، « ٱلتَّبَنِّي ٱلرُّوحِيِّ » ٱلَّتِي عُرِفَ بِهَا ٱلإِسْمَاعِيلِيَّةُ مِنَ ٱلشِّيعَةِ كَقَوْلِهِمْ ،

« وَٱعْلَمْ يَا أَخِي بِأَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَبَوَيْنِ فِي عَالَمِ ٱلْأَرْوَاحِ كَمَا أَنَّ لِأَجْسَادِهِمْ أَبَوَيْنِ فِي عَالَمِ ٱلْأَجْسَادِ كَمَا قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، أَنَا وَأَنْتَ يَا عَلِيُّ أَبَوَا هَذِهِ ٱلْأُمَّةِ ... وَهَذِهِ ٱلْأُبُوَّةُ رُوحَانِيَّةٌ لَا جِسْمَانِيَّةٌ (الرسائل ج 1 ص 157) .

وَمَهْمَا كَانَتْ نَظْرَتُنَا ٱلتَّحْلِيلِيَّةُ لِرَسَائِلِ إِخْوَانِ ٱلصَّفَاءِ فَإِنَّنَا نُعِدُّهَا ـ بِٱعْتِبَارِ إِنْتَاجِ ٱلْقَرْنِ ٱلرَّابِعِ ٱلْفِكْرِيِّ مَوْسُوعَةً عِلْمِيَّةً ضَمَّنَهَا أَصْحَابُهَا آرَاءَهُمُ ٱلسِّيَاسِيَّةَ وَأَلْغَازَهُمْ وَإِشَارَاتِهِمْ فِي ثَوْرِيَّةٍ غَرِيبَةٍ وَقَدْ أَرَادُوهَا تَعْلِيمِيَّةً لَا عِلْمِيَّةً مُجَرَّدَةً وَدَعَوْا فِيهَا إِلَى ٱلثَّوْرَةِ عَلَى ٱلسُّلْطَانِ ٱلْقَائِمِ وَنَادَوْا بِٱلْإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَٱلْبَاطِنِيَّةِ . وَكَانَ حَدِيثُهُمْ فِي كُلِّ هَذَا مَزِيجًا مِنْ تَيَّارَاتٍ دِينِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ وَكَانَتْ فَلْسَفَتُهُمْ تَوْفِيقًا بَيْنَ شَتَّى ٱلنَّزَعَاتِ ٱلْفِكْرِيَّةِ أَسَاسُهَا ٱلْأَوَّلُ فِيثَاغُورِيُّ أَفْلُوطِينِيُّ وَقَدْ طَبَعُوهَا زِيَادَةً عَلَى كُلِّ هَذَا بِٱلطَّابَعِ ٱلشِّيعِيِّ ٱلْبَاطِنِيِّ وَفَتَحُوا بِهَذِهِ ٱلطَّرِيقَةِ وَبِهَذَا ٱلتَّوْفِيقِ ٱلْغَرِيبِ بَيْنَ ٱلْمَذَاهِبِ ٱلْفَلْسَفِيَّةِ ٱلْمُتَبَايِنَةِ آفَاقًا وَاسِعَةً لِمَنْ أَتَى بَعْدَهُمْ مِنَ ٱلْمُفَكِّرِينَ وَٱلْفَلَاسِفَةِ ٱلْعَرَبِ مِنْ حَيْثُ ٱلتَّحَرُّرُ ٱلْفِكْرِيُّ وَٱلْخَوْضُ فِي غِمَارِ ٱلسِّيَاسَةِ وَتَقْرِيبِ ٱلنَّزَعَاتِ ٱلدِّينِيَّةِ .

* حَاجَةُ ٱلإِنْسَانِ إِلَىٰ ٱلتَّعَاوُنِ *

إِعْلَمْ يَا أَخِي أَيَّدَكَ ٱللَّهُ وَإِيَّانَا بِرُوحٍ مِنْهُ ، بِأَنَّ ٱلإِنْسَانَ ٱلْوَاحِدَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَعِيشَ وَحْدَهُ إِلَّا عَيْشًا نَكِدًا لِأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَىٰ طَيِّبِ ٱلْعَيْشِ مِنْ إِحْكَامِ [1] صَنَائِعَ شَتَّىٰ؛ وَلَا يُمْكِنُ ٱلإِنْسَانَ ٱلْوَاحِدَ أَنْ يَبْلُغَهَا كُلَّهَا لِأَنَّ ٱلْعُمْرَ قَصِيرٌ وَٱلصَّنَائِعَ كَثِيرَةٌ فَمِنْ أَجْلِ هَٰذَا ٱجْتَمَعَ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ أَوْ قَرْيَةٍ نَاسٌ كَثِيرُونَ لِمُعَاوَنَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا وَقَدْ أَوْجَبَتِ [2] ٱلْحِكْمَةُ ٱلإِلٰهِيَّةُ وَٱلْعِنَايَةُ ٱلرَّبَّانِيَّةُ بِأَنْ يَشْتَغِلَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ بِإِحْكَامِ ٱلصَّنَائِعِ وَجَمَاعَةٌ فِي ٱلتِّجَارَاتِ وَجَمَاعَةٌ بِإِحْكَامِ ٱلْبُنْيَانِ وَجَمَاعَةٌ بِتَدْبِيرِ ٱلسِّيَاسَاتِ وَجَمَاعَةٌ بِإِحْكَامِ ٱلْعُلُومِ وَتَعْلِيمِهَا وَجَمَاعَةٌ بِٱلْخِدْمَةِ لِلْجَمِيعِ وَٱلسَّعْيِ فِي حَوَائِجِهِمْ لِأَنَّ مَثَلَهُمْ فِي ذَٰلِكَ كَمَثَلِ إِخْوَةٍ مِنْ أَبٍ وَاحِدٍ فِي مَنْزِلٍ وَاحِدٍ مُتَعَاوِنِينَ فِي أَمْرِ مَعِيشَتِهِمْ كُلٌّ مِنْهُمْ فِي وَجْهٍ مِنْهَا . فَأَمَّا مَا ٱصْطَلَحُوا عَلَيْهِ مِنَ ٱلْكَيْلِ وَٱلْوَزْنِ وَٱلثَّمَنِ وَٱلْأُجْرَةِ فَإِنَّ ذَٰلِكَ حِكْمَةٌ [3] وَسِيَاسَةٌ [4] لِيَكُونَ حَثًّا لَهُمْ عَلَى ٱلاِجْتِهَادِ فِي أَعْمَالِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ وَمُعَاوَنَاتِهِم حَتَّىٰ يَسْتَحِقَّ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنَ ٱلأُجْرَةِ بِحَسَبِ ٱجْتِهَادِهِ فِي ٱلْعَمَلِ وَنَشَاطِهِ فِي ٱلصَّنَائِعِ .

وَٱعْلَمْ يَا أَخِي أَيَّدَكَ ٱللَّهُ وَإِيَّانَا بِرُوحٍ مِنْهُ . أَنَّهُ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَتَيَقَّنَ بِأَنَّكَ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَنْجُوَ وَحْدَكَ مِمَّا وَقَعْتَ فِيهِ مِنْ مِحْنَةِ [5] هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا وَآفَاتِهَا [6] بِٱلْعِنَايَةِ [7] ٱلَّتِي كَانَتْ مِنْ أَبِينَا آدَمَ عَلَيْهِ

ٱلسَّلَامُ لِأَنَّكَ مُحْتَاجٌ فِي نَجَاتِكَ وَتَخَلُّصِكَ مِنْ هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا ٱلَّتِي هِيَ عَالَمُ ٱلْكَوْنِ وَٱلْفَسَادِ وَمِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَجِوَارِ ٱلشَّيَاطِينِ وَجُنُودِ إِبْلِيسَ أَجْمَعِينَ وَٱلصُّعُودِ إِلَى عَالَمِ ٱلْأَفْلَاكِ وَسَعَةِ ٱلسَّطَوَاتِ وَمَسْكَنِ ٱلْعِلِّيِّينَ وَجِوَارِ مَلَائِكَةِٱلرَّحْمَانِ ٱلْمُقَرَّبِينَ إِلَى مُعَاوَنَةِ إِخْوَانٍ لَكَ نُصَحَاءَ وَأَصْدِقَاءَ لَكَ فُضَلَاءَ مُتَبَصِّرِينَ بِأَمْرِ ٱلدِّينِ، عُلَمَاءَ بِحَقَائِقِ ٱلْأُمُورِ لِيُعَرِّفُوكَ طَرَائِقَ ٱلْآخِرَةِ وَكَيْفِيَّةَ ٱلْوُصُولِ إِلَيْهَا وَٱلنَّجَاةَ مِنَ ٱلْوَرْطَةِ ٱلَّتِي وَقَعْنَا كُلُّنَا بِجِنَايَةِ أَبِينَا آدَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فَٱعْتَبِرْ [3] بِحَدِيثِ ٱلْحَمَامَةِ ٱلْمَطْوُقَةِ ٱلْمَذْكُورَةِ فِي كِتَابِ « كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ » وَكَيْفَ نَجَتْ مِنَ ٱلشَّبَكَةِ لَنِعْمَ حَقِيقَةٌ مَا قُلْنَا .

وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلْحُكَمَاءَ إِذَا ضَرَبُوا مَثَلًا لِأُمُورِ ٱلدُّنْيَا فَإِنَّمَا غَرَضُهُمْ مِنْهُ أُمُورُ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْإِشَارَةُ إِلَيْهَا بِضُرُوبِ ٱلْأَمْثَالِ بِحَسَبِ مَا تَحْتَمِلُ عُقُولُ ٱلنَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ .

إِخْوَانُ ٱلصَّفَاءِ
– ٱلرِّسَالَةُ ٱلثَّانِيَةُ فِي ٱلْهَنْدَسَةِ –
– ٱلْمَطْبَعَةُ ٱلْعَرَبِيَّةُ بِمِصْرَ 1928 –
بِتَصْحِيحِ خَيْرِ ٱلدِّينِ ٱلزِّرِكْلِي ص 62 ـ 63

1 – شَرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ ،

1) أَحْكَمَ : يُحْكِمُ ـ إِحْكَامًا ـ أَتْقَنَ ٱلشَّيْءَ وَأَتَمَّهُ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ
2) أَوْجَبَ : يُوجِبُ ، حَتَّمَ ـ وَٱلْزَمَ
3) حِكْمَةٌ ، دِرَايَةٌ ،

4) سِيَاسَةٌ ، مِنْ سَاسَ يَسُوسُ ، اَلْحِذْقُ وَالْقُدْرَةُ عَلَى تَسْيِيرِ الْأَمْرِ .

5) مِحْنَةٌ ، مَا يُمْتَحَنُ بِهِ الْإِنْسَانُ .

6) آفَاتٌ ، م آفَةٌ ، اَلْمُفْسِدُ وَالْمُبِيدُ وَالْمُهْلِكُ .

7) اَلْجِنَايَةُ ، مِنْ جَنَى يَجْنِي جِنَايَةً اَلْإِثْمُ ـ اَلذَّنْبُ اَلْعَظِيمُ ـ وَيُقْصَدُ بِهِ هُنَا أَكْلُ آدَمَ اَلتُّفَّاحَةَ فِي اَلْجَنَّةِ حَسَبَ اَلْمُعْتَقَدِ اَلْمَسِيحِيِّ .

8) اعْتَبَرَ ، وَجَدَ عِبْرَةً ـ اَلْمَوْعِظَةُ وَالدَّرْسُ .

2 - اَلْأَسْئِلَـــةُ ،

1 - لِمَاذَا لَا يُمْكِنُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَعِيشَ وَحْدَهُ حَسَبَ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ ؟
وَهَلِ اهْتَدَى بَعْضُ اَلْمُفَكِّرِينَ بَعْدَهُمْ فَقَنَّنُوا عِلْمًا قَائِمَ اَلذَّاتِ فِي هَذَا اَلصَّدَدِ ؟

2 - هَلْ أَنَّ تَقْسِيمَ اَلْعَمَلِ ضَرُورِيٌّ فِي اَلْمُجْتَمَعِ الْإِنْسَانِيِّ تَفْرِضُهُ اَلْحَاجَةُ وَنَوْعِيَّةُ اَلْمَعَاشِ ؟

3 - هَلْ تَرَى أَنَّ اَلنِّظَامَ اَلْاِجْتِمَاعِيَّ اَلَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ أَسَاسُهُ توزيعُ اَلْعَمَلِ وَالْاِخْتِصَاصُ فِي وُجُوهِ الْإِنْتَاجِ أَمْ هُوَ مُجَرَّدُ تَعَاوُنٍ إِنْسَانِيٍّ غَايَتُهُ « طِيبُ اَلْعَيْشِ » ؟

* لِمْيِـةُ [1] عِظَمِ ٱلأَصْوَاتِ *

إنَّ أَعْظَمَ ٱلأَصْوَاتِ صَوْتُ ٱلرَّعْدِ وَقَدْ بَيَّنَا عِلَّةَ حُدُوثِهِ [2] فِي رِسَالَةِ ٱلآثَارِ ٱلْعُلْوِيَّةِ وَلَكِنْ نَذْكُرُ هُنَا مَا لَابُدَّ مِنْهُ. أَمَّا عِلَّةُ حُدُوثِهِ فَهُوَ أَنَّ ٱلْبُخَارَيْنِ ٱلصَّاعِدَيْنِ فِي ٱلْجَوِّ، مِنَ ٱلْبِحَارِ وَٱلْبَرَارِي إِذَا ٱرْتَفَعَا فِي ٱلْهَوَاءِ وَٱخْتَلَطَا وَٱحْتَوَى ٱلْبُخَارُ ٱلرَّطْبُ ٱلْيَابِسُ، ٱلَّذِي هُوَ ٱلدُّخَانُ وَٱحْتَوَى ٱلزُّمْهَرِيرُ [2] عَلَى ٱلْبُخَارَيْنِ ٱلرَّطْبِ وَٱلْيَابِسِ وَحَصَرَهُمَا ٱنْضَغَطَ ٱلْبُخَارُ ٱلْيَابِسُ فِي جَوْفِ ٱلْبُخَارِ ٱلرَّطْبِ وَٱلْتَهَبَ وَطَلَبَ ٱلْخُرُوجَ فَدَفَعَ ٱلْبُخَارَ ٱلرَّطْبَ وَخَرَقَهُ [4] فَيُفَرْقِعُ ٱلْبُخَارُ ٱلرَّطْبُ مِنْ حَرَارَةِ ذَلِكَ ٱلدُّخَانِ ٱلْيَابِسِ كَمَا تُفَرْقِعُ ٱلأَشْيَاءُ ٱلرَّطْبَةُ إِذَا ٱحْتَوَتْ عَلَيْهَا حَرَارَةُ ٱلنَّارِ دُفْعَةً وَاحِدَةً وَيَحْدُثُ مِنْ ذَلِكَ قَرْعٌ فِي ٱلْهَوَاءِ وَيَنْدَفِعُ إِلَى جَمِيعِ ٱلْجِهَاتِ. وَيَنْقَدِحُ [5] مِنْ خُرُوجِ ذَلِكَ ٱلدُّخَانِ ٱلْيَابِسِ فِي جَوْفِ ٱلسَّحَابِ ضَوْءٌ يُسَمَّى ٱلْبَرْقَ كَمَا يَحْدُثُ مِنْ دُخَانِ ٱلسِّرَاجِ ٱلْمُنْطَفِئِ إِذَا أُدْنِيَ مِنْ سِرَاجٍ مُشْتَعِلٍ ثُمَّ يَنْطَفِئُ. وَرُبَّمَا يَذُوبُ مِنْ ذَلِكَ ٱلْبُخَارِ ٱلرَّطْبِ شَيْءٌ مِنْ جَوْفِ ٱلسَّحَابِ وَيَصِيرُ رِيحًا وَيَدُورُ فِي خَلَلِ [6] ٱلسَّحَابِ وَجَوْفِ ٱلْغُيُومِ وَيَطْلُبُ ٱلْخُرُوجَ وَيُسْمَعُ لَهُ دَوِيٌّ وَتَقَرْقُرٌ كَمَا يَسْمَعُ ٱلإِنْسَانُ مِنْ جَوْفِهِ إِذَا كَانَ يَعْرِضُ لَهُ رِيحٌ وَٱنْتِفَاخٌ. وَرُبَّمَا يَنْشَقُّ ٱلسَّحَابُ دُفْعَةً وَاحِدَةً مُفَاجَأَةً فَتَخْرُجُ تِلْكَ ٱلرِّيحُ وَيَكُونُ مِنْهَا صَوْتٌ هَائِلٌ يُسَمَّى صَاعِقَةً. [7] فَهَذِهِ عِلَّةُ صَوْتِ ٱلرَّعْدِ وَكَيْفِيَّةِ حُدُوثِهِ. فَأَمَّا أَصْوَاتُ

ٱلرِّيَاح وَعِلَّةُ حُدُوثِهَا فِي أَنَّ ٱلرِّيَاحَ لَيْسَتْ شَيْئًا سِوَى نَمُوذَجِ ٱلْهَوَاءِ شَرْقًا وَغَرْبًا وَشَمَالاً وَجَنُوبًا وَفَوْقًا وَتَحْتًا فَإِذَا صَدَمَ فِي حَرَكَتِهِ وَجَرَيَانِهِ ٱلْجِبَالَ وَٱلْحِيطَانَ وَٱلأَشْجَارَ وَٱلنَّبَاتَ وَتَخَلَّلَهَا حَدَثَ مِنْ ذَلِكَ فُنُونُ [8] ٱلأَصْوَاتِ وَٱلدَّوِيِّ وَالطَّنِينِ مُخْتَلِفَةُ ٱلأَنْوَاعِ. كُلُّ ذَلِكَ بِحَسَبِ كِبَرِ ٱلأَجْسَامِ ٱلْمَصْدُومَةِ وَصِغَرِهَا وَأَشْكَالِهَا وَتَجْوِيفِهَا وَيَطُولُ شَرْحُهَا .

وَأَمَّا أَصْوَاتُ ٱلْحَيَوَانَاتِ ذَوَاتِ ٱلرِّئَةِ وَٱخْتِلَافُ أَنْوَاعِهَا وَفُنُونُ نَغَمَاتِهَا فَهِيَ بِحَسَبِ طُولِ أَعْنَاقِهَا وَقِصَرِهَا وَسَعَةِ حَلاَقِيمِهَا وَتَرْكِيبِ حَنَاجِرِهَا وَشِدَّةِ ٱسْتِنْشَاقِهَا ٱلْهَوَاءَ وَقُوَّةِ إِرْسَالِ أَنْفَاسِهَا مِنْ أَفْوَاهِهَا وَمَنَاخِرِهَا، يَطُولُ شَرْحُهَا . وَأَمَّا أَصْوَاتُ ٱلْحَيَوَانَاتِ ٱلَّتِي لَيْسَتْ لَهَا رِئَةٌ كَالزَّنَابِيرِ وَٱلْجَرَادِ وَالصُّرْصَرِ وَمَا شَاكَلَهَا فَإِنَّهَا تُحَرِّكُ ٱلْهَوَاءَ بِجَنَاحَيْنِ لَهُمَا سُرْعَةٌ وَخِفَّةٌ فَيَحْدُثُ مِنْ ذَلِكَ أَصْوَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ كَمَا يَحْدُثُ مِنْ تَحْرِيكِ أَوْتَارِ ٱلْعِيدَانِ . وَتَكُونُ فُنُونُهَا وَٱخْتِلَافُ أَنْوَاعِهَا بِحَسَبِ لَطَافَةِ [9] أَجْنِحَتِهَا وَغِلَظِهَا وَطُولِهَا وَقِصَرِهَا وَسُرْعَةِ تَحْرِيكِهَا لَهَا .

وَأَمَّا ٱلْحَيَوَانَاتُ ٱلْخُرْسُ كَالسَّمَكِ وَٱلسَّرَطَانِ وَٱلسَّلاَحِفِ وَمَا شَاكَلَهَا فَهِيَ خُرْسٌ لِأَنَّ لَيْسَ لَهَا رِئَةٌ وَلاَ جَنَاحَانِ، وَأَنَّ ٱخْتِلاَفَ تِلْكَ ٱلأَصْوَاتِ يَكُونُ بِحَسَبِ شِدَّةِ يُبْسِهَا وَصَلاَبَتِهَا وَكَمِّيَّةِ مَقَادِيرِهَا مِنَ ٱلْكِبَرِ وَٱلصِّغَرِ وَٱلطُّولِ وَٱلْقِصَرِ وَٱلسَّعَةِ وَٱلضِّيقِ وَفُنُونِ

أَشْكَالِهَا مِنَ ٱلتَّجْوِيفِ وَٱلتَّقْيِيبِ [10] وَٱلثُّقْبِ وَقُوَّةِ ٱلصَّدْمَةِ وَمَا يَعْرِضُ فِيهَا مِنَ ٱلْأَسْبَابِ .

إِخْوَانُ ٱلصَّفَاءِ
(ٱلرِّسَالَةُ ٱلْخَامِسَةُ فِي ٱلْمُوسِيقَى
ص 139 ـ 140)

1 - شَرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ :

1) ٱللِّمِّيَّةُ
2) عِلَّةُ حُدُوثِهِ : سَبَبُ وُقُوعِهِ
3) ٱلزَّمْهَرِيرُ : رِيحٌ بَارِدَةٌ
4) خَرَقَهُ : من خَرَقَ يَخْرِقُ ٱجْتَازَ ٱلْحَاجِزَ
5) يَنْقَدِحُ : من ٱنْقَدَحَ : ٱشْتَعَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً
6) خَلَلُ : خِلَالَ . مِنْ بَيْنِ .
7) صَاعِقَةٌ : كُبَّةٌ مِنَ ٱلنَّارِ تَنْتُجُ عَنْ ٱنْفِلَاقَةِ غَازَيْنِ نَتِيجَةَ ضَغْطِهِمَا .
8) فُنُونٌ : م فَنٌّ : نَوْعٌ ـ صِنْفٌ .
9) لَطَافَةٌ أَوْ لُطْفٌ : رِقَّةُ ٱلشَّيْءِ .
10) ٱلتَّقْيِيبُ : مِنْ قَابَ ـ يَقُوبُ : ٱلتَّقْوِيسُ وَٱلتَّجْوِيفُ .

ٱلْأَسْئِلَةُ :

1 - بِمَ يُفَسِّرُ إِخْوَانُ ٱلصَّفَاءِ عِظَمَ ٱلْأَصْوَاتِ ؟ وَمَا صِلَةُ هَذَا ٱلْمَوْضُوعِ بِمُحْتَوَى ٱلرَّسَائِلِ ؟
2 - هَلْ تَجِدُ تَعْلِيلَ حُدُوثِ ٱلرَّعْدِ تَعْلِيلًا يَتَمَاشَى مع ٱلتَّحْلِيلِ ٱلْعِلْمِيِّ ٱلْحَدِيثِ ؟ بِمَ تُفَسِّرُ ذَلِكَ ؟
3 - مَا هُوَ هَدَفُ إِخْوَانِ ٱلصَّفَاءِ مِنْ رَغْبَتِهِمْ فِي ٱلْإِحَاطَةِ بِكَامِلِ أَجْزَاءِ ٱلْمَوْضُوعِ وَتَقْدِيمِ بَحْثٍ شَامِلٍ وَمُسْتَوْفٍ لِلْمَوْضُوعِ ؟

فصل في مثنوية الإنسان.

اعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه بأن الإنسان لما كان هو جملة مجموعة من جسد جسماني ونفس روحانية وهما جوهران [1] متباينان في الصفات متضادان في الأحوال ومشتركان في الأفعال العارضة [2] والصفات الزائلة. صار الإنسان من أجل جسده الجسماني مريدا للبقاء. في الدنيا متمنيا للخلود فيها ومن أجل نفسه الروحانية صار طالبا للدار الآخرة متمنيا للبلوغ إليها. وهكذا أكثر أمور الإنسان وتصرف أحواله مثنوية [3] متضادة كالحياة والممات والنوم واليقظة والعلم والجهالة والتذكر والغفلة والعقل والحماقة والمرض والصحة والفجور [4] والعفة والبخل والسخاء والجبن والشجاعة والألم واللذة. وهو متردد بين الصداقة والعداوة والفقر والغنى والشبيبة والهرم والخوف والرجاء والصدق والكذب والحق والباطل والصواب والخطإ والخير والشر والقبح والحسن وما شاكلها من الأخلاق والأفعال والأقاويل المتضادة المتباينة [5] التي تظهر من الإنسان الذي هو جملة مجموعة من جسد جسماني ونفس روحانية.

واعلم يا أخي بأن هذه الخصال [6] التي عددنا لا تنسب إلى الجسد بمجرده ولا إلى النفس بمجردها ولكن إلى الإنسان الذي هو جملتهما والمجموع منهما الذي هو حي ناطق مائت. فحياته ونطقه من قبل نفسه وعلى هذا القياس سائر أموره وأحواله

ٱلْمُتَبَايِنَات ٱلْمُتَضَادَّات بَعْضُهَا مِن قِبَل ٱلنَّفْس وَبَعْضُهَا مِنْ قِبَل ٱلْجَسَد مِثَال ذَلِك عَقْلُهُ وَعِلْمُهُ وَحِلْمُهُ وَتَفَكُّرُهُ وَسَخَاؤُهُ وَشَجَاعَتُهُ وَعِفَّتُهُ وَعَدْلُهُ وَحِكْمَتُهُ وَصِدْقُهُ وَصَوَابُهُ وَخَيْرُهُ وَمَا شَاكَلَهَا مِن ٱلْخِصَال ٱلْمَحْمُودَة فَكُلُّهَا مِنْ قِبَل نَفْسِهِ وَصَفَاء جَوْهَرِهَا، وَأَضْدَادُهَا مِنْ قِبَل أَخْلَاط جَسَدِهِ وَمِزَاج أَخْلَاطِهِ .

إِخْوَانُ ٱلصَّفَاء
(ٱلرِّسَالَةُ ٱلسَّابِعَةُ فِي ٱلصَّنَائِع ٱلْعِلْمِيَّةِ وَٱلْغَرَضِ مِنْهَا) ج 1 ـ ص 195 ـ 196)

شَرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ :

1) **ٱلْجَوْهَر** ٱلْمَوْجُودُ ٱلْقَائِمُ بِنَفْسِهِ ـ (جَوْهَرُ ٱلشَّيْء ، مَا وُضِعَتْ عَلَيْهِ جِبِلَّتُهُ وَطَبِيعَتُهُ) وَضِدُّهُ ٱلْعَرَضُ .

2) **ٱلْعَارِضُ** مِنْ عَرَضَ عَرْضًا ـ بَدَا وَلَمْ يَدُمْ ـ خِلَافُ ٱلْأَصْلِيِّ وَٱلْجَوْهَرِيِّ وَٱلثَّابِت .

3) **ٱلثُّنَوِيَّةُ** ٱلْأَزْدِوَاجِيَّةُ .

4) **ٱلْجَوْر** مِنْ جَارَ فَجَوْرًا . ٱلْمَيْلُ عَنِ ٱلصِّدْق . رُكُوبُ ٱلْمَعَاصِي .

5) **ٱلْمُتَبَايِنَة** (تَبَايَنَا = تَبَاعَدَا) ـ ٱلْمُتَبَايِنَةُ ، ٱلْمُتَفَاوِتَةُ .

6) **ٱلْخِصَال** مُ. خَصْلَةٌ ، ٱلْخَلَّةُ . فَضِيلَةٌ كَانَتْ أَوْ رَذِيلَةٌ وَقَدْ غَلَبَتْ عَلَى ٱلْفَضِيلَةِ .

2 - ٱلْأَسْئِلَةُ :

1 - هَلْ يُمْكِنُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُوَفِّقَ بَيْنَ مَا يَتُوقُ إِلَيْهِ جِسْمُهُ وَمَا تَرْغَبُ فِيهِ رُوحُهُ ؟
2 - كَيْفَ يَحْصُلُ لَهُ ٱلتَّوَازُنُ حَسَبَ إِخْوَانِ ٱلصَّفَاءِ ؟
3 - بِمَ يَخْتَلِفُ ٱلنَّاسُ حَسَبَ مَا تَسْتَنْتِجُهُ مِنْ هَذِهِ ٱلرِّسَالَةِ وَفِيمَ يَتَّفِقُونَ ؟

فِي ٱلسِّيَاسَةِ.

عِلْمُ ٱلسِّيَاسَةِ خَمْسَةُ أَنْوَاعٍ ،

أَوَّلُهَا ، ٱلسِّيَاسَةُ ٱلنَّبَوِيَّةُ ، **وَٱلثَّانِي** ، ٱلسِّيَاسَةُ ٱلْمُلُوكِيَّةُ **وَٱلثَّالِثُ** ، ٱلسِّيَاسَةُ ٱلْعَامِيَّةُ . **وَٱلرَّابِعُ** ، ٱلسِّيَاسَةُ ٱلْخَاصِّيَّةُ **وَٱلْخَامِسُ** ، ٱلسِّيَاسَةُ ٱلذَّاتِيَّةُ .

فَأَمَّا السِّيَاسَةُ ٱلنَّبَوِيَّةُ فَهِيَ مَعْرِفَةُ كَيْفِيَّةِ وَضْعِ ٱلنَّوَامِيسِ [2] ٱلْمَرَضِيَّةِ وَٱلسُّنَنِ ٱلزَّكِيَّةِ بِٱلْأَقَاوِيلِ ٱلْفَصِيحَةِ ، وَمُدَاوَاةِ ٱلنُّفُوسِ ٱلْمَرِيضَةِ مِنَ ٱلدِّيَانَاتِ ٱلْفَاسِدَةِ وَٱلْآرَاءِ ٱلسَّخِيفَةِ وَٱلْعَادَاتِ ٱلرَّدِيئَةِ وَٱلْأَفْعَالِ ٱلْجَائِرَةِ ، وَمَعْرِفَةُ كَيْفِيَّةِ نَقْلِهَا مِنْ تِلْكَ ٱلْأَدْيَانِ وَٱلْعَادَاتِ ، وَمَحْوُ تِلْكَ ٱلْآرَاءِ عَنْ ضَمَائِرِهَا بِذِكْرِ عُيُوبِهَا وَنَشْرِ تَرْبِيَتِهَا وَمُدَاوَاتِهَا مِنْ سَقَامِ تِلْكَ ٱلْآرَاءِ وَتِلْكَ ٱلْعَادَاتِ بِٱلْحِمْيَةِ [2] لَهَا مِنَ ٱلْعَوْدِ إِلَيْهَا وَشِفَائِهَا بِٱلرَّأْيِ ٱلْمَرْضِيِّ وَٱلْعَادَاتِ ٱلْجَمِيلَةِ وَٱلْأَعْمَالِ ٱلزَّكِيَّةِ وَٱلْأَخْلَاقِ ٱلْمَحْمُودَةِ بِٱلْمَدْحِ لَهَا وَٱلتَّرْغِيبِ فِي جَزِيلِ ٱلثَّوَابِ يَوْمَ ٱلْمَآبِ وَكَيْفِيَّةِ سِيَاسَةِ ٱلنُّفُوسِ ٱلشِّرِّيرَةِ بِصُدُودِهَا عَلَى قَصْدِ سَبِيلِ ٱلرَّشَادِ وَسُلُوكِهَا فِي وُعُورِ طُرُقِ ٱلْغَيِّ وَٱلتَّمَادِي بِٱلْقَمْعِ لَهَا وَٱلزَّجْرِ وَٱلْوَعِيدِ وَٱلتَّوْبِيخِ وَٱلتَّهْدِيدِ لِتَرْجِعَ إِلَى سُبُلِ ٱلنَّجَاةِ وَتَرْغَبَ فِي جَزِيلِ ٱلثَّوَابِ وَمَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ تَنْبِيهِ ٱلْأَنْفُسِ ٱللَّاهِيَةِ وَٱلْأَرْوَاحِ ٱلسَّاهِيَةِ [3] مِنْ طُولِ ٱلرُّقَادِ وَنِسْيَانِهَا ذِكْرَ ٱلْمَعَادِ وَٱلْإِذْكَارِ لَهَا عَهْدَ يَوْمِ ٱلْمِيثَاقِ لِئَلَّا يَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ

رَسُولٍ وَلَا كِتَابٍ . وَهَذِهِ ٱلسِّيَاسَةُ يَخْتَصُّ بِهَا ٱلْأَنْبِيَاءُ وَٱلرُّسُلُ صَلَوَاتُ ٱللَّهِ عَلَيْهِمْ .

وَأَمَّا ٱلسِّيَاسَةُ ٱلْمُلُوكِيَّةُ فَهِيَ مَعْرِفَةُ حِفْظِ ٱلشَّرِيعَةِ فِي ٱلْأُمَّةِ وَإِحْيَاءُ ٱلسُّنَّةِ فِي ٱلْمِلَّةِ بِٱلْأَمْرِ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّهْيِ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ بِإِقَامَةِ ٱلْحُدُودِ وَإِنْفَاذِ ٱلْأَحْكَامِ ٱلَّتِي رَسَمَهَا صَاحِبُ ٱلشَّرِيعَةِ وَرَدِّ ٱلْمَظَالِمِ وَقَمْعِ ٱلْأَعْدَاءِ [4] وَكَفِّ ٱلْأَشْرَارِ وَنُصْرَةِ ٱلْأَخْيَارِ. وَهَذِهِ ٱلسِّيَاسَةُ يَخْتَصُّ بِهَا خُلَفَاءُ ٱلْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ ٱللَّهِ عَلَيْهِمْ وَٱلْأَئِمَّةُ ٱلْمَهْدِيُّونَ ٱلَّذِينَ قَضَوْا بِٱلْحَقِّ وَبِهِ كَانُوا يَعْدِلُونَ .

وَأَمَّا ٱلسِّيَاسَةُ ٱلْعَامِيَّةُ ٱلَّتِي هِيَ ٱلرِّئَاسَةُ عَلَى ٱلْجَمَاعَاتِ كَرِئَاسَةِ ٱلْأُمَرَاءِ عَلَى ٱلْبُلْدَانِ وَٱلْمُدُنِ وَرِيَاسَةِ ٱلدُّهَاقِينَ عَلَى أَهْلِ ٱلْقُرَى وَرِئَاسَةِ قَادَةِ ٱلْجُيُوشِ عَلَى ٱلْعَسَاكِرِ وَمَا شَاكَلَهَا، فَهِيَ مَعْرِفَةُ طَبَقَاتِ ٱلْمَرْؤُوسِينَ وَحَالَاتِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَتَرْتِيبِ مَرَاتِبِهِمْ وَمُرَاعَاةِ أُمُورِهِمْ وَتَفَقُّدِ أَسْبَابِهِمْ وَتَأْلِيفِ شَمْلِهِمْ ، وَٱلتَّنَاصُفِ بَيْنَهُمْ وَجَمْعِ شَتَاتِهِمْ وَٱسْتِخْدَامِهِمْ فِي مَا يَصْلُحُونَ لَهُ مِنَ ٱلْأُمُورِ وَٱسْتِعْمَالِهِمْ فِي مَا يُشَاكِلُهُمْ مِنْ صَنَائِعِهِمْ وَأَعْمَالِهِمُ ٱللَّائِقَةِ بِوَاحِدٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ .

وَأَمَّا ٱلسِّيَاسَةُ ٱلْخَاصِّيَّةُ فَهِيَ مَعْرِفَةُ كُلِّ إِنْسَانٍ كَيْفِيَّةَ تَدْبِيرِ مَنْزِلِهِ، وَأَمْرِ مَعِيشَتِهِ، وَمُرَاعَاةِ أَمْرِ خَدَمِهِ وَغِلْمَانِهِ وَأَوْلَادِهِ وَمَمَالِيكِهِ وَأَقْرِبَائِهِ، وَعِشْرَتِهِ مَعَ جِيرَانِهِ، وَصُحْبَتِهِ مَعَ إِخْوَانِهِ وَقَضَاءِ حُقُوقِهِمْ وَتَفَقُّدِ أَسْبَابِهِمْ وَٱلنَّظَرِ فِي مَصَالِحِهِمْ مِنْ أُمُورِ دُنْيَاهُمْ وَآخِرَتِهِمْ .

وَأَمَّا ٱلسِّيَاسَةُ ٱلذَّاتِيَّةُ فَهِيَ مَعْرِفَةُ كُلِّ إِنْسَانٍ نَفْسَهُ وَأَخْلَاقَهُ وَتَفَقُّدُ أَفْعَالِهِ وَأَقَاوِيلِهِ فِي حَالَةِ شَهَوَاتِهِ وَغَضَبِهِ وَرِضَاهُ وَٱلنَّظَرُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ .

إِخْوَانُ ٱلصَّفَاءِ
(ٱلرِّسَالَةُ ٱلتَّابِعَةُ فِي ٱلصَّنَائِعِ ٱلْعِلْمِيَّةِ
وَٱلْغَرَضِ مِنْهَا) ص ، 208 ـ 209

1 - شـــرح المفـــردات :

1) ٱلنَّوَامِيسُ ، ج نَامُوسٌ : ٱلسِّرُّ ٱلْبَاطِنُ ـ كَلِمَةٌ (يُونَانِيَّةٌ) .
2) ٱلْحِمْيَةُ مِنْ حَمَى ، مَنَعَ ـ حِمَايَةُ ٱلْمَرِيضِ بِمَنْعِهِ عَمَّا يَضُرُّهُ .
3) ٱلْأَرْوَاحُ ٱلسَّاهِيَةُ ، مِنْ سَهَا يَسْهُو ، غَفَلَةٌ ـ ٱلنُّفُوسُ ٱلْغَافِلَةُ وَقَدْ ذَهَبَتْ إِلَى أَمْرٍ آخَرَ .
4) قَمَعَ ٱلْأَعْدَاءَ ، يَقْمَعُ قَمْعًا : قَهَرَ وَذَلَّلَ .

الأسئلـــــة :

1 - مَا يَقْصِدُ إِخْوَانُ ٱلصَّفَاءِ بِٱلسِّيَاسَةِ فِي هَذِهِ ٱلرِّسَالَةِ ؟
2 - كَيْفَ رَتَّبُوا أَصْنَافَ هَذِهِ ٱلسِّيَاسَةِ وَمَا قَصْدُهُمْ مِنْ ذَلِكَ ؟
3 - هَلْ يَرْمِي إِخْوَانُ ٱلصَّفَاءِ بِٱلتَّهْذِيبِ ٱلْفَرْدِيِّ وَٱلْجَمَاعِيِّ إِلَى إِدْرَاكِ أَهْدَافٍ مُعَيَّنَةٍ ؟

طَلَبُ ٱلعِلْمِ

وَٱعْلَمْ يَا أَخِي أَيَّدَكَ ٱللَّهُ وَإِيَّانَا بِرُوحٍ مِنْهُ بِأَنْ طَالِبَ ٱلعِلْمِ يَحْتَاجُ إِلَى سَبْعِ خِصَالٍ : أَوَّلُهَا ٱلسُّؤَالُ وَٱلصَّمْتُ ، ثُمَّ ٱلاسْتِمَاعِ ، ثُمَّ ٱلتَّفَكُّرِ ، [1] ثُمَّ ٱلعَمَلِ بِهِ ، ثُمَّ طَلَبِ ٱلصِّدْقِ مِنْ نَفْسِهِ ، ثُمَّ كَثْرَةِ ٱلذِّكْرِ [2] أَنَّهُ مِنْ نِعَمِ ٱللَّهِ ، ثُمَّ تَرْكِ ٱلإِعْجَابِ بِمَا يُحْسِنُهُ .

وَٱلعِلْمُ يُكْسِبُ صَاحِبَهُ عَشْرَ خِصَالٍ مَحْمُودَةٍ ، أَوَّلُهَا ، ٱلشَّرَفُ وَإِنْ كَانَ دَنِيًّا [3] ، وَٱلعِزُّ وَإِنْ كَانَ مَهِينًا [4] ، وَٱلغِنَاءُ [5] وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا ، وَٱلقُوَّةُ وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا ، وَٱلنُّبْلُ وَإِنْ كَانَ حَقِيرًا ، وَٱلقُرْبُ وَإِنْ كَانَ بَعِيدًا ، وَٱلقُدْوَةُ وَإِنْ كَانَ نَاقِصًا ، وَٱلجُودُ وَإِنْ كَانَ بَخِيلًا ، وَٱلحَيَاءُ [6] وَإِنْ كَانَ صَلِفًا [7] ، وَٱلمَهَابَةُ [8] وَإِنْ كَانَ وَضِيعًا ، وَٱلسَّلَامَةُ وَإِنْ كَانَ سَقِيمًا ، وَقَالَ ٱللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ ، « هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو ٱلأَلْبَابِ * » وَقَالَ سُبْحَانَهُ ، « إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلعُلَمَاءُ ** » وَقَالَ ، « وَمَنْ يُؤْتَ ٱلحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا *** » وَآيَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي ٱلقُرْآنِ فِي مَدْحِ ٱلعُلَمَاءِ وَفَضْلِهِمْ وَحُسْنِ ٱلثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ فِي مِثْلِ ذَلِكَ.

وَٱعْلَمْ يَا أَخِي بِأَنَّ لِلعُلَمَاءِ مَعَ كَثْرَةِ فَضَائِلِ ٱلعِلْمِ آفَاتٍ وَعُيُوبًا وَأَخْلَاقًا رَدِيئَةً تَحْتَاجُ أَنْ تَتَجَنَّبَهَا وَتَتَحَذَّرَهَا ، فَمِنْهَا : ٱلكِبْرُ وَٱلعُجْبُ وَٱلافْتِخَارُ . وَقَدْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ ٱللَّهِ أَنَّهُ قَالَ ، مَنِ ٱزْدَادَ عِلْمًا وَلَمْ يَزْدَدْ لِلَّهِ تَوَاضُعًا وَلِلْجُهَّالِ رَحْمَةً وَلِلْعُلَمَاءِ مَوَدَّةً لَمْ يَزْدَدْ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّا بُعْدًا ، وَمِنْهَا كَثْرَةُ ٱلخِلَافِ وَٱلمُنَازَعَةِ فِيهِ وَطَلَبُ ٱلرِّئَاسَةِ

بِهِ، وَٱلتَّعَصُّبُ وَٱلْعَدَاوَةُ وَٱلْبَغْضَاءُ فِيمَا بَيْنَهُمْ . وَقَالَ لُقْمَانُ ٱلْحَكِيمُ لِٱبْنِهِ، « يَا بُنَيَّ جَالِسِ ٱلْعُلَمَاءَ وَزَاحِمْهُمْ بِرُكْبَتِكَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحْيِي ٱلْقُلُوبَ ٱلْمَيِّتَةَ بِنُورِ ٱلْعِلْمِ كَمَا تُحْيَا ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ بِوَابِلِ ٱلْمَطَرِ. وَإِيَّاكَ وَمُنَازَعَةَ ٱلْعُلَمَاءِ فَإِنَّ ٱلْحِكْمَةَ نَزَلَتْ مِنَ ٱلسَّمَاءِ صَافِيَةً، فَلَمَّا تَعَلَّمَهَا ٱلرِّجَالُ صَرَفُوهَا إِلَى أَهْوَاءِ أَنْفُسِهِم » . وَمِنْ آفَاتِ ٱلْعُلَمَاءِ ٱلْخَوْضُ فِي ٱلْمُشْكِلَاتِ وَٱلتَّرْخِيصُ فِي ٱلشُّبُهَاتِ وَتَرْكُ ٱلْعَمَلِ بِمُوجِبَاتِ ٱلْعِلْمِ .

وَمِنْ آفَاتِ ٱلْعُلَمَاءِ أَيْضًا كَثْرَةُ ٱلرَّغْبَةِ فِي ٱلدُّنْيَا وَشِدَّةُ ٱلْحِرْصِ فِي طَلَبِهَا ، وَقَدْ قِيلَ فِي ٱلْمَثَلِ إِنَّ حُبَّ ٱلدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَٱلْحِرْصَ فِي طَلَبِهَا مَرَضٌ لِلنُّفُوسِ وَسَقَامٌ لَهَا . وَعُلَمَاءُ أَحْكَامِ ٱلنَّامُوسِ هُمْ أَطِبَّاءُ ٱلنُّفُوسِ وَمُدَاوُوهَا . فَمَثَلُ ٱلْعَالِمِ ٱلرَّاغِبِ فِي ٱلدُّنْيَا ٱلْحَرِيصِ عَلَى طَلَبِ شَهَوَاتِهَا كَمَثَلِ ٱلطَّبِيبِ ٱلْمُدَاوِي غَيْرَهُ وَهُوَ مَرِيضٌ لَا يُرْجَى صَلَاحُهُ ، فَكَيْفَ يُشْفَى ٱلْمَرِيضُ بِعِلَاجِهِ ؟ ! ... وَقَدْ قِيلَ إِنَّ عَالِمًا زَاهِدًا فِي ٱلدُّنْيَا يَكُونُ عَالِمًا بِدِينِ ٱللَّهِ وَبَصِيرًا بِطَرِيقِ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ عَالِمٍ رَاغِبٍ فِيهَا . وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، « أَيُّهَا ٱلْعُلَمَاءُ وَٱلْفُقَهَاءُ قَعَدْتُمْ عَلَى طَرِيقِ ٱلْآخِرَةِ فَلَا أَنْتُمْ تَسِيرُونَ إِلَيْهَا فَتَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا تَتْرُكُونَ أَحَدًا يَجُوزُكُمْ فَيَصِلَ إِلَيْهَا » ، وَإِنَّ ٱلْجَاهِلَ أَعْذَرُ [10] مِنَ ٱلْعَالِمِ وَلَيْسَ لِوَاحِدٍ مِنْهَا عُذْرٌ .

إِخْوَانُ ٱلصَّفَاءِ

ٱلرِّسَالَةُ ٱلْجَامِعَةُ فِي ٱلْأَخْلَاقِ وَٱلْأَدَبِ ج 1 - ص 272 - 278 -

1 - شـــرح المفـــردات :

1) ٱلتَّفَكُّـرُ ، مِنْ تَفَكَّرَ فِي ٱلْأَمْرِ أَمْعَنَ فِيهِ ٱلنَّظَرَ .
2) ٱلذِّكْـرُ ، من ذَكَرَ ـ يَذْكُرُ ، ٱلدَّرْسُ وَالتَّمْحِيصُ .
3) دَنِيًّـا ، سَافِلًا ـ حَقِيرًا .
4) مَهِينًا ، مِنْ مَهُنَ ، قَلَّ شَأْنُهُ .
5) ٱلْغَنَـاءُ ، ٱلْكِفَايَةُ وَمَا فَوْقَهَا .
6) ٱلْحَيَاءُ ، ٱلْاِحْتِشَـامُ .
7) ٱلصَّلَفُ ، ٱلْعُتُوُّ وَٱلْاِعْتِدَادُ ٱلْمُفْرِطُ .
8) ٱلْمَهَابَةُ ، اِحْتِرَامُ ٱلْجَانِبِ .
9) ٱلْأَلْبَـابُ ، م. لُبٌّ ـ ٱلْعَقْلُ ـ وَحُسْنُ ٱلدِّرَايَةِ .
10) أَعْـذَرُ ، أَشَدُّ عُذْرًا .

2 - ٱلْأَسْئِلَـــةُ :

1 - مَا هِيَ قِيمَةُ طَلَبِ ٱلْعِلْمِ عِنْدَ إِخْوَانِ ٱلصَّفَاءِ وَلِمَاذَا يُحَدِّدُونَ مَنْهَجِيَّةً فِي ٱلتَّحَصُّلِ عَلَيْهِ ؟
2 - هَلِ ٱلْعِلْمُ سَعَةُ ٱطِّلَاعٍ وَمَعْرِفَةٌ أَمْ خُلُقٌ وَسُلُوكٌ حَسَبَ إِخْوَانِ ٱلصَّفَاءِ ؟
3 - هَلْ يُعْذَرُ ٱلْجَاهِلُ بِجَهْلِهِ ؟ لِمَاذَا ؟

* سُورَةُ ٱلزُّمَرِ . ٱلآيَةُ 9
* * سُورَةُ فَاطِرٍ ٱلآيَةُ 28
* * * سُورَةُ ٱلْبَقَرَةِ . ٱلآيَةُ 269

إصلاح السلطان.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ السُّلْطَانَ الْجَائِرَ [1] قَصِيرُ الْعُمُرِ لِأَنَّ اللَّهَ قَاصِمُ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَمُهْلِكُ كُلِّ مَارِدٍ [2] وَمُعْتَدٍّ ، وَهُوَ مُنْصِفُ الْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ فَإِنَّهُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ يَقُولُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ « أَيُّهَا السُّلْطَانُ إِنَّمَا جَعَلْتُكَ خَلِيفَةً فِي أَرْضِي وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ اسْمًا مِنْ أَسْمَائِي وَمَلَّكْتُكَ رِقَابَ عِبَادِي وَبَسَطْتُ يَدَيْكَ فِي بِلَادِي لِتُنْصِفَ الْمَظْلُومَ مِنَ الظَّالِمِ . وَصِرْتَ أَنْتَ الظَّالِمَ وَتَعَدَّيْتَ عَلَى الضُّعَفَاءِ مِنْ خَلْقِي وَالْمَسَاكِينِ مِنْ عِبَادِي ، وَصِرْتَ أَنْتَ الظَّالِمَ وَهُمُ الْمَظْلُومِينَ . فَأَنَا مَلِكُ الْمُلُوكِ وَسُلْطَانُ السَّلَاطِينَ ، وَأَنَا آخِذُ الْحَقَّ مِنْكَ . ثُمَّ آذِنُ لِلْمُهْلِكِينَ فِي إِهْلَاكِكَ وَتَخْلِيدِكَ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ .

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ أَقْبَلْتَ عَلَى شَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَمَلَاذِّهَا وَاغْتَرَرْتَ بِمَا فِيهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَمَحَاسِنِ الْمَرْئِيَّاتِ وَاشْتَغَلْتَ بِهَا عَمَّا لَكَ فِيهِ صَلَاحٌ وَنَجَاحٌ فِي دَارِ الْمَعَادِ [3] يُوشِكُ أَنْ يُؤْتِيَكَ مَا أَصَابَ رَجُلًا اجْتَازَ فِي طَرِيقٍ كَانَ يَسْلُكُهُ فِي نَهْرٍ جَرَّارٍ [4] يَنْحَدِرُ مِنْ جِبَالٍ وَعَلَيْهِ جِسْرٌ يَعْبُرُ عَلَيْهِ النَّاسُ .

ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا صَارَ عَلَى ظَهْرِ الْجِسْرِ وَقَفَ يَنْظُرُ إِلَى جَرَيَانِ الْمَاءِ،فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ نَظَرَ إِلَى سَمَكَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ أَحْسَنِ أَجْنَاسِ السَّمَكِ فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: مَا أَنْصَرِفُ فِي يَوْمِي هَذَا إِلَى بَيْتِي بِأَحْسَنَ مِنْ هَذِهِ السَّمَكَةِ فَأَشْوِيَهَا وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا أَهْلِي وَأَوْلَادِي

وَآكُلَ مِنْهَا أُكْلَةً طَيِّبَةً وَلَكِنْ أَخْشَى مِنْ جَرَيَانِ ٱلْمَاءِ أَنْ يَحُولَ بَيْنِي وَبَيْنَ ٱلسَّمَكَةِ ثُمَّ قَوِيَتْ شَهْوَتُهُ وَرَامَ مَقَامَ ٱلسَّمَكَةِ بِحَيْثُ يَرَاهَا، وَقَوِيَتْ طَبِيعَتُهُ فِي أَخْذِهَا فَنَزَعَ ثِيَابَهُ وَرَمَى بِنَفْسِهِ وَغَاصَ وَرَاءَهَا إِلَى أَن قَبَضَ عَلَى ٱلسَّمَكَةِ بِإِحْدَى يَدَيْهِ وَفَرِحَ بِظَفَرِهِ بِهَا وَٱشْتَغَلَ عَنِ ٱلسِّبَاحَةِ مَخَافَةَ أَنْ تَفْلِتَ ٱلسَّمَكَةُ مِنْهُ، فَغَلَبَهُ ٱلْمَاءُ لِشِدَّةِ جَرَيَانِهِ، فَزَحْزَحَهُ عَنْ ٱلْمَوْضِعِ ٱلَّذِي نَزَلَ مِنْهُ وَأَشْرَفَ عَلَى ٱلْهَلَكَةِ [5]، وَشَحَّ عَلَى ٱلسَّمَكَةِ أَنْ يُفْلِتَهَا وَيَنْجُوَ بِنَفْسِهِ. فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ حَالُهُ وَهُوَ يَرُومُ ٱلْخَلَاصَ بِنَفْسِهِ مَعَ ٱلسَّمَكَةِ حَتَّى حَدَرَهُ ٱلْمَاءُ إِلَى جُرْفٍ عَظِيمٍ يَنْصَبُّ إِلَى وَهْدَةٍ تَحْتَ ٱلْأَرْضِ، فَغَاصَ بِهِ فَأَتَاهُ عَامِرُ ٱلنَّهْرِ وَكَانَ يَسْكُنُ ذَلِكَ ٱلْمَوْضِعَ، فَقَالَ ، « مَا تَفْعَلُ فِي هَذَا ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي لَا يَقَعُ فِيهِ أَحَدٌ إِلَّا غَرِقَ وَهَلَكَ ؟ » .

فَقَالَ ، « أَنَا ٱلَّذِي تَرَكْتُ ٱلطَّرِيقَ ٱلْوَاضِحَ وَٱلْمَحَجَّةَ ٱللَّائِحَةَ [6] ٱلَّتِي فِيهَا ٱلنَّجَاةُ وَٱلسَّلَامَةُ، وَوَقَعْتُ فِي هَذِهِ ٱلْمَهْلَكَةِ مِنْ أَجْلِ لَذَّةٍ يَسِيرَةٍ [7] وَشَهْوَةٍ حَقِيرَةٍ » . فَقَالَ لَهُ ، « هَلَّا خَلَّيْتَ مَا فِي يَدِكَ وَنَجَوْتَ بِنَفْسِكَ ؟ فَقَالَ ، « ٱلطَّمَعُ مِنِّي فِي ٱلسَّلَامَةِ وَٱلْفَوْزِ بِمَا كُنْتُ حَدَّثْتُ بِهِ نَفْسِي » . فَقَالَ ، « إِنَّكَ جَاهِلٌ وَمَا أَرَى أَحَدًا أَوْلَى مِنْكَ بِٱلْغَرَقِ » . فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ فَغَرَّقَهُ .

فَإِذَا تَفَكَّرْتَ يَا أَخِي فِي هَذِهِ ٱلْأَمْثَالِ وَٱلْإِشَارَاتِ وَقَرَأْتَ عَلَى إِخْوَانِنَا أَيَّدَهُمُ ٱللَّهُ ، كَانَ ذَلِكَ ذِكْرَى لَكَ وَلِقَوْمِكَ . وَنَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ تَنْطَبِقُ عَلَيْهِ هَذِهِ ٱلْقِصَّةُ وَلَا أَحَدٌ مِنْ إِخْوَانِنَا وَلَكِنِ

اِتِّبَاعًا لِقَوْلِ ٱللّٰهِ تَعَالَى حَيْثُ يَقُولُ لِرَسُولِهِ « فَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَى تَنْفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ *».

إِخْوَانُ ٱلصَّفَاءِ
ٱلرِّسَالَةُ ٱلسَّابِعَةُ عَشْرَةَ مِنَ ٱلْجِسْمِيَّاتِ
وَٱلطَّبِيعِيَّاتِ ج 3 ص ، 177 / 178 -

1 - شَرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ :

* سُورَةُ ٱلذَّارِيَاتِ . ٱلآيَةُ 55

1) ٱلْجَائِرُ ، إِسْمُ فَاعِلٍ مِنْ جَارَ يَجُورُ : ظَلَمَ .
2) مَارِدٌ ، إِسْمُ فَاعِلٍ - ج . مَرَدَةٌ - مَارِدُونَ - مُرَّادٌ ، ٱلْمُجَرَّدُ مِنَ ٱلْخَيْرِ .
3) ٱلْمَعَادُ ، مَصْدَرٌ مِنْ عَادَ يَعُودُ - ٱلْمَرْجِعُ وَٱلْمَصِيرُ - ٱلْآخِرَةُ .
4) جَرَّارٌ ، مِنْ جَرَّ . ٱلْجَارِفُ ٱلْمُنْدَفِعُ مِنَ ٱلْمَاءِ .
5) ٱلْمَهْلَكَةُ ، مَكَانُ ٱلْهَلَاكِ وَٱلْمَوْتِ .
6) ٱللَّائِحَةُ ، من لَاحَ يَلُوحُ - ظَهَرَ - بَرَزَ .
7) يَسِيرَةٌ ، مِنْ يَسُرَ - قَلِيلَةٌ - ضَئِيلَةٌ .

2 - الاسئلـــة :

1 - أَيُّ صِنْفٍ مِنَ ٱلْحُكَّامِ تُصَوِّرُهُ هَذِهِ ٱلرِّسَالَةُ ؟ وَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ نَسْتَنْتِجَ غَايَةً سِيَاسِيَّةً عِنْدَ إِخْوَانِ ٱلصَّفَاءِ مِنْ خِلَالِهَا ؟
2 - لِمَاذَا يَلْتَجِئُ إِخْوَانُ ٱلصَّفَاءِ فِي مِثْلِ هَذِهِ ٱلْمَوَاضِيعِ إِلَى ٱلسَّرْدِ ٱلْقَصَصِيِّ وَٱسْتِخْدَامِ ٱلْحِكَايَةِ ؟
3 - مَا هِيَ ٱلْغَايَاتُ ٱلْخُلُقِيَّةُ ٱلَّتِي يَسْعَوْنَ إِلَى تَحْقِيقِهَا عِنْدَ صَاحِبِ ٱلسُّلْطَانِ ؟ وَلِمَاذَا ؟

إيثـــارُ الشَّبَـابِ .

وَاعْلَمْ أَيُّهَا الأَخُ أَنَّ مِنْ سَعَادَتِكَ أَيْضًا أَنْ يَتَّفِقَ لَكَ مُعَلِّمٌ ذَكِيٌّ جَيِّدُ الطَّبْعِ حَسَنُ الخُلُقِ صَافِي الذِّهْنِ مُحِبٌّ لِلْعِلْمِ طَالِبٌ لِلْحَقِّ غَيْرُ مُتَعَصِّبٍ [2] لِرَأْيٍ مِنَ المَذَاهِبِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ مَثَلَ أَفْكَارِ النُّفُوسِ قَبْلَ أَنْ يَحْصُلَ فِيهَا عِلْمٌ مِنَ المَعْلُومِ وَاعْتِقَادٌ مِنَ الآرَاءِ كَمَثَلِ وَرَقٍ أَبْيَضَ نَقِيٍّ لَمْ يُكْتَبْ فِيهِ شَيْءٌ آخَرُ وَيَصْعُبُ حَكُّهُ وَمَحْوُهُ .

فَهَكَذَا حُكْمُ أَفْكَارِ النُّفُوسِ إِذَا سَبَقَ إِلَيْهَا عِلْمٌ مِنَ المَعْلُومِ وَاعْتِقَادٌ مِنَ الآرَاءِ أَوْ عَادَةٌ مِنَ العَادَاتِ تَمَكَّنَ فِيهَا حَقًّا كَانَ أَوْ بَاطِلًا وَيَصْعُبُ قَلْعُهَا وَمَحْوُهَا كَمَا قَالَ القَائِلُ : ـ

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الهَوَى
فَصَادَفَ قَلْبِي فَارِغًا فَتَمَكَّنَا

فَإِذَا كَانَ الأَمْرُ كَمَا وَصَفْتُ فَيَنْبَغِي لَكَ أَيُّهَا الأَخُ أَنْ لَا تَشْغَلَ بِإِصْلَاحِ المَشَايِخِ المَرَمَةِ الَّذِينَ اعْتَقَدُوا مِنَ الصِّبَا آرَاءً فَاسِدَةً وَعَادَاتٍ رَدِيئَةً وَأَخْلَاقًا وَحْشَةً فَإِنَّهُمْ يُتْعِبُونَكَ ثُمَّ لَا يَنْصَلِحُونَ ، وَإِنْ صَلُحُوا قَلِيلًا قَلِيلًا فَلَا يُفْلِحُونَ .

وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالشَّبَابِ السَّائِمِيِّ الصُّدُورِ ، الرَّاغِبِينَ فِي الآدَابِ المُبْتَدِئِينَ بِالنَّظَرِ فِي العُلُومِ المُرِيدِينَ طَرِيقَ الحَقِّ وَالدَّارَ الآخِرَةَ وَالمُؤْمِنِينَ بِيَوْمِ الحِسَابِ وَالمُسْتَعْمِلِينَ شَرَائِعَ الأَنْبِيَاءِ

عَلَيْهِمِ ٱلسَّلَامُ ٱلْبَاحِثِينَ عَنْ أَسْرَارِ كُتُبِهِمْ ٱلتَّارِكِينَ ٱلْهَوَى وَٱلْجَدَلَ [2] غَيْرَ مُتَعَصِّبِينَ عَلَى ٱلْمَذَاهِبِ .

وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى مَا بَعَثَ نَبِيًّا إِلَّا وَهُوَ شَابٌّ وَلَا أَعْطَى لِعَبْدٍ حِكْمَةً إِلَّا وَهُوَ شَابٌّ ، كَمَا ذَكَرَهُمْ وَمَدَحَهُمْ فَقَالَ عَزَّ ٱسْمُهُ ،

« إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى » [3] .

وَقَالَ تَعَالَى ، « إِنَّا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ » [4] .

وَقَالَ أَيْضًا عَزَّ وَجَلَّ ، « وَقَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ » [5] .

وَٱعْلَمْ أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ بَعَثَهُ ٱللَّهُ فَأَوَّلُ مَنْ كَذَّبَهُ مَشَايِخُ قَوْمِهِ ٱلْمُتَعَاطُونَ ٱلْفَلْسَفَةَ وَٱلنَّظَرَ وَٱلْجَدَلَ ، كَمَا وَصَفَهُمْ تَعَالَى فَقَالَ ، « وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ [6] » .

إِخْوَانُ ٱلصَّفَاءِ (ٱلرَّسَائِلُ)
ٱلرِّسَالَةُ ٱلرَّابِعَةُ مِنَ ٱلْعُلُومِ ٱلنَّامُوسِيَّةِ وَٱلشَّرْعِيَّةِ
ج 4 ـ ص 114

1 - شَرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ ،

1) ٱلْمُتَعَصِّبُ ، مِنْ تَعَصَّبَ ، ٱلْمُنْضَمُّ إِلَى ٱلرَّأْيِ ٱلْمُتَشَدِّدُ فِي ٱلدِّفَاعِ عَنْهُ .
2) ٱلْجَدَلُ ، طَرِيقَةٌ تَسْتَخْدِمُ ٱلْمَنْطِقَ فِي ٱلْمُحَاجَّةِ وَٱلنِّقَاشِ .
3) سُورَةُ ٱلْكَهْفِ ، ٱلْآيَةُ 13 .
4) سُورَةُ ٱلْأَنْبِيَاءِ ، ٱلْآيَةُ 60 .
5) سُورَةُ ٱلْكَهْفِ ، ٱلْآيَةُ 60 .
6) سُورَةُ ٱلزُّخْرُفِ ، ٱلْآيَةُ 57 و 58 .

2 - اَلأَسْئِلَـــةُ :

1 - مَا هِيَ اَلنَّظَرِيَّةُ اَلتَّرْبَوِيَّةُ اَلَّتِي يَبْنِي عَلَيْهَا إِخْوَانُ اَلصَّفَاء آرَاءَهُمْ فِي اَلتَّعَلُّمِ ؟

2 - مَا هُوَ مَوْقِفُهُمْ مِنَ اَلْمُسِنِّينَ ؟ وَهَلْ تَجِدُ لِمَوْقِفِهِمْ مُبَرِّرًا أَمْ هَلْ أَنَّ كُلَّ مُسِنٍّ لَا يَقْبَلُ اَلتَّطَوُّرَ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ اَلإِخْوَانُ فِي هَذِهِ اَلرِّسَالَةِ ؟

3 - مَا رَأْيُكَ فِي اَلأَمْثِلَةِ اَلَّتِي دَعَّمُوا بِهَا آرَاءَهُمْ ؟ وَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ نُفَسِّرَ طَرِيقَتَهُمْ فِي اَلتَّعْلِيلِ وَاَلاِحْتِجَاجِ ؟ .

تَنْقِيَةُ الشَّرِيعَةِ مِنَ الضَّلَالَاتِ.

وَاعْلَمْ أَيُّهَا الْأَخُ أَنَّا لَا نُعَادِي عِلْمًا مِنَ الْعُلُومِ وَلَا نَتَعَصَّبُ [1] عَلَى مَذْهَبٍ مِنَ الْمَذَاهِبِ وَلَا نَهْجُرُ كِتَابًا مِنْ كُتُبِ الْحُكَمَاءِ وَالْفَلَاسِفَةِ مِمَّا وَضَعُوهُ وَأَلَّفُوهُ فِي فُنُونِ الْعِلْمِ وَمَا اسْتَخْرَجُوهُ بِعُقُولِهِمْ وَتَفَحُّصِهِمْ مِنْ لَطِيفِ الْمَعَانِي.

وَأَمَّا مُعْتَمَدُنَا وَمُعَوَّلُنَا وَبِنَاءُ أَمْرِنَا فَعَلَى كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَمَا جَاءُوا بِهِ مِنَ التَّنْزِيلِ وَمَا أَلْقَتْ إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ مِنَ الْأَنْبَاءِ وَالْإِلْهَامِ وَالْوَحْيِ.

وَاعْلَمْ أَيُّهَا الْأَخُ أَيَّدَكَ اللَّهُ وَإِيَّانَا بِرُوحٍ مِنْهُ أَنَّ لَنَا كُتُبًا نَقْرَأُهَا مِمَّا شَاهَدَهَا النَّاسُ وَلَا يُحْسِنُونَ قِرَاءَتَهَا وَهِيَ صُورَةُ أَشْكَالِ الْمَوْجُودَاتِ بِمَا هِيَ عَلَيْهِ الْآنَ مِنْ تَرْكِيبِ الْأَفْلَاكِ وَأَقْسَامِ الْبُرُوجِ وَحَرَكَاتِ الْكَوَاكِبِ وَأُمَّهَاتِ الْأَرْكَانِ وَاخْتِلَافِ جَوَاهِرِ الْمَعَادِنِ وَفُنُونِ أَشْكَالِ النَّبَاتِ وَعَجَائِبِ هَيَاكِلِ الْحَيَوَانَاتِ وَلَنَا كِتَابٌ آخَرُ لَا يُشَارِكُنَا فِيهِ غَيْرُنَا وَلَا يَفْهَمُهُ سِوَانَا، وَهُوَ مَعْرِفَةُ جَوَاهِرِ النُّفُوسِ [2] وَمَرَاتِبِ مَقَامَاتِهَا [3] وَاسْتِيلَاءِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ وَافْتِتَانِ قُوَاهَا وَتَأْثِيرَاتِ أَفْعَالِهَا فِي الْأَجْسَامِ مِنَ الْأَفْلَاكِ وَالْكَوَاكِبِ وَالْأَرْكَانِ وَالْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَطَبَقَاتِ النَّاسِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْحُكَمَاءِ وَالْمُلُوكِ وَأَتْبَاعِهِمْ وَالسُّوقَةِ [4] وَأَغْوَانِهِمْ. فَإِنْ نَشِطَتْ أَيُّهَا الْأَخُ الْبَارُّ الرَّحِيمُ إِلَى قِرَاءَةِ هَذِهِ الْكُتُبِ، أَنْتَ وَإِخْوَانُكَ، لِتَعْلَمَ مَا فِيهَا وَتَفْهَمَ مَعَانِيَهَا وَتَعْرِفَ أَسْرَارَهَا، فَهَلُمَّ إِلَى حُضُورِ مَجْلِسِ إِخْوَانٍ لَكَ

فُضَلاءَ وَأَصْدِقاءَ لَكَ، كِرامٍ تَسْمَعُ أَقاوِيلَهُمْ وَتَرَى شَمائِلَهُمْ وَتَعْرِفُ سِيرَتَهُمْ، لَعَلَّكَ تَتَخَلَّقُ بِأَخْلاقِهِمْ وَتَتَهَذَّبُ بِآدابِهِمْ فَتَنْتَبِهَ نَفْسُكَ مِنْ نَوْمِ ٱلْغَفْلَةِ وَتَسْتَيْقِظَ مِنْ رَقْدَةِ ٱلْجَهالَةِ وَيَنْشَرِحَ صَدْرُكَ وَيَصْفُوَ ذِهْنُكَ وَتُفْتَحَ عَيْنُ ٱلْبَصِيرَةِ مِنْ قَلْبِكَ، فَتَرَى مَا قَدْ أَبْصَرُوهُ بِعُيُونِ قُلُوبِهِمْ، وَتُشاهِدُ مَا قَدْ عايَنُوهُ بِصَفاءِ جَواهِرِ نُفُوسِهِمْ، وَتَنْظُرُ إِلَى مَا نَظَرُوا إِلَيْهِ بِنُورِ عُقُولِهِمْ، وَتَفْهَمُ مَعانِيَ هَذِهِ ٱلْكُتُبِ ٱلأَرْبَعَةِ كَمَا فَهِمُوهَا، وَتُؤَيِّدُ بِرُوحِ ٱلْحَياةِ، وَتَعِيشُ عَيْشَ ٱلْعُلَماءِ، وَتَحْيَا حَياةَ ٱلشُّهَداءِ، وَتَوَفَّقُ لِلصُّعُودِ إِلَى مَلَكُوتِ ٱلسَّماءِ، وَتَنْظُرُ إِلَى ٱلْمَلإِ ٱلأَعْلَى، « وَتَرَى ٱلْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ » [5]

إِخْوانُ ٱلصَّفاءِ
(ٱلرِّسالَةُ ٱلْجامِعَةُ مِنَ ٱلْعُلُومِ ٱلنَّامُوسِيَّةِ وَٱلشَّرْعِيَّةِ) ج 4 ـ ص ، 216 / 221)

1 - شَـــرْحُ ٱلْمُفْـــرَدَاتِ :

1) يَتَعَصَّبُ ، ٱنْضَمَّ إِلَى ٱلرَّأْيِ وَتَشَدَّدَ فِي ٱلدِّفَاعِ عَنْهُ .
2) جَوْهَرُ ٱلْمَعَادِنِ ، جَوْهَرُ ٱلشَّيْءِ أَصْلُهُ وَعُنْصُرُهُ ٱلأَوَّلُ .
3) مَقَامَاتُ ، م. مَقَامٌ وَمَقَامَةٌ ، ٱلْمَرْتَبَةُ وَٱلْمَنْزِلَةُ .
4) ٱلتُّوقَـــةُ ، م. سُوقِيٌّ ـ ٱلْعَامِيُّ مِنَ ٱلْقَوْمِ .
5) ٱلسُّـــورَةُ ، ٱلزُّمَرُ ـ ٱلآيَةُ 75 .

2 - اَلْأَسْئِلَـــةُ :

1 - مَا هُو اَلْمَنْهَجُ اَلَّذِي تَوَخَّاهُ إِخْوَانُ اَلصَّفَاء تُجَاهَ اَلْمَوَاقِفِ وَاَلْمَذَاهِبِ اَلْأُخْرَى ؟
بِمَ تُفَسِّرُ هَذَا اَلتَّفَتُّحَ اَلْفِكْرِيَّ ؟

2 - مَا هِيَ طَرِيقَةُ إِخْوَانِ اَلصَّفَاء فِي تَنْقِيَةِ اَلنَّفْسِ وَتَهْذِيبِ اَلسُّلُوكِ ؟

3 - مَا هِيَ اَلْغَايَاتُ اَلَّتِي يَهْدِفُونَ إِلَيْهَا بِهَذَا اَلنَّوعِ مِنَ اَلتَّرْبِيَةِ ؟

سِيَاسَةُ ٱلأَصْحَابِ.

اِعْلَمْ أَيُّهَا ٱلأَخُ أَنَّ سِيَاسَةَ ٱلأَصْحَابِ لاَتَكُونُ إِلاَّ بَعْدَ ٱلْمَعْرِفَةِ بِهِمْ وَٱلاَّطِّلاَعِ عَلَيْهِمْ وَمَعْرِفَةِ أَحْوَالِهِمْ أَنْ لاَيَخْفَى عَلَيْكَ مِنْ أَمْرِهِمْ صَغِيرَةٌ وَلاَ كَبِيرَةٌ لِتَسُوسَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ٱلسِّيَاسَةَ ٱلَّتِي تَلِيقُ بِهِ دُنْيَا وَدِينًا .

وَٱعْلَمْ أَنَّكَ مَتَى كُنْتَ جَاهِلاً بِمَعْرِفَتِهِمْ لَمْ تَتِمَّ لَكَ سِيَاسَتُهُمْ وَلَمْ تَبْلُغْ رِضَاءَهُمْ وَلاَ يَكُونُوا لَكَ أَصْحَابًا ، أَوَ مَا عَلِمْتَ أَنَّ صَاحِبَ ٱلنَّامُوسِ [1] لاَ يُصَاحِبُ إِلاَّ مَنْ عَرَفَهُمْ وَخَبَرَهُمْ فَاطَّلَعَ عَلَيْهِمْ اطِّلاَعَ ٱلإِحَاطَةِ بِهِمْ ؟ وَٱحْرِصْ أَنْ تُبَاعِدَ بَيْنَ مَعْرِفَتِهِمْ بِكَ وَبَيْنَهُمْ لِئَلاَّ يَطَّلِعُوا عَلَيْكَ كَمَا اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ فَيَأْتُوكَ مِنْ حَيْثُ أَمِنْتَ . لأَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مَنْ صَاحَبَكَ يَحِقُّ لَكَ أَنْ تَثِقَ بِهِ وَلاَ تَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ لأَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ يَصْحَبُ ٱلأَنْبِيَاءَ إِنَّمَا تَكُونُ صُحْبَتُهُمْ لَهُمْ لِوُقُوعِ ٱلْحِيلَةِ بِهِمْ ، وَمُرَادُهُمْ مِنْهُمْ ٱلاَّطِّلاَعُ عَلَى أَسْرَارِهِمْ لِيَكْشِفُوهَا وَيُظْهِرُوهَا لِمَنْ لاَ يَعْرِفُهَا وَهُمْ ٱلْمُنَافِقُونَ .

فَيَجِبُ أَنْ تُظْهِرَ لَهُمْ ٱلْقُرْبَ بِٱلْبُعْدِ ، وَٱللِّينَ بِٱلْغِلْظَةِ وَٱلأُنْسَ بِٱلْوَحْشَةِ ، وَٱلْكَرَمَ بِٱلشُّحِّ ، وَٱلاَنْبِسَاطَ بِٱلاَنْقِبَاضِ ، وَٱلرُّحْمَةَ بِٱلسُّخْطِ ، وَٱلْوَعْدَ عَلَى ٱلْجَمِيلِ ،وَٱلْوَعِيدَ عَلَى ٱلذَّنْبِ ، وَقَبُولَ ٱلتَّوْبَةِ بِٱللِّينِ ، وَٱلْمَوْعِظَةَ بِإِلْقَاءِ ٱلْعِلْمِ إِلَيْهِمْ بِمِقْدَارِ مَا يَحْتَمِلُونَهُ وَبِحَسَبِ مَا يَسْتَوْجِبُونَهُ . وَلاَ يَكُونُ ٱعْتِقَادُ أَهْلِكَ

وَذُرِّيَّتِكَ وَأَزْوَاجِكَ وَبَنِيكَ مُخَالِفًا لِمَا يَظْهَرُ مِنْ اعْتِقَادِكَ لأَصْحَابِكَ وَإِخْوَانِكَ . فَمَتَى لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلاَ أَهْلَ لَكَ وَلاَ أَصْحَابَ وَلاَ دِينَ وَلاَ دُنْيَا وَلاَ عِلْمَ وَلاَ عَمَلَ ! !

وَكَيْفَ يَجُوزُ لِلْعَاقِلِ الْعَالِمِ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَهْلٌ يَتَدَيَّنُونَ بِدِينٍ وَيَذْهَبُونَ إِلَى مَذْهَبٍ هُوَ يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِخِلاَفِهِ . بَلِ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ أَهْلُهُ وَأَصْحَابُه بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ عِنْدَهُ فِي التَّعْلِيمِ وَلاَ يَخُصُّ أَصْحَابَ النَّسَبِ الْجَسَدَانِي بِمَا لاَ يُبْدِيهِ لأَهْلِ النَّسَبِ الرُّوحَانِيِّ . بَلْ يَجْمَعُهُمْ مَعًا فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ وَيُلَقِّنُهُمُ التَّعَالِيمَ وَالْمَعَارِفَ وَالْعِبَادَاتِ وَالْفَرَائِضَ ؛ فَيَأْخُذُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِحَسَبِ قُوَّتِهِ وَاسْتِطَاعَتِهِ . فَإِنَّ عَدَلَ وَاحِدٌ مِنْ أَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ إِلَى الضِّدِّ مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ وَخَالَفَهُ بَعُدَ تَبْرِئَةٍ مِنْهُ وَأَخْرَجَهُ مِنْ جُمْلَتِهِ كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَمِّهِ أَبِي لَهَبٍ وَقَالَ : « يَا بَنِي هَاشِمٍ لاَ يَأْتِينِي النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَعْمَالِهِمْ وَتَأْتُونِي بِأَنْسَابِكُمْ فَإِنِّي لاَ أُغْنِيَ عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِلاَّ بِعَمَلٍ صَالِحٍ » وَكَمَا قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، « وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ » [3] » وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى ، « لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ [4] » ، وَيَكُونُ يُرَاعِي أَهْلَ الذَّكَاءِ وَالْفِطْنَةِ وَمَنْ يَقْصُدُ الأَغْرَاضَ الَّتِي يُرِيدُهَا بِكَلاَمِهِ وَيَرْمِي بِهَا فِي إِشَارَتِهِ وَمَخَبَّآتِ جَوَاهِرِهِ فِي

تَقَاطِيعَ أَمْثَالِهِ وَنَوَادِرِهِ ، فَإِذَا عَرَفَهُمْ مَيَّزَهُمْ بِنَظَرِهِ وَأَلْقَى الْقَوْلَ إِلَيْهِمْ فِي الْاعْتِمَادِ عَلَيْهِمْ فِي تَهْذِيبِ مَنْ دُونَهُمْ حَتَّى يُوصِلُوهُمْ إِلَى مِثْلِ مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ .

فَإِذَا أُحْكِمَتْ هَذِهِ السِّيَاسَةُ فِي الْأَصْحَابِ وَالْأَهْلِ ، وَالْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ وَالْأَبْعَدِ فَالْأَبْعَدِ ، فَأَحْكِمْ أَمْرَ الْعِبَادَةِ وَالْقَرَابِينَ الْمُقَرِّبَةِ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَالْأَعْمَالَ الْمُزْدَلِفَةَ لَدَيْهِ .

إِخْوَانُ الصَّفَاءِ
الرِّسَالَةُ التَّاسِعَةُ مِنَ الْعُلُومِ النَّامُوسِيَّةِ
وَالشَّرْعِيَّةِ. ج 4 ص ، 229 ـ 300

1 - شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ ،

1) صَاحِبُ النَّامُوسِ ، صَاحِبُ السِّرِ عِنْدَ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ .
2) أَحْكَمَ الشَّيْءَ ، أَتْقَنَهُ ـ وَأَدَاهُ فِي أَكْمَلِ صُورَةٍ
3) سُورَةُ التَّوْبَةِ ، الْآيَةُ 114.
4) سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ ، الْآيَةُ 22 .

2 - الْأَسْئِلَةُ ،

1 - هَلْ يُمْكِنُ أَنْ تُحَدِّدَ بَعْضَ الصِّفَاتِ الْخُلُقِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ عِنْدَ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ الَّتِي ضَبَطُوا فِيهَا دُسْتُورَ الْأَصْحَابِ وَذَوِي الْقُرْبَى ؟
2 - لِمَاذَا يُفَرِّقُ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ بَيْنَ الْأَصْحَابِ مِنْ ذَوِي النَّسَبِ الْجَسَدَانِيِّ وَالْأَصْحَابِ مِنْ ذَوِي النَّسَبِ الرُّوحَانِي .
3 - مَا هِيَ الْوَسَائِلُ الْأُسْلُوبِيَّةُ وَالْفِكْرِيَّةُ الَّتِي يَلْجَأُ إِلَيْهَا إِخْوَانُ الصَّفَاءِ لِتَدْعِيمِ آرَائِهِمْ وَتَوْضِيحِ مَقَاصِدِهِمْ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ ؟
4 - إِنَّ سِيَاسَةَ الْأَصْحَابِ وَعِشْرَتَهُمْ كَانَتْ مِنْ مَشَاغِلِ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ فِي رَسَائِلِهِمْ فَمَا الْغَايَةُ عِنْدَهُمْ مِنْ تَوْضِيحِ الْعَلَاقَاتِ وَتَدْقِيقِ الْمَرَاتِبِ بَيْنَ النَّاسِ ؟

إخوان الصفاء.

وَقَدْ أَقَامَ (زَيْدُ بْنُ رِفَاعَةَ) بِالْبَصْرَةِ زَمَانًا طويلًا ، وَصَادَفَ بِهَا جَمَاعَةً جَامِعَةً لِأَصْنَافِ الْعِلْمِ وَأَنْوَاعِ الصِّنَاعَةِ ، مِنْهُمْ أَبُو سُلَيْمَانَ مُحَمَّدُ بْنُ مَعْشَرٍ الْبِسْتِيُّ وَيُعْرَفُ بِالْمَقْدِسِيِّ ، وَأَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ هَارُونَ الزَّنْجَانِيُّ ، وَأَبُو أَحْمَدَ الْمَهْرَجَانِيُّ وَالْعَوْنِيُّ وَغَيْرُهُمْ ، فَصَحِبَهُمْ وَخَدَمَهُمْ ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ قَدْ تَآلَفَتْ بِالْعِشْرَةِ،وَتَصَافَتْ بِالصَّدَاقَةِ ، وَاجْتَمَعَتْ عَلَى الْقُدْسِ وَالطَّهَارَةِ وَالنَّصِيحَةِ،فَوَضَعُوا بَيْنَهُمْ مَذْهَبًا زَعَمُوا أَنَّهُمْ قَرَّبُوا بِهِ الطَّرِيقَ إِلَى الْفَوْزِ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَالْمَصِيرِ إِلَى جَنَّتِهِ،وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا ، الشَّرِيعَةُ قَدْ دُنِّسَتْ بِالْجَهَالَاتِ وَاخْتَلَطَتْ بِالضَّلَالَاتِ وَلَا سَبِيلَ إِلَى غَسْلِهَا وَتَطْهِيرِهَا إِلَّا بِالْفَلْسَفَةِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهَا حَاوِيَةٌ لِلْحِكْمَةِ الْاعْتِقَادِيَّةِ وَالْمَصْلَحَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ .

وَزَعَمُوا أَنَّهُ مَتَى انْتَظَمَتِ الْفَلْسَفَةُ الْيُونَانِيَّةُ وَالشَّرِيعَةُ الْعَرَبِيَّةُ فَقَدْ حَصَلَ الْكَمَالُ وَصَنَّفُوا خَمْسِينَ رِسَالَةً فِي جَمِيعِ أَجْزَاءِ الْفَلْسَفَةِ عِلْمِيِّهَا وَعَمَلِيِّهَا ، وَأَفْرَدُوا لَهَا فِهْرِسْتًا وَسَمَّوْهَا رَسَائِلَ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ وَخِلَّانِ الْوَفَاءِ ، وَكَتَمُوا أَسْمَاءَهُمْ وَبَثُّوهَا فِي الْوَرَّاقِينَ وَلَقَّنُوهَا لِلنَّاسِ وَادَّعَوْا أَنَّهُمْ مَا فَعَلُوا ذَلِكَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَطَلَبَ رِضْوَانِهِ لِيُخَلِّصُوا النَّاسَ مِنَ الْآرَاءِ الْفَاسِدَةِ الَّتِي تَضُرُّ النُّفُوسَ ، وَالْعَقَائِدِ الْخَبِيثَةِ الَّتِي تَضُرُّ أَصْحَابَهَا، وَالْأَفْعَالِ الْمَذْمُومَةِ الَّتِي يَشْقَى بِهَا أَهْلُهَا.وَحَشَوْا هَذِهِ الرَّسَائِلَ

بِٱلْكَلِمِ ٱلدِّينِيَّةِ وَٱلْأَمْثَالِ ٱلشَّرْعِيَّةِ وَٱلْحُرُوفِ ٱلْمُخْتَمَلَةِ وَٱلطُّرُقِ ٱلْمُوهِمَةِ . فَقَالَ*: هَلْ رَأَيْتَ هٰذِهِ ٱلرَّسَائِلَ ؟ قُلْتُ ، قَدْ رَأَيْتُ جُمْلَةً مِنْهَا ، وَهِيَ مَبْثُوثَةٌ مِنْ كُلِّ فَنٍّ نُتَفَابِلَا إِشْبَاعٍ وَلَا كِفَايَةٍ.وَفِيهَا خُرَافَاتٌ وَكِنَايَاتٌ وَتَلْفِيقَاتٌ وَتَلْزِيقَاتٌ ، وَقَدْ غَرِقَ ٱلصَّوَابُ فِيهَا لِغَلَبَةِ ٱلْخَطَإِ عَلَيْهَا .

أَبُو حَيَّانَ ٱلتَّوْحِيدِيُّ
ٱلْإِمْتَاعُ وَٱلْمُؤَانَسَةُ
اللَّيلة 17 ـ 2 / 4 ـ 6

1 - تراجم الاعلام :

- إِخْوَانُ ٱلصَّفَاءِ ، ٱنْظُرِ ٱلتَّعْرِيفَ بِهِمْ فِي ٱلْقِسْمِ ٱلْخَاصِّ بِإِخْوَانِ ٱلصَّفَاءِ .
- ٱلْبِسْتِيُّ ، نِسْبَةً إِلَى بِسْتَى مِنْ قُرَى ٱلرَّيِّ بِفَارِسَ .
- ٱلْمَهْرَجَانِيُّ ، نِسْبَةً إِلَى مَهْرَجَانَ مِن قُرَى إِسْفَرَايِينَ بِفَارِس .

* فَقَالَ ، هَلْ رَأَيْتَ ... ٱلْمُتَحَدِّثُ هُوَ ٱلْوَزِيرُ ٱبْنُ سَعْدَانَ .

2 - الأسئلـــــة :

1 - مَا هِيَ غَايَةُ إِخْوَانِ ٱلصَّفَاءِ مِنْ تَكْوِينِ مَذْهَبِهِمْ ؟
2 - مَا هِيَ ٱلْخَاصِّيَاتُ ٱلْمُمَيِّزَةُ لِمَذْهَبِهِمْ ٱلْفِكْرِيِّ ؟
3 - حَدِّدْ مَوْقِفَ ٱلتَّوْحِيدِيِّ مِنْ مَذْهَبِ إِخْوَانِ ٱلصَّفَاءِ . وَبَيِّنْ لِمَاذَا وَقَفَ ذٰلِكَ ٱلْمَوْقِفَ .

أبو العلاء المعري

أبـو العـلاء المَعـرّيّ

363 هـ / 973 م

449 هـ / 1057 م

حياةُ أبي العلاءِ :

1 - فَتْرَةُ النَّشأةِ والتَّكْوينِ = 363 هـ / 973 م ـ 398 هـ / 1007 م ،

وُلِدَ أبو العَلاء في رَبيعِ الأوّلِ سَنَةَ 363 هـ في مَعَرَّةِ النُّعمانِ ، قَرْيَةٍ صَغيرةٍ تَقَعُ جَنوبَ غَرْبيِّ حَلَبَ الشَّهْباءِ عَلَى مَسافَةِ 48 مِيلاً مِنْها .

وَهُوَ مِن سُلالَةٍ عَرَبيَّةٍ خالِصةٍ ،إذْ يَنْتَمي إلَى نَسَبٍ قُضاعِيٍّ مِنْ جِهَةِ أبيهِ وَيَعيشُ في أُسْرَةٍ جاهٍ وَنَباهَةٍ فَقَدْ اشْتَغَلَ جَدُّهُ وَعَمُّهُ وَأبُوهُ وَإخْوَتُهُ بِسِلْكِ القَضاءِ ـ وَمِنْ جِهَةِ أمِّهِ فَقَدْ كانَ نَسَبُهُ عَريقًا أيْضًا إذْ أنَّها تَنْتَمي إلَى أُسْرَةِ آلِ سَبيكَةَ الَّتي تَمْتازُ بِحَظِّها الوافِرِ من الثَّقافَةِ والعِلْمِ وَهِيَ عائِلَةٌ حَضَرِيَّةٌ ثَرِيَّةٌ .وَذلِكَ كُلُّهُ نَسْتَخْلِصُهُ مِنْ رَسائِلِ أبي العَلاء إلَى أخْوالِهِ .

سُمِّيَ المَعَرِّي عِنْدَ وِلادَتِهِ بِأحْمَدَ وَكَنّاهُ أبُوهُ بِأبي العَلاء ـ وَعِنْدَما كَبُرَ الطِّفْلُ وَشَبَّ سَخِطَ عَلَى الاسْمِ وَالكُنْيَةِ .

أُصيبَ في الرّابِعَةِ مِنْ عُمُرِهِ بِمَرَضِ الجُدَرِي الَّذي أفْقَدَهُ بَصَرَهُ سَنَةَ 367 هـ / 977 م . حَفِظَ القُرْآنَ وَتَعَلَّمَ الفِقْهَ عَنْ أبيهِ خاصَّةً. وَظَهَرَ عَلَيْهِ النُّبوغُ المُبَكِّرُ فَقالَ الشِّعْرَ وَهُوَ في الحادِيَةِ عَشْرَةَ من عُمُرِهِ ـ ثُمَّ ارْتَحَلَ أوَّلًا إلَى حَلَبٍ وَأخَذَ عَنْ عُلَمائِها،أصْحابِ ابْنِ خالَوَيْهِ (تُوُفِّيَ سَنَةَ 370 هـ / 980 م) خاصَّةً.وَانْتَقَلَ إلَى أنْطاكِيَةَ وَهِيَ عِنْدَ الرُّومِ آنَذاكَ ثُمَّ سافَرَ إلَى طَرابُلُسَ الشّامِ وَبَقِيَ في اللّاذِقِيَّةِ مُدَّةً وَبِها

زَارَ دَيْرَ ٱلْفَارُوسَ حَيْثُ لَقِيَ ٱلرُّهْبَانَ وَتَحَاوَرَ مَعَهُمْ فِي ٱلْفَلْسَفَةِ وَٱلْمَذَاهِبِ وَٱلدِّيَانَاتِ ، وَلَعَلَّ هَذِهِ ٱلْإِقَامَةَ بِٱللَّاذِقِيَّةِ سَيَكُونُ لَهَا أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي طَبْعِ نَفْسِ ٱلْمَعَرِّي بِطَابَعِ ٱلشَّكِّ وَٱلْحَيْرَةِ ، وَقَدْ صَوَّرَ ذَلِكَ فِي أَشْعَارِهِ .

وَفِي سِنِّ ٱلْخَامِسَةِ عَشْرَةَ تُوُفِّيَ أَبُوهُ .وَفِي ٱلْعِشْرِينَ يَقُولُ أَبُو ٱلْعَلَاءِ إِنَّهُ قَدْ أَنْهَى تَعَلُّمَهُ وَلَمْ يَعُدْ فِي حَاجَةٍ لِأَحَدٍ ، فَرَجَعَ إِلَى مَعَرَّةِ ٱلنُّعْمَانِ سَنَةَ 383 هـ / 993 م ، حَيْثُ أَقَامَ بِهَا مُدَّةَ خَمْسَةَ عَشَرَ عَامًا يُجَالِسُ الظُّرَفَاءَ وَيُكَاتِبُ ٱلْأَصْدِقَاءَ وَيَمْدَحُ ٱلْبَعْضَ .

2 - فَتْرَةُ ٱلْبَحْثِ عَنْ ٱلشُّهْرَةِ وَٱلثَّرَاءِ = 398 هـ / 1007 م / 400 هـ / 1009 م ، فِي سِنِّ ٱلْخَامِسَةِ وَٱلثَّلَاثِينَ شَاءَ أَبُو ٱلْعَلَاءِ ٱلسَّفَرَ إِلَى بَغْدَادَ حَاضِرَةِ ٱلدَّوْلَةِ .وَهِيَ لَئِنْ تَضَاءَلَ إِشْعَاعُهَا ٱلسِّيَاسِيُّ بِسَبَبِ ضَعْفِ ٱلْخِلَافَةِ ، فَإِنَّهَا مَازَالَتْ مُزْدَهِرَةً مِنَ ٱلنَّاحِيَةِ ٱلْأَدَبِيَّةِ وَٱلْفِكْرِيَّةِ - فَهِيَ تَزْخَرُ بِٱلْمَكْتَبَاتِ ٱلضَّخْمَةِ وَٱلْمَجَامِعِ ٱلْعِلْمِيَّةِ وَٱلْمَجَالِسِ ٱلْأَدَبِيَّةِ وَٱلْفَلْسَفِيَّةِ وَٱلدِّينِيَّةِ .

وَفِي بَغْدَادَ وَجَدَ شَاعِرُنَا ٱلْقَبُولَ ٱلْحَسَنَ = فَتَرَدَّدَ عَلَى ٱلْمَكْتَبَاتِ وَمَجَالِسِ ٱلْأُدَبَاءِ وَٱلْمُفَكِّرِينَ كَمَجَالِسِ إِخْوَانِ ٱلصَّفَاءِ - لَكِنَّ ٱلْحَيَاةَ فِي بَغْدَادَ وَإِنْ أَرْضَتْهُ مِنَ ٱلْوِجْهَةِ ٱلْفِكْرِيَّةِ فَهِيَ لَمْ تُرْضِهِ مِنَ ٱلْوِجْهَةِ ٱلْمَالِيَّةِ ٱلْمَادِيَّةِ - إِذْ أَنَّهُ لَمْ يَكْسِبْ فِيهَا شَيْئًا يُذْكَرُ ، فَأَوْصَدَ بَابَ ٱلْأَرْتِزَاقِ عَلَى نَفْسِهِ ،يُضَافُ إِلَى ذَلِكَ مَا وَجَدَهُ مِنْ إِهَانَاتٍ أَحْيَانًا كَتِلْكَ ٱلَّتِي لَقِيَهَا فِي مَجْلِسِ ٱلشَّرِيفِ ٱلْمُرْتَضَى (تُوُفِّيَ سَنَةَ 436 هـ / 1044 م) بِسَبَبِ نِقْمَةِ ٱلْحَاسِدِينَ وَحِقْدِ ٱلْكَائِدِينَ .

وَهٰكَذَا فَكَّرَ أَبُو ٱلْعَلَاءِ فِي تَرْكِ بَغْدَادَ وَٱلرُّجُوعِ إِلَى مَسْقِطِ رَأْسِهِ بَعْدَ إِقَامَةٍ فَاشِلَةٍ دَامَتْ سَنَتَيْنِ وَخَاصَّةً بَعْدَ أَنْ بَلَغَهُ نَبَأُ مَرَضِ أُمِّهِ سَنَةَ 400 هـ / 1009 م .

وَقَدْ بَلَغَهُ نَعْيُ أُمِّهِ وَهُوَ فِي طَرِيقِ ٱلْعَوْدَةِ فَأَرْسَلَ إِلَى خَالِهِ أَبِي ٱلْقَاسِمِ عَلِيِّ بْنِ سَبِيكَةَ رِسَالَةً فِيهَا مِنَ ٱلتَّعْبِيرِ عَنِ ٱلْخَيْبَةِ وَٱلْمَرَارَةِ ٱلشَّيْءُ ٱلْكَثِيرُ .

3 - فَتْرَةُ ٱلْعُزْلَةِ = 400 هـ./ 1009 م. - 449 هـ./ 1057 م ،

هٰذِهِ ٱلْعُزْلَةُ وَصَفَهَا ٱلْمَعَرِّي لِأَهْلِ قَرْيَتِهِ فِي رِسَالَةٍ وَجَّهَهَا إِلَيْهِمْ فَقَدْ ٱعْتَكَفَ فِي بَيْتِهِ بِمَعَرَّةِ ٱلنُّعْمَانِ مَا يَزِيدُ عَلَى نِصْفِ قَرْنٍ قَضَاهُ فِي نُسْكٍ وَعِبَادَةٍ وَلَمْ يَبْرَحْ دَارَهُ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً حِينَ سَعَى فِي سِفَارَةٍ عَنْ أَهْلِ قَرْيَتِهِ إِلَى صَالِحِ بْنِ مِرْدَاسٍ عِنْدَ مُحَاصَرَتِهِ لَهَا - وَقَدْ أَطْلَقَ عَلَى نَفْسِهِ « رَهِينَ ٱلْمَحْبَسَيْنِ » ثُمَّ أَضَافَ مَحْبِسًا ثَالِثًا .

وَقَدْ بَقِيَ أَبُو ٱلْعَلَاءِ فِي هٰذِهِ ٱلسُّجُونِ حَتَّى وَافَاهُ ٱلْأَجَلُ ٱلْمَحْتُومُ فِي ٱلثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَبِيعٍ ٱلْأَوَّلِ سَنَةَ 449 هـ / 1057 م. بَعْدَ مَرَضٍ لَمْ يُمْهِلْهُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ .

أَهَمُّ مُؤَلَّفَاتِ ٱلْمَعَرِّيِّ :

- سَقْطُ ٱلزَّنْدِ = وَهُوَ دِيوَانٌ شِعْرِيٌّ جَمَعَ فِيهِ أَبُو ٱلْعَلَاءِ أَشْعَارَ ٱلصِّبَا وَٱلشَّبَابِ .

- اَلدَّرْعِيَات = دِيوانٌ جَمَعَ فِيهِ ثَلاثِينَ دُرْعِيَّةً وَهِيَ كُلُّهَا فِي وَصْفِ الدُّرُوعِ .
- اللُّزُومِيَّاتُ = هُوَ دِيوَانٌ شِعْرِيٌّ اَلْتَزَمَ فِيهِ اَلشَّاعِرُ قُيُودًا لُغَوِيَّةً وَفَنِّيَّةً شِعْرِيَّةً لَمْ يَلْتَزِمْهَا شَاعِرٌ قَبْلَهُ .
- رِسَالَةُ اَلْغُفْرَانِ = وَهِيَ جَوَابٌ عَلَى رِسَالَةِ اَبْنِ اَلْقَارِحِ إِلَى اَلْمَعَرِّي حَوْلَ مُشْكِلَةِ اَلْغُفْرَانِ .
- اَلْفُصُولُ وَالْغَايَاتُ = نَجِدُ فِيهِ نَثْرًا مَا نَجِدُهُ شِعْرًا فِي اَللُّزُومِيَّاتِ .
- رِسَالَةُ اَلْمَلَائِكَةِ = وَهِيَ رِسَالَةٌ وَجِيزَةٌ جِدًّا تَكْشِفُ اَلْغِطَاءَ عَنْ وَجْهِ اَلْمَعَرِّي اَللُّغَوِيِّ .

الفزوميات

اَلأُمَّ اَلخَسِيسَةْ

اَلبَحْرُ اَلبَسِيطُ

1 - يَأتِي عَلَى اَلْخَلْقِ إصْبَاحٌ وَإمْسَاءُ
وَكُلُّنَا لِصُرُوفِ اَلدَّهْرِ نَسَّاءُ [1]

2 - فَكَمْ مَضَى هَجَرِيٌّ [2] أَوْ مُشَاكِلُهُ
مِنَ اَلمَقَاوِلِ [3] سَرُّوا اَلنَّاسَ أَمْ سَاؤُوا

3 - تَثْوِي [4] اَلمُلُوكُ وَمِصْرٌ فِي تَغَيُّرِهِمْ
مِصرٌ عَلَى اَلعَهْدِ ، وَاَلأَحْسَاءُ أَحْسَاءُ [5]

4 - خَسِئْتِ [6] يَا أُمَّنَا الدُّنْيَا ، فَأُفٌّ لَنَا
بَنُو اَلخَسِيسَةِ أَوْبَاشٌ [7] أَخِسَّاءُ

5 - وَقَدْ نَطَقْتِ بِأَصْنَافِ اَلعِظَاتِ لَنَا
وَأَنْتِ فِيمَا يَظُنُّ اَلقَوْمُ خَرْسَاءُ

6 - وَمَنْ لِصَخْرِ بْنِ عِمْرٍو [7] أَنَّ جُثَّتَهُ
صَخْرٌ ، وَخَنْسَاءُ ، فِي اَلسِّرْبِ خَنْسَاءُ [8]

7 - يَمُوجُ بَحْرُكِ ، وَاَلأَهْوَاءُ غَالِبَةٌ
لِبَرَاكِبِيهِ ، فَهَلْ لِلسُّفْنِ إرْسَاءُ

8 - إذَا تَعَطَّفْتِ يَوْمًا ، كُنْتِ قَاسِيَةً
وَإنْ نَظَرْتِ بِعَيْنٍ فَهِيَ شَوْسَاءُ [9]

9 - إِنْسٌ عَلَى ٱلْأَرْضِ تُدْمِي هَامَهَا إِحَنٌ [10]

مِنْهَا إِذَا دَمِيَتْ لِلوَحْشِ أَنْسَاءُ [11]

10 - فَلَا تَغُرَّنْكَ شُمٌّ مِنْ جِبَالِهِمُ

وَعِزَّةٌ ، فِي زَمَانِ ٱلْمُلْكِ ، قَعْسَاءُ [12].

11 - نَالُوا قَلِيلًا مِنَ ٱللَّذَّاتِ وَٱرْتَحَلُوا

بِرَغْمِهِمْ فَإِذَا ٱلنُّعْمَاءُ بَأْسَاءُ

أَبُو ٱلْعَلَاءِ ٱلْمَعَرِّيُّ

ٱللُّزُومِيَّاتُ ـ ٱلْمُجَلَّدُ ٱلْأَوَّلُ طَبْعَةُ دَارِ صَادِرٍ .

بَيْرُوتُ . 1961 . ص 47

1 - شَرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ :

1) ٱلنَّسَّاءُ ، وَكَذَلِكَ ٱلنَّسِيُّ وَٱلنَّسْيَانُ وَهُوَ ٱلْكَثِيرُ ٱلنِّسْيَانِ .

2) ٱلْهَجَرِيُّ ، نِسْبَةً إِلَى هَجَرٍ وَهِيَ بَلْدَةٌ فِي ٱلْبَحْرَيْنِ .

3) ٱلْمَقَاوِلُ ، وُهُمْ مُلُوكُ ٱلْيَمَنِ م. قِيلٌ

4) تَثْوِي ، ثَوَى يَثْوِي ثَوًى ٱلْمَالَ بِمَعْنَى هَلَكَ فَهُوَ ثَوٍ وَثَاوٍ.

4) ٱلْأَحْسَاءُ ، بَلَدٌ فِي ٱلْبَحْرَيْنِ .

5) خَسِئَتِ ، خَسْ خَسَاسَةً وَخِسَّةً أَيْ رَذُلَ.وَٱلْخَسِيسُ هُوَ ٱلدَّنِيءُ ٱلْمُحْتَقَرُ .

7) ٱلْأَوْبَاشُ ، هُمْ ٱلسَّفَلَةُ مِنَ ٱلنَّاسِ فَوَبْشُ ٱلْكَلَامِ أَيْ رَدِيئُهُ.

8) خَنْسَاءُ ، صِفَةٌ لِلْبَقَرَةِ ٱلْوَحْشِيَّةِ ـ وَتُشَبَّهُ بِهَا ٱلْمَرْأَةُ ٱلْجَمِيلَةُ.

9) ٱلشَّوْسَاءُ ، مُؤَنَّثُ ٱلْأَشْوَسِ وَهُوَ ٱلرَّافِعُ رَأْسَهُ تِيهًا وَتَكَبُّرًا .

10) ٱلْإِحَنُ ، مُفْرَدُهَا إِحْنَةٌ وَهِيَ ٱلْبَغْضَاءُ وَٱلْحِقْدُ .

11) أَنْسَاءُ ، ج نَسًا وَهُوَ عِرْقٌ مِنَ ٱلْوَرِكِ إِلَى ٱلْكَعْبِ .

12) قَعْسَاءُ ، مُؤَنَّثُ أَقْعَسَ أَيْ ثَابِتٌ مَتِينٌ ، فَٱلْعِزُّ ٱلْأَقْعَسُ هُوَ ٱلثَّابِتُ ٱلْمَنِيعُ .

2 - تَرَاجِمُ الأَعْلَامِ :

* صَخْرُ بْنُ عَمْرٍو = هُوَ أَخُ الشَّاعِرَةِ الشَّهِيرَةِ الخَنْسَاءِ.

الأَسْئِلَةُ :

1 - تَكْسُو هَذِهِ الأَبْيَاتَ مَسْحَةٌ مِنَ التَّشَاؤُمِ وَسُوءِ الظَّنِّ بِالدُّنْيَا - فَمَا الَّذِي يَعِيبُهُ الشَّاعِرُ عَلَى هَذِهِ الدُّنْيَا وَيُؤَاخِذُهَا عَلَيْهِ ؟

2 - حَلِّلِ المَعْنَى مَأْسَاةَ الكَائِنِ البَشَرِيِّ فِي الحَيَاةِ - فَمَا هُوَ أَسَاسُ هَذِهِ المَأْسَاةِ فِي نَظَرِهِ ؟

3 - عَالَجَ الشَّاعِرُ فِي هَذِهِ القِطْعَةِ مَوْضُوعًا قَدِيمًا كَثِيرًا مَا تَحَدَّثَ عَنْهُ الحُكَمَاءُ وَالزُّهَّادُ وَالمُتَصَوِّفُونَ بِإِطْنَابٍ . لَكِنَّهُ اسْتَطَاعَ رَغْمَ كُلِّ ذَلِكَ إِثَارَةَ مَشَاعِرِنَا وَأَحَاسِيسِنَا ... فَإِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَرْجِعُ ذَلِكَ ؟

4 - اسْتَعْمَلَ المَعَرِّي فِي هَذِهِ الأَبْيَاتِ كَثِيرًا مِنَ الأَسَالِيبِ الفَنِّيَّةِ - لِاسْتَخْرِجْ أَهَمَّهَا مُوَضِّحًا قِيمَتَهَا وَدَوْرَهَا فِي خِدْمَةِ المَعْنَى .

اَلْقَبْـــرُ اَلْمُلْتَهِـــمْ

اَلْبَحْـــرُ اَلطَّـوِيـلُ

1 – غَدَوْتُ عَلى نَفْسِي أُتَرِّبُ جَاهِدًا ... وَأَمْثَالَهَا لاَمَ اللَّبِيبُ اَلْمُتْرِّبُ [1]

2 – إِذَا كَانَ جِسْمِي مِن تُرَابٍ ، مَآلُهُ ... إِلَيْهِ ، فَمَا حَظِّي بِأَنِّي مُتْرِبُ [2]

3 – وَمَا زَالَتِ اَلدُّنْيَا ، بِأَصْنَافِ اَلْسُنِ ... تُبَيِّنُ عَنْ غَيْرِ اَلْجَمِيلِ وَتُغْرِبُ

4 – إِذَا أَغْرَبَتْ [3] يَوْمًا بِرُزْءٍ عَلَى اَلْفَتَى ... فَلَيْسَتْ عَلَى نَفْسِي بِمَا حُمَّ [4] ، تُغْرِبُ

5 – وَجَرَّبْتُهَا ، أُمَّ اَلْوَلِيدِ ، لِطَامِعٍ ... وَيَيْئَسُ من أُمِّ اَلْوَلِيدِ [5] اَلْمُجَرِّبُ

6 – يَحُقُّ لِمَنْ يَهْوَى اَلْحَيَاةَ بُكَاؤُهُ ، ... إِذَا لاَحَ قَرْنُ اَلشَّمْسِ أَوْ حِينَ تَغْرُبُ

7 – وَمَا نَفَسٌ إِلاَّ يُبَاعِدُ مَوْلِدًا ... وَيُدْنِي اَلْمَنَايَا لِلنُّفُوسِ ، فَتَقْرُبُ

8 – فَهَلْ لِسُهَيْلٍ * ، فِي مَعَدٍّ ، نَاصِرٌ ... إِذَا أَسْلَمَتْهُ لِلحَوَادِثِ ، يَغْرُبُ *

9 – وَأَهْدَى الى نَهْجِ الهُدَى من مَعَاشِرٍ ... نَوَاضِحِ [6] تَنْنُو [7] أَو عَوَامِلُ [8] تَكْرُبُ [9]

10– أَلاَ تَفْرَقُ [10] اَلْأَحْيَاءُ مِمَّا بَدَا لَهَا ... وَقَدْ عَمَّهَا بِاَلْفَجْرِ أَزْرَقُ مُغْرَبُ

11– وَشَفَّ بَقَاءً صِرْتُ مِن سُوءِ فِعْلِكِ ... أَهُشُّ إِلَى اَلْمَوتِ اَلزُّؤَامِ ، وَأَطْرَبُ

12– فَشِمْ صَارِمًا ، وَاَرْكُزْ قَنَاةً ، فَلِلرَّدَى ... يَدٌ ، هِيَ أَوْلَى بِاَلْحِمَامِ وَأَدْرَبُ

13– أَفَضُّ لِهَامَاتٍ ، وَأَرْمِي بِأَسْهُمٍ ... وَأَطْعَنُ فِي قَلْبِ اَلْخَمِيسِ وَأَضْرَبُ

أَبُو اَلْعَلاَءِ اَلْمَعَرِّيُّ

اَللُّزُومِيَّاتُ

اَلْمُجَلَّدُ اَلْأَوَّلُ ـ ص : 89 ـ 90

1 – شَـــرْحُ اَلْمُفْرَدَاتِ :

1) تَـرِبَ ، يَتْرَبُ فهو مُتْرِبٌ بِمَعْنَى لاَمَ وَكَذَلِكَ أَتْرَبَ .

2) اَلْمُتْرِبُ ، أَتْرَبَ يُتْرِبُ ، اسْتَغْنَى بِمَعْنَى أَصْبَحَ غَنِيًّا

3) أَغْرَبَتْ ، أَتَتْ بِفِعْلٍ غَرِيبٍ .

4) حَمَّ ، قَدَّرَ = حَمَّ اَللَّهُ لَهُ كَذَا أَيْ قَدَّرَهُ وَقَضَاهُ لَهُ .

5) أُمُّ ٱلْوَلِيدِ ، كُنْيَةُ ٱلدَّجَاجَةِ وَقَدْ سُمِّيَ بِهَا ٱلشَّاعِرُ ٱلدُّنْيَا .
6) نَوَاضِحُ ، ج نَاضِحَةٌ ، ٱلنَّاقَةُ ٱلَّتِي يُسْتَقَى عَلَيْهَا .
7) تَسْنُو ، سَنَا يَسْنُو سَنْوًا أَيْ سَقَى .
8) ٱلْعَوامِلُ ، ج عَامِلَة وهي بَقَرُ ٱلْحَرْثِ .
9) تَكْرُبُ ، كَرَبَ يَكْرُبُ كَرْبًا ٱلْأَرْضَ أَيْ حَرَثَهَا .
10) تَفْرَقُ ، فَرَقَ يَفْرُقُ فَرْقًا ، خَافَ وَفَزِعَ
11) ٱلْخَمِيسُ ، ٱلْجَيْشُ ، سُمِّيَ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَتَأَلَّفُ مِنْ خَمْسِ فِرَقٍ .

2 - تَـرَاجِمُ ٱلْأَعْـلَامِ ،

* سُهَيْـل = هُوَ سُهَيْلُ بْنُ عَبْدِ ٱلرَّحْمَانِ ٱلزُّهْرِيُّ .
* يَعْرُبُ = هُوَ يَعْرُبُ بْنُ قَحْطَانَ بْنِ هُودَ قِيلَ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ ٱلْعَرَبِيَّةَ .

3 - ٱلْأَسْئِلَـــةُ ،

1 - بِمَاذَا تَمْتَازُ ٱلدُّنْيَا ـ أُمُّ ٱلْوَلِيدِ فِي نَظَرِ أَبِي ٱلْعَلَاءِ ـ وَهَلْ هِيَ جَدِيرَةٌ بِأَن يَعِيشَهَا ٱلْإِنْسَانُ ؟
2 - مَا هُوَ ٱلْحَلُّ ٱلْمُنَاسِبُ ٱلَّذِي يَقْتَرِحُهُ ٱلْمَعَرِّي لِمُجَابَهَةِ ٱلدُّنْيَا ؟
3 - مَا هِيَ قِيمَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلنِّسْبَةِ لِتَفْكِيرِ أَبِي ٱلْعَلَاءِ ؟
4 - ٱسْتَخْرِجْ أَهَمَّ ٱلْخَصَائِصِ ٱلْفَنِّيَّةِ لِهَذِهِ ٱلْقَصِيدَةِ ؟

بَنُو حَوَّاءَ بَرٌّ وَفَاجِرٌ

البحر الطويل

1 - أَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ رَهْطَ مُسْلِمٍ [1] فَقَدْ جُرْتُمْ فِي طَاعَةِ الشَّهَوَاتِ

2 وَلَا تَتْبَعُوا الشَّيْطَانَ فِي خُطُوَاتِهِ فَكَمْ فِيكُمُ من تَابِعِ الْخُطُوَاتِ

3 عَمَدْتُمْ لِرَأْيِ الْمَثْنَوِيَّةِ [2] بَعْدَمَا جَرَتْ لَذَّةُ التَّوحِيدِ فِي اللَّهَوَاتِ

4 - وَمِن دُونِ مَا أَبْدَيْتُمْ خُضِبَ الْقَنَا وَمَارَ [3] نَجِيعُ [5] الْخَيلِ فِي الْهَبَوَاتِ [6]

5 - فَمَا اسْتَحْسَنَت هَذِي الْبَهَائِمُ فِعْلَكُمْ مِنَ الْفَيْءِ فِي الْأَمْاتِ وَالْحَمَوَاتِ

6 - وَأَيْسَرُ مَا حَلَّلْتُمُ نَحْرَ دَارِعٍ [6] يَعُمُّكُمُ بِالسُّكرِ وَالنَّشَوَاتِ

7 - جَعَلْتُمْ عَلِيًّا جُنَّةً [7] وَهُوَ لم يَزَلْ يُعَاقِبُ مِن خَمرٍ عَلَى حُسُوَاتِ

8 - سَأَلْنَا مَجُوسًا عَنْ حَقِيقَةِ دِينِهَا فَقَالَتْ نَعَمْ لَا نَنْكِحُ الْأُخَوَاتِ

9 وَذَلِكَ فِي أَصْلِ التَّمَجُّسِ جَائِزٌ وَلَكِنْ عَدَدنَاهُ مِنْ أَلْهَفَوَاتِ

10- وَنَأبَى فِظِيعَاتِ الْأُمُورِ وَنَبْتَغِي سُجُودًا لِنُورِ الشَّمْسِ فِي الغَدَوَاتِ

11- وَأَعْذَرُ مِنْ نِسْوَانِكُمْ فِي احْتِمَالِهَا قُضُوحَ الرَّزَايَا [9] آتِنُ [10] الْفَلَوَاتِ

12- فَلَا تَجْعَلُوا فِيهَا الْغَوِيَّ مُسَلَّطًا كَمَا سُلِّطَ الْبَازِي [11] عَلَى القَطَوَاتِ

13- تَهَاوَنْتُمْ بِالذِّكرِ لَمَّا أَتَاكُمْ وَلَمْ تَحْفِلُوا بِالصَّوْمِ وَالصَّلَوَاتِ

14- رَجَوْتُمْ إِمَامًا فِي الْقِرَانِ مُضَلَّلًا فَلَمَّا مَضَى قُلْتُمْ إِلَى سَنَوَاتِ

15- كَذَاكَ بَنُو حَوَّاءَ بَرٌّ وَفَاجِرٌ وَلَا بُدَّ لِلْأَيَّامِ مِنْ هَنَوَاتِ [12]

أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعَرِّيُّ
اللُّزُومِيَّاتُ - الْمُجَلَّدُ الْأَوَّلُ
- ص = 223 - 224 -

1 - شَـــرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ :

1) رَهْطُ مُسْلِمٍ ، أُرَادَ بِهِمُ ٱلشِّيعَةَ ـ فَهُمْ يَنْتَسِبُونَ إِلَى مُسْلِمِ بْنِ عُقَيْلٍ (62هـ. 683 م) ٱبْنِ عَمِّ ٱلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ. سَافَرَ إِلَى ٱلْكُوفَةِ يُمَهِّدُ فِيهَا ٱلسَّبِيلَ إِلَى مُبَايَعَةِ ٱلْحُسَيْنِ إِلاَّ أَنَّهُ قُتِلَ من قِبَلِ ٱلأُمَوِيِّينَ وَأُرْسِلَ رَأْسُهُ إِلَى يَزِيدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ.

2) ٱلْمَثْنَوِيَّةِ ، القَائِلُونَ بِإِلَهَيْنِ ٱثْنَيْنِ .

3) مَارَ يَمُورُ مَوْرًا ٱلدَّمُ ، جَرَى وَسَالَ .

4) ٱلنَّجِيعُ ، هُوَ ٱلدَّمُ ٱلْمَائِلُ لَوْنُهُ إِلَى ٱلسَّوَادِ .

5) ٱلْهَبَوَاتُ ، ج هَبْوَةٌ وَهُوَ ٱلْغُبَارُ ٱلَّذِي يَرْتَفِعُ فِي ٱلْجَوِّ .

6) ٱلدِّرْعُ ، لاَبِسُ ٱلدِّرْعِ .

7) جُنَّةٌ ، ج جُنَنٌ وَهِيَ ٱلسُّتْرَةُ وَٱللِّبَاسُ .

8) ٱلْحَسَوَاتُ ، ج حَسْوَةٌ مِنْ قَوْلِهِ حَسَا يَحْسُو ٱلطَّائِرُ، أي تَنَاوَلَ ٱلْمَاءَ بِمِنْقَارِهِ .

9) ٱلرَّزَايَا ، ج رَزِيَّةٌ وَهِيَ ٱلْمُصِيبَةُ ٱلْعَظِيمَةُ .

10) آتِنٌ ، ج أُتُنٌ وهي أُنْثَى ٱلْحِمَارِ .

11) ٱلْبَازِي ، وَٱلْبَازُ ـ ج ، بُزَاةٌ وَهُوَ طَيْرٌ مِنَ ٱلْجَوَارِحِ .

12) ٱلْهَنَوَاتُ ، ج هَنَاةٌ وَهِيَ ٱلدَّاهِيَةُ وَٱلْمُصِيبَةُ .

2 - ٱلأَسْئِلَـــةُ :

1 - فِي هَذِهِ ٱلْقَصِيدَةِ نَقْدٌ لاَذِعٌ لِلشِّيعَةِ ، فَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ سَلَطَ ٱلْمَعَرِّي نَقْدَهُ خَاصَّةً وَمَا هِيَ أَهَمُّ ٱلْمَآخِذِ ٱلَّتِي سَجَّلَهَا عَلَيْهِمْ ؟ .

2 - كَيْفَ يَبْدُو لَكَ أَبُو ٱلْعَلاَءِ مِنْ خِلاَلِ هَذِهِ ٱلأَبْيَاتِ وَعَلَى أَيِّ أَسَاسٍ وَجَّهَ نَقْدَهُ ؟

3 - لَقَدْ ذَهَبَ ٱلْمَعَرِّي فِي هُجُومِهِ عَلَى ٱلشِّيعَةِ إِلَى حَدِّ ٱتِّهَامِهِمْ بِٱلْكُفْرِ وَٱلاَبْتِعَادِ عَنِ ٱلْمِلَّةِ ٱلإِسْلاَمِيَّةِ ، أَثْبِتْ ذَلِكَ بِٱلاَعْتِمَادِ عَلَى مَا وَرَدَ فِي هَذِهِ ٱلْقَصِيدَةِ .

4 - مَا هُوَ مَوْقِفُ أَبِي ٱلْعَلاَءِ مِنْ مَسْأَلَةِ « ٱلْمَهْدِيِّ ٱلْمُنْتَظَرِ » عِنْدَ ٱلشِّيعَةِ ؟ .

بِئْسَ ٱلْمَعَاشِرُ بَنُو آدَمٍ

ٱلْبَحْرُ ٱلطَّوِيلُ

1 - بَنِي آدَمٍ بِئْسَ ٱلْمَعَاشِرُ أَنْتُمُ ... وَمَا فِيكُمُ وَافٍ لِمَقْتٍ وَلَا حُسْبِ

2 - وَجَدْتُكُمْ لَاتَقْرَبُونَ إِلَى ٱلْعُلَا ... كَمَا أَنَّكُمْ لَا تَبْعُدُونَ عَنْ ٱلسَّبِّ

3 - وَلَمْ تُكْفِكُمْ أَكْبَادُ شَاءٍ وَجَامِلٍ [1] ... وَوَحْشٍ إِلَى أَنْ رُمْتُمُ كَبِدَ ٱلضَّبِّ

4 - فَإِنْ كَانَ مَابَيْنَ ٱلْبَهَائِمِ قَاضِيًا ... فَهَذَا قَضَاءٌ جَاءَ من قِبَلِ ٱلرَّبِّ

5 - رَكِبْتُمْ سَفِينَ ٱلْبَحْرِ مِنْ فَرْطِ رَغْبَةٍ ... فَمَا لِلْمَطَايَا وَٱلْمُطَهَّمَةِ [2] ٱلْقُبِّ [3]

6 - وَكُلُّكُمُ يُبْدِي لِدُنْيَاهُ نَفْصَةً [4] ... عَلَى أَنَّهُ يُخْفِي بِهَا كَمَدَ [5] ٱلصَّبِّ

7 - إِذَا جُولِسَ ٱلْأَقْوَامُ بِٱلْحَقِّ أَصْبَحُوا ... عُدَاةً فَكُلُّ ٱلْأُصْفِيَاءِ عَلَى خَبِّ [6]

8 - نُشَاهِدُ بِيضًا مِنْ رِجَالٍ كَأَنَّهُمْ ... غَرَابِيبُ [7] طَيْرٍ سَاقِطَاتٍ عَلَى حَبِّ

9 - إِذَا طَلَبُوا فَٱقْنَعْ لِتَظْفَرَ بِٱلْغِنَى ... وَإِنْ نَطَقُوا فَاصْمُتْ لِتَرْجِعَ بِاللُّبِّ [8]

10- وَإِنْ لَمْ تُطِقْ هِجْرَانَ رَهْطِكَ دَائِمًا ... فَمِنْ أَدَبِ ٱلنَّفْسِ الزِّيَارَةُ عَنْ غِبِّ [9]

11- وَيَدْعُو ٱلطَّبِيبَ ٱلْمَرْءُ وَافَاهُ حَيْنُهُ [10] ... رُوَيْدَكَ ! إِنَّ ٱلْأَمْرَ جَلَّ عَنِ الطِّبِّ

أَبُو ٱلْعَلَاءِ ٱلْمَعَرِّيُّ
ٱللُّزُومِيَّاتُ ـ ٱلْمُجَلَّدُ ٱلْأَوَّلُ
ـ ص : 140 ـ 141 ـ

1 - شَرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ

1) ٱلْجَامِلُ : هُوَ ٱلْقَطِيعُ مِنَ ٱلْإِبِلِ مَعَ رُعَاتِهِ ـ مِنْ قَوْلِهِ جَمَلَ يَجْمُلُ جَمْلًا ٱلشَّيْءُ أَيْ جَمَعَهُ.

2) اَلْمُطَهَّمَةُ ، صِفَةٌ لِلْخَيلِ ـ فَالْخَيلُ الْمُطَهَّمَةُ ، أَيْ تَامَّةُ الْخَلْقِ .

3) الْقُبُّ ، جَ أَقَبُّ وَهُوَ الضَّامِرُ الْبَطِنُ . الدَّقِيقُ الْحَصْرِ .

4) النَّغْصَةُ مِنْ قَوْلِهِ نغص نَغَصًا الرَّجُلُ ، لَمْ يَتِمَّ مُرَادُهُ ـ فَالنَّغْصَةُ ، مَا يَعُوقُ وَيَمْنَعُ إِتْمَامَ الْمُرَادِ .

5) اَلْكَمَدُ ، كَمَدَ كَمِدَا الرَّجُلُ ، مَرِضَ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ مِنَ الْحُزْنِ الشَّدِيدِ .

6) اَلْخَبُّ ، خَبَّ خَبًّا وَخَبَبًا ، خَدَعَ .

7) غرابيب ، ج غِرْبِيبٌ وَهُوَ الْأَسْوَدُ الْحَالِكُ وَأَكْثَرُ مَا يَجِيءُ تَأْكِيدًا فَيُقَالُ : أَسْوَدُ غِرْبِيبٌ .

8) اَللُّبُّ ، ج اَلْبَابُ وَأَلْبُبٌ ، وَهُوَ خَالِصُ كُلِّ شَيْءٍ .

9) اَلْغِبُّ ، غَبَّ غَبًّا ، جَاءَ زَائِرًا بَعْدَ أَيَّامٍ

10) اَلْحِينُ ، حَانَ حِينًا ، هَلَكَ ـ فَالْحِينُ ، هُوَ الْهَلَاكُ .

اَلْأَسْئِلَةُ :

1 لِمَنْ كَانَتِ الصُّورَةُ الَّتِي رَسَمَهَا الْمَعَرِّي لِبَنِي جِنْسِهِ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ؟

2 أَيْنَ يَبْدُو سُوءُ الظَّنِّ بِالْإِنْسَانِ ؟ وَإِلَى أَيِّ شَيْءٍ يُعْزَى ذَلِكَ فِي نَظَرِكَ ؟

3 حَلِّلِ الْبَيْتَ الْأَخِيرَ مُسْتَخْرِجًا مِنْهُ أَحَدَ الْعَوَامِلِ الْإِنْسَانِيَّةِ لِلتَّشَاؤُمِ الْعَلَائِيِّ ؟ .

4 مَا قِيمَةُ الدُّرُوسِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الَّتِي وَجَّهَهَا الْمَعَرِّي فِي الْقِسْمِ الْأَخِيرِ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ ؟

لُسَادُ ٱلْقَصَائِدِ .

ٱلْبَحْرُ ٱلطَّوِيلُ

1 - إِذَا كَانَ عِلْمُ ٱلنَّاسِ لَيْسَ بِنَافِعٍ ... وَلَا دَافِعٍ ، فَالْخُسْرُ [1] لِلْمُلْمَاءِ

2 - قَضَى ٱللّٰهُ فِينَا بِٱلَّذِي هُوَ كَائِنٌ ... فَتَمَّ وَضَاعَتْ حِكْمَةُ ٱلْحُكَمَاءِ

3 - وَهَلْ يَابَقُ [2] ٱلْإِنْسَانُ مِن مُلْكِ رَبِّهِ ... فَيَخْرُجَ مِن أَرْضٍ لَهُ وَسَمَاءِ

4 - سَنَتْبَعُ آثَارَ ٱلَّذِينَ تَحَمَّلُوا [3] ... عَلَى سَاقَةٍ [4] مِن أَعْبُدٍ وَإِمَاءِ

5 - لَقَدْ طَالَ فِي هَذَا الْأَنَامِ تَعَجُّبِي ... فَيَا لَرِوَاءٍ قُوبِلُوا بِظِمَاءِ

6 - أُرَامِي [5] فَتُثْوِي [6] مِن أَعَادِيهِ أَسْهُمِي ... وَمَا صَافَ [7] عَنِّي سَهْمُهُ بِرِمَاءِ

7 - وَهَلْ أَعْظُمٌ إِلَّا غُصُونٌ وَرِيقَةٌ ... وَهَلْ مَاؤُهَا إِلَّا جَنِيٌّ [8] دِمَاءِ

8 - وَقَدْ بَانَ أَنَّ النَّحْسَ لَيْسَ بِفَاعِلٍ ... لَهُ عَمَلٌ فِي أَنْجُمِ ٱلْفَهْمَاءِ

9 - وَمَنْ كَانَ ذَا جُودٍ وَلَيْسَ بِمُكْثِرٍ [9] ... فَلَيْسَ بِمَحْسُوبٍ مِنَ ٱلْكُرَمَاءِ

10- نَهَابُ أُمُورًا ثُمَّ نَرْكَبُ هَوْلَهَا ... عَلَى عَنَتٍ [10] مِنْ صَاغِرِينَ [11] قِمَاءِ [12]

11 - أَفِيقُوا أَفِيقُوا يَاغُوَاةَ [13] فَإِنَّمَا ... دِيَانَتُكُمْ مَكْرٌ مِنَ ٱلْقُدَمَاءِ

12- أَرَادُوا بِهَا جَمْعَ ٱلْحُطَامِ [14] فَأَدْرَكُوا ... وَبَادُوا [15] وَمَاتَتْ سُنَّةُ ٱللُّؤَمَاءِ

13- يَقُولُونَ ، إِنَّ ٱلدَّهْرَ قَدْ حَانَ مَوْتُهُ ... وَلَمْ يَبْقَ فِي ٱلْأَيَّامِ غَيْرُ ذِمَاءِ [15]

14- وَقَدْ كَذَبُوا مَا يَعْرِفُونَ ٱنْقِضَاءَهُ ... فَلَا تَسْمَعُوا مِن كَاذِبِ الزُّعَمَاءِ

15- وَكَيْفَ أُقَضِّي سَاعَةً بِمَسَرَّةٍ ... وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ مِن غُرَمَائِي ؟

16- خُذُوا حَذَرًا مِنَ ٱلْقَرِيبِينَ وَجَانِبِ [16] ... وَلَاتَذْهَلُوا عَنْ سِيرَةِ ٱلْحُزَمَاءِ [17]

أَبُو ٱلْعَلَاءِ ٱلْمَعَرِّيُّ

اللُّزُومِيَّاتُ . ٱلْمُجَلَّدُ ٱلْأَوَّلُ ص : 64 - 65

1 - شـــرح ٱلْمُفْرَدَاتِ :

1) ٱلْخُسْرُ ، وَٱلْخُسْرَانُ هُوَ ٱلضَّيَاعُ وَٱلضَّلَالُ .
2) أَبِقَ ، يَأْبَقُ ٱلْعَبْدُ أَيْ هَرَبَ مِن سَيِّدِهِ فَهُوَ آبِقٌ .
3) تَحَمَّلُوا ، تَحَمَّلَ ٱلْقَوْمُ بِمَعْنَى ذَهَبُوا وَٱرْتَحَلُوا .
4) سَاقَةٌ ، هِيَ مُؤَخَّرَةُ ٱلْجَيْشِ .
5) أُرَامِي ، تَبَادَلَ ٱلرِّمَايَةَ .
6) تُشْوِي ، أَشْوَى يُشْوِي ٱلسَّهْمُ أَيْ أَخْطَأَ ٱلْهَدَفَ .
7) صَافَ ، ٱلسَّهْمُ عَنِ الهَدَفِ أَيْ أَخْطَأَهُ .
8) ٱلْجَنِيُّ ، مَا يُجْنَى مِنَ ٱلثَّمْرِ وَغَيْرِهِ .
9) ٱلْمُكْثِرُ ، هُوَ ٱلْغَنِيُّ .
10) ٱلْعَنَتُ ، ٱلشِّدَّةُ ـ فَعِنِتَ يَعْنَتُ عَنَتًا بِمَعْنَى وَقَعَ فِي أَمْرٍ شَاقٍّ
11) ٱلصَّاغِرُونَ ، ٱلْأَذِلَّاءُ ـ صَغُرَ يَصْغُرُ صِغْرًا وَصُغْرًا ، هَانَ وَذَلَّ .
12) قِمَاءٌ ، ج قَمِيءٌ وَهُوَ ٱلذَّلِيلُ ٱلْحَقِيرُ ـ فَقُمُؤَ يَقْمُؤُ قَمَاءَةً وَقِمَاءَةً بِمَعْنَى ذَلَّ وَصَغُرَ .
13) ٱلْغُوَاةُ ، ج غَاوٍ وَهُوَ ٱلضَّالُّ فَغَوِيَ يَغْوَى غِوَايَةً ، ضَلَّ .
14) ٱلْحُطَامُ ، حُطَامُ ٱلدُّنْيَا وَهُوَ مَا فِيهَا مِنْ مَالٍ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ .
15) بَادُوا ، أَيْ هَلَكُوا ـ بَادَتْ ٱلشَّمْسُ أَيْ غَابَتْ .
16) ٱلذِّمَامُ ، بَقِيَّةُ ٱلرُّوحِ .
17) ٱلْجَانِبُ ، بِمَعْنَى ٱلْغَرِيبِ فِي هَذَا ٱلْبَيْتِ .
18) ٱلْحُزَمَاءُ ، ج حَازِمٌ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحْسِنُ ضَبْطَ أُمُورِهِ .

2 - ٱلْأَسْئِلَـــةُ :

1 - مَا هِيَ ٱلْفِكْرَةُ ٱلْأَسَاسِيَّةُ ٱلْمُسَيْطِرَةُ عَلَى ذِهْنِ ٱلْمَعَرِّيِّ وَٱلَّتِي أَصْبَحَتْ مَصْدَرًا لِتَشَاؤُمِهِ ؟
2 - فِي هَذِهِ ٱلْأَبْيَاتِ تَخْتَلِفُ صِيَغُ ٱلْخِطَابِ وَتَتَدَاخَلُ مِنْ أَبْيَاتٍ إِلَى أُخْرَى فَعَمَّ يَدُلُّ هَذَا ٱلْاخْتِلَافُ وَٱلتَّنَوُّعُ ؟
3 - يَبْدُو ٱلشَّاعِرُ فِي هَذِهِ ٱلْقِطْعَةِ مُؤْمِنًا مِنْ نَاحِيَةٍ ، شَاكًّا حَائِرًا نَاقِدًا مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى ـ فَفِيمَ يَتَجَلَّى إِيمَانُهُ وَأَيْنَ يَبْدُو شَكُّهُ وَحَيْرَتُهُ ؟
4 - بَيِّنْ مَعَانِيَ ٱلْاسْتِفْهَامِ ٱلْوَارِدِ فِي ٱلْأَبْيَاتِ ، ٱلثَّالِثِ وَٱلسَّابِعِ وَٱلْخَامِسِ عَشَرَ ؟

اَلتَّنْشِئَةُ اَلدِّينِيَّةُ.

اَلْبَحْرُ اَلْوَافِرُ

1 - قَدِ اخْتَلَّ الْأَنَامُ بِغَيرِ شَكٍّ فَجِدُوا فِي الزَّمَانِ أَوِالْعَبُوهُ

2 - وَظَنُّوا أَنَّ بُوهَ الطَّيْرِ صَقْرٌ بِجَهْلِهِمْ وَأَنَّ الصَّقْرَ بُوهُ [1]

3 - وَوَدُّوا الْعَيْشَ فِي زَمَنٍ خَؤُونٍ وَقَدْ عَرَفُوا أَذَاهُ وَجَرْبُوهُ

4 - وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الْفِتيَانِ مِنَّا عَلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ أَبُوهُ

5 - وَمَا دَانَ الْفَتَى بِحِجَى[2] وَلَكِنْ يُعَلِّمُهُ التَّدَيُّنَ أَقْرَبُوهُ

6 - وَطِفْلُ الْفَارِسِيِّ لَهُ وُلَاةٌ بِأَفْعَالِ التَّمَجُّسِ دَرَّبُوهُ

7 - وَضَمَّ النَّاسَ كُلَّهُمُ هَوَاءٌ يُذَلِّلُ بِالْحَوَادِثِ مُصْعَبُوهُ

8 - لَعَلَّ الْمَوْتَ خَيْرٌ لِلْبَرَايَا وَإِنْ خَافُوا الرَّدَى وَتَهَيَّبُوهُ

9 - أَطَاعُوا ذَا الْخِدَاعِ وَصَدَّقُوهُ وَكَمْ نَصَحَ النَّصِيحُ فَكَذَّبُوهُ

10- وَجَاءَتْنَا شَرَائِعُ كُلِّ قَوْمٍ عَلَى آثَارِ شَيْءٍ رَتَّبُوهُ

11- وَغَيَّرَ بَعْضُهُمْ أَقْوَالَ بَعْضٍ وَأَبْطَلَتِ النُّهَى [3] مَا أَوْجَبُوهُ

12- فَلَا تَفْرَحْ إِذَا رَجُبَتْ [4] فِيهِمْ فَقَدْ رَفَضُوا الدِّنِيَّ وَرَجَّبُوهُ

13- وَبَدَّلَ ظَاهِرَ الْإِسْلَامِ رَهْطٌ أَرَادُوا الطَّعْنَ فِيهِ وَشَذَّبُوهُ [5]

أَبُوالْعَلَاءِ الْمَعَرِّيُّ -
اللُّزُومِيَّاتُ - الْمُجَلَّدُ الثَّانِي ص : 601

1 - شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ :

1) اَلْبُوهُ : طَائِرٌ يُشْبِهُ الْبُومَ أَوْ هُوَ الْبُومُ نَفْسُهُ .
2) اَلْحِجَى : ج : أَحْجَاءُ : اَلْعَقْلُ وَالْفِطْنَةُ

3) اَلنُّهَى ، ج.النُّهْيَةُ ، وَهُوَ اَلْعَقْلُ أَيْضًا لِأَنَّهُ يَنْهَى عَنِ اَلْقَبِيحِ وَاَلْمُنْكَرِ .

4) رَجُبَ ، عَظُمَ وَقَدْ سُمِّيَ ، رَجَبٌ رَجَبًا لِأَنَّهُ مُعَظَّمٌ وَمِنْهُ اَلْمَثَلُ ، « عِشْ رَجَبًا تَرَ عَجَبًا » .

5) شَذَبَ ، اَلشَّيْءَ ، قَطَعَهُ .

2 - اَلْأَسْئِلَـــةُ :

1 - أَثَارَ اَلشَّاعِرُ فِي هَذِهِ اَلْقَصِيدَةِ قَضِيَّةً تَرْبَوِيَّةً هَامَّةً ، فَمَا هُوَ مَوْقِفُهُ مِنْهَا ، وَمَا تَعْلِيقُكَ عَلَى هَذَا اَلْمَوْقِفِ ؟

2 - لَقَدْ نَقَدَ اَلْمَعْرِي الإِنْسَانِيَّةَ جَمْعَاءَ ـ فَمَا قِيمَةُ هَذَا النَّقْدِ وَمَا رَأْيُكَ فِيهِ ؟

3 - يَعِيبُ اَلشَّاعِرُ عَلَى اَلنَّاسِ اَنْقِلَابَ اَلْقِيَمِ وَاَنْعِكَاسَهَا فِيهِم ، فَكَيْفَ صَوَّرَ أَبُو اَلْعَلَاءِ ذَلِكَ فِي هَذِهِ اَلْقَصِيدَةِ ؟

4 - هَلْ تَتَجَلَّى فِي هَذِهِ اَلْأَبْيَاتِ حَيْرَةُ اَلشَّاعِرِ اَلْفِكْرِيَّةُ أَمْ أَنَّهُ كَانَ مُرْتَاحًا لِمُخْتَلَفِ اَلْآرَاءِ اَلَّتِي سَاقَهَا ؟

اِمْتِـــزَاجُ ٱلْعَـــالَمِ.

ـ ٱلْمُتَقَـــارِبْ ـ

1 – مَجُوسِيَّـةٌ وَحَنِيفِيَّـــــةٌ وَنَصْرَانَـــةٌ وَيَهُـــودِيَّـــــهْ
2 – نُفُوسٌ تَخَالَفُ أَدْيَـانُهَـــا وَلَيْسَتْ مِنَ ٱلْمَوْتِ بِمَفْدِيَـهْ
3 – تُرَاقِبُ مَهْدِيًّا أَنْ يَـقُـــومَ فَتُلْفَى إِلَى ٱلْحَـقِّ مَهْـدِيَـــهْ
4 – فَيَا سَعْدُ ! كَمْ خَرَجَتْ ظَبْيَةٌ تَـرُودُ [1] بِخَضْرَاءَ سَعْدِيَـهْ [2]
5 – فَتُضْحِي مِنَ ٱلْمَرْدِ [4] مَرْدِيَـةً وَتُمْسِي مِنَ ٱلرِّدَى مَـرْدِيَـهْ [4]
6 – لَقَدْ كَانَ أَبْدَى إِلَيْهَا ٱلزَّمَا نُ ثُمَّ هِيَ ٱلْآنَ مَبْدِيَـــــهْ
7 – وَيَا هِنْدُ . مَا عَصَمَتْ أَهْلَهَا قَوَاضِبُ [5] فِي ٱلضَّرْبِ هِنْدِيَـــهْ
8 – وَلَا وَرْدُ غَابٍ [6] لَهُ حُلَّـــةٌ مِنَ ٱلدَّمِ فِي ٱلْفِيلِ [7] وَرْدِيَـــــهْ
9 – تَشَبَّهُ بَعْضٌ بِبَعْضٍ فَمَـــا تَزَالُ ٱلشَّمَائِلُ [8] فَـرْدِيَـــــهْ
10 – قَدِ ٱمْتَزَجَ ٱلْعَالَمُ ٱلْآدَمِـــيُّ فَغَوْرِيَّـةٌ مَـعَ نَجْـدِيَـــــهْ
11 – وَأُمُّ ٱلنُّمَيْرِي [9] تُـرْكِيَّـــةٌ وَأُمُّ ٱلْعُقَيْلِيِّ [10] صُفْـدِيَـهْ [11]
12 – وَزَوْجُ ٱلْكِلَابِيِّ [12] ٱلْكَاسِكِيُّ [13] وَعِرْسُ ٱلْكِلَابِيِّ كُرْدِيَـــهْ [14]

أَبُو ٱلْعَلَاءِ ٱلْمَعَرِّيُّ
ٱللُّزُومِيَّاتُ ـ ٱلْمُجَلَّدُ ٱلثَّانِي
ص : 653 ـ 654

1 – شَرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ :

1) رَادَ يَرُودُ ٱلْإِبِلَ : ٱخْتَلَفَتْ عَلَى ٱلْمَرْعَى جِيئَةً وَذَهَابًا .
2) سَعْدِيَّـةُ : إِسْمُ مَوْضِعٍ .

3) اَلْمَرْدُ : اَلْمَرْعَى

4) مَرْدِيَّةٌ : هَالِكَةٌ مِنْ قَوْلِهِ « رَدِيَ يَرْدَى أَيْ هَلَكَ » .

5) اَلْقَوَاضِبُ : ج. اَلْقَاضِبُ صِفَةٌ لِلسَّيْفِ أَيْ شَدِيدُ اَلْقَطْعِ .

6) اَلْوَرْدُ : أَسَدُ اَلْغَابِ . يَقُولُ اَلْمُتَنَبِّيُّ : وَرْدٌ إِذَا وَرَدَ اَلْبُحَيْرَةَ شَارِبًا ... وَرَدَ اَلْفُرَاتَ زَئِيرُهُ وَاَلتِّيلَا .

7) اَلْغِيلُ : اَلْأَجَمَةُ : مَوْطِنُ اَلْأَسَدِ .

8) اَلشَّمَائِلُ : ج. اَلشِّمَالُ وَهُوَ اَلطَّبْعُ .

9) نُعَيْرٌ : قَبِيلَةٌ عَرَبِيَّةٌ تَسْكُنُ اَلْيَمَامَةَ .

10) بَنُو عُقَيْلٍ : قَبِيلَةٌ عَرَبِيَّةٌ سَكَنَتْ اَلْعِرَاقَ .

11) صُفْدُ : أَرْضٌ فِي أَوَاسِطِ آسِيَا .

12) كِلَابُ بْنُ رَبِيعَةَ : مِنْ أَكْبَرِ اَلْقَبَائِلِ اَلْعَرَبِيَّةِ اِرْتَحَلَتْ إِلَى اَلشَّامِ .

13) اَلْكَاسُ : بَلْدَةٌ فِي مِصْرَ لَهَا عَوَائِدُ خَاصَّةٌ فِي اَلزَّوَاجِ وَاَلْمَآتِمِ . وَاَلْكَاسِلِيُّ : نِسْبَةٌ إِلَيْهَا

14) كُرْدِسْتَانُ : مَنْطِقَةٌ فِي شَمَالِ اَلْعِرَاقِ . وَاَلْكُرْدِيُّ : نِسْبَةٌ إِلَيْهَا .

2 - اَلْأَسْئِلَةُ :

1 - كَيْفَ يَرَى اَلشَّاعِرُ اِمْتِزَاجَ اَلْأَجْنَاسِ وَاَلْمُعْتَقَدَاتِ وَمَا تَعْلِيقُهُ عَلَى هَذَا اَلْاِمْتِزَاجِ

2 - هَلْ تَرَى فِي هَذَا اَلْاِمْتِزَاجِ حِكْمَةً ؟ وَهَلْ هِيَ نَفْسُ اَلْحِكْمَةِ اَلَّتِي يَرَاهَا اَلْمَعَرِّيُّ ؟

3 - جَرَى ذِكْرُ اَلْمَوْتِ كَثِيرًا فِي هَذِهِ اَلْقَصِيدَةِ . فَمَا هُوَ مَوْقِفُهُ وَمَا قِيمَتُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى تَفْكِيرِ أَبِي اَلْعَلَاءِ ؟

4 - مَا هِيَ أَهَمُّ اَلْأَسَالِيبِ اَلْفَنِّيَّةِ فِي هَذِهِ اَلْقَصِيدَةِ وَكَيْفَ تُفَسِّرُ اِسْتِعْمَالَ اَلْمَعَرِّيِّ لِهَذِهِ اَلْأَسَالِيبِ فِي مُعَالَجَتِهِ لِمُخْتَلَفِ اَلْقَضَايَا اَلْفِكْرِيَّةِ وَغَيْرِهَا ؟

طَـــرِيـقُ ٱلصَّـــلَاحِ.

ـ اَلْبَحْـــرُ اَلْـكَامِلُ ـ

1 ـ اِرْكَعْ لِرَبِّكَ فِي نَهَارِكَ وَٱسْجُـدِ ... وَمَتَى أَطَقْتَ تَهَجُّدًا فَتَهَـجَّـدِ [1]

2 ـ وَإِذَا غَلَا ٱلْـبُرُّ [2] ٱلنَّقِيُّ فَشَارِكِ ٱلْـ ... ـفَرَسَ ٱلْكَرِيمَ وَسَاوِ طِرْفَكَ [3] تَمْجُدِ

3 ـ وَٱجْـعَلْ لِنَفْسِكَ مِنْ سَلِيطِ [4] ضِيَائِهَا ... أُدْمًا [5] وَنَزْرَ حَلَاوَةٍ مِنْ عُنْجُدِ [6]

4 ـ وَٱرْسُمْ بِفَخَّارٍ شَرَابَـكَ لَا تُـرِدْ ... قَدَحَ ٱللُّجَيْنِ [7] وَلَا إِنَاءَ ٱلْعَسْجَدِ [8]

5 ـ يَكْفِيكَ صَيْفَكَ مِن ثِيَابِكَ سَـاتِرٌ ... وَإِذَا شَتَوْتَ فَقِطْعَةٌ من بُرْجُـدِ [9]

6 ـ أَنْهَاكَ أَنْ تَلِيَ ٱلْحُكُومَةَ أَوْ تُـرَى ... حِلْفَ [10] ٱلْخَطَابَةِ أَوْ إِمَامَ ٱلْمَسْجَـدِ

7 ـ وَذَرِ ٱلْإِمَارَةَ وَٱتَّـخَـاذَكَ دِرَّةً [11] ... فِي ٱلْمِصْرِ يَحْسَبُهَا حُسَامَ ٱلْمُنْجِدِ

8 ـ تِلْكَ ٱلْأُمُورُ كَرِهْتُهَـا لِأَقَـارِبِ ... وَأَصَادِقٍ فَٱبْخَلْ بِنَفْسِكَ أَوْ جُدِ

9 ـ وَلَقَدْ وَجَدْتُ وَلَاءَ قَـوْمٍ سُبَّـةً ... فَٱصْرِفْ وَلَاءَكَ للقَدِيمِ ٱلْمُوجِدِ [12]

10ـ وَلْتَحْلَ عِرْسُكَ بِٱلتُّـقَى فَنِـظَامُـهُ ... أَسْنَى [13] لَهَا مِنْ لُؤْ لُؤٍ وَزَبَـرْجَـدِ

11ـ كُلٌّ يُسَبِّحُ فَٱفْهَمِ التَّقْدِيسَ فِـي ... صَوْتِ الغُرَابِ وَفِي صِيَاحِ ٱلْجَدْ جُدِ [14]

12ـ وَٱنْزِلْ بِعِرْضِكَ فِي أَعَزِّ مَحَـلَّـةٍ ... فَٱلْغَوْرُ [15] لَيْسَ بِمَوْطِنٍ للمُنْجِدِ [16]

أَبُوٱلْعَلَاءِ ٱلْمَعَـــرِّيُّ ـ
ٱللُّزُومِيَّاتُ ـ ٱلْمُجَلَّدُ ٱلْأَوَّلُ
ص ، 388 ـ 389

1 - شَرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ:

1) ٱلتَّهَجُّدُ ، ٱلصَّلاَةُ لَيْلاً مِنْ قَوْلِهِ تَهَجَّدَ يَتَهَجَّدُ أَيْ صَلَّى لَيْلاً .
2) ٱلْبُرُّ ، ٱلْحِنْطَةُ .
3) الطَّرْفُ ، ٱلْفَرَسُ ٱلْكَرِيمُ .
4) السَّلِيطُ ، الزَّيْتُ .
5) ٱلْأُدْمُ ، ج إِدَامٌ وَهُوَ مَا يُؤْتَدَمُ بِهِ مِنَ الطَّعَامِ .
6) ٱلْعَنْجَدُ ، ٱلزَّبِيبُ ،
7) ٱللُّجَيْنُ ، ٱلْفِضَّةُ .
8) ٱلْعَسْجَدُ ، وَهُوَ ٱلذَّهَبُ .
9) ٱلْبُرْجُدُ ، كِسَاءٌ غَلِيظٌ مُخَطَّطٌ .
10) ٱلْحِلْفُ ، هُوَ الصَّدِيقُ وَٱلْمُلاَزِمُ .
11) الدِّرَّةُ ، هِيَ ٱلْعَصَا أَوْ السَّوْطُ يَحْمِلُهُمَا الْأُمَرَاءُ خَاصَّةً .
12) ٱلْمَوْجِدُ ، ٱلْخَالِقُ ٱلْأَزَلِيُّ .
13) أَسْنَى ، أَرْفَعُ وَأَجَلُّ من سَنِيَ يَسْنَى أَيْ صَارَ ذَا رِفْعَةٍ وَعُلُوٍّ .
14) ٱلْجُدْجُدُ ، دُوَيْبَّةٌ صَغِيرَةٌ تُشْبِهُ ٱلْجَرَادَ .
15) ٱلْغَوْرُ ، مَا ٱنْخَفَضَ مِن ٱلْأَرْضِ .
16) ٱلْمُنْجِدُ ، وَهُوَ ٱلَّذِي يَأْتِي النَّجْدَ وَهُوَ ٱلْمُرْتَفِعُ مِنَ ٱلْأَرْضِ .

2 - ٱلْأَسْئِلَةُ :

1 - مَا هِيَ قِيمَةُ ٱلنَّصَائِحِ ٱلَّتِي يُسْدِيهَا ٱلْمَعَرِّي لِلنَّاسِ فِي هَذِهِ ٱلْأَبْيَاتِ ؟
2 - هَلْ تُذَكِّرُكَ هَذِهِ النَّصَائِحُ بِشَاعِرٍ آخَرَ أَسْدَى مِثْلَهَا فِي القَرْنِ الثَّانِيْ ٱلْهِجْرِيِّ ؟ إِجْعَلْ مُقَارَنَةً بَيْنَ نَصَائِحِ كُلٍّ مِن هَذَيْنِ الشَّاعِرِينِ .
3 - يَدْعُو أَبُو ٱلْعَلاَء إِلَى نَبْذِ ٱلْمَادَّةِ وَتَرْوِيضِ النَّفْسِ عَلَى تَرْكِ ٱلشَّهَوَاتِ وَلَكِنَّهُ يُصِرُّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِالتَّوْحِيدِ وَٱلتُّقَى وَالشَّرَفِ وَكُلِّ ٱلْمَبَادِئِ ٱلرُّوحِيَّةِ ٱلسَّامِيَةِ - أَثْبِتْ ذَلِكَ بِمَا وَرَدَ فِي هَذِهِ الأَبْيَاتِ الشِّعْرِيَّةِ .
4 - هَلْ تُلاَحِظُ فِي آرَاءِ ٱلْمَعَرِّي هَذِهِ أَثَرًا لِفَلْسَفَاتٍ قَدِيمَةٍ ؟ أَوْضِحْ ذَلِكَ

لَا إِمَـــامَ سِـــوَى ٱلْعَقْـــلِ

ٱلْبَحْـــرُ ٱلْخَفِيـفُ .

1 يَا مُلُوكَ ٱلْبِلَادِ فُزْتُمْ بِنَـسْءِ آلـ ـعُمَرٍ ، وَٱلْجَوْرُ شَأْنُكُمْ فِي ٱلنِّسَاءِ [1]

2 ـ مَا لَكُمْ لَا تَرَوْنَ طُرْقَ ٱلْمَعَـالِي قَدْ يَزُورُ ٱلْهَيْجَاءَ زِيرُ نِسَاءِ [2]

3 ـ يَرتَجِي ٱلنَّاسُ أَنْ يَقُومَ إِمَـامٌ نَـاطِقٌ فِي ٱلْكَتِيبَةِ ٱلْخَرْسَـاءِ [3]

4 ـ كَذِبَ ٱلظَّنُّ لَا إِمَامَ سِوَى الـ ـعَقْلِ ، مُشِيرًا فِي صُبْحِهِ وَٱلْمَسَاءِ

5 ـ فَإِذَا مَا أَطَعْتَهُ جَلَبَ ٱلـ ـرَّحْمَةُ عِنْدَ ٱلْمَسِيرِ وَٱلْإِرْسَـاءِ

6 ـ إِنَّمَا هَذِهِ ٱلْمَذَاهِبُ أَسْبَـا بٌ لِجَذْبِ الدُّنْيَا إِلَى الرُّؤَسَـاءِ

7 ـ غَرَضُ القَوْمِ مُتْعَةٌ لَا يَرِقُّـو نَ لِدَمْعِ ٱلشَّمْـاءِ [4] وَٱلْخَنْسَاءِ [5]

8 ـ كَالَّذِي قَامَ يَجْمَعُ ٱلزَّنْجَ بِٱلْبَصْـ ـرَةِ وَٱلْقُرْمُطِيِّ بِٱلْأَحْسَـاءِ [6]

9 ـ فَانْفَرِدْ مَا ٱسْتَطَعْتَ . فَالقَائِلُ الصَّا دِقُ يُضْحِي ثِقْلًا عَلَى ٱلْجُلَسَـاءِ.

أَبُو ٱلْعَلَاءِ ٱلْمَعَـرِّيُّ
ٱللُّـزُومِيَّاتُ ـ ٱلْمُجَلَّـدُ ٱلْأَوَّلُ
ص ، 66

1 ـ شَـــرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ :

1) نَسَأَ ٱللَّهُ فِي عُمْرِهِ يَنْسَؤُهُ نَسْأً ، أَخَّرَهُ وَمَدَّ لَهُ فِيهِ.ٱلنَّسَاءُ ، طُولُ ٱلْعُمْرِ .

2) زِيرُ نِسَاءٍ : ٱلَّذِي يُخَالِطُ النِّسَاءَ بِكَثْرَةٍ .

3) ٱلْكَتِيبَةُ : ٱلْفِرقَةُ من ٱلْجَيْشِ ـ وَٱلْكَتِيبَةُ ٱلْخَرْسَاءُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَئِمَّةِ الشِّيعَةِ لِصَمْتِهِمْ عَنْ إِقَامَةِ ٱلدَّعْوَةِ حَتَّى يَظْهَرَ ٱلْإِمَامُ ٱلْأَعْظَمُ .

4) ٱلشَّمَّاءُ مِنَ ٱلنِّسَاءِ: ٱلَّتِي ٱسْتَوَتْ قَصَبَةُ أَنْفِهَا وَأَشْرَفَتْ أَرْنَبَتُهُ.وَصْفٌ مُسْتَحَبٌّ فِيهِنَّ ـ وَيُشِيرُ بِٱلشَّمَّاءِ ٱلشَّرِيفَةُ ٱلرَّفِيعَةُ .

5) اَلْخَنْسَاءُ ، هِيَ اَلَّتِي تَأَخَّرَ أَنْفُهَا وَقَصُرَ - وَيُشِيرُ بِهَا فِي اَلْبَيْتِ إِلَى اَلْمَرْأَةِ اَلذَّلِيلَةِ اَلْوَضِيعَةِ .

6) اَلْأَخْسَاءُ ، مَدِينَةٌ بِالْبَحْرَيْنِ .

2 - تَرَاجِمُ اَلْأَعْلَامِ :

- اَلْقَرْمَطِيُّ = هُوَ أَبُو اَلْقَاسِمِ بْنُ زِكْرَوَيْهِ خَرَجَ عَلَى اَلْخَلِيفَةِ اَلْمُكْتَفِي .
- اَلزَّنْجُ = جَمَاعَةٌ مِنَ اَلسُّودَانِ خَرَجَ بِهِمْ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ أَحَدُ أَحْفَادِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ دَخَلَ اَلْبَصْرَةَ وَقَتَلَ أَهْلَهَا إِلَى أَنْ حَاصَرَهُ اَلْخَلِيفَةُ اَلْمُوَفَّقُ وَقَتَلَهُ .

3 - اَلْأَسْئِلَةُ :

1 - أَلَا تُعْتَبَرُ هَذِهِ اَلْقِطْعَةُ اَلشِّعْرِيَّةُ وَثِيقَةً تَارِيخِيَّةً تُصَوِّرُ عَصْرَ اَلْمَعَرِّيِّ أَحْسَنَ تَصْوِيرٍ؟ أَوْضِحْ ذَلِكَ .

2 - مَا هِيَ اَلْفِرْقَةُ اَلْإِسْلَامِيَّةُ اَلَّتِي يُشِيرُ إِلَيْهَا أَبُو اَلْعَلَاءِ فِي اَلْبَيْتِ اَلثَّالِثِ مِنْ هَذِهِ اَلْقِطْعَةِ وَفِي أَيِّ صِيغَةٍ وَجَّهَ إِلَيْهَا نَقْدَهُ ؟

3 - مَا هِيَ اَلْمَنْزِلَةُ اَلَّتِي يُولِيهَا اَلشَّاعِرُ لِلْعَقْلِ ؟ وَمَا تَعْلِيقُكَ عَلَى اِعْتِمَادِ اَلْمَعَرِّيِّ اَلْمُطْلَقِ عَلَى اَلْعَقْلِ ؟ .

4 - لَقَدْ عَدَّدَ أَبُو اَلْعَلَاءِ مَسَاوِئَ مُجْتَمَعِهِ ، فَهَلْ أَعْطَى اَلْحُلُولَ اَلْمُثْلَى لِعِلَاجِ هَذِهِ اَلنَّقَائِصِ ؟ وَمَا رَأْيُكَ فِيمَا دَعَا إِلَيْهِ فِي اَلْبَيْتِ اَلْأَخِيرِ ؟

عِـــشْ وَاحِـــدًا.

. اَلْبَحْـرُ اَلسَّرِيـعُ .

1 ـ اَجْتَنِبِ اَلنَّـاسَ وَعِشْ وَاحِدًا ... لاَتَظْلِمِ اَلْقَـوْمَ وَلاَ تُظْلَـمِ

2 ـ وَجَدْتُ دُنْيَاكَ وَإِنْ سَاعَـفَـتْ ... لاَ بُـدَّ مِنْ وَقْعَتِهَـا اَلصَّيْلَمِ [1]

3 ـ لَوْ بُعِثَ اَلْمَنْصُورُ نَادَى «هأيَـا ... مَدِينَـةَ اَلتَّسْلِيمِ [2] لاَ تَسْلَمِـي

4 ـ قَدْ سَكَنَ القَفْرَ بَنُـو هَـاشِـمٍ ... وَاَنْتَقَلَ اَلْمُلْكُ إِلَى اَلدَّيْلَـمِ

5 ـ لَوْ كُنْتُ أَدْرِي أَنَّ عُقْبَاهُمُ ... لِذَاكَ ، لَمْ أَقْتُلْ أَبَـا مُسْلِـمِ

6 ـ قَدْ خَدَمَ اَلدَّوْلَةَ مُسْتَنْصِحًـا ... فَأَلْبَسَتْـهُ شِيَـةَ [3] اَلْعِظْلِـمِ [4].

7 ـ مَادَامَ غَيْرُ اَللّٰهِ مِنْ دَائِـمٍ ... فَـأَغْضَبْ عَلَى اَلْأَقْدَارِ أَوْ سَـلِّمِ

8 ـ طَوَّفْتَ فِي اَلآفَاقِ عَصْرًا فَمَـا ... أَسْفَرَتْ من حِنْدِسِكَ [5] اَلْمُظْلِمِ

9 ـ سَأَلْتَ أَقْوَامًا فَلَمْ تُلْفِ مَنْ ... يَـهْدِيكَ مِنْ رُشْدٍ إِلَى مَعْلَمِ [6]

10 ـ فَاَحْلُمْ عَنِ اَلْجَاهِلِ مُسْتَكْبِرًا ... فَاَلْعَيْنُ إِنْ تَلْقَ اَلْكَرَى تَحْلُـمِ

11 ـ إِنَّ وَفَاةَ النَّكْسِ [7] فِي جُبْنِـهِ ... مِثْلُ وَفَاةِ اَلْفَارِسِ اَلْمُعْلَـمِ

أَبُو اَلْعَلاَءِ اَلْمَعَـرِّيِّ ـ
اَللُّزُومِيَّاتُ . اَلْمُجَلَّدُ اَلثَّانِي
ص ، 472

1 ـ شَـــرْحُ اَلْمُفْرَدَاتُ :

1) اَلصَّيْلَمُ ، اَلدَّاهِيَةُ وَالْمُصِيبَةُ سُمِّيَتْ كَذَلِكَ لِأَنَّهَا تَصْطَلِمُ أَيْ تَقْطَعُ وَتَسْتَأْصِلُ .

2) مَدِينَةُ التَّسْلِيمِ ، مَدِينَةُ اَلسَّلاَمِ ، بَغْدَادُ .

3) اَلشَّيْبَةُ ، اَلْكِبَرُ .

4) المِظْلِمُ ، صَبْغٌ أَحْمَرُ .

5) اَلْجِنْدِسُ ، اَللَّيْلُ اَلشَّدِيدُ اَلظُّلْمَةِ مِنْ قَوْلِهِ ، حَنْدَسَ اَللَّيْلُ تَحَنْدَسَ أَيْ أَظْلَمَ .

6) اَلْمَعْلَمُ ، مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى اَلطَّرِيقِ مِنْ قَوْلِهِ: أَعْلَمَ اَلْفَرَسَ أَي جَعَلَ لَهَا عَلَامَةً .

7) اَلنَّكْسُ ، اَلرَّجُلُ اَلدَّنِيءُ اَلضَّعِيفُ اَلَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ مِنْ قَوْلِهِ نَكَسَ رَأْسَهُ أَيْ طَأْطَأَهُ ذُلًّا .

اَلْأَسْئِلَـــةُ :

1 - فِيمَ يَتَمَثَّلُ اَلنَّقْدُ اَلسِّيَاسِيُّ فِي هَذِهِ اَلْأَبْيَاتِ وَمَا هِيَ اَلصِّيغَةُ اَلَّتِي وَرَدَ فِيهَا ؟

2 - جُلُّ نَصَائِحِ اَلْمَعَرِّيِّ ذَاتُ طَابَعٍ أَخْلَاقِيٍّ - بَيِّنْ ذَلِكَ بِالْاِعْتِمَادِ عَلَى مَا وَرَدَ فِي هَذِهِ اَلْقِطْعَةِ اَلشِّعْرِيَّةِ ؟

3 - هَلْ أَنَّ أَحْكَامَ اَلْمَعَرِّيِّ عَلَى اَلدُّنْيَا وَنَقْدَهُ لِلنَّاسِ كَانَا نَاتِجَيْنِ عَنْ خِبْرَةٍ شَخْصِيَّةٍ وَتَجْرِبَةٍ ذَاتِيَّةٍ ؟ مِنْ أَيِّ مَعِينٍ أَسَاسِيٍّ يَنْبَعَانِ ؟

4 - مَا رَأْيُكَ فِي اَلْحُلُولِ اَلَّتِي بَسَطَهَا أَبُو اَلْعَلَاءِ لِمَشَاكِلِ اَلدُّنْيَا ؟ هَلْ هِيَ حُلُولٌ إِيجَابِيَّةٌ أَمْ سَلْبِيَّةٌ ؟

أولـــو الفَضْـــلِ

البحـــر الطويـــل

1 ـ أُولُو ٱلْفَضْلِ فِي أَوْطَانِهِم غُرَبَـــاءُ ... تَشِذُّ وَتَنْأَى عَنْهُمُ ٱلْقَرَبَـــاءُ

2 ـ فَمَا سَبَأُوا [1]ٱلرَّاحَ ٱلْكُمَيْتَ[2] لِلَذَّةٍ ... وَلَا كَانَ مِنْهُمْ لِلْخِرَادِ [3] سِبَاءُ [4]

3 ـ وَحَسْبُ ٱلْفَتَى من لَذَّةِ ٱلْعَيْشِ أَنَّهُ ... يَرُوحُ بِأَدْنَى ٱلْقُوتِ وَهْوَ حِبَـــاءُ [5]

4 ـ إِذَا مَا خَبَتْ[6] نَارُ ٱلشَّبِيبَةِ سَاءَنِي ... وَلَوْ نُصَّ[7] لِي بَيْنَ ٱلنُّجُومِ خِبَـــاءُ

5 ـ أُرَاعِيكَ فِي ٱلْوُدِّ ٱلَّذِي قَدْ بَذَلْتَهُ ... فَأُضْعِفُ إِنَّ أَجْدَى لَدَيْكَ رِبَـــاءُ

6 ـ وَمَا بَعْدَ مَرِّ ٱلْخَمْسَ عَشْرَةَ مِنْ صِبًى ... وَلَا بَعْدَ مَرِّ ٱلْأَرْبَعِينَ صَبَـــاءُ [8]

7 ـ أَجِدَّكَ لَا تَرْضَى ٱلْعَبَاءَةَ مَلْبَسًـــا ... وَلَوْ بَانَ مَا تُسْدِيهِ قِيلَ ، عَبَـــاءُ

8 ـ تَوَاصَلَ حَبْلُ ٱلنَّسْلِ مَا بَيْنَ آدَمٍ ... وَبَيْنِي ولم يُوصِلْ بِلَامِيَ بَـــاءُ [9]

9 ـ تَشَاءَبَ عَمْرٌو إِذْ تَشَاءَبَ خَالِـــدٌ ... بِعَدْوَى فَمَا أَعْدَتْنِيَ ٱلثُّؤَبَـــاءُ

10ـ وَزَهَّدَنِي فِي ٱلْخَلْقِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ ... وَعِلْمِي بِأَنَّ ٱلْعَالَمِينَ هَبَـــاءُ

11ـ عَلَى ٱلْوُلْدِ يَجْنِي وَالِدٌ ولَوَ ٱنَّهُـــمْ ... وُلَاةٌ عَلَى أَمْصَارِهِمْ خُطَبَـــاءُ

12ـ وَزَادَكَ بُعْدًا من بَنِيكَ وَزَادَهُـــمْ ... عَلَيْكَ حُقُودًا أَنَّهُم نُجَبَـــاءُ

13ـ يَرَوْنَ أَبَا ٱلْقَاهُمُ فِي مُؤَرِّبٍ [10] ... مِنَ ٱلْعَقْدِ ضَلَّتْ حَلَّهُ ٱلْأَرَبَاءُ [11]

14ـ وَمَا أَدَبَ [12] ٱلْأَقْوَامَ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ ... إِلَى ٱلْمَيْنِ [13]إِلَّا مَعْشَرٌ أُدَبَـــاءُ

13ـ تَتَبَّعْنَا فِي كُلِّ نَقْبٍ [14] وَمَخْرَمٍ [15] ... مَنَايَا لَهَا مِن جِنْسِهَا نُقَبَـــاءُ

16ـ إِذَا خَافَتِ ٱلْأُسْدُ ٱلْخِمَاصُ [17]مِنَ ٱلظُّبَى [18] ... فَكَيْفَ تَعَدَّى حُكْمَهُنَّ ظِبَاءُ [19]

أَبُو ٱلْعَلَاءِ ٱلْمَعَـــرِّيُّ
ٱللُّزُومِيَّاتُ ـ ٱلْمُجَلَّدُ ٱلْأَوَّلُ ـ ص ، 41 ـ 42

1 - شَـــرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ :

1) سَبَأُ ٱلرَّاحَ ، ٱشْتَرَى ٱلْخَمْرَةَ .
2) ٱلْكُمَيْتُ ، ٱلْخَمْرَةُ ٱلَّتِي لَوْنُهَا أَحْمَرُ مَائِلٌ إِلَى سَوَادٍ .
3) ٱلْخِرَادُ ، ج.ٱلْخَرِيدَةُ وَهِيَ ٱلْفَتَاةُ ٱلْعَذْرَاءُ .
4) ٱلسِّبَاءُ ، ٱلسَّبْيُ وَهُوَ ٱلْأَسْرُ .
5) ٱلْحِبَاءُ ، ٱلْعَطَاءُ حَبَا يَحْبُو أَيْ أَعْطَى بِلَا جَزَاءٍ .
6) خَبَتِ ٱلنَّارُ ، أَيْ خَمَدَتْ وَٱنْطَفَأَتْ .
7) نَصَّ ، رَفَعَ ـ فَنَصَّ ٱلشَّيْءَ رَفَعَهُ وَأَظْهَرَهُ .
8) صَبَاءً ، مَيْلٌ وَحَنِينٌ إِلَى ٱللَّهْوِ ـ صَبَا يَصْبُو صَبْوًا وَصَبَاءً ، حَنَّ إِلَى ٱللَّهْوِ .
9) وَلَمْ يُوصِلْ بِلَامِيَ بَاءً ، تَلَاعَبَ ٱلْمُعَرِّبُّ بِلَفْظِ (حَبْلٍ) فَعِنْدَمَا يُحْذَفُ مِنْ هَذِهِ ٱلْكَلِمَةِ حَرْفُ ٱلْبَاءِ يَبْقَى (حَلٌّ) ـ فَأَبُو ٱلْعَلَاءِ حَلَّ ٱلنَّسْلَ وَلَمْ يَرْبِطْهُ .
10) مُؤَرَّبٍ ، أَرَبَ ٱلْعَقْدَ ، أَحْكَمَهُ وَشَدَّ وِثَاقَهُ .
11) ٱلْأُرَبَاءُ ، ٱلْعُقَلَاءُ ج.أَرِيبٌ .
12) أَدَبَ ٱلْأَقْوَامَ ، دَعَاهُمْ .
13) ٱلْمَيْنُ ٱلْكَذِبُ مِنْ قَوْلِهِمْ مَانَ يَمِينُ مَيْنًا أَيْ كَذَبَ .
14) ٱلنَّقَبُ ، ٱلطَّرِيقُ فِي ٱلْجَبَلِ .
15) ٱلْمَخْرَمُ ، مُنْقَطَعُ أَعْلَى ٱلْجَبَلِ
16) ٱلنُّقَبَاءُ ، ٱلرُّسُلُ ٱلْمُوفَدُونَ لِلتَّنْقِيبِ .
17) ٱلْخِمَاصُ ، ج.أَخْمَصُ وَهُوَ ٱلْجَائِعُ . فَخَمَصَتِ ٱلْبَطْنُ أَيْ ضَمَرَتْ جُوعًا .
18) ٱلظُّبَى ، ج ظُبَةٌ وَهِيَ حَدُّ ٱلسَّيْفِ .
19) ٱلظِّبَاءُ ، ج.ٱلظَّبْيُ وَهُوَ ٱلْغَزَالُ .

2 - ٱلْأَسْئِلَـــةُ :

1 - هَلْ تَتَجَلَّى فِي هَذِهِ ٱلْقَصِيدَةِ بَعْضُ عَنَاصِرِ شَخْصِيَّةِ أَبِي ٱلْعَلَاءِ ؟
2 - تَتَخَلَّلُ هَذِهِ ٱلْقَصِيدَةَ مَسْحَةٌ تَشَاؤُمِيَّةٌ ظَاهِرَةٌ ـ فَمَا هُوَ ٱلْعَامِلُ ٱلْأَسَاسِيُّ لِهَذَا ٱلتَّشَاؤُمِ كَمَا يَبْدُو فِي هَذِهِ ٱلْأَبْيَاتِ ؟

١ - أَظْهَرَ ٱلشَّاعِرُ عِدَاءَهُ لِلنَّسْلِ وَمُقَاوَمَتَهُ لَهُ وَقَدْ بَيَّنَ بَعْضًا مِنْ أَسْبَابِ ذَلِكَ فِي هٰذِهِ ٱلْقَصِيدَةِ ـ فِمَا هِيَ هٰذِهِ ٱلْأَسْبَابُ وَمَا هُوَ رَأْيُكَ فِيهَا ؟

٢ - مَا هِيَ قِيمَةُ ٱلْأَمْثَالِ وَٱلْحِكَمِ ٱلَّتِي تَخَلَّلَتْ هٰذِهِ ٱلْقَصِيدَةَ وَهَلْ تُذَكِّرُكَ بِشَاعِرٍ آخَرَ ٱشْتَهَرَ بِكَثْرَةِ ٱلْحِكَمِ ، وَنَالَ إِعْجَابَ ٱلْمَعَرِّيِّ ؟

أبو العلاء ، فيما بينك وبين نفسك.

يمرّ عليك أبو العلاء ـ كما مرّ منذ قرون على أجيال قبلك وأجيال.

نزاعةً هو لا هدأما للذات الوجود مذهابا بطمانينة الروح مدعاةً لأذهى ما تخشى من دواهي الحيرة والإشكال. فالمنه إن شئت، ... واشتدّ عليه ما قدرت أن تشتدّ وجانبه وأذفعه وتطهّر منه وكن عليه نقمةً وعنه إعراضا وله كرهها وإبغاضا ... فلن تفوته ولن تتخلص منه. بل أنت على ذلك كلّه في بعض أيامك تجده أحبّ إليك من اللذّة وأروح عليك من الطمأنينة وأبرد عنك من برد اليقين.

ذلك أنّ نسبةً قريبةً بينه وبين بعض نفسك تضطرك إليه، وصدى له بعيدا في قرارة قلبك يرغمك عليه وأنك له مدين بأنّه يسعدك على أن تكون.

... كذا أنت التناقض والتراوح والتردّد ـ ترتدّ من الخير إلى الشرّ ومن الشرّ إلى الخير ومن التقوى إلى الذنب ومن الذنب إلى التقوى.

فإذا لك أيام خمر ولهو بعدها الصلاة والتوبة وعونك فيها التستّر والخفية.

وإذا لَكَ أيامُ زُورٍ وكَذِبٍ بَعْدَهَا الصِّدْقُ وعَوْنُكَ فِيهَا الْكَفَّارَةُ ثُمَّ إذَا لك أحوالُ رِيَاءٍ يُغَطِّي عَلَيْهَا وَيُنْسِيهَا صَادِقُ اللَّهْجَةِ ، وَأيامُ ضَعْفٍ وَخَوْفٍ تَثْنِي عَلَيْهَا بِأَيَّامِ الشَّجَاعَةِ وَالْقُوَّةِ - ثُمَّ إذَا لَكَ ثَنْيَ إيمَانِكَ ورِضَاكَ وَإذْعَانِكِ أيامُ تَسَاؤُلٍ وَشَكٍّ وَحَيْرَةٍ ...

وَلَا بُدَّ أَنْ يَقِيحَ قُرْحُكَ وَلَا بُدَّ أَنْ تَلْفَظَ قِيحَكَ . فَأَبُو نُوَاسٍ * مُعَالِجُ خَمْرِكَ وَأَبُو الْعَلَاءِ مُعَالِجُ جُبْنِكَ وَرِيَائِكَ وَبُهْتَانِكَ وشَكِّكَ وَيَأْسِكَ، تَقْرَؤُهُ فَيَكْفِيكَ الْمَؤُونَةَ إذْ هُوَ أَشَدُّ وَصَدَقَ وَيَئِسَ وَأَحْتَارَ وَشَكَّ فَأَحْتَمَلَ عَنْكَ عِبْءَكَ . فَأَنْتَ لَا تُضَحِّي لِلشَّجَاعَةِ وَلَا تُضَحِّي لِصِدْقِ اللَّهْجَةِ ولا تُضَحِّي لِلشَّكِّ وَالْحَيْرَةِ وَلَا لِلْيَأْسِ وَالشَّقْوَةِ إلَّا بِقَدْرِ مَا يُجْهِدُ الْمُفَكِّرُ فِكْرَهُ وَيُحَرِّكُ عَقْلَهُ وَأَنْتَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ تَجْتَزِئُ عَنْ مَأْسَاتِكَ بِمَأْسَاةِ غَيْرِكَ وَتَكْتَفِي بِمَأْسَاةٍ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا هِيَ مِنْ فِكْرِكَ تَصَوُّرٌ مَحْضٌ وَصُورَةٌ خُدْعَةٌ . لِأَنَّكَ حَيٌّ وَالْحَيَاةُ تَقْتَضِي الْأَفْتِرَاءَ وَالْجُبْنَ وَوَاجِبُ الْمُحَافَظَةِ عَلَى حَيَاتِكَ يَقْتَضِي أَنْ تَكْذِبَ عَلَى نَفْسِكَ بِنَفْسِكَ وَأَنْ تَكُونَ فِي كَذِبِكَ مُتَوَسِّطًا بِأَبِي الْعَلَاءِ وَصِدْقِهِ وَفِي جُبْنِكَ مُتَنَكِّرًا بِشِدَّةٍ لِأَبِي الْعَلَاءِ وَبَأْسِهِ .

وَلَوْ أَحْبَبْتَ أَبَا الْعَلَاءِ وَأَحْتَرَمْتَهُ لَأَرَدْتَ نَفْسًا كَنَفْسِهِ وَلَوْ سَمَوْتَ إلَيْهِ وَأَعْظَمْتَهُ لَطَلَبْتَ صِدْقًا كَصِدْقِهِ وَثَبَاتًا كَثَبَاتِهِ وَبَأْسِهِ .

وَمَا كَانَ فِي نَفْسِ أَبِي الْعَلَاءِ مَوْضِعٌ لِلتَّذَلُّلِ وَلَا الْخَوْفِ وَلَا الزُّورِ . بَلْ كَانَ الَّذِي يُفْعِمُ نَفْسَهُ أَنَّ عَظَمَةَ الْإِنْسَانِ فِي أَنَفَتِهِ وَعِزَّةِ نَفْسِهِ وَصِدْقِهِ وَالْقُوَّةِ عَلَى صِدْقِهِ .

فَهُوَ فِي أَنَفَتِهِ وَعِزَّةِ نَفْسِهِ وَقَدْ دَخَلَ بَغْدَادَ ثُمَّ خَرَجَ عَنْهَا وَهُوَ يَقُولُ ،

وَلَا أُثَقِّلُ فِي جَاهٍ وَلَا نَشَبٍ * وَلَوْ غَدَوْتُ أَخَا عُدْمٍ وَإِقْتَارِ [1]

وَهُوَ هُوَ فِي ثَوْرَتِهِ وَٱسْتِعْصَائِهِ مُجَابِهًا عَظَمَاءَ دَهْرِهِ صَادِعًا فِيهِمْ بِجَوْرِهِمْ قَائِلًا ،

مُلْ ٱلْمُقَامَ فَكَمْ أُعَاشِرُ أُمَّةً * أَمَرَتْ بِغَيْرِ صَلَاحِهَا أُمَرَاؤُهَا

ظَلَمُوا ٱلرَّعِيَّةَ وَٱسْتَجَازُوا كَيْدَهَا * فَعَدَوْا مَصَالِحَهَا وَهُمْ أُجَرَاؤُهَا

أَوْ قَائِلًا ،

يَسُوسُونَ ٱلْأُمُورَ بِغَيْرِ عَقْلٍ * فَيَنْفُذُ أَمْرُهُمْ وَيُقَالُ سَاسَةْ

فَأُفٍّ مِنَ ٱلْحَيَاةِ وَأُفٍّ مِنِّي * وَمِنْ زَمَنٍ رِئَاسَتُهُ ٱلْخَسَاسَةْ

... عَلَى أَنَّكَ إِنْ جَارَيْتَ أَبَا ٱلْعَلَاءِ فِي بَعْضِ أَقْوَالِهِ هَذِهِ وَتَطَهَّرْتَ مِمَّا فِيكَ مِنْ نِفَاقٍ وَرِيَاءٍ وَدَفَعْتَ عَنْ نَفْسِكَ وَصْمَةَ ذَلِكَ بِإِنْكَارِ مَا فِي غَيْرِكَ مِنْ رِيَاءٍ وَنِفَاقٍ فَهَلْ أَنْتَ ثَابِتٌ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بَعْضَ أَوْقَاتِكَ ؟ أَلَا تَأْخُذُكَ خَشْيَةُ ٱلدُّوَارِ أَحْيَانًا ؟ أَلَا يُوقِفُكَ عِنْدَ حَدِّكَ خَوْفُكَ أَنْ تَفْتَضِحَ ٱلْحَيَاةُ وَٱلْبَشَرِيَّةُ جَمْعَاءُ وَأَنْ تُصْبِحَ لَكَ عَرَاءً وَأَنْ تَنْكَشِفَ ٱلْعَوْرَةُ ؟ أَلَا يُجِيئُكَ ٱلْجُبْنُ وَيَعْسُرُ عَلَيْكَ ٱلْحَقُّ وَٱلصِّدْقُ ؟ وَتَتَذَكَّرُ مَآلَ ٱلصِّدْقِ وَٱلْحَقِّ وَتَذْكُرُ قِصَّةَ ٱلْغَزَالِيِّ * وَتِيهَهُ [2] وَتَتَصَوَّرُ حَيَاةَ أَبِي ٱلْعَلَاءِ وَمَرَارَةَ ٱلْحَقِيقَةِ عَلَيْهِ ، وَتَكَادُ أَنْ تَسْتَغِيثَ وَتُبَادِرَ فَتَلْوِيَ إِلَى حَيَاةِ ٱلرِّيَاءِ وَٱلْكَذِبِ .

وَلٰكِنَّكَ مَعَ ذٰلِكَ تَجِدُ فِي نَفْسِكَ حَسْرَةً عَلَى ٱلْعَجْزِ عَنِ ٱلصِّدْقِ ٱلْمُطْلَقِ وَتَجِدُ ٱلصِّدْقَ يَسْتَهْوِيكَ وَيُغْرِيكَ وَيَوَدُّكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ ٱلْمُنْتَسِبِينَ إِلَيْهِ . فَإِذَا أَنْتَ تَعْطِفُ إِلَى أَبِي ٱلْعَلَاءِ وَتَقُولُ ، إِنَّهُ قَدْ طَلَبَ ٱلْحَقِيقَةَ وَكَانَ صَادِقَ ٱلْعَزْمِ فِيهَا . وَتَدُورُ رِوَايَةُ ٱلصِّدْقِ فِي طَلَبِ ٱلْحَقِيقَةِ وَٱلثَّبَاتِ لِمَرَارَةِ ٱلْحَقِيقَةِ ، رِوَايَةُ ٱلشَّكِّ وَٱلْيَأْسِ عَلَى مَسْرَحِ فِكْرِكَ وَتَتْلُو قَوْلَ أَبِي ٱلْعَلَاءِ ،

أَمَّا ٱلْجُسُومُ فَلِلتُّرَابِ مَآلُهَا ... وَعَمِيتُ بِٱلْأَرْوَاحِ أَنِّي تَسْلُكُ

وَقَوْلَهُ ،

أَمَّا ٱلْيَقِينُ فَلَا يَقِينَ وَإِنَّمَا * أَقْصَى ٱجْتِهَادِي أَنْ أَظُنَّ وَأَحْدِسَا

وَقَوْلَهُ ،

ضَحِكْنَا وَكَانَ ٱلضَّحْكُ مِنَّا سَفَاهَةً ... وَحُقَّ لِسُكَّانِ ٱلْبَسِيطَةِ أَنْ يَبْكُوا

يُحَطِّمُنَا صَرْفُ ٱلزَّمَانِ كَأَنَّنَا ... زُجَاجٌ وَلٰكِنْ لَا يُعَادُ لَهُ سَبْكُ [3]

وَتَنْتَهِي ٱلرِّوَايَةُ عَلَى مَسْحِ فِكْرِكَ وَقَدْ وَقَفْتَ عَلَى بَابِ ٱلْغَيْبِ وَٱلْأَبَدِ . وَتَخْرُجُ بَعْدَ أَنْ تَكُونَ تَلَوْتَ تِلْكَ ٱلْأَبْيَاتَ وَدَارَتْ فِي خُلْدِكَ هٰذِهِ ٱلْأَفْكَارُ فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أُفْرِجَ عَنْكَ وَذَهَبَتْ عَنْكَ ٱلْأَلْفَاظُ وَتَصَوُّرَاتُ ٱلْفِكْرِ بِجَمِيعِ هٰذِهِ ٱلْمُشْكِلَاتِ وَكَأَنَّكَ قَدْ صَدَقْتَ حَقًّا فِي طَلَبِ حَلِّهَا وَكَأَنَّكَ قَدْ ثَبَتَّ حَقًّا لِمَرَارَةِ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ شَكٍّ وَحَيْرَةٍ وَيَأْسٍ مُمِيتٍ لٰكِنْ لَا عَلَيْكَ مِنْ ذٰلِكَ بَاسٌ .

فَهَلْ سَمِعْتَ قَطُّ أَنَّ أَحَدًا مِنْ نَظَّارَةِ ٱلْمَسْرَحِ أَحَبَّ لِحُبِّ مَجْنُونِ لَيْلَى أَوْ جُنَّ لِجُنُونِهِ أَمْ مَاتَ لِمَوْتِهِ ؟ وَإِنَّمَا شَأْنُ ٱلْمَجْنُونِ أَنْ يُحِبَّ وَأَنْ

يُجَنَّ وَأَنْ يَمُوتَ وَشَأْنُ ٱلْمَعَرِّي أَنْ يُفَكِّرَ وَيَصْدُقَ فِي طَلَبِ ٱلْحَقِيقَةِ وَأَنْ يَتَأَلَّمَ جَمِيعَ آلَامِ مَأْسَاتِهِ ٱلرُّوحِيَّةِ وَشَأْنُكَ أَنْتَ شَأْنُ ٱلنُّظَّارَةِ يَتَفَرَّجُونَ .

وَلَوْ أَحْبَبْتَ أَبَا ٱلْعَلَاءِ وَٱحْتَرَمْتَهُ لَأَرَدْتَ نَفْسًا كَنَفْسِهِ وَلَوْ سَمَوْتَ إِلَيْهِ وَأَعْظَمْتَهُ لَطَلَبْتَ صِدْقًا كَصِدْقِهِ وَثَبَاتًا كَثَبَاتِهِ وَبَأْسِهِ وَلَكِنَّكَ قَدْ لَا تَعْدُو أَنْ تَحْتَفِلَ بِذِكْرَى مَوْلِدِهِ وَأَنْ تُرَدِّدَ ٱسْمَهُ .

مَحْمُودُ ٱلْمِسْعَدِيُّ
عَنْ مَجَلَّةِ « ٱلْمَبَاحِثِ » ٱلْعَدَدُ : 21
دِيسَمْبَرُ : 1945

1 - شَرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ :

1) إِدْقَاعٌ : مَصْدَرُ أَدْقَعَ بِمَعْنَى أَفْقَرَ وَأَذَلَّ وَٱلْإِدْقَاعُ هُوَ ٱلْفَقْرُ ٱلشَّدِيدُ .
2) ٱلتِّيهُ : مَصْدَرُ تَاهَ يَتِيهُ أَيْ ضَاعَ وَضَلَّ، فَٱلتِّيهُ هُوَ ٱلضَّلَالُ فِي ٱلنَّصِّ .
3) ٱلسَّبْكُ : سَبَكَ سَبْكًا ٱلْفِضَّةَ أَذَابَهَا وَصَبَّهَا فِي قَالَبٍ .

2 - تَرَاجِمُ ٱلْأَعْلَامِ :

* أَبُو نُوَاسٍ = ٱلْحَسَنُ بْنُ هَانِئٍ شَاعِرُ ٱلْخَمْرَةِ ٱلْمَشْهُورُ تُوُفِّيَ سَنَةَ 119 هـ .
* ٱلْغَزَالِيُّ = أَبُو حَامِدٍ مُحَمَّدٌ ٱلْغَزَالِيُّ وُلِدَ بِغَزَالَةٍ وَتُوُفِّيَ بِطُوسَ سَنَةَ 505 هـ - مِنْ تَصَانِيفِهِ = تَهَافُتُ ٱلْفَلَاسِفَةِ - ٱلْمُنْقِذُ مِنَ ٱلضَّلَالِ - إِحْيَاءُ عُلُومِ ٱلدِّينِ .

3 - ٱلْأَسْئِلَةُ :

1 - مَا هِيَ ٱلْأَسْبَابُ ٱلَّتِي تَجْعَلُ ٱلْقَارِئَ يَنْقَمُ عَلَى ٱلْمَعَرِّيِّ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ ؟

2 - مَا هِيَ ٱلْعَوَامِلُ ٱلَّتِي تَجْعَلُ ٱلْإِنْسَانَ يَقْتَرِبُ مِنَ ٱلْمَعْرِفَةِ وَيُقْبِلُ عَلَيْهِ رَغْمَ نُفُورِهِ مِنْهُ فِي ٱلْبِدَايَةِ ؟

3 - هَلْ تَرَى فِي مَوْقِفِ ٱلْمِسْعَدِيِّ إِعْجَابًا بِفَلْسَفَةِ ٱلْمَعَرِّيِّ وَمَا هِيَ أَسْبَابُ ذَلِكَ ؟

4 - مَا رَأْيُكَ فِيمَا سَاقَهُ ٱلْمِسْعَدِيُّ مِنْ آرَاءَ حَوْلَ أَبِي ٱلْعَلَاءِ ؟ أَوْضِحْ ذَلِكَ بِٱلْاِعْتِمَادِ عَلَى مَا دَرَسْتَهُ مِنَ ٱللُّزُومِيَّاتِ وَرِسَالَةِ ٱلْغُفْرَانِ .

أَبُو ٱلْعَلَاءِ بَيْنَ ٱلْإِيمَانِ وَٱلْكُفْرِ . أَوْ مُشْكِلَةُ ٱلتَّنَاقُضِ فِي ٱللُّزُومِيَّاتِ .

إِنَّ مُطَالِعَ لُزُومِيَّاتِ شَيْخِ ٱلْمَعَرَّةِ سُرْعَانَ مَا يُلَاحِظُ فِيهَا ٱلتَّنَاقُضَ ٱلشَّدِيدَ بَيْنَ نَفْسَيْنِ ، نَفْسِ ٱلْإِيمَانِ وَنَفْسِ ٱلْكُفْرِ ... وَأَوَّلُ مَا يَجْدُرُ ذِكْرُهُ هُوَ أَنَّ هَذَا ٱلتَّنَاقُضَ لَا يَعْتَرِي إِلَّا آرَاءَ أَبِي ٱلْعَلَاءِ ٱلْمَاوَرَائِيَّةَ فَلَا تَنَاقُضَ مَثَلًا فِي سُوءِ ظَنِّهِ بِٱلْإِنْسَانِ عَامَّةً وَٱلْمَرْأَةِ خَاصَّةً ... فَٱلتَّنَاقُضُ بَيْنَ « جَلِيٍّ » وَلَقَدْ حَيَّرَ كُلَّ مَنْ جَالَ فِي شِعْرِ ٱلْمَعَرِّيِّ مِنَ ٱلْقُدَمَاءِ وَٱلْمُحْدَثِينَ ـ يَحْكُمُ عَلَيْهِ ٱلْقُدَمَاءُ تَارَةً بِٱلْكُفْرِ وَطَوْرًا بِٱلتَّوْبَةِ .

وَحَاوَلَ ٱلْمُحْدَثُونَ ٱلتَّعْلِيلَ وَٱلتَّأْوِيلَ بِدَوْرِهِمْ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا طَبْعًا أَنْ يَضْبِطُوا مَرَاحِلَ مُتَتَابِعَةً ـ مَرَاحِلَ شَكٍّ وَكُفْرٍ وَإِيمَانٍ يَكُونُ ٱلشَّاعِرُ قَدْ تَخَلَّصَ مِنْ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ ـ وَذَلِكَ لِأَنَّ ٱلْقَصَائِدَ غَيْرُ مُؤَرَّخَةٍ . وَحَتَّى لَوْ كَانَتِ ٱلْقَصَائِدُ مُؤَرَّخَةً مَا كُنَّا فِيمَا نَظُنُّ لِنَسْتَطِيعَ أَنْ نُحَدِّدَ مَرَاحِلَ مِنْ هَذَا ٱلنَّوْعِ ـ ذَلِكَ أَنَّ رِيَاحَ ٱلْكُفْرِ وَٱلْإِيمَانِ ٱلَّتِي نَسَجَتِ ٱللُّزُومِيَّاتِ لَمْ تُقَيَّدْ فِي نَظَرِنَا بِزَمَانٍ ـ بَلْ عَصَفَتْ فِي خُلْدِ ٱلشَّاعِرِ مُتَصَارِعَةً مُتَعَاكِسَةً مِنَ ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي رَافَقَتْهُ فِيهِ إِلَى مَحْبَسِهِ إِلَى ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي أَسْلَمَتْهُ فِيهِ إِلَى لَحْدِهِ .

فتواريخُ القصائدِ حتّى لَوْ ظفرْنا بها ، ما كانتْ إذنْ لِتحلَّ مُشكِلةَ التّناقُضِ في شِعرِ المَعرّيّ .

فكيفَ نشرحُ هذا التّناقُضَ ؟

يجبُ أوّلًا ، أنْ ننبّهَ إلى أنّ التّناقُضَ يكادُ يكونُ عُنصرَ الإنسانِ الأوّلِ ـ فالإنسانُ نفسٌ أمّارةٌ بالسّوء ، وروحٌ تتوقُ إلى المُثُلِ العُليا ، ونزاعٌ بينَ قُوى الخيرِ والشّرّ ـ فليسَ منَ الغريبِ إذًا أنْ يصدُرَ عنهُ الشّيءُ ونقيضُهُ ، ثُمّ ليسَ منّا مَنْ لَمْ يمرَّ ـ ما لَمْ يمتزِجْ بوَداعةِ البُلْهِ ، وسَكينةِ الحُمْقِ ـ بمرحلةِ الشّكّ ، وعرَضَ كُلّ ما لقّنهُ المُجتمَعُ والبيئةُ مِنْ حقائقَ على محكّ عقلِهِ،كُلُّنا نمُرُّ بهذهِ المَرْحلةِ ، في سِنّ المُراهقةِ على الأقلّ ، ثُمّ تفوتُها إلى ساحلِ الفِكرِ أوِ الإيمانِ أوِ اللّا مُبالاةِ غيرَ أنّ فاجعةَ المعرّيّ هيَ أنّهُ لَمْ يخرُجْ مِنْ هذهِ المَرْحلةِ إذْ هوَ أبى الخُروجَ منها إلّا ببَرْدِ اليقينِ ، اليقينِ البُرْهانيّ العَقليّ ، ولعلّهُ بعدَما كانَ يُفارقُها ، ليدخُلَ لُجّةَ بغدادَ عادَ إليها عِندَما ولَجَ بابَ العُزْلةِ .

نحنُ شُؤونُ اليومِ تُلهينا عنِ التّفكيرِ بجِدٍّ في شُؤونِ الغدِ أمّا المعرّي في عُزلتِهِ ، فليستْ لهُ شُؤونٌ سِوى شُؤونِ الغدِ ، فآمنَ في التّفكيرِ فيها ، وزادَ كُلَّ يومٍ غوصًا في أعماقِها .

فالفاجعةُ إذًا هيَ أنّ المعرّيَّ أرادَ أنْ يحلَّ الغازَ الغدِ،الغازَ المَصيرِ ، ويصلَ إلى العِلمِ اليقينِ بواسطةِ العقلِ فقطْ فلَمْ يخرُجْ مِنْ تفكيرِهِ بسِوى الأسى والضّجرِ فيبوحَ لكَ ،

أمَّا ٱلْيَقِينُ فَلَايقِينَ وَإِنَّمَـــا * أَقْفُو ٱجْتِهَادِي أَنْ أَظُنَّ وَأَحْدَسَا

... هَكَذَا تَشْتَدُّ أَزْمَةُ ٱلْمَعَرِّي حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُ أَمَلٌ إِلَّا فِي ٱلرَّحِيلِ.

ذَلِكَ أَنَّ شَيْخَ ٱلْمَعَرَّةِ آمَنَ بِسُلْطَانِ عَقْلِهِ، فَأَفْرَطَ فِي إِيمَانِهِ وَتَعْوِيلِهِ عَلَيْهِ.

فَٱلْعَقْلُ أَدَاةٌ صَالِحَةٌ عَجِيبَةٌ لِإِدْرَاكِ أَسْرَارِ عَالَمِ ٱلْمُشَاهَدَةِ، قَاصِرَةٌ بِمُفْرَدِهَا عَنْ كُنْهِ ٱلْغَازِ عَالَمِ ٱلْغَيْبِ.

فَبَقِيَ ٱلْمَعَرِّي كُلَّمَا ٱرْتَقَى هَضْبَةً أَسْلَمَتْه إِلَى أُخْرَى، فَتَارَةً يُشْرِفُ عَلَى ٱلْكُفْرِ وَتَارَةً عَلَى ٱلْإِيمَانِ بَقِيَ كَذَلِكَ يُعَانِي أَزْمَتَهُ ٱلْعَقْلِيَةَ ٱلْمَاوَرَائِيَةَ فِي صِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ حَتَّى تَقَدَّمَتْ بِهِ ٱلسِّنُّ، وَكَسَاهُ ٱلشَّيْبُ جِلْبَابَ ٱلْوَقَارِ، فَلَمْ يَدْفَعْ عَنْهُ مَا كَانَ يُقَاسِي مِنْ آلَامٍ.

وَأَرَادَ حَكِيمُ ٱلْمَعَرَّةِ أَنْ يُوقِنَ وَأَنْ يَكُونَ مِنْ ٱلْمُفْلِحِينَ لَكِنَّهُ طَلَبَ ٱلْيَقِينَ مِنْ طَرِيقٍ وَاحِدَةٍ، هِيَ طَرِيقُ ٱلْعَقْلِ، فَعَرَفَ ٱلْأَزْمَةَ ٱلَّتِي عَرَفَهَا ٱلْغَزَالِيُّ * بَعْدَهُ بِنِصْفِ قَرْنٍ، وَخَرَجَ مِنْهَا عَنْ طَرِيقِ ٱلْحَدْسِ، أَوْ كَمَا يَقُولُ هُوَ بِفَضْلِ نُورٍ أَلْقَاهُ ٱللَّهُ فِي قَلْبِهِ.

لَكِنَّ أَبَا ٱلْعَلَاءِ قَدْ حُرِمَ هَذَا ٱلنُّورَ ٱلَّذِي يُلْقِيهِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَلَعَلَّ كِبْرِيَاءَهُ ٱلْعَظِيمَ ٱلَّذِي جَعَلَهُ يَشِذُّ فِي كُلِّ شَيْءٍ عَمَّنْ يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ، وَفَرْطَ إِيمَانِهِ بِعَقْلِهِ وَٱتِّكَالِهِ عَلَيْهِ جَعَلَهُ لَا يَفْتَحُ قَلْبَهُ لِهَذَا ٱلنُّورِ، فَبَقِيَ تَتَقَاذَفُهُ لُجَجُ ٱلْأَفْكَارِ ٱلْمُتَنَاقِضَةِ، وَتَعْتَرِيهِ حَالَاتٌ مُتَعَاكِسَةٌ.

فَلَمْ يَهْتَدِ لِلخُرُوجِ من مِنْطَقَةِ ٱلزَّوابِعِ ٱلَّتِي تَعْصِفُ بِهَا رِيَاحُ ٱلْكُفْرِ وَٱلإِيمَانِ . وإِلَى ٱلسَّيْرِ بِسَفِينَةِ قَلبِهِ ٱلْمُعَذَّبِ إِلَى سَاحِلِ السَّلاَمَةِ . وَمَنْ يُدْرِيكَ ؟ فَلَعَلَّ كِبْرِيَاءَهُ كَانَ يجعلُه يَجِد لَذَّةً فِي ٱلأَلَمِ . كَمَا كَانَ يَجِدُ لَذَّةً فِي ٱلْحِرْمَانِ ٱلَّذِي كَتَبَهُ عَلَى نَفْسِهِ .

لَعَلَّهُ كَانَ يَجِدُ لَذَّةً فِي ٱحْتِسَاءِ كَأْسِ وَضْعِ ٱلإِنْسَانِ ٱلشَّقِيِّ بِعَقْلِهِ فِي ٱلْكَوْنِ حَتَّى ٱلتُّمَالَةِ .

إِنَّمَا ٱلْمَعَرِّيُّ إِذَنْ صُوفِيٌّ حُرِمَ نُورَ ٱللَّهِ . فَصُلِبَ عَلَى صَلِيبِ ٱلْمَاوَرَائِيَاتِ بِمَسَامِيرِ ٱلْعَقْلِ . وَمَا ٱلتَّنَاقُضُ فِي لُزُومِيَّاتِهِ إِلاَّ صُورَةٌ صَادِقَةٌ لِمَا كَانَ يَعْتَرِيهِ مِنْ حَالاَتٍ تُنْطِقُهُ بِحُكْمِ قَضَاءِ ٱللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُ .

وَبَعْدُ فَإِنَّ لَمْ يَطْمَئِنَّ إِلَى ٱلإِيمَانِ فَهُوَ لَمْ يَطْمَئِنَّ أَيْضًا إِلَى ٱلْكُفْرِ . وَالرَّاجِحُ أَنَّهُ مَهْمَا ٱكْفَهَرَّ لَيْلُ أَزْمَتِهِ . لَمْ يَفْقِدْ أَبَدًا ٱلأَمَلَ فِي ٱلْغُفْرَانِ ،

إِنَّ خَتْمَ ٱللَّهُ بِغُفْرَانِـــــهِ * فَكُلُّ مَا لاَقَيْتُهُ سَهْـــلُ

مُحَمَّدُ ٱلطَّالِبِيُّ ـ ٱلْعَمَلُ ٱلثَّقَافِيُّ
20 / 5 / 1966 عَدَدُ 3311 ٱلسَّنَةُ ، 30 .

مُحَمَّدُ ٱلطَّالِبِيُّ ، بَاحِثٌ تُونِسِيٌّ مُعَاصِرٌ ـ ٱشْتَغَلَ بِتَدْرِيسِ ٱلأَدَبِ ٱلْعَرَبِيِّ بِٱلْجَامِعَةِ ٱلتُّونِسِيَّةِ إِلَى جَانِبِ كِتَابَةِ ٱلْعَدِيدِ مِنَ ٱلْمَقَالاَتِ وَٱلْبُحُوثِ فِي ٱلْجَرَائِدِ وَٱلْمَجَلاَّتِ . تَوَلَّى عِمَادَةَ كُلِّيَّةِ الآدابِ مُدَّةً.ثُمَّ بَعْدَ إِحْرَازِهِ عَلَى شَهَادَةِ ٱلدُّكْتُورَا تَخَصَّصَ فِي تَدْرِيسِ ٱلتَّارِيخِ بِٱلْجَامِعَةِ ٱلتُّونِسِيَّةِ ـ مِنْ أَهَمِّ مَا صَدَرَ لَهُ ، تَرَاجِمُ أَغْلَبِيَّةٌ وَكِتَابٌ بِٱلْفِرَنْسِيَّةِ عَنِ ٱبْنِ خَلْدُونَ ـ

تَرَاجِـــمُ ٱلأَعْـــلَامِ :

* ٱلْغَزَالِيُّ . ٱنْظُرِ ٱلْمَقَالَ « أَبُو ٱلْعَلَاءِ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ نَفْسِكَ » . تَرْجَمَتُهُ ص. 143

ٱلأَسْئِلَـــةُ :

1 - مَا هِيَ ٱلْمَوَاقِفُ ٱلَّتِي يَبْدُو فِيهَا أَبُو ٱلْعَلَاءِ مُتَنَاقِضًا فِي نَظَرِ ٱلْكَاتِبِ ؟
2 - مَا هِيَ ٱلأَسْبَابُ ٱلَّتِي دَفَعَتْ أَبَا ٱلْعَلَاءِ إِلَى ٱلتَّنَاقُضِ فِي نَظَرِ صَاحِبِ ٱلْمَقَالِ ؟
3 - مَا هُوَ مَوْقِفُ ٱلْكَاتِبِ مِنْ قَضِيَّةِ إِيمَانِ أَبِي ٱلْعَلَاءِ أَوْ كُفْرِهِ ؟
4 - مَا هُوَ مَوْقِفُكَ ٱلشَّخْصِيُّ مِنْ أَبِي ٱلْعَلَاءِ بِٱلاَعْتِمَادِ عَلَى مَا دَرَسْتَهُ لَهُ ؟ هَلْ تَرَاهُ مُؤْمِنًا أَمْ كَافِرًا ؟ عَلِّلْ ذَلِكَ .

رسالة الغفران

اَلْكَلِمَـــةُ الطَّيِّبَـــةُ.

وَقَدْ وَصَلَتِ (اَلرِّسَالَةُ) اَلَّتِي بَحْرُهَا بِالْحِكَمِ مَسْجُورٌ ، [1] وَمَنْ قَرَأَهَا مَأْجُورٌ ، [2] إِذْ كَانَتْ تَأْمُرُ بِتَمْثِلِ الشَّرْعِ ، وَتَعِيبُ مَنْ تَرَكَ أَصْلاً إِلَى فَرْعٍ ، وَغَرَقْتُ فِي أَمْوَاجِ بِدَعِهَا الزَّاخِرَةِ،وَعَجِبْتُ مِنِ اتِّسَاقِ عُقُودِهَا الْفَاخِرَةِ ، وَمِثْلُهَا شَفَعَ وَنَفَعَ،وَقَرُبَ عِنْدَ اللَّهِ وَرَفَعَ ، وَأَلْفَيْتُهَا مُفْتَتَحَةً بِتَمْجِيدٍ ، صَدَرَ عَنْ بَلِيغٍ مُجِيدٍ ، وَفِي قُدْرَةِ رَبِّنَا ـ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ ـ أَن يَجْعَلَ كُلَّ حَرْفٍ مِنْهَا شَبَحَ نُورٍ، لَا يَمْتَزِجُ بِمَقَالِ الزُّورِ ، [3] يَسْتَغْفِرُ لِمَنْ أَنْشَأَهَا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، وَيَذْكُرُهُ ذِكْرَ مُحِبٍّ خَدِينٍ.وَلَعَلَّهُ ، سُبْحَانَهُ ، قَدْ نَصَبَ لِسُدُولِهَا الْمُنْجِيَةِ مِنَ اللَّهَبِ مَعَارِيجَ من الْفِضَّةِ أَوِ الذَّهَبِ ، تَعْرُجُ بِهَا الْمَلَائِكَةُ مِنَ الْأَرْضِ الزَّاكِدَةِ إِلَى السَّمَاءِ . وَتَكْشِفُ سُجُوفَ الظَّلْمَاءِ بِدَلِيلِ الْآيَةِ ، « إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ » . [4]

وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ كَأَنَّهَا الْمَعْنِيَّةُ بِقَوْلِهِ ، « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً ،كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا » [5] .

وَفِي تِلْكَ السُّطُورِ كَلِمٌ كَثِيرٌ ، كُلُّهُ-عِند الْبَارِي . تَقَدَّسَ- أَثِيرٌ [6] . فَقَدْ غُرِسَ لِمَوْلَايَ الشَّيْخِ الْجَلِيلِ ـ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ـ بِذَلِكَ الثَّنَاءِ شَجَرٌ فِي الْجَنَّةِ لَذِيذُ اجْتِنَاءٍ ، كُلُّ شَجَرَةٍ مِنْهُ تَأْخُذُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ بِظِلٍّ غَاطٍّ [7] ، لَيْسَتْ فِي الْأَعْيُنِ كَذَاتِ أَنْوَاطٍ [8]. وَذَاتُ أَنْوَاطٍ ـ كَمَا يَعْلَمُ [9] ـ شَجَرَةٌ كَانُوا يُعَظِّمُونَهَا

فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ ... وَٱلْوِلْدَانُ ٱلْمُخَلَّدُونَ فِي ظِلَالِ تِلْكَ ٱلشَّجَرِ قِيَامٌ وَقُعُودٌ ، وَبِٱلْمَغْفِرَةِ نِيلَتْ ٱلسُّعُودُ، يَقُولُونَ ، وَٱللَّهُ ٱلْقَادِرُ عَلَى كُلِّ عَزِيزٍ: «نَحْنُ وَهَذِهِ ٱلشَّجَرُ صِلَةٌ مِنَ ٱللَّهِ لِعَلِيِّ بْنِ مَنْصُورٍ* ، نُخْبَأُ لَهُ إِلَى نَفْخِ الصُّورِ».

وَتَجْرِي فِي أُصُولِ ذَلِكَ ٱلشَّجَرِ أَنْهَارٌ تُخْتَلَجُ [10] مِنْ مَاءِ ٱلْحَيَوَانِ [11] ، وَٱلْكَوْثَرُ [12] يَمُدُّهَا فِي كُلِّ أَوَانٍ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا النُّغْبَةَ [13] فَلَا مَوْتَ ، قَدْ أُمِنَ هُنَالِكَ ٱلْفَوْتَ ، وَسُعُدٌ [14] من ٱللَّبَنِ مُتَخَرِّقَاتٌ [15] ، لَا تُغَيِّرُ بِأَنْ تَطُولَ ٱلْأَوْقَاتُ ، وَجَمَافِرُ [16] مِنَ الرَّحِيقِ ٱلْمَخْتُومِ عَزَّ ٱلْمُقْتَدِرُ عَلَى كُلِّ مَخْتُومٍ ، تِلْكَ هِيَ ٱلرَّاحُ ٱلدَّائِمَةُ ، لَا ٱلذَّمِيمَةُ وَلَا الذَّائِمَةُ [17] ، بَلْ هِيَ كَمَا قَالَ عَلْقَمَةُ * مُفْتَرِيًا ، وَلَمْ يكن لِعَفْوٍ مُقْتَرِيًا ، [18]

تَشْفِي ٱلصُّدَاعَ وَلَا يُؤْذِيهِ صَالِبُهَا وَلَا يُخَالِطُ مِنْهَا ٱلرَّأْسَ تَدْوِيمُ [19]

أَبُو ٱلْعَلَاءِ ٱلْمَعَرِّيُّ
رِسَالَةُ ٱلْغُفْرَانِ ، تَحْقِيقُ بِنْتِ ٱلشَّاطِئِ
ط 5 ـ ص ، 139 ـ 142

شَرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ ،

1) مَسْجُورٌ ، لَهَا مَعْنَيَانِ مُتَضَادَّانِ ، مَمْلُوءٌ وفَارِغٌ ... وَٱلْمَقْصُودُ هُنَا هُوَ ٱلْمَعْنَى ٱلْأَوَّلُ ...
2) مَأْجُورٌ: نَائِلٌ لِلْأَجْرِ: ٱلثَّوَابِ ...
3) ٱلزُّورُ ، ضِدُّ ٱلْحَقِيقَةِ ، ٱلْكَذِبُ ...
4) إِلَيْهِ يَصْعَدُ ، ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ... قُرْآنٌ ، سُورَةُ فَاطِرٍ مِنَ ٱلْآيَةِ 10.

5) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ ... سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ ٱلآيَتَانِ 24 و 25 ...

الأُكُلُ بِضَمِّ ٱلْهَمْزَةِ وَٱلْكَافِ . ٱلثَّمَرُ . مَا يُؤْكَلُ مِنَ ٱلرِّزْقِ ٱلْوَاسِعِ .

6) أَثِيرُ ، مِنْ أَثَرَ يَأْثُر أَثْرًا وَإِثَارَةً . وَآثَرَ إِيثَارًا . = أَكْرَمَ - وَٱلأَثِيرُ مِنَ ٱلرِّجَالِ هُوَ ٱلْمُكْرَمُ ٱلْمَكِينُ ...

7) غَاطٌّ ، مِنْ غَطَّتْ ٱلشَّجَرَةُ وَأَغْطَتْ : بَسَطَتْ ظِلَّهَا عَلَى مَا حَوْلَهَا . وَٱلظِّلُّ ٱلْغَاطُّ هُوَ ٱلظِّلُّ ٱلْوَاسِعُ ٱلْمَبْسُوطُ ...

8) ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، شَجَرَةٌ كَانَتْ تُعْبَدُ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ ٱلْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَنُوطُونَ بِهَا سِلَاحَهُمْ أَيْ يُعَلِّقُونَهُ بِهَا وَأَنْوَاطٌ جَمْعُ نَوطٍ وَهُوَ مَصْدَرٌ سُمِّيَ بِهِ مَا عُلِّقَ .

9) كَمَا يَعْلَمُ ، ٱلضَّمِيرُ هُنَا لِلشَّيْخِ ٱبْنِ ٱلْقَارِحِ ...

10) تَخْتَلِجُ ، تَجْتَذِبُ - وَمِنْهُ ٱلْخَلِيجُ أَيْ فَرْعُ ٱلنَّهْرِ أَوْ نَهْرٌ يُقْتَطَعُ مِنْ نَهْرٍ أَعْظَمَ ...

11) مَاءُ ٱلْحَيَوَانِ ، أَيْ مَاءُ ٱلْحَيَاةِ ...

12) ٱلْكَوْثَرُ ، فِي ٱلأَصْلِ : ٱلْكَثِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَهُنَا . نَهْرٌ فِي ٱلْجَنَّةِ تَنْفَجِرُ مِنْهُ جَمِيعُ أَنْهَارِهَا . وَفِي ٱلْحَدِيثِ " إِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي . فِيهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ أَحْلَى مِنَ ٱلْعَسَلِ . وَأَبْيَضُ مِنَ ٱللَّبَنِ وَأَبْرَدُ مِنَ ٱلثَّلْجِ وَأَلْيَنُ مِنَ ٱلزُّبْدِ حَافَتَاهُ مِنَ ٱلزَّبَرْجَدِ . وَأَوَانِيهِ مِنْ فِضَّةٍ لَا يَظْمَأُ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ "

13) ٱلنُّغْبَةُ ، ٱلْجُرْعَةُ ...

14) سُعُدُ ، جَمْعُ سَعِيدٍ كَأَمِيرٍ ، وَهُوَ ٱلنَّهْرُ ٱلصَّغِيرُ ، وَسَعِيدُ ٱلْمَزْرَعَةِ ، نَهْرُهَا ٱلَّذِي يَسْقِيهَا . وَٱلسَّوَاعِدُ ، مَجَارِي ٱلْمَاءِ إِلَى ٱلنَّهْرِ ، وَسَوَاعِدُ ٱلْبِئْرِ ، مَخَارِجُ مَائِهَا وَمَجَارِي عُيُونِهَا .

15) مُتَخَرِّقَاتٌ ، جَمْعُ مُتَخَرِّقَةٌ ، مِنْ تَخَرَّقَ فِي ٱلْكَرَمِ ، أَتْسَعَ فِيهِ . وَٱلْمُتَخَرِّقُ ، ٱلْمُتَّسِعُ ...

16) جَعَافِرُ ، جَمْعُ جَعْفَرٍ . ٱلنَّهْرُ وَقِيلَ هُوَ ٱلنَّهْرُ ٱلْكَبِيرُ وَقِيلَ هُوَ ٱلنَّهْرُ ٱلصَّغِيرُ .

17) ٱلذَّائِمَةُ ، مِنْ ذَامَهُ إِذَا غَابَهُ وَحَقَّرَهُ ، فَهِيَ ٱلْعَائِبَةُ .

18) ٱلْمُقْتَرِي ، ٱلطَّالِبُ . وَيُقَالُ ٱقْتَرَى ٱلضِّيَافَةَ ، طَلَبَهَا ...

19) تَدْوِيمٌ ، « مَصْدَرُ . دَوَّمَتْ ٱلْخَمْرُ شَارِبَهَا ، إِذَا سَكِرَ فَأَخَذَهُ ٱلدُّوَارُ ...

تَـرَاجِـمُ الأَعْـلاَمِ :

* - عَلِيُّ بْنُ مَنْصُورٍ ، هُوَ عَلِيُّ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ طَالِبٍ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْقَارِحِ الْحَلَبِيِّ الْمُلَقَّبِ بِدَوْخَلَةَ وَيُكَنَّى أَبَا الْحَسَنِ. هُوَ شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ الأَدَبِ رَاوِيَةٌ لِلأَخْبَارِ ، خَدَمَ أَبَا عَلِيٍّ الْفَارِسِيَّ بِالشَّامِ وَهُوَ صَبِيٌّ ، ثُمَّ لازَمَهُ وَقَرَأَ عَلَيْهِ كَمَا خَدَمَ الْمَغْرِبِيَّ بِمِصْرَ ، وَاتَّصَلَ بِأَبِي الْقَاسِمِ الْمَغْرِبِيِّ الَّذِي وَزَرَ فِي بَغْدَادَ فَمَدَحَهُ ثُمَّ تَنَكَّرَ لَهُ فِي مِحْنَتِهِ وَلَهُ فِيهِ هَجْوٌ كَثِيرٌ ، عَاشَ فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهِجْرِيِّ وَالنِّصْفِ الأَوَّلِ مِنَ الْقَرْنِ الْخَامِسِ ، إِذْ يُشِيرُ يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ فِي « مُعْجَمِ الأُدَبَاءِ » (ج 15 - ص 84) أَنَّ وِلادَتَهُ كَانَتْ فِي حَلَبٍ سَنَةَ 351 هـ / 962 م. وَأَنَّ وَفَاتَهُ كَانَتْ بَعْدَ سَنَةِ 461 هـ / 1069 م. قَدِ اشْتَغَلَ مُؤَدِّبَ صِبْيَانٍ خَاصَّةً . وَيَقُولُ يَاقُوتُ عَنْ شِعْرِهِ: « وَشِعْرُهُ يَجْرِي مَجْرَى شِعْرِ الْمُعَلِّمِينَ قَلِيلُ الْحَلاوَةِ خَالِيًا مِنَ الطَّلاوَةِ ... »

* - عَلْقَمَةُ هُوَ عَلْقَمَةُ بْنُ عَبْدَةَ شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ وَهُوَ الْمَدْعُوُّ عَلْقَمَةُ الْفَحْلُ . قِيلَ لُقِّبَ بِذَلِكَ لأَنَّهُ احْتَكَمَ مَعَ امْرِئِ الْقَيْسِ إِلَى امْرَأَتِهِ أُمِّ جُنْدُبٍ فَاسْتَنْشَدَتْهُمَا فِي الْخَيْلِ عَلَى رَوِيٍّ وَاحِدٍ وَقَافِيَةٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ حَكَمَتْ لِعَلْقَمَةَ عَلَى امْرِئِ الْقَيْسِ زَوْجِهَا فَطَلَّقَهَا فَخَلَفَ عَلَيْهَا عَلْقَمَةُ ، يُرَجَّحُ أَنْ تَكُونَ وَفَاتُهُ سَنَةَ 561 م .

الأَسْئِلَـــةُ :

- يُعْتَبَرُ الْقِسْمُ الأَوَّلُ مِنْ رِسَالَةِ الْغُفْرَانِ - أَيْ رِحْلَةِ ابْنِ الْقَارِحِ فِي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ - جُمْلَةً اعْتِرَاضِيَّةً . أَوِ اسْتِطْرَادًا . بَيِّنْ مُنْطَلَقَ ذَلِكَ الاسْتِطْرَادِ فِي هَذَا النَّصِّ .
- بِمَاذَا وَصَفَ الْمَعَرِّيُّ رِسَالَةَ ابْنِ الْقَارِحِ ؟ هَلْ تَرَاهُ جَادًّا فِي وَصْفِهِ أَمْ هَازِلاً لِمَاذَا ؟
- مَا هِيَ مَصَادِرُ أَبِي الْعَلاءِ فِي وَصْفِ الْجَنَّةِ حَسَبَ هَذَا النَّصِّ ؟
- فِي هَذَا النَّصِّ مَوْقِفٌ مِنَ « الْعَقْلِيَّةِ الْكَلامِيَّةِ » عِنْدَ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ أَيْ حُبِّ الْكَلامِ - طَيِّبًا كَانَ أَوْ جَمِيلاً . مَا هُوَ ذَلِكَ الْمَوْقِفُ ؟ بَيِّنْهُ انْطِلاقًا مِنْ دُخُولِ ابْنِ الْقَارِحِ الْجَنَّةَ بِالْكَلامِ الطَّيِّبِ وَلَيْسَ بِالْعَمَلِ الطَّيِّبِ .
- مَا هُوَ مَوْقِفُ الْمَعَرِّيِّ مِنَ الْحَيَاةِ فِي الْجَنَّةِ حَسَبَ هَذَا النَّصِّ وَمَوْقِفُهُ مِنْ تَصَوُّرِ النَّاسِ لَهَا ؟

حَدِيثُ ٱلنُّزْهَةِ.

ثُمَّ إِنَّهُ ـ أَدَامَ ٱللَّهُ تَمْكِينَهُ ـ يَخْطُرُ لَهُ حَدِيثُ شَيْءٍ كَانَ يُسَمَّى ٱلنُّزْهَةَ فِي ٱلدَّارِ ٱلْفَانِيَةِ ، فَيَرْكَبُ نَجِيبًا [1] مِن نُجُبِ ٱلْجَنَّةِ ،خُلِقَ مِنْ يَاقُوتٍ وَدُرٍّ ، فِي سَجْسَجٍ [2] بَعُدَ عَنِ ٱلْحَرِّ وَٱلْقَرِّ ، وَمَعَهُ إِنَاءٌ فَيْهَجٍ [3] ، فَيَسِيرُ فِي ٱلْجَنَّةِ عَلَى غَيْرِ مَنْهَجٍ ،وَمَعَهُ شَيْءٌ مِن طَعَامِ ٱلْخُلُودِ ، نُخِرَ لِوَالِدٍ سَعِدَ أَوْ مَوْلُودٍ ، فَإِذَا رَأَى نَجِيبَهُ يُمْلِعُ بَيْنَ [4] كُثْبَانِ ٱلْعَنْبَرِ ، وَضَيْمُرَانٍ [5] وُصِلَ بِصَعْبَرِ [6] ، وَقَعَ صَوْتُهُ مُتَمَثِّلًا بِقَوْلِ ٱلْبَكْرِيِّ ، *

« لَيْتَ شِعْرِي ، مَتَى تَخُبُّ [7] بِنَا ٱلنَّا قَةُ نَحْوَ ٱلْعُذَيْبِ [8] فَالصُّيْبُونِ [9]

مُحْقِبًا [10] زُكْرَةً [11] وَخُبْزَ رُقَاقٍ وَحِبَاقًا [12] وَقِطْعَةً مِنَ نُونِ [13]

يَعْنِي بِٱلْحِبَاقِ جُرْزَةَ ٱلْبَقْلِ ، فَيَهْتِفُ هَاتِفٌ ، أَتَشْعُرُ أَيُّهَا ٱلْعَبْدُ ٱلْمَغْفُورُ لَهُ لِمَنْ هَذَا ٱلشِّعْرُ ؟ فَيَقُولُ ٱلشَّيْخُ ، نَعَمْ حَدَّثَنَا أَهْلُ ثِقَتِنَا عَنْ أَهْلِ ثِقَتِهِمْ ، يَتَوَارَثُونَ ذَلِكَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ ... أَنَّ هَذَا ٱلشِّعْرَ « لِمَيْمُونِ بْنِ قَيْسِ بْنِ جَنْدَلٍ أَخِي بَنِي رَبِيعَةَ بْنِ ضُبَيْعَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُكَابَةَ بْنِ صَعْبِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، فَيَقُولُ ٱلْهَاتِفُ ، أَنَا ذَلِكَ ٱلرَّجُلُ ، مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيَّ بَعْدَ مَا صِرْتُ مِنْ جَهَنَّمَ عَلَى شَفِيرٍ وَيَئِسْتُ مِنَ ٱلْمَغْفِرَةِ وَٱلتَّكْفِيرِ فَيَلْتَفِتُ إِلَيْهِ ٱلشَّيْخُ هَشًّا [14] بَشًّا ، [15] فَإِذَا هُوَ بِشَابٍّ غُرَانِقٍ [16]

غَبَرَ فِي ٱلنَّعِيمِ ٱلْمُفَانِقِ [17] ، وَقَدْ صَارَ عَشَاهُ حَوَرًا مَعْرُوفًا، وَٱنْحِنَاءُ ظَهْرِهِ قَوَامًا مَوْصُوفًا .

أَبُو ٱلْعَلَاءِ ٱلْمَعَرِّيُّ
رِسَالَةُ ٱلْغُفْرَانِ ، ص ، 175 ـ 178

1 - شَرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ ،

1) نَجِيبًا ، ٱلْجَمَلُ ٱلْفَتِيُّ .
2) سَجَسٌ ، سَجَاسِجُ وَسَجَاسِيجُ ، مَا بَيْنَ طُلُوعِ ٱلْفَجْرِ وَطُلُوعِ ٱلشَّمْسِ ، يُقَالُ يَوْمُ سَجَسٍ ، إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ حَرٌّ مُؤْذٍ وَلَا بَرْدٌ شَدِيدٌ ، وَهَوَاءٌ سَجَسٌ ، أَيْ مُعْتَدِلٌ بَيْنَ ٱلْحَرِّ وَٱلْبَرْدِ . وَرِيحٌ سَجَسٌ ، أي لَيِّنَةُ ٱلْهَوَاءِ مُعْتَدِلَةٌ
3) فَيْهَجٌ ، مِنْ أَسْمَاءِ ٱلْخَمْرِ ، وَقِيلَ ، هُوَ من صِفَاتِهَا . ٱلصَّافِي مِنْهَا ـ وَقِيلَ ، هُوَ مِكْيَالُ ٱلْخَمْرِ وَمُصَنَّفَاتِهَا . وَٱلْكَلِمَةُ مُعَرَّبَةٌ فَارِسِيَّةُ ٱلْأَصْلِ .
4) يَمْلَعُ ، يُسْرِعُ وَيَخِفُّ . وَٱلْمَلِيعُ ، هِيَ ٱلنَّاقَةُ أَوْ ٱلْفَرَسُ ٱلسَّرِيعُ .
5) ضَيْمُرَانُ ، ضَرْبٌ مِنَ ٱلشَّجَرِ مِنْ رَيْحَانِ ٱلْبَرِّ .
6) صَعْبَرٌ ، شَجَرٌ كَالسِّدْرِ .
7) تَخِبُّ ، مِنَ ٱلْخَبِّ وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ ٱلسَّيْرِ .
8) ٱلْعُذَيْبُ ، ٱسْمٌ مَوْضِعٍ بِهِ مَاءٌ بَيْنَ ٱلْقَادِسِيَّةِ وَٱلْمَغِيثَةِ وَقِيلَ أَيْضًا هُوَ وَادٍ لِبَنِي تَمِيمٍ وَهُوَ مِنْ مَنَازِلِ حَاجِّ ٱلْكُوفَةِ .
9) ٱلصَّيْبُونِ ، ٱسْمُ مَوْضِعٍ كَذَلِكَ .
10) مُحْقِبًا ، مِنْ أَحْقَبَ ، عَلَّقَ ٱلشَّيْءَ فِي وَسَطِهِ . من ٱلْحِقَابِ ، شَيْءٌ تُعَلِّقُ بِهِ ٱلْمَرْأَةُ ٱلْحُلِيَّ وَنَحْوَهُ فِي وَسَطِهَا .
11) زُكْرَةً ، وِعَاءٌ مِنْ جِلْدٍ ، لِلْخَمْرِ وَغَيْرِهِ .
12) ٱلْخُبَاقُ ، نَبَاتٌ طَيِّبُ ٱلرَّائِحَةِ .
13) نُونٌ ، ٱلْحُوتُ .
14) هَشًّا ، مِنْ هَشَّ هَشَاشَةً ، ٱنْطَلَقَ وَجْهُهُ .
15) بَشًّا ، مِنْ بَشَّ بَشَاشَةً كَسُرَ بِشْرُهُ .

16) غَـرَانِقُ ، اَلشَّابُّ اَلأَبْيَضُ اَلْجَمِيلُ،جَمْعُهُ غَرَانِيقُ وَغَرَانِقَةٌ.

17) اَلْمُفَانَقُ ، يُقَالُ عَيْشٌ مُفَانَقٌ أَيْ نَاعِمٌ وَمِنْهُ تَفَنَّقَ.أَيْ تَأَنَّقَ.وَالْفَنِيقَةُ ، اَلْمَرْأَةُ اَلْمُنَعَّمَةُ .

2 - تَـرَاجِمُ اَلأَعْـلاَمِ :

* اَلْبَكْرِيُّ ، هُوَ اَلأَعْشَى ، مَيْمُونُ بْنُ قَيْسٍ ، أَبُو بَصِيرٍ ، مِنْ شُعَرَاءِ اَلطَّبَقَةِ اَلأُولَى فِي اَلْجَاهِلِيَّةِ ، أَدْرَكَ اَلإِسْلاَمَ وَرَحَلَ إِلَى اَلنَّبِيِّ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ فِيهِ مَدْحًا إِلاَّ أَنَّ قُرَيْشًا رَدَّتْهُ .

3 - اَلأَسْئِلَـــةُ :

1 - كَيْفَ يَتَصَوَّرُ اِبْنُ اَلْقَارِحِ اَلْحَيَاةَ فِي اَلْجَنَّةِ ؟

2 - كَيْفَ عَبَّرَ اَلْمَعَرِّيُّ عَنْ ذَلِكَ اَلتَّصَوُّرِ فِي هَذَا اَلنَّصِّ ؟

3 - مَا هِيَ قِيمَةُ سِلْسِلَةِ اَلنَّسَبِ اَلْمَرْوِيَّةِ فِي هَذَا اَلنَّصِّ اَلْخَاصَّةِ بِالأَعْشَى ؟

4 - هَلْ تَجِدُ فِي اَلنَّصِّ مِثْلَ غَيْرِهِ مِنْ نُصُوصِ اَلْغُفْرَانِ إِغْرَابًا لُغَوِيًّا ؟ مَا هِيَ اَلْغَايَةُ مِنْ ذَلِكَ ؟

5 - هَلْ يُبْرِزُ لَكَ اَلنَّصُّ مَوْقِفَ أَبِي اَلْعَلاَءِ مِنْ تَصَوُّرِ اِبْنِ اَلْقَارِحِ اَلْحَيَاةَ فِي اَلْجَنَّةِ ؟ بَيِّنْ ذَلِكَ .

مَعَ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ

(تَقْدِيمٌ ، يَلْتَقِي ٱبْنُ ٱلْقَارِحِ بِٱلشَّاعِرِ ٱلْجَاهِلِيِّ « عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ ٱلْعِبَادِيِّ » فَيَسْأَلُهُ بِمَ عُرِفَ لَهُ . فَيُعْلِمُهُ بِأَنَّهُ كَانَ عَلَى دِينِ ٱلْمَسِيحِ « وَمَنْ كَانَ مِنْ إِتْبَاعِ ٱلْأَنْبِيَاءِ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَ مُحَمَّدٌ فَلَا بَأْسَ عَلَيْهِ » . ثُمَّ يَطْلُبُ ٱبْنُ ٱلْقَارِحِ مِنْ عَدِيٍّ أَنْ يُنْشِدَهُ قَصِيدَتَهُ « ٱلصَّادِيَةَ » فَيُنْشِدُهَا . ثُمَّ يُنَاقِشُهُ فِي بَعْضِ ٱلْمَسَائِلِ ٱللُّغَوِيَّةِ ٱلَّتِي ٱخْتَلَفَ فِيهَا ٱللُّغَوِيُّونَ ، مِنْ شِعْرِهِ .)

فَيَقُولُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ ، دَعْنِي مِنْ هَذِهِ ٱلْأَبَاطِيلِ ، وَلَكِنِّي كُنْتُ فِي ٱلدَّارِ ٱلْفَانِيَةِ صَاحِبَ قَنْصٍ ... فَهَلْ لَكَ أَنْ نَرْكَبَ فَرَسَيْنِ مِنْ خَيْلِ ٱلْجَنَّةِ فَنَبْعَثُهُمَا عَلَى صِيرَانِهَا [1] وَخِيطَانِ [2] نَعَامِهَا وَأَسْرَابِ ظِبَائِهَا وَعَافَاتِ [3] حُمُرِهَا ، فَإِنَّ لِلْقَنِيصِ لَذَّةً قَدْ تَنَغَّصْتُ [4] لَكَ بِهَا ؟ فَيَقُولُ ٱلشَّيْخُ ؟ إِنَّمَا أَنَا صَاحِبُ قَلَمٍ وَسِلْمٍ وَلَمْ أَكُنْ صَاحِبَ خَيْلٍ وَلَا مِمَّنْ يَسْحَبُ طَوِيلَ ٱلذَّيْلِ . وَزُرْتُكَ إِلَى مَنْزِلِكَ مُهَنِّئًا بِسَلَامَتِكَ مِنَ ٱلْجَحِيمِ وَتَنَعُّمِكَ بِعَفْوِ ٱلرَّحِيمِ ... وَيَجُوزُ أَنْ يَقْذِفَنِي ٱلسَّابِحُ [5] عَلَى صُخُورٍ زُمُرُّدٍ فَيَكْسِرَ لِي عَضُدًا أَوْ سَاقًا فَأَصِيرَ ضُحْكَةً فِي أَهْلِ ٱلْجِنَانِ .

فَيَبْتَسِمُ « عَدِيٌّ » وَيَقُولُ ، وَيْحَكَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ ٱلْجَنَّةَ لَا يُرْهَبُ لَدَيْهَا ٱلسَّقَمُ وَلَا تَنْزِلُ بِسَكَنِهَا ٱلنِّقَمُ ؟ فَيَرْكَبَانِ سَابِحَيْنِ مِنْ خَيْلِ ٱلْجَنَّةِ ، مَرْكَبُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لَوْ عُدِلَ بِمَمَالِكِ ٱلْمَاجِلَةِ ٱلْكَائِنَةِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا لَرَجَحَ بِهَا ، وَزَادَ فِي ٱلْقِيمَةِ عَلَيْهَا ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَى صِوَارِ تَرْتَعُ بِرِدَقَارِيِّ ٱلْفِرْدَوْسِ ـ وَٱلدُّقَارِيُّ ، ٱلرِّيَاضُ ـ صَوَّبَ مَوْلَايَ ٱلشَّيْخُ ٱلْمِطْرَدَ ـ وَهُوَ ٱلرُّمْحُ

ٱلْقَصِيرُ ـ لِأَخْنَسَ ذَيَّالٍ ، قَدْ رَتَعَ هُنَاكَ طَوِيلَ أَيَّامٍ وَلَيَالٍ فَإِذَا لَمْ يَبْقَ بَيْنَ ٱلسِّنَانِ وَبَيْنَه إِلاَّ قَيْدُ ظُفْرٍ قَالَ ، « أَمْسِكْ ، رَحِمَكَ ٱللَّهُ ، فَإِنِّي لَسْتُ مِنْ وَحْشِ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي أَنْشَأَهَا ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ وَلَمْ تَكُنْ فِي ٱلدَّارِ ٱلزَّائِلَةِ . وَلَكِنِّي كُنْتُ فِي مَحَلَّةِ ٱلْغُرُورِ [6] أَرُودُ فِي بَعْضِ ٱلْقِفَارِ ، فَمَرَّ بِي رَكْبٌ مُؤْمِنُونَ قَدْ كَرَى [7] زَادُهُمْ ، فَصَرَعُونِي وَٱسْتَعَانُوا بِي عَلَى ٱلسَّفَرِ فَعَوَّضَنِي ٱللَّهُ ـ جَلَّتْ كَلِمَتُهُ ـ بِأَنْ أَسْكَنَنِي فِي ٱلْخُلُودِ .

فَيَكُفُّ عَنْهُ مَوْلَايَ ٱلشَّيْخُ ٱلْجَلِيلُ .

وَيَعْمِدُ لِمِلْحٍ [8] وَحْشِيٍّ ، مَا ٱلتُّلَفُ عِنْدَهُ بِمَخْشِيٍّ ، فَإِذَا صَارَ ٱلْخِرْصُ [9] مِنْهُ بِقَدْرِ أُنْمُلَةٍ قَالَ ، « أَمْسِكْ يَا عَبْدَ ٱللَّهِ ، فَإِنَّ ٱللَّهَ أَنْعَمَ عَلَيَّ وَرَفَعَ عَنِّي ٱلْبُؤْسَ ، وَذَلِكَ أَنِّي صَادَنِي صَائِدٌ بِمِخْلَبٍ ، وَكَانَ إِهَابِي [10] لَهُ كَٱلسَّلَبِ فَبَاعَهُ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْصَارِ ، وَصَرَاهُ [11] لِلسَّانِيَةِ [12] صَارٍ ، فَٱتُّخِذَ مِنْهُ غَرْبٌ [13] ، سُقِيَ بِمَائِهِ ٱلْكَرْبُ وَتَطَهَّرَ بِنَزِيعِهِ [14] ٱلصَّالِحُونَ فَشَمِلَتْنِي بَرَكَةٌ مِنْ أُولَئِكَ فَدَخَلْتُ ٱلْجَنَّةَ أُرْزَقُ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ » فَيَقُولُ ٱلشَّيْخُ ، فَيَنْبَغِي أَنْ تَتَمَيَّزْنَ فَمَا كَانَ مِنْكُنَّ دَخَلَ ٱلْفَانِيَةَ فَمَا يَجِبُ أَنْ يَخْتَلِطَ بِوُحُوشِ ٱلْجَنَّةِ فَيَقُولُ ذَلِكَ ٱلْوَحْشِيُّ ، لَقَدْ نَصَحْتَنَا نُصْحَ ٱلشَّفِيقِ وَسَوْفَ نَمْتَثِلُ مَا أَمَرْتَ .

أَبُو ٱلْعَلَاءِ ٱلْمَعَرِّيُّ
رِسَالَةُ ٱلْغُفْرَانِ ص ، 191 ـ 198

1 - شَرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ :

1) ٱلصِّيرَانُ ، جَمْعُ صِوَارٍ (بِضَمِّ ٱلصَّادِ وَبِكَسْرِهَا) وَقَدْ تُشَدَّدُ ٱلْوَاوُ فِيهِ ـ قَطِيعُ ٱلْبَقَرِ

2) ٱلْخِيطَانُ ، جَمْعُ خِيطٍ وَهُوَ ٱلْجَمَاعَةُ مِنَ ٱلنَّعَامِ أَوِ ٱلْجَرَادِ ...

3) عَانَاتٌ ، جَمْعُ عَانَةٍ ، وَهِيَ ٱلْقَطِيعُ مِنْ بَقَرِ ٱلْوَحْشِ ...

4) تَنَغَّضْتُ ، مِنْ نَغَضَ وَهُوَ مُرَادِفٌ لِنَهَضَ ، أَيْ نَهَضْتُ ...

5) ٱلسَّابِحُ ، هُنَا ٱلْفَرَسُ مِنْ خَيْلِ ٱلْجَنَّةِ ...

6) مَحَلَّةُ ٱلْغُرُورِ ، ٱسْمٌ لِلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا

7) كَسَرَى ، يُسْتَعْمَلُ فِي ٱلْأَصْلِ مَزِيدًا فَيُقَالُ أَكْرَى ٱلشَّيْءُ ، زَادَ وَنَقَصَ ـ وَأَكْرَى ٱلرَّجُلُ ، قَلَّ مَالُهُ وَنَفَدَ زَادُهُ ...

8) ٱلْمِلْجُ ، هُوَ ٱلْحِمَارُ ، وَقِيلَ حِمَارُ ٱلْوَحْشِ ٱلسَّمِينِ ٱلْقَوِيِّ وَبِهِ سُمِّيَ ٱلضَّخْمُ مِنْ كِبَارِ ٱلْعَجَمِ .

9) ٱلْخِرْصُ ، هُوَ ٱلرُّمْحُ ٱللَّطِيفُ ٱلْقَصِيرُ جَمْعُهُ خِرْصَانٌ .

10) ٱلْإِهَابُ ، ٱلْجِلْدُ ، أَوْ مَا لَمْ يُدْبَغْ مِنْهُ ...

11) ضَرَاهُ ضَارٍ ، قَطَعَهُ قَاطِعٌ ...

12) ٱلسَّانِيَةُ ، مِنْ سَنَا يَسْنُو ، سَقَى ، وَٱلسَّانِيَةُ تَعْنِي ٱلسُّقَاةَ .

13) ٱلْغَرْبُ ، ٱلدَّلْوُ ٱلْكَبِيرُ .

14) ٱلنَّزِيعُ ، ٱلْمَاءُ ٱلْمُنْتَزَعُ مِنَ ٱلْبِئْرِ ...

2 - تَرَاجِمُ ٱلْأَعْلَامِ :

- عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ ، هُوَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدِ بْنِ حَمَّادٍ ٱلْعِبَّادِيُّ مِنْ بَنِي زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ ، شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ نَصْرَانِيٌّ كَانَ يَسْكُنُ ٱلْحِيرَةَ وَيَدْخُلُ ٱلْأَرْيَافَ ، فَلَانَ لِسَانُهُ وَسَهُلَ مَنْطِقُهُ وَتَخَلَّصَ شِعْرُهُ مِنْ بَعْضِ ٱلْبَدَاوَةِ .

3 - ٱلْأَسْئِلَةُ :

1 - عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ نَصْرَانِيٌّ ، قَدْ وَضَعَهُ ٱلْمَعَرِّي فِي ٱلْجَنَّةِ مَعَ ٱلْمُسْلِمِينَ هَلْ يُمْكِنُ فِي رَأْيِكَ أَنْ تَكُونَ جَنَّةُ ٱلْمُسْلِمِينَ وَجَنَّةُ ٱلنَّصَارَى جَنَّةً وَاحِدَةً ؟ لِمَاذَا ؟

2 - مَا هِيَ غَايَةُ أَبِي ٱلْعَلَاءِ مِنْ جَعْلِ هَذَا ٱلنَّصْرَانِيِّ فِي جَنَّةٍ كُلُّ مَنْ فِيهَا مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ..؟

3 - تَغْلُبُ عَلَى ٱلْجَنَّةِ كَمَا وُصِفَتْ فِي هَذَا ٱلنَّصِّ - وَغَيْرِهِ مِنَ نُصُوصِ رِسَالَةِ ٱلْغُفْرَانِ صِفَاتُ ٱلْحَيَاةِ ٱلْعَرَبِيَّةِ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ وَٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَى لِلْإِسْلَامِ . لِمَاذَا جَعَلَهَا أَبُو ٱلْعَلَاءِ كَذَلِكَ ؟

4 - مَا هُوَ تَصَوُّرُ ٱبْنِ ٱلْقَارِحِ ٱلْحَيَاةَ فِي ٱلْجَنَّةِ حَسَبَ هَذَا ٱلنَّصِّ ؟ أَبْرِزِ ٱلْأَدِلَّةَ ٱلْمُثْبِتَةَ لِذَلِكَ ؟

5 - مَا هُوَ مَوْقِفُ أَبِي ٱلْعَلَاءِ مِنْ ذَلِكَ ٱلتَّصَوُّرِ حَسَبَ ٱلنَّصِّ ...؟

مَع أَبِي ذُؤَيْبٍ الهُذَلِيّ.*

وَيَنْصَرِفُ مَوْلَايَ الشَّيْخُ الجَلِيلُ وَصَاحِبُهُ « عَدِيٌّ »* فَإِذَا هُمَا بِرَجُلٍ يَحْتَلِبُ نَاقَةً فِي إِنَاءٍ مِنْ ذَهَبٍ . فَيَقُولَانِ ، مَنِ الرَّجُلُ ؟ فَيَقُولُ ، أَبُو ذُؤَيْبٍ الهُذَلِيُّ . فَيَقُولَانِ حُيِّيتَ وَسَعِدْتَ . لَا شَقِيتَ فِي عَيْشِكَ وَلَا بَعُدْتَ . أَتَحْتَلِبُ مَعَ انْهِمَارِ لَبَنٍ ؟ كَأَنَّ ذَلِكَ مِنَ الغَبْنِ [1] فَيَقُولُ ، لَا بَأْسَ إِنَّمَا خَطَرَ لِي ذَلِكَ مِثْلَمَا خَطَرَ لَكُمَا القَمِيصُ . وَإِنِّي ذَكَرْتُ قَوْلِي فِي الدَّهْرِ الأَوَّلِ ،

وَإِنَّ حَدِيثًا مِنكِ لَوْ تَعْلَمِينَهُ ... جَنَى النَّحْلِ فِي الْبَانِ عُوذٌ[2] مَطَافِلِ[3]
مَطَافِيلَ أَبْكَارٍ حَدِيثٍ نِتَاجُهَا ... تُشَابُ بِمَاءٍ مِثْلِ مَاءِ الْمَفَاصِلِ [4]

فَقَبَضَ اللَّهُ بِقُدْرَتِهِ لِي هَذِهِ النَّاقَةَ عَائِذًا مُطْفِلًا ، وَكَانَ بِالنِّعَمِ مُتَكَفِّلًا . فَقُمْتُ أَحْتَلِبُ عَلَى العَادَةِ [5] . وَأُرِيدُ أَنْ أَشُوبَ ذَلِكَ بِضَرْبِ نَحْلٍ [6] تَبِعْنَ فِي الجَنَّةِ طَرِيقَةَ الفَحْلِ .

فَإِذَ امْتَلَأَ إِنَاؤُهُ مِنَ الرِّسْلِ [7] كَوْنَ البَارِي ، جَلَّتْ عَظَمَتُهُ ، خَلِيَّةً مِنَ الجَوْهَرِ ، رَتَعَ ثَوْلُهَا [8] فِي الزَّهْرِ . فَأَجْتَنَى ذَلِكَ أَبُو ذُؤَيْبٍ وَمَزَجَ حَلِيبَهُ بِلَا رَيْبٍ [9] فَيَقُولُ ، أَلَا تَشْرَبَانِ فَيُجْرَغَانِ مِنْ ذَلِكَ المِحْلَبِ جُرَعًا لَوْ عُرِقَتْ عَلَى أَهْلِ سَقَرَ [10] لَفَازُوا بِالْخُلْدِ شَرَعًا [11] فَيَقُولُ « عَدِيٌّ » ، « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ . لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ

تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » [12]

أَبُو ٱلْعَلَاءِ ٱلْمَعَرِّيُّ
رِسَالَةُ ٱلْغُفْرَانِ - ص ، 199 ـ 200

1 - شَرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ :

1) ٱلْغَبْنُ ، (بِسُكُونِ ٱلْبَاءِ وَفَتْحِهَا) ٱلْحُمْقُ وَضُعْفُ ٱلرَّأْيِ .
2) ٱلْعُوذُ ، جَمْعُ عَائِذٍ . هِيَ ٱلْحَدِيثَةُ ٱلنِّتَاجِ مِنَ ٱلنُّوقِ .
3) ٱلْمَطَافِلُ ، جَمْعُ مُطْفِلٍ ، أَيْ ذَاتُ ٱلطِّفْلِ مِنَ ٱلْإِنَاثِ، قَرِيبَةُ عَهْدٍ بِٱلْوِلَادَةِ .
4) ٱلْمَفَاصِلُ ، ٱلْحِجَارَةُ ٱلْمُتَرَاصِفَةُ . مَا بَيْنَ ٱلْجَبَلَيْنِ مِنْ رَمْلٍ وَيَكُونُ مَاؤُهَا صَافِيًا رَقِيقًا .
5) عَلَى ٱلْعَادَةِ ، أَيْ كَمَا كُنْتَ أَفْعَلُ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا .
6) ٱلضَّرْبُ ، (بِفَتْحِ ٱلزَّاءِ وَسُكُونِهَا) ٱلْعَسَلُ ٱلْأَبْيَضُ ٱلْغَلِيظُ .
7) ٱلرِّسْلُ ، (بِكَسْرِ ٱلرَّاءِ) ٱللَّبَنُ وَهُوَ أَيْضًا ٱلرُّخَاءُ وَٱلْخِصْبُ .
8) ٱلشَّوْلُ ، ٱلْجَمَاعَةُ مِنَ ٱلنَّحْلِ وَلَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ .
9) رَيْبٌ ، خَلْطٌ ، أَيْ أَنَّ ٱلْحَلِيبَ وَٱلْعَسَلَ لَا يُخَالِطُهُمَا شَيْءٌ آخَرُ .
10) سَقَرُ ، أَحَدُ أَسْمَاءِ جَهَنَّمَ .
11) ٱلشَّرْعُ ، ٱلْمَثَلُ ، يُقَالُ ، هُمْ فِي هَذَا شَرْعٌ أَيْ سَوَاءٌ .
12) « ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَانَا ... » قُرْآنٌ ، سُورَةُ ٱلْأَعْرَافِ ٱلْآيَةُ 43 .

2 - تَرَاجِمُ ٱلْأَعْلَامِ :

- أَبُو ذُؤَيْبٍ ، أَبُو ذُؤَيْبٍ ٱلْهُذَلِيُّ هُوَ خُوَيْلِدُ بْنُ خَالِدٍ مِنْ بَنِي تَمِيمِ بْنِ سَعْدِ بْنِ هُذَيْلٍ شَاعِرٌ مُخَضْرَمٌ فَحْلٌ يُعِدُّهُ ٱبْنُ سَلَّامٍ ٱلْجُمَحِيُّ فِي ٱلطَّبَقَةِ ٱلثَّالِثَةِ مَعَ ٱلنَّابِغَةِ ٱلْجَعْدِيِّ وَٱلشَّمَّاخِ بْنِ ضِرَارٍ وَلَبِيدِ بْنِ رَبِيعَةَ خَرَجَ مَعَ عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ ٱلزُّبَيْرِ فِي مَغْزًى لَهُ نَحْوَ ٱلْمَغْرِبِ فَمَاتَ .
- عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ ، ٱنْظُرِ ٱلنَّصَّ ٱلْفَارِطَ « مَعَ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ » . تَرْجَمَتُهُ ص . 162

3 - اَلْأَسْئِلَـــةُ :

1 - مَا أَهَمِّيَّةُ قَوْلِ أَبِي ذُؤَيْبٍ « إِنَّمَا خَطَرَ لِي ذَلِكَ مِثْلَمَا خَطَرَ لَكُمَا اَلْقَمِيصُ .... فَقُمْتُ أَحْتَلِبُ عَلَى اَلْعَادَةِ » ؟

2 - مَا زَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ يَحْفَظُ شِعْرَهُ اَلَّذِي قَالَهُ فِي اَلدُّنْيَا ، هَلْ يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ اَلْحَيَاةَ فِي اَلْجَنَّةِ هِيَ اَسْتِمْرَارٌ لِلْحَيَاةِ فِي اَلدُّنْيَا ؟ دَعِّمْ رَأْيَكَ .

3 - عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ نَصْرَانِيٌّ لَكِنَّ نُلَاحِظُ فِي هَذَا اَلنَّصِّ أَنَّهُ يَحْفَظُ اَلْقُرْآنَ - وَهُوَ كِتَابُ اَلْمُسْلِمِينَ - فَهَلْ يَعْنِي ذَلِكَ أَنَّ اَلْجَنَّةَ عَرَبِيَّةٌ إِسْلَامِيَّةٌ فَقَطْ وَأَنَّ جَنَّةَ اَلنَّصَارَى وَجَنَّةَ اَلْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ ؟

4 - أَبْرِزْ تَأْثِيرَ اَلتَّصَوُّرِ اَلْمَادِيِّ لِلْجَنَّةِ فِي نَظَرِ اَبْنِ اَلْقَارِحِ فِي هَذَا اَلنَّصِّ .

5 - اَلْجَنَّةُ اَلَّتِي وَصَفَهَا اَلْمَعَرِّيُّ تُمَثِّلُ اَلْبِيئَةَ اَلْعَرَبِيَّةَ اَلْجَاهِلِيَّةَ خَاصَّةً فِي اَلْجَزِيرَةِ اَلْعَرَبِيَّةِ . بَيِّنْ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ هَذَا اَلنَّصِّ .

مَعَ ٱلشَّمَّاخِ بْنِ ضِرَارٍ

فَيَقُولُ لِلشَّماخِ بْنِ ضِرَارٍ * ، لَقَدْ كَانَ فِي نَفْسِي أَشْيَاءُ مِن قَصِيدَتِكَ ٱلَّتِي عَلَى ٱلزَّايِ وَكَلِمَتِكَ ٱلَّتِي عَلَى ٱلْجِيمِ فَأَنْشِدْنِيهِمَا لَا زِلْتَ مُخَلَّدًا كَرِيمًا .

فَيَقُولُ ، لَقَدْ شَغَلَنِي عَنْهُمَا ٱلنَّعِيمُ ٱلدَّائِمُ فَمَا أَذْكُرُ مِنْهُمَا بَيْتًا وَاحِدًا فَيَقُولُ ـ لِفَرْطِ حُبِّهِ ٱلْأَدَبَ وَإِيثَارِهِ تَشْيِيدَ ٱلْفَضْلِ . لَقَدْ غَفَلْتَ أَيُّهَا ٱلْمُؤْمِنُ وَأَضَعْتَ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ كَلِمَتَيْكَ أَنْفَعُ لَكَ مِنْ ٱبْنَتَيْكَ ؟ ذُكِرْتَ بِهِمَا فِي ٱلْمَوَاطِنِ،وَشُهِرْتَ عِنْدَ رَاكِبِ ٱلسَّفَرِ وَٱلْقَاطِنِ،وَإِنَّ ٱلْقَصِيدَةَ من قَصَائِدِ ٱلنَّابِغَةِ * لَأَنْفَعُ لَهُ مِنْ ٱبْنَتِهِ «عَقْرَبَ» وَلَعَلَّ تِلْكَ شَانَتْهُ وَمَا زَانَتْهُ ، وَأَصَابَهَا فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ سِبَاءٌ وَمَا وَفَرَ لِأَجْلِهَا ٱلْحِبَاءُ [1] وَإِنْ شِئْتَ أَنْ أُنْشِدَكَ قَصِيدَتَيْكَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِمُتَعَذِّرٍ عَلَيَّ فَيَقُولُ ، أَنْشِدْ فِي ضَفَتْ [2] عَلَيْكَ نِعْمَةُ ٱللَّهِ فَيُنْشِدُهُ :

عَفَى مِنْ «سُلَيْمَى» بَطْنُ قَوٍّ فَعَالِزُ [3] فَذَاتُ ٱلْغَضَى فَٱلْمُشْرِفَاتُ النَّوَاشِزُ

فَيَجِدُهُ بِهَا غَيْرَ عَلِيمٍ وَيَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْهَا فَيُصَادِفُهُ بِهَا غَيْرَ بَصِيرٍ فَيَقُولُ ، شَغَلَتْنِي لَذَائِذُ الخُلُودِ عَنْ تَعَهُّدِ هَذِهِ ٱلْمُنْكَرَاتِ ، « إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ، وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ كُلُوا وَٱشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » ، إِنَّمَا كُنْتُ أَسِقُ [5] هَذِهِ ٱلْأُمُورَ وَأَنَا آمُلُ أَنْ أُفْقَرَ بِهَا [6] نَاقَةً أَوْ أُعْطَى كَبْلَ عِيَالِي سَنَةً ...

وَأَنَا ٱلْآنَ فِي تَفَضُّلِ ٱللّٰهِ أَعْتَرِفُ فِي مَرَافِدِ [7] ٱلْمَسْجَدِ مِنْ أَنْهَارِ ٱللَّبِنِ : فَتَارَةً أَلْبَانَ ٱلْإِبِلِ ، وَتَارَةً أَلْبَانَ ٱلْبَقَرِ ، وَإِنْ شِئْتُ لَبَنَ ٱلضَّأْنِ فَإِنَّهُ كَثِيرٌ جَمٌّ ، وَكَذٰلِكَ لَبَنُ ٱلْمَعِيزِ ،وَإِنْ أَحْبَبْتُ وِرْدًا مِنْ رِسْلِ [8] ٱلْأَرَاوِي [9] فَرُبَّ نَهْرٍ مِنْهُ كَأَنَّهُ دِجْلَةُ أَوِ ٱلْفُرَاتُ ، وَلَقَدْ أَرَانِي فِي دَارِ الشِّقْوَةِ [10] أَجْهَدُ أَخْلَافَ شِيَاهٍ لِجِبَاتٍ [11] لَا يَمْتَلِئُ مِنْهُنَّ ٱلْقَعْبُ [12]

أَبُو ٱلْعَلَاءِ ٱلْمَعَرِّيُّ
رِسَالَةُ ٱلْغُفْرَانِ ص ، 238 ـ 240

1 - شَرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ :

1) ٱلْجِبَاءُ ، هُنَا مَهْزُ ٱلْأُنْثَى ...
2) ضَفَتْ ، مِنْ **ضَفَا** ٱلثَّوْبُ يَضْفُو ، طَالَ إِلَى ٱلْأَرْضِ فَهُوَ ضَافٍ وَمِنْهُ ضَفْوَةُ ٱلْعَيْشِ أَيْ رَغْدُهُ وَسَعَتُهُ ...
3) ذَاتُ قَوٍّ وَعَالِزُ وَذَاتُ ٱلْغَضَا ، مَوَاضِعُ بِجَزِيرَةِ ٱلْعَرَبِ ،وَٱلْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ مَشْهُورَةٍ لِلشَّمَّاخِ فِي وَصْفِ ٱلْقَوْسِ ، قَالَ عَنْهَا ٱلْأَصْمَعِيُّ مَا قِيلَتْ قَصِيدَةٌ عَلَى ٱلرَّوِيِّ أَجْوَدَ مِنْ قَصِيدَةِ ٱلشَّمَّاخِ ...
4) إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ ... قُرْآنٌ ... سُورَةُ ٱلْمُرْسَلَاتِ ٱلْآيَاتُ 41 ـ 43 .
5) أَسِقُ ـ وَسَقَ ٱلشَّيْءَ ، يَسِقُهُ وَسْقًا جَمَعَهُ وَحَمَلَهُ ...
6) أُفْقِرُ ، عَلَى ٱلْبِنَاءِ للمفعول ، أَعَارَ ـ مِنْ أَفْقَرَهُ ٱلْأَرْضَ أَعَارَهُ إِيَّاهَا لِلزِّرَاعَةِ وَأَفْقَرَهُ ظَهْرَ مُهْرِهِ أَعَارَهُ إِيَّاهُ .
7) مَرَافِدُ ، جَمْعُ مِرْفَدٍ ، وَهُوَ ٱلْقَدَحُ ٱلضَّخْمُ ...
8) رِسْلٌ بِكَسْرِ ٱلرَّاءِ ، ٱللَّبَنُ ...
9) ٱلْأَرَاوِي جَمْعُ أُرْوِيَةٍ ، (بِضَمِّ ٱلْهَمْزَةِ وَكَسْرِهَا) ضَأْنُ ٱلْجَبَلِ ...
10) دَارُ الشِّقْوَةِ ، أَيْ دَارُ ٱلشَّقَاءِ ، وَهِيَ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا ...
11) لِجَبَاتٌ ، جَمْعُ لَجِبَةٍ ، مِنْ لَجِبَتِ ٱلشَّاةُ ، وَيُسْتَعْمَلُ لِلْمَعْنَى وَضِدِّهِ ، أَيْ قَلَّ لَبَنُهَا أَوْ غَزُرَ فَاللَّجِبَةُ هِيَ قَلِيلَةُ ٱللَّبَنِ أَوْ غَزِيرَتُهُ وَٱلْمَعْنَى ٱلْأَوَّلُ هُوَ ٱلْمَقْصُودُ هُنَا ...

12) ٱلْقَعْبُ (بِفَتْحِ ٱلْقَافِ) هُوَ ٱلْقَدَحُ ٱلْغَلِيظُ ...

2 - تَـرَاجِمُ ٱلْأَعْـلَامِ :

* - ٱلشَّمَّاخُ ، هُوَ مَعْقِلُ بْنُ ضِرَارٍ ، مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ نَبْيَانَ شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ إِسْلَامِيٌّ يَعُدُّهُ ٱبْنُ سَلَّامٍ ٱلْجُمَحِيُّ فِي ٱلطَّبَقَةِ ٱلثَّالِثَةِ مِنَ ٱلشُّعَرَاءِ وَقَالَ فِيهِ ٱلْحُطَيْئَةُ ، أَبْلِغُوا ٱلشَّمَّاخَ بْنَ أَشْعَرُ غَطَفَانَ ، كَانَ مِنْ أَوْصَفِ ٱلشُّعَرَاءِ لِلْقَوْسِ وَٱلْخَمْرِ ...
* - ٱلنَّابِغَةُ ، هُوَ ٱلنَّابِغَةُ ٱلذُّبْيَانِيُّ ، أَبُو أُمَامَةَ زِيَادُ بْنُ مُعَاوِيَةَ مِنْ بَنِي مُرَّةَ بْنِ عَوْفِ ٱبْنِ سَعْدِ بْنِ ذُبْيَانَ ٱلْغَطَفَانِيِّ - مِنَ ٱلطَّبَقَةِ ٱلْأُولَى لِفُحُولِ ٱلشُّعَرَاءِ ٱلْجَاهِلِيِّينَ .

3 - ٱلْأَسْئِلَـــةُ :

1 - لِمَاذَا غَفَلَ ٱلشَّمَّاخُ عَنْ حِفْظِ أَبْيَاتِهِ ؟ بَيِّنْ أَثَرَ شِبَعِهِ فِي ٱلْجَنَّةِ بَعْدَ حِرْمَانِهِ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا مِنْ كُلِّ ذَلِكَ .
2 - مَا هُوَ دَوْرُ ٱلشِّعْرِ حَسَبَ ٱلشَّمَّاخِ ؟ هَلْ يُمَثِّلُ رَأْيُهُ ذَلِكَ رَأْيَ ٱبْنِ ٱلْقَارِحِ ؟ لِمَاذَا ...؟
3 - مَا هُوَ دَوْرُ « ٱلْكَلِمَةِ » أَوِ ٱلْبَيَانِ - عِنْدَ ٱلْعَرَبِ مِنْ خِلَالِ رَأْيِ ٱبْنِ ٱلْقَارِحِ فِي قَصِيدَتَيِ ٱلشَّمَّاخِ وَشِعْرِ ٱلنَّابِغَةِ ؟
4 - مَا هُوَ مَوْقِفُ ٱبْنِ ٱلْقَارِحِ مِنَ ٱلْمَرْأَةِ ؟ هَلْ يُمَثِّلُ ذَلِكَ مَوْقِفَ ٱلْعَرَبِ عَامَّةً لِمَاذَا ؟
5 - تَبْرُزُ فِي هَذَا ٱلنَّصِّ سُخْرِيَةُ أَبِي ٱلْعَلَاءِ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ، إِسْتَخْرِجْهَا وَبَيِّنْ أَهَمِّيَّتَهَا ؟...

مَـعْ رِضْـوَانَ خَـازِنِ ٱلْجِنَـانِ.

فَيَقولُ أَنْطَقَهُ ٱللهُ بِكُلِّ فَضْلٍ ،

لَمَّا نَهَضْتُ أَنْتَفِضُ من ٱلرَّيْمِ [1] وَحَضَرْتُ حَرَصَاتِ ٱلْقِيَامَةِ ـ وَٱلْحَرَصَاتُ مِثْلُ ٱلْعَرَصَاتِ ـ أُبْدِلَتِ ٱلْحَاءُ مِنَ ٱلْعَيْنِ ـ ذَكَرْتُ ٱلْآيَةَ « تَعْرُجُ ٱلْمَلَائِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا » [2] فَطَالَ عَلَيَّ ٱلْأَمَدُ وَٱشْتَدَّ ٱلظَّمَأُ وَٱلْوَمَدُ ـ شِدَّةُ ٱلْحَرِّ وَسُكُونُ ٱلرِّيحِ ... فَلَمَّا أَقَمْتُ فِي ٱلْمَوْقِفِ زُهَاءَ شَهْرٍ أَوْ شَهْرَيْنِ وَخِفْتُ مِنَ ٱلْغَرَقِ فِي ٱلْعَرَقِ ، زُيِّنَتْ لِي ٱلنَّفْسُ ٱلْكَاذِبَةُ أَنْ أَنْظِمَ أَبْيَاتًا فِي رَضْوَانَ ، خَازِنِ ٱلْجِنَانِ عَمِلْتُهَا فِي وَزْنِ :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَعِرْفَانِ [3]

وَوَسَمْتُهَا [4] (بِرِضْوَانَ) ثُمَّ ضَانَكْتُ [5] ٱلنَّاسَ حَتَّى وَقَفْتُ مِنْهُ بِحَيْثُ يَسْمَعُ وَيَرَى فَمَا حَفَلَ بِي وَلَا أَظُنُّهُ أَبِهَ [6] لِمَا أَقُولُ فَغَبَرْتُ بُرْهَةً ، نَحْوَ عَشْرَةِ أَيَّامٍ مِنْ أَيَّامِ ٱلْفَانِيَةِ ثُمَّ عَمِلْتُ أَبْيَاتًا فِي وَزْنِ :

بَانَ ٱلْخَلِيطُ وَلَو طُووِعْتُ مَا بَانَا وَقَطَّعُوا مِن حِبَالِ ٱلْوَصْلِ أَقْرَانَا [7]

وَوَسَمْتُهَا بِرِضْوَانَ ثُمَّ دَنَوْتُ مِنْهُ فَفَعَلْتُ كَفِعْلِي ٱلْأَوَّلِ فَكَأَنِّي أُحَرِّكُ ثَبِيرًا [8] وَٱلتَّمِسُ مِنَ ٱلْفِضْرِمِ عَبِيرًا ـ ٱلْفِضْرِمُ تُرَابٌ يُشْبِهُ ٱلْجِصَّ

فَلَمْ أَزَلْ أَتَتَبَّعُ ٱلْأَوْزَانَ ٱلَّتِي يُمْكِنُ أَنْ يُوسَمَ بِهَا رِضْوَانُ حَتَّى أَفْنَيْتُهَا وَأَنَا لَا أَجِدُ عِنْدَهُ مَغْوثَةً وَلَا ظَنَنْتُهُ فَهِمَ مَا أَقُولُ فَلَمَّا ٱسْتَقْصَيْتُ ٱلْغَرَضَ فَمَا أَنْجَحْتُ ، دَعَوْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي ،

يَا رِضْوَانُ يَا أَمِينَ ٱلْجَبَّارِ ٱلْأَعْظَمِ عَلَى ٱلْفَرَادِيسِ ، أَلَمْ تَسْمَعْ نِدَائِي بِكَ وَٱسْتِغَاثَتِي إِلَيْكَ فَقَالَ ، لَقَدْ سَمِعْتُكَ تَذْكُرُ رِضْوَانَ وَمَا عَلِمْتُ مَا مَقْصَدُكَ ، فَمَا ٱلَّذِي تَطْلُبُ أَيُّهَا ٱلْمِسْكِينُ ؟ فَأَقُولُ ، أَنَا رَجُلٌ لَا صَبْرَ لِي عَلَى ٱللَّوَابِ ـ أَيِ ٱلْعَطَشِ ـ وَقَدْ ٱسْتَطَلْتُ مُدَّةَ ٱلْحِسَابِ وَمَعِي صَكُّ بِٱلتَّوْبَةِ وَهِيَ لِلذُّنُوبِ كُلِّهَا مَاحِيَةٌ وَقَدْ مَدَحْتُكَ بِأَشْعَارٍ كَثِيرَةٍ وَوَسَمْتُهَا بِٱسْمِكَ . فَقَالَ ، وَمَا ٱلْأَشْعَارُ ؟ فَإِنِّي لَمْ أَسْمَعْ بِهَذِهِ ٱلْكَلِمَةِ قَطُّ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ . فَقُلْتُ ، ٱلْأَشْعَارُ جَمْعُ شِعْرٍ ، وَٱلشِّعْرُ كَلَامٌ مَوْزُونٌ تَقْبَلُهُ ٱلْغَرِيزَةُ عَلَى شَرَائِطَ إِنْ زَادَ أَوْ نَقَصَ أَبَانَهُ ٱلْحِسُّ وَكَانَ أَهْلُ ٱلْعَاجِلَةِ يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى ٱلْمُلُوكِ وَٱلسَّادَاتِ فَجِئْتُ بِشَيْءٍ مِنْهُ إِلَيْكَ لَعَلَّكَ تَأْذَنُ لِي بِالدُّخُولِ إِلَى ٱلْجَنَّةِ فِي هَذَا ٱلْبَابِ فَقَدْ ٱسْتَطَلْتُ مَا ٱلنَّاسُ فِيهِ ، وَأَنَا ضَعِيفٌ مَنِينٌ [9] وَلَا رَيْبَ أَنِّي مِمَّنْ يَرْجُو ٱلْمَغْفِرَةَ وَتَصِحُّ لَهُ بِمَشِيئَةِ ٱللَّهِ تَعَالَى ـ فَقَالَ ، إِنَّكَ لَغَبِينٌ [10] ٱلرَّأْيِ . أَتَأْمَلُ أَنْ آذَنَ لَكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ مِنْ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ ؟ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ . « وَأَنَّى لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ [11] مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ » [12] .

أَبُو ٱلْعَلَاءِ ٱلْمَعَرِّيُّ

- رِسَالَةُ ٱلْغُفْرَانِ - ص ، 248 - 251

1 - شَرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ :

1) ٱلرَّيْمُ ، هُوَ الفَضْلُ وَالزِّيَادَةُ فَيُقَالُ فِي هَذَا ٱلْعَدْلِ رَيْمٌ عَلَى ٱلآخَرِ أَيْ زِيَادَةٌ فَهُوَ أَثْقَلُ فَٱلرَّيْمُ تُطْلَقُ عَلَى الثِّقْلِ عَامَّةً .

2) « تَعْرُجُ ٱلْمَلاَئِكَةُ . . » قُرْآنٌ ، سُورَةُ ٱلْمَعَارِجِ ـ ٱلآيَتَانِ 4 و 5 .

3) مَطْلَعُ مُعَلَّقَةِ آمْرِئِ ٱلْقَيْسِ ٱلشَّاعِرِ ٱلْجَاهِلِيِّ ٱلْمَعْرُوفِ وَٱلْبَيْتُ مِنَ ٱلطَّوِيلِ بِتَبْدِيلِ ٱلْكَلِمَةِ ٱلأَخِيرَةِ.

4) وَسَمَ يَسِمُ وَسْمًا وَسِمَةً ، جَعَلَ لِلشَّيْءِ عَلاَمَةً يُعْرَفُ بِهَا ...

5) ضَانَكَ ، عَلَى وَزْنِ فَاعَلَ وَتُفِيدُ ٱلْمُشَارَكَةَ . فَٱلأَصْلُ ضَنَكَ يَضْنُكُ ضَنَاكَةً وَضَنَكًا بِمَعْنَى ضَاقَ ـ فَضَانَكَ أَيْ ضَايَقَ وَزَاحَمَ .

6) أَبِهَ يَأْبَهُ أَبْهًا أَيْ فَطِنَ وَٱنْتَبَهَ .

7) ٱلْبَيْتُ لِجَرِيرٍ شَاعِرٍ عَاشَ فِي ٱلْقَرْنِ ٱلأَوَّلِ وَقَصِيدَتُهُ ٱلْمَذْكُورَةُ بَحْرُهَا ٱلْبَسِيطُ .

8) ثَبِيرٌ ، ٱسْمٌ لِعِدَّةِ جِبَالٍ بِظَاهِرِ مَكَّةَ .

9) مَنَّ يَمِنُّ مَنًّا ٱلرَّجُلُ ، أَضْعَفَهُ وَذَهَبَ بِقُوَّتِهِ فَهُوَ مَنِينٌ أَيْ ضَعِيفٌ وَتُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى ٱلْقَوِيِّ فَهِيَ مِنَ ٱلصِّفَاتِ ٱلأَضْدَادِ .

10) ٱلْغَبِينُ ، غَبَنَ يَغْبُنُ ٱلرَّأْيُ صَارَ ضَعِيفًا فَهُوَ غَبِينٌ أَيْ ضَعِيفٌ .

11) التَّنَاوُشُ ، تَنَاوَشَ يَتَنَاوَشُ تَنَاوُشًا ٱلشَّيْءَ ، تَنَاوَلَهُ .

12) وَأَنَّى لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ ... « قُرْآنٌ ، سُورَةُ سَبَإٍ ـ ٱلآيَةُ 52 .

2 - ٱلأَسْئِلَـــةُ :

1 - يَسْتَعْمِلُ ٱبْنُ ٱلْقَارِحِ طُرُقًا دُنْيَاوِيَّةً لِلْوُصُولِ إِلَى ٱلْجَنَّةِ . فَمَا هِيَ غَايَةُ ٱلْمَعَرِّي مِنْ تَصْوِيرِ ذَلِكَ ؟

2 - كَيْفَ صَوَّرَ أَبُو ٱلْعَلاَءِ يَوْمَ ٱلْحَشْرِ فِي هَذَا ٱلنَّصِّ ؟

3 - أَيْنَ تَبْدُو ٱلطَّرَافَةُ وَٱلْفُكَاهَةُ مِنْ خِلاَلِ ٱلنَّصِّ ؟ حَلِّلْ ذَلِكَ .

4 - ٱسْتَخْرِجْ مِنَ ٱلنَّصِّ كُلَّ مَا يَدُلُّ عَلَى مَقْدِرَةِ ٱلْمَعَرِّي وَتَطَلُّعِهِ فِي عُلُومِ ٱللُّغَةِ وَغَيْرِهَا .

5 - عَرِّفْ ٱبْنَ ٱلْقَارِحِ ٱلشِّعْرَ فِي هَذَا ٱلنَّصِّ وَبَيِّنْ دَوْرَهُ فِي ٱلْحَيَاةِ فَمَا هِيَ أَهَمِّيَّةُ ذَلِكَ ٱلتَّعْرِيفِ ؟ هَلْ يُمْكِنُ ٱعْتِبَارُ مَا قَالَهُ ٱبْنُ ٱلْقَارِحِ مُمَثِّلاً لِرَأْيِ أَبِي ٱلْعَلاَءِ نَفْسِهِ ؟ لِمَاذَا ؟ .

حَـدِيثُ ٱلْفُقَّـاعِ .

وَيَخْطُرُ له ذكرُ ٱلْفُقَّاعِ [1] ٱلَّذِي كَانَ يُعْمَلُ فِي ٱلدَّارِ ٱلْخَادِعَةِ ، فَيُجْرِي ٱللَّهُ بِقُدْرَتِهِ أَنْهَارًا مِنْ فُقَّاعٍ . ٱلْجُرْعَةُ مِنْهَا لَوْ عُدِلَتْ بِلَذَّاتِ ٱلْفَانِيَةِ ، مُنْذُ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ إِلَى يَوْمِ تَطْوِي ٱلْأُمَمَ ٱلْآخِرَةُ ، لَكَانَتْ أَفْضَلَ وَأَشَفَّ . فَيَقُولُ فِي نَفْسِهِ ، لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ ٱللَّهَ قَدِيرٌ . وَٱلَّذِي أُرِيدُ نَحْوَ مَا كُنْتُ أَرَاهُ مَعَ الطَّوَافِينَ فِي الدَّارِ الذَّاهِبَةِ . فَلَا تَكْمُلُ هَذِهِ ٱلْمَقَالَةُ ، حَتَّى يَجْمَعَ ٱللَّهُ كُلَّ فُقَّاعِيٍّ فِي ٱلْجَنَّةِ من أَهْلِ ٱلْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَغَيرِهِمَا مِن البِلَادِ ، بَيْنَ أَيْدِيهِمُ ٱلْوِلْدَانُ ٱلْمُخَلَّدُونَ يَحْمِلُونَ ٱلسُّلَالَ إِلَى أَهْلِ ذَلِكَ ٱلْمَجْلِسِ . فَيَقُولُ ـ حَفِظَ ٱللَّهُ عَلَى أَهْلِ ٱلْأَدَبِ حَوْبَاءَهُ [2] لِمَنْ حَضَرَهُ مِن أَهْلِ ٱلْعِلْمِ ، مَا تُسَمَّى هَذِهِ السُّلَالُ بِٱلْعَرَبِيَّةِ ؟ فَيُرِمُّونَ [3] ـ أَيْ يَسْكُنُونَ ـ وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ ، هَذِهِ تُسَمَّى ٱلْبَوَاسِنَ ، وَاحِدَتُهَا بَاسِنَةٌ ، فَيَقُولُ قَائِلٌ مِن الحَاضِرِينَ : مَنْ ذَكَرَ هَذَا من أَهْلِ اللُّغَةِ ؟ فَيَقُولُ ـ لَا ٱنْفَكَّتْ ٱلْفَوَائِدُ وَاصِلَةً مِنْهُ إِلَى الجُلَسَاءِ ، قَدْ ذَكَرَهَا ٱبْنُ دَرَسْتَوَيْهِ * ـ وهو يَومئِذٍ فِي ٱلْحَضْرَةِ . فَيَقُولُ لَهُ ٱلْخَلِيلُ * ، مِن أَيْنَ جِئْتَ بِهَذَا ٱلْحَرْفِ [4] ؟ فَيَقُولُ ابنُ دَرَسْتَوَيْهِ ، وَجَدْتُهُ فِي كُتُبِ النَّضْرِ بْنِ شُمَيْلٍ * . فَيَقُولُ الخَلِيلُ ، أَتَحُقُّ هَذَا يَا نَضْرُ . فَأَنْتَ عِنْدَنَا ٱلثِّقَةُ فَيَقُولُ ٱلنَّضْرُ ، قَدْ ٱلْتَبَسَ عَلَيَّ الأَمْرُ وَلَمْ يَحْكِ الرَّجُلُ إِن شَاءَ ٱللَّهُ إِلَّا حَقًّا .

أَبُو ٱلْعَلَاءِ ٱلْمَعَرِّيُّ

رِسَالَةُ ٱلْغُفْرَانِ ـ ص ، 280 ـ 281

1 - شَرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ :

1) ٱلْفُقَّاعُ ، هُوَ الشَّرَابُ الْمُتَّخَذُ مِنَ الشَّعِيرِ ، سُمِّيَ بِالْفُقَّاعِ لِمَا يَعْلُوهُ مِنَ الزَّبَدِ ، تَشْبِيهًا بِالْفُقَّاعَاتِ أَيِ النُّفَّاخَاتِ الَّتِي تَعْلُو الْمَاءَ ، وَالْفُقَّاعِيُّ ، هُوَ بَائِعُ الْفُقَّاعِ .

2) حَوْبَاءَهُ ، أَيْ نَفْسَهُ ، وَقِيلَ سُمِّيَتِ النَّفْسُ بِالْحَوْبَاءِ مِنَ الْحَوْبَةِ بِمَعْنَى الْحَاجَةِ لِكَوْنِ النَّفْسِ مَوْطِنًا لِلْحَاجَاتِ .

3) يُرْمُونَ ، مِنْ أَرَمَّ الْقَوْمُ ، سَكَتُوا .

4) الْحَرْفُ ، الْكَلِمَةُ . يُقَالُ « هَذَا الْحَرْفُ لَيْسَ فِي الْقَامُوسِ »

تَرَاجِمُ الْأَعْلَامِ :

* - ٱبْنُ دَرَسْتَوَيْهِ ، هُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ دَرَسْتَوَيْهِ الْفَارِسِيُّ ، أَحَدُ أَئِمَّةِ النَّحْوِ وَالْأَدَبِ ، أَخَذَ عَنِ الْمُبَرِّدِ وَأَخَذَ عَنْهُ الْمَرْزُبَانِيُّ ، تُوُفِّيَ بِبَغْدَادَ سَنَةَ 347 هـ / 958 م .
* - ٱلْخَلِيلُ ، هُوَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَانِ بْنِ أَحْمَدَ الْبَصْرِيُّ الْفَرَاهِيدِيُّ الْأَزْدِيُّ . أَخَذَ عَنْ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ وَأَخَذَ عَنْهُ سِيبَوَيْهِ الَّذِي أَسْنَدَ إِلَيْهِ كَثِيرًا مِنَ الْآرَاءِ الْوَارِدَةِ فِي « الْكِتَابِ » كَمَا أَنَّ الْخَلِيلَ هُوَ وَاضِعُ عِلْمِ الْعَرُوضِ وَمُؤَلِّفُ أَوَّلِ مُعْجَمٍ لُغَوِيٍّ فِي تَارِيخِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ . هُوَ « كِتَابُ الْعَيْنِ » تُوُفِّيَ سَنَةَ 175 هـ / 790 م .
* - ٱلنَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ ، هُوَ أَحَدُ أَرْبَعَةٍ مِنْ أَصْحَابِ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ وَكَانُوا مِنْ خِيرَةِ تَلَامِيذِهِ . أَقَامَ بِالْبَادِيَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا وَأَخَذَ عَنْهُ « ٱبْنُ سَلَّامٍ » تُوُفِّيَ سَنَةَ 243 هـ / 852 فِي خِلَافَةِ الْمَأْمُونِ .

3 - ٱلْأَسْئِلَـــةُ :

1 - مَا هِيَ أَهَمِّيَّةُ قَوْلِ الْكَاتِبِ «يَخْطُرُ لَهُ ذِكْرُ الْفُقَّاعِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ فِي الدَّارِ الْخَادِعَةِ» ؟
2 - كَيْفَ يَبْرُزُ لَكَ تَصَوُّرُ ٱبْنِ الْقَارِحِ الْحَيَاةَ فِي الْجَنَّةِ من خلال هذا النص ؟
3 - أَبْرِزْ أَثَرَ ثَقَافَةِ أَبِي الْعَلَاءِ فِي هَذَا النَّصِّ .
4 - لِمَاذَا الْتَبَسَ الْأَمْرُ عَلَى النَّضْرِ بْنِ شُمَيْلٍ ، حَسَبَ رَأْيِكَ ؟
5 - هَلْ تَلْمَسُ فِي هَذَا النَّصِّ سُخْرِيَةً عَلَائِيَّةً ؟ دَعِّمْ رَأْيَكَ .

مَـــعَ ٱلْحُـــورِ ٱلْعِيْـــنِ .

وَيَخْلُو ـ لَا أَخْلَاهُ ٱللهُ مِنَ ٱلْإِحْسَانِ ـ بِحُورِيَّتَيْنِ لَهُ مِنَ ٱلْحُورِ ٱلْعِيْنِ . فَإِذَا بَهَرَهُ مَا يَرَاهُ مِنَ ٱلْجَمَالِ قَالَ ، أَعْزِزْ عَلَيَّ بِهَلَاكِ « ٱلْكِنْدِيِّ » إِنِّي لَأَذْكُرُ بِكُمَا قَوْلَهُ ،

كَدَأْبِكَ [1] مِنْ أُمِّ ٱلْحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا ... وَجَارَتِهَا أُمِّ ٱلرَّبَابِ بِمَأْسَلِ [2]
إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ [3] ٱلْمِسْكُ مِنْهُمَا ... نَسِيمَ ٱلصَّبَا جَاءَتْ بِرَيَّا ٱلْقَرَنْفُلِ [4]

... وَأَيْنَ صَاحِبَتَاهُ مِنْكُمَا لَا كَرَامَةَ لَهُمَا وَلَا نُعْمَةَ [5] عَيْنٍ، لَجَلْسَةٌ مَعَكُمَا بِمِقْدَارِ دَقِيقَةٍ مِن دَقَائِقِ سَاعَةِ ٱلدُّنْيَا خَيْرٌ مِنْ مُلْكِ بَنِي آكِلِ ٱلْمُرَارِ وَبَنِي نَصْرٍ بِٱلْحِيرَةِ وَآلِ جَفْنَةَ مُلُوكِ ٱلشَّامِ .

وَيُقْبِلُ عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا يَتَرَشَّفُ رُضَابَهَا وَيَقُولُ ، إِنَّ ٱمْرَأَ ٱلْقَيْسِ لَمِسْكِينٌ مِسْكِينٌ . تَخْتَرِقُ عِظَامُهُ فِي ٱلسَّعِيرِ وَأَنَا أَتَمَثَّلُ بِقَوْلِهِ ،

... أَيَّامَ فُوهَا كُلَّمَا نَبَّهْتُهَـــــا ... كَالْمِسْكِ بَاتَ وَظَلَّ فِي ٱلْفَدَّامِ [6]
أُنُفٌ [7] كَلَوْنِ دَمِ ٱلْغَزَالِ مُعَتَّقٌ ... مِنْ خَمْرِ [8] عَانَةَ أَوْ كُرُومِ شَبَامِ [9]

فَتَسْتَغْرِبُ [10] إِحْدَاهُمَا ضَحِكًا . فَيَقُولُ ، مِمَّ تَضْحَكِينَ ؟ فَتَقُولُ ، فَرَحًا بِتَفَضُّلِ ٱللهِ ٱلَّذِي وَهَبَ نَعِيمًا ، وَكَانَ بِٱلْمَغْفِرَةِ

زَعيمًا . أَتَدْري مَنْ أَنا يا عَلِيُّ بْنُ مَنْصورٍ ؟ فَيَقُولُ ، أَنْتِ مِنْ حُورِ ٱلْجِنَانِ ٱللَّوَاتِي خَلَقَكُنَّ ٱللّٰهُ جَزَاءً لِلْمُتَّقِينَ وَقَالَ فِيكُنَّ ، « كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ » [11] . فَتَقُولُ ، أَنا كَذٰلِكَ بِإِنْعَامِ ٱللّٰهِ ٱلْعَظِيمِ ، عَلى أَنِّي كُنْتُ فِي ٱلدَّارِ ٱلعَاجِلَةِ أُعْرَفُ بِـ «حَمْدُونَةَ» وَأَسْكُنُ فِي بَابِ ٱلْعِرَاقِ [12] بِحَلَبَ . وَأَبِي صَاحِبُ رَحًى ، وَتَزَوَّجَنِي رَجُلٌ يَبِيعُ ٱلسَّقَطَ [13] . فَطَلَّقَنِي لِرَائِحَةِ كَرِهَهَا مِنْ فِيَّ ، وَكُنْتُ مِنْ أَقْبَحِ نِسَاءِ حَلَبَ . فَلَمَّا عَرَفْتُ ذٰلِكَ زَهِدْتُ فِي ٱلدُّنْيَا الغَرَّارَةِ وَتَوَفَّرْتُ عَلَى ٱلْعِبَادَةِ وَأَكَلْتُ مِنْ مِغْزَلِي وَمِرْدَنِي [14] فَصَيَّرَنِي ذٰلِكَ إِلَى مَا تَرَى .

وَتَقُولُ ٱلْأُخْرَى ، أَتَدْرِي مَنْ أَنا يَا عَلِيُّ بْنُ مَنْصُورٍ ؟ أَنا « تَوْفِيقُ ٱلسَّوْدَاءُ » ٱلَّتِي كَانَتْ تَخْدِمُ فِي « دَارِ ٱلْعِلْمِ بِبَغْدَادَ » عَلَى زَمَانِ « أَبِي مَنْصُورٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ٱلْخَازِنِ » * وَكُنْتُ أُخْرِجُ ٱلْكُتُبَ إِلَى ٱلنُّسَّاخِ .

فَيَقُولُ ، لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللّٰهُ ، لَقَدْ كُنْتِ سَوْدَاءَ فَصِرْتِ أَنْصَعَ مِنَ الكَافُورِ ، وَإِنْ شِئْتِ ٱلْقَافُورَ ، فَتَقُولُ أَتَعْجَبُ مِنْ هٰذَا . وَالشَّاعِرُ يَقُولُ لِبَعْضِ ٱلْمَخْلُوقِينَ ،

...لَوْ أَنَّ مِنْ نُورِهِ مِثْقَالَ خَرْدَلَةٍ [16] فِي ٱلسُّودِ كُلِّهِمُ لَٱبْيَضَّتِ ٱلسُّودُ

أَبُو ٱلْعَلَاءِ ٱلْمَعَرِّيُّ
رِسَالَةُ ٱلْغُفْرَانِ ـ 284 ـ 287

1 - شَرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ ،

1) ٱلدَّأْبُ ، مِنْ دَأَبَ عَلَى ٱلشَّيْءِ ، إِعْتَادَهُ ـ فَهُوَ ٱلعَادَةُ .

2) مَأْلَفُ ، إِسْمُ مَوضِعٍ .
أُمُّ ٱلرَّبَابِ وَأُمُّ ٱلْحُوَيْرِثِ ، ٱمْرَأَتَانِ مِنْ كَلْبٍ .

3) تَضُوعُ ، مِنْ ضَاعَ يَضُوعُ فَاحَ يَفُوحُ .

4) ٱلْبَيْتَانِ ٱلشِّعْرِيَّانِ مِنْ مُعَلَّقَةِ ٱمْرِئِ ٱلْقَيْسِ .

5) ٱلنُّعْمَةُ (بِضَمِّ ٱلنُّونِ) ، ٱلْمَسَرَّةُ ، وَنِعْمَةُ ٱلْعَيْنِ ، قُرَّتُهَا .

6) ٱلْفَدَامُ ، مِصْفَاةٌ صَغِيرَةٌ عَلَى فَمِ ٱلإِبْرِيقِ .

7) كَأْسٌ أُنُفٌ ، لَمْ يُشْرَبْ بِهَا قَبْلَ ذَلِكَ .

8) عَانَةُ ، بَلَدٌ مَشْهُورٌ فِي ٱلْجَزِيرَةِ ، نَسَبَتِ ٱلْعَرَبُ إِلَيْهِ ٱلْخَمْرَ .

9) شَبَامُ ، إِسْمٌ لِمَوْضِعَيْنِ ، أَحَدُهُمَا بِٱلشَّامِ إِشْتَهَرَ بِخَمْرِهِ ، وَثَانِيهِمَا بِٱلْيَمَنِ قُرْبَ صَنْعَاءَ فِيهِ شَجَرٌ وَعُيُونٌ وَكُرُومٌ وَنَخِيلٌ .

10) تَسْتَغْرِبُ ضَحِكًا ، مِنْ أَغْرَبَ فِي ٱلضَّحِكِ وَنَحْوِهِ : بَالَغَ ، وَيُقَالُ ، ٱسْتَغْرَبَ فِي ٱلضَّحِكِ أَيْضًا لِلْمَجْهُولِ ، بَالِغَ فِيهِ .

11) كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ، قُرْآنٌ ، سُورَةُ ٱلرَّحْمَانِ ، ٱلآيَةُ 59 .

12) بَابُ ٱلْعِرَاقِ ، هُوَ أَحَدُ أَبْوَابِ أَرْبَعَةٍ لِحَلَبَ .

13) ٱلسَّقَطُ ، مَا لَا خَيْرَ فِيهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، أَوْهُوَ رَدِيءُ ٱلْمَتَاعِ ، وَمِنْهُ « سَقَطُ ٱلْمَتَاعِ »

14) ٱلْمِرْدَنُ ، مِنْ رَدَنَ يَرْدُنُ ـ رَدَنَتْ ٱلْمَرْأَةُ ، غَزَلَتْ . عَلَى ٱلْمِرْدَنِ أَيِ ٱلْمِغْزَلِ ـ وَمِنْهُ ٱلرَّدْنُ جَمْعُ أَرْدَانٍ ، ٱلْغَزْلُ .

15) ٱلْقَافُورُ ، مِثْلُ ٱلْكَافُورِ .

16) خَرْدَلَةُ ، نَبَاتٌ عُشْبِيٌّ يُنْبِتُ بَرِيًّا فِي ٱلْحُقُولِ مَعَ ٱلزَّرْعِ أَوْ عَلَى حَافَةِ ٱلطُّرُقِ ، حَبُّهُ صَغِيرٌ جِدًّا أَسْوَدُ ، يُسْتَعْمَلُ فِي ٱلتَّوَابِلِ ، وَلَهُ فَوَائِدُ طِبِّيَّةٌ .

2 - تَرَاجِمُ ٱلأَعْلَامِ ،

* - ٱلْكِنْدِيُّ ، هُوَ ٱمْرُؤُ ٱلْقَيْسِ بْنُ حُجْرٍ ، شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ ، تُوُفِّيَ سَنَةَ 540م .

* - أَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ يُوسُفَ ٱلْكَاتِبُ ، خَازِنُ دَارِ ٱلْعِلْمِ بِبَغْدَادَ ـ تُوُفِّيَ سَنَةَ 418 هـ / 1027 م .

3 - الأسئلة :

1 - تحترق عظام امرئ القيس في السعير وابن القارح يتمتع بالجارية متمثلا بقوله، ماذا تستنتج من ذلك عن نفسية ابن القارح ؟

2 - بم تفسر استغراب إحدى الجاريتين في الضحك ؟

3 - هل أخمدت « اعترافات » الجاريتين من نشوة ابن القارح ولذته ؟ دعم رأيك . .

4 - أبرز مواطن السخرية من ابن القارح في هذا النص .

5 - ما هو دور المرأة المسلمة في الجنة حسب تصور ابن القارح - ومن شاكله - من المسلمين ؟ هل ترى أن في معاملتها بمثل ما عوملت به في هذا النص عدالة ؟ دعّم رأيك .

فِي أَقْصَى ٱلْجَنَّةِ ، مِنَ ٱلْحُطَيْئَةِ .

فَيَذْهَبُ ـ عَرَّفَهُ ٱللَّهُ ٱلْغِبْطَةَ فِي كُلِّ سَبِيلٍ ـ فَإِذَا هُوَ بِبَيْتٍ فِي أَقْصَى ٱلْجَنَّةِ ، كَأَنَّهُ حَفَشُ [1] أَمِيرٍ رَاعِيَةٍ وَفِيهِ رَجُلٌ لَيْسَ عَلَيْهِ نُورُ سُكَّانِ ٱلْجَنَّةِ . وَعِنْدَهُ شَجَرَةٌ قَمِيئَةٌ [2] ثَمَرُهَا لَيْسَ بِزَاكٍ ، فَيَقُولُ ، يَا عَبْدَ ٱللَّهِ ، لَقَدْ رَضِيتَ بِحَقِيرٍ شَقِنٍ [3] فَيَقُولُ ، وَٱللَّهِ مَا وَصَلْتُ إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ هِيَاطٍ [4] وَمِيَاطٍ [5] ، وَعَرَقٍ مِنْ شَقَاءٍ ، وَشَفَاعَةِ مِنْ « قُرَيْشٍ » وَدِدْتُ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ ، فَيَقُولُ ، مَنْ أَنْتَ ؟ فَيَقُولُ ، أَنَا « ٱلْحُطَيْئَةُ ٱلْعَبْسِيُّ » *

فَيَقُولُ ، بِمَ وَصَلْتَ إِلَى ٱلشَّفَاعَةِ ؟ فَيَقُولُ ، بِٱلصِّدْقِ فَيَقُولُ ، فِي أَيِّ شَيْءٍ ؟ فَيَقُولُ ، فِي قَوْلِي ،

أَبَتْ شَفَتَايَ ٱلْيَوْمَ إِلَّا تَكَلُّمًا ... بِهَجْوٍ ، فَمَا أَدْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهْ .
أَرَى لِيَ وَجْهًا شَوَّهَ ٱللَّهُ خَلْقَهُ ... فَقُبِّحَ مِنْ وَجْهٍ وَقُبِّحَ حَامِلُهْ

فَيَقُولُ ، مَا بَالُ قَوْلِكَ ،

مَنْ يَفْعَلِ ٱلْخَيْرَ لَا يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ ... لَا يَذْهَبُ ٱلْعُرْفُ بَيْنَ ٱللَّهِ وَٱلنَّاسِ

لَمْ يُغْفَرْ لَكَ بِهِ ؟

فَيَقُولُ ، سَبَقَنِي إِلَى مَعْنَاهُ ٱلصَّالِحُونَ . وَنَظَمْتُه ولم أَعْمَلْ بِهِ فَحُرِمْتُ ٱلْأَجْرَ عَلَيْهِ . فَيَقُولُ ، مَا شَأْنُ « ٱلزِّبْرِقَانِ بْنِ بَدْرٍ » * ؟

فيقول ، « الْحُطَيْئَةُ » ، هُوَ رَئِيسٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ اِنْتَفَعَ بِهَجَائِي ولم يَنْتَفِعْ غَيْرُهُ بِمَدِيحِي .

أَبُو الْعَلاَءِ الْمَعَرِّيُّ
رِسَالَةُ الْغُفْرَانِ ، ص ، 307 ، 308 ، ط 5

1 - شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ :

1) الْحَفَشُ ، جَمْعُ أَحْفَاشٍ وَحِفَاشٍ ، هُوَ الْبَيْتُ الصَّغِيرُ أَوِ الْبَيْتُ مِنَ الشَّعَرِ .
2) قَمِيئَةٌ ، مِنْ قَمَأَ يَقْمَأُ وَيَقْمُو ، ذَلَّ - وَالْقَمِيءُ ، هُوَ الْحَقِيرُ الذَّلِيلُ .
3) شَقِنٌ ، وَيُقَالُ أَيْضًا الشَّقِينُ - هُوَ الْقَلِيلُ وَمِنْهُ شَقَنَ الْعَطِيَّةَ وَأَشْقَنَهَا ، قَلَّلَهَا - وَشَقِنَ الْعَطَاءَ ، كَانَ قَلِيلاً فَهُوَ شَقِنٌ وَشَقِينٌ .
4) الْهِيَاطُ ، مِنْ هَاطَ يَهِيطُ ، ضَجَّ وَأَجْلَبَ .
5) الْمِيَاطُ ، من مَاطَ يَمِيطُ - هُوَ الدَّفْعُ وَالزَّجْرُ . وَهُوَ أَيْضًا الإِدْبَارُ وَالتَّبَاعُدُ . وَيُسْتَعْمَلُ اللَّفْظَانِ - الْهِيَاطِ وَالْمِيَاطُ فِي الْمَثَلِ فَيُقَالُ ، أَصْبَحُوا فِي هِيَاطٍ وَمِيَاطٍ أَيْ فِي اضْطِرَابٍ وَمَجِيءٍ وَذَهَابٍ .

2 - تَرَاجِمُ الأَعْلاَمِ :

* - الْحُطَيْئَةُ ، هُوَ جَرْوَلُ بْنُ أَوْسٍ ، مِنْ بَنِي عَبْسٍ وَلَقَبُهُ الْحُطَيْئَةُ وَكُنْيَتُهُ أَبُو مُلَيْكَةَ مُخَضْرَمٌ ، مَتِينُ الشِّعْرِ مُقْذِعُ الْهِجَاءِ ، عَدَّهُ « ابْنُ سَلاَّمٍ الْجُمَحِيُّ » فِي الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الشُّعَرَاءِ الْجَاهِلِيِّينَ . شَارَكَ فِي حُرُوبِ الرِّدَّةِ عَلَى أَيَّامِ الْخَلِيفَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَكَانَ شَاعِرَ الْمُرْتَدِّينَ ، تُوُفِّيَ حَوَالِي سَنَةِ 59 هـ / 678 م .
* - الزِّبْرِقَانُ بْنُ بَدْرٍ ، هُوَ الْحُصَيْنُ بْنُ بَدْرٍ التَّمِيمِيُّ - وَالزِّبْرِقَانُ لَقَبُهُ - كَانَ سَيِّدًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، عَظِيمَ الْقَدْرِ فِي الإِسْلاَمِ ، وَهُوَ صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ وَشَاعِرٌ مُحْسِنٌ ، وَلَهُ قِصَّةٌ مَعَ الْحُطَيْئَةِ مَعْرُوفَةٌ إِذْ هَجَاهُ هِجَاءً لاَذِعًا ، وَخَاصَّةً فِي قَصِيدَتِهِ السِّينِيَّةِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا ،

دَعِ الْمَكَارِمَ لاَ تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

وَقَدْ شَكَا الزِّبْرِقَانُ الْحُطَيْئَةَ إِلَى الْخَلِيفَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَسَجَنَ الْحُطَيْئَةَ .

3 - اَلْأَسْئِلَـــةُ :

1 - يُوجَدُ اَلْحُطَيْئَةُ فِي أَقْصَى اَلْجَنَّةِ - أَيْ فِي اَلْجَنَّةِ « اَلسُّفْلَى » عَكْسَ اِبْنِ اَلْقَارِحِ - وَهُوَ كَمَا نَفْهَمُ مِنَ اَلنَّصِّ غَيْرُ رَاضٍ عَنْ وَضْعِهِ . فَبِمَ تُعَلِّلُ عَدَمَ رِضَاءَهُ ؟

2 - لِمَاذَا جَعَلَ اَلْمَعَرِّيُّ اَلْحُطَيْئَةَ يُقَرِّرُ لَهُ بِالصِّدْقِ فِي هِجَائِهِ نَفْسَهُ ؟ هَلْ تَجِدُ فِي ذَلِكَ مَوْقِفًا مِنَ اَلْحُطَيْئَةِ ؟ دَعْمُ إِجَابَتَكَ .

3 - مَا هِيَ أَهَمِّيَّةُ قَوْلِ اَلْحُطَيْئَةِ عَنِ اَلزِّبْرِقَانِ : « هُوَ رَئِيسٌ فِي اَلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . اِنْتَفَعَ بِهِجَائِي وَلَمْ يَنْتَفِعْ غَيْرُهُ بِمَدِيحِي ؟

4 - هَلْ تَرَى فِي هَذَا اَلنَّصِّ رَمْزًا لِلْحَيَاةِ اَلْاِجْتِمَاعِيَّةِ فِي اَلنِّصْفِ اَلْأَوَّلِ مِنَ اَلْقَرْنِ اَلْخَامِسِ اَلْهِجْرِيِّ فِي اَلْبِلَادِ اَلْإِسْلَامِيَّةِ ؟ دَعْمُ إِجَابَتَكَ .

5 - هَلْ تَرَى فِي هَذَا اَلنَّصِّ مَوْقِفَ أَبِي اَلْعَلَاءِ مِنْ تَصَوُّرِ اِبْنِ اَلْقَارِحِ اَلْحَيَاةَ فِي اَلْجَنَّةِ ؟ دَعِّمْ إِجَابَتَكَ .

مَعَ أَوْسِ بْنِ حُجْـــرٍ .

وَيَلْفِتُ عُنْقَهُ يَتَأَمَّلُ ، فَإِذَا هُوَ بِـ « بِأَوْسِ بْنِ حُجْرٍ * » فَيَقُولُ يَا أَوْسُ ، إِنَّ أَصْحَابَكَ لَا يُجِيبُونَ السَّائِلَ ، فَهَلْ لِي عِنْدَكَ مِنْ جَوَابٍ ؟ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ هَذَا الْبَيْتِ ؟

وَقَارَفَتْ [1] وَهْيَ لم تَجْرَبْ وَبَاعَ لَهَا مِنَ الْفَصَافِصِ [2] بِالنُّمَيِّ [3] سِفْسِيرُ [4]

فَإِنَّهُ فِي قَصِيدَتِكَ الَّتِي أَوَّلُهَا ،

هَلْ عَاجِلٌ مِنْ مَتَاعِ الْحَيِّ مَنْظُـــورُ أَمْ بَيْتُ دَوْمَةَ بَعْدَ الْوَصْلِ مَهْجُـورُ

وَيُرْوَى فِي قَصِيدَةِ النَّابِغَةِ * الَّتِي أَوَّلُهَا ،

وَدِّعْ أُمَامَةَ وَالتَّوْدِيعُ تَعْذِيـــرُ وَمَا وَدَاعُكَ مَنْ قَفَّتْ [5] بِهِ الْعِيـرُ

وَكَذَلِكَ الْبَيْتُ الَّذِي قَبْلَهُ ،

قَدْ عُرِّيَتْ نِصْفَ حَوْلٍ أَشْهُرًا جُدُدًا [6] تَسْقِي [7] عَلَى رَحْلِهَا فِي الْحِيرَةِ الْمُورُ [8]

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ ،

إِنَّ الرَّحِيلَ إِلَى قَوْمٍ وَإِنْ بَعُدُوا أَمْسَوْا وَمِنْ دُونِهِمْ ثَهْلَانُ [9] فَالنِّيرُ [10]

وَكِلَاكُمَا مَعْدُودٌ فِي الْفُحُولِ ، فَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ يُحْمَلُ ذَلِكَ ، فَلَمْ تَزَلْ تُعْجِبُنِي (لَامِيَّتُكَ) الَّتِي ذَكَرْتَ فِيهَا الْجُرْجَةَ [11] وَهِيَ الْخَرِيطَةُ مِنَ الْأَدَمِ ـ فَقُلْتَ لَمَّا وَصَفْتَ الْقَوْسَ :

فَجِئْتُ بِبَيْعِي مُولِيًا لَا أَزِيدُهُ
عَلَيْهِ بِهَا حَتَّى يَؤُوبَ ٱلْمُنَخَّلُ [12]
ثَلَاثَةُ أَبْرَادٍ جِيَادٍ وَجُرْجَةٌ
وَأَدْكَنُ مِنْ أَرْيِ ٱلدُّبُورِ مُعَسَّلُ

فَيَقُولُ « أَوْس » ، قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ « نَابِغَةَ بَنِي ذُبْيَانَ » فِي ٱلْجَنَّةِ . فَأَسْأَلُهُ عَمَّا بَدا لَكَ فَلَعَلَّهُ يُخْبِرُكَ ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ بِأَن يَعِيَ هَذِهِ ٱلْأَشْيَاءَ . فَأَمَّا أَنَا فَقَدْ ذَهِلْتُ ؛ نَارٌ تُوقَدُ ، وَبَنَانٌ يُعْقَدُ إِذَا غَلَبَ عَلَيَّ ٱلظَّمَأُ ، رُفِعَ لِي شَيْءٌ كَٱلنَّهْرِ ، فَإِذَا ٱغْتَرَفْتُ مِنْهُ لِأَشْرَبَ ، وَجَدْتُهُ سَعِيرًا مُضْطَرِمًا ، فَلَيْتَنِي أَصْبَحْتُ (دَرِمًا) وَهُوَ ٱلَّذِي يُقَالُ فِيهِ ، أَوْدَى دَرِمٌ [13] . وَهُوَ مِنْ بَنِي دُبٍّ بنِ مُرَّةَ بْنِ ذُهْلِ ٱبْنِ شَيْبَانَ ـ وَلَقَدْ دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنِّي وَلَكِنَّ ٱلْمَغْفِرَةَ أَرْزَاقٌ ، كَأَنَّهَا ٱلنُّشُبُ [14] فِي ٱلدَّارِ ٱلْعَاجِلَةِ .

فَيَقُولُ ، صَارَ وَلِيُّهُ مِنَ ٱلْمَتْبُوعِينَ ، وَشَائِنُهُ [15] بِٱلسَّفِهِ مِنَ ٱلْمَسْبُوعِينَ [6] ـ ، إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ آخُذَ عَنْكَ هَذِهِ ٱلْأَلْفَاظَ فَأُتْحِفَ بِهَا أَهْلَ ٱلْجَنَّةِ ، فَأَقُولَ ، قَالَ لِي أَوْس ، وَأَخْبَرَنِي أَبُو شُرَيْح .

أَبُو ٱلْعَلَاءِ ٱلْمَعَرِّيُّ
رِسَالَةُ ٱلْغُفْرَانِ ـ ص ، 339 ـ 341

1 ـ شَرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ :

1) وَقَارَفْتُ مِنَ ٱلْمُقَارَفَةِ : ٱلْمُدَانَاةِ .
2) ٱلْفَصَافِصُ : جَمْعُ مُفْرَدِهِ فَصْفَصَةٌ ، عُشْبٌ .

3) النَّمِيُّ نَوْعٌ مِنَ ٱلنَّقْدِ

4) السُّفْيرُ ٱلسَّمْسَارُ . وقيلَ أَيْضًا هُوَ ٱلْقَيِّمُ بِٱلنَّاقَةِ ٱلَّذي سَاسَهَا ـ وَٱلْمُتَحَدَّثُ عَنْهَا في في ٱلْبَيْتِ هِيَ ٱلنَّاقَةُ .

5) قفَ عليْهِ وبه : ذَهَبَ بِهِ .

6) ٱلْجَدَدُ جَمْعٌ مُفْرَدُهُ جَداءُ : ٱلْمَحَلَّةُ . وَيُقَالُ ضَرْعٌ أَجَدُّ : أَيْ جَافٌ يَابِسٌ .

7) نَسْفِي يُقَالُ سَفَتِ ٱلرِّيحُ ٱلتُّرَابَ تَسْفِيهِ سَفْيا . أثارتْهُ .

8) ٱلْمُورُ ٱلرِّيَاحُ

9) ثَهْلانُ جَبَلٌ ضَخْمٌ بِٱلْعَالِيَةِ . وَقِيلَ أيضا إنَّهُ جَبَلٌ لِبَنِي نَمِيرٍ بِهِ ماءٌ وَنخيلٌ

10) ٱلنِّيرُ جَبَلٌ بِأَعْلَى نَجْدٍ

11) ٱلْجِرْحَةُ : خَرِيطَةٌ كَالْخُرْجِ يُوضَعُ فِيهَا ٱلزَّادُ .

12) حتَّى يَؤُوبَ ٱلنَّخْلُ . مَثَلٌ يُضْرَبُ فِي ٱلْيَأْسِ مِنَ ٱلْعَوْدِ وَ « ٱلْمُنَخَّلُ » هُوَ شَاعِرٌ يَشْكُرِيٌّ ٱتَّهَمَهُ ٱلنُّعْمَانُ بِٱلْمُتَجَرِّدَةِ فَحَبَسَهُ . ثُمَّ غَمَصَ خَبَرَهُ وَٱلْبَيْتَانِ ٱلشِّعْرِيَّانِ فِي وَصْفِ ٱلْقَوْسِ .

13) أُودِي دَرِمٌ مَثَلٌ يُضْرَبُ لِمَنْ لَمْ يُدْرَكْ ثَأْرُهُ وَذٰلِكَ أَنَّ ٱلنُّعْمَانَ كَانَ يَطْلُبُ « دَرِمَ ٱبْنَ دُبٍّ ٱلشَّيْبَانِيَّ » وجعلَ فيهِ جَائِزَةً لِمَنْ جَاءَ بِهِ أَوْ دلَّ عَلَيْهِ . فَأَصَابَهُ قَوْمٌ فَمَاتَ فِي أَيْدِيهِمْ قَبْلَ أَنْ يُبْلِغُوا بِهِ ٱلنُّعْمَانَ فَقِيلَ : « أُوْدِي دَرِمٌ » .

14) ٱلنُّشَّبُ جَمْعٌ مُفْرَدُهُ نَشَبٌ (مُذَكَّرٌ) وَنَشَبَةٌ (مُؤَنَّثٌ) : هُوَ ٱلْعَقَارُ أَوْ ٱلْمَالُ ٱلْأَصِيلُ مِنَ ٱلصَّامِتِ أَوِ ٱلنَّاطِقِ .

15) شَائِنَةٌ مِن شَنَأَ وَشَيْءٌ : أَبْغَضَهُ مع عداوة وسوءِ خُلُقٍ .

16) ٱلْمَنْبُوغُ ٱلَّذِي ذَعَرَهُ ٱلسَّبُعُ .

2 - تَرَاجِمُ ٱلْأَعْلَامِ :

- أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ : هُوَ أَوْسُ بْنُ حَجَرِ بْنِ عُتَابِ ٱلْأَسَدِيُّ ٱلتَّمِيمِيُّ . كَانَ مِنْ أَوْصَفِ ٱلشُّعَرَاءِ لِلْقَوْسِ وَٱلسَّحَابِ وَقَدْ سَبَقَ إِلَى دَقِيقِ ٱلْمَعَانِي فِيهِمَا . كَانَ يُعْتَبَرُ شَاعِرَ مُضَرَ ٱلْمُخْلِ حَتَّى بَرَزَ ٱلنَّابِغَةُ وَزُهَيْرٌ فَأَخْمَلَاهُ .
- ٱلنَّابِغَةُ : هُوَ ٱلنَّابِغَةُ ٱلذُّبْيَانِيُّ . وَقَدْ سَبَقَ ٱلتَّعْرِيفُ بِهِ فِي نَصِّ « مَعَ ٱلشَّمَّاخِ بْنِ ضِرَارٍ ص. 167

ٱلْأَسْئِلَـــةُ :

1 - مَا هِيَ ٱلْمَسْأَلَةُ ٱلَّتِي أَرَادَ ٱبْنُ ٱلْقَارِحِ مِنْ أَوْسٍ أَنْ يُجِيبَهُ عَنْهَا ؟ مَا هُوَ وَجْهُ ٱلْاَشْتِبَاهِ فِيهَا ؟

2 - لِمَاذَا رَفَضَ أَوْسٌ ٱلْإِجَابَةَ عَنْ أَسْئِلَةِ ٱبْنِ ٱلْقَارِحِ ؟ بِمَاذَا تُعَلِّلُ غَضَبَهُ ؟

3 - مَا هِيَ أَهَمِّيَّةُ قَوْلِ أَوْسٍ . « وَلَقَدْ دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنِّي . وَلَكِنَّ ٱلْمَغْفِرَةَ أَرْزَاقٌ . كَأَنَّهَا ٱلنُّشُبُ فِي ٱلدَّارِ ٱلْعَاجِلَةِ » ؟

4 - مَاذَا تَسْتَنْتِجُ عَنْ نَفْسِيَّةِ ٱبْنِ ٱلْقَارِحِ مِنْ قَوْلِهِ لِأَوْسٍ ؟ « إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ آخُذَ عَنْكَ هَذِهِ ٱلْأَلْفَاظَ . فَأُتْحِفَ بِهَا أَهْلَ ٱلْجَنَّةِ » ؟

مَلاذِعُ رِسَالَةِ الْغُفْرَانِ

لاَ أَرْتَابُ فِي أَنّ ٱلْمَعَرِّيَّ حَشَرَ فِي رِسَالَةِ الغُفْرَانِ مَغَامِزَ لَذْعِهِ وَمَطَاوِيَ تَهَكُّمِهِ بِكَثِيرٍ مِمَّا تَوَاضَع [1] عَلَيْهِ النَّاسُ فِي وَصفِ يَوْمِ الدِّين ، وَٱلعَرْضِ عَلَى الحسابِ ، والمِيزانِ ، وَتصويرِ الجَنّةِ فِي هناءَةِ أَهلِهَا ، وَرَاحتِهم فِي النَّعِيمِ المقيم وَمَنَالِتِهم [2] مَا يَشْتَهُونَ وَنُزهتِهم فِي جَنَائن ، وسُكناهم قصورًا ، وَتَبَسّطِهم فِي فُنُون المطاعم ، ومُتعِهم بالحور العِيـــنِ .

وَقَدْ سَارَ عَلَى مَهَلٍ فِي هَذِهِ ٱلأَوْصَافِ وَاحِدًا وَاحِدًا فخلَعَ عَلَيْهِ حُلَّةً من خَيَالاَتِه وَمُغَالاَةً من بَدَائِعِ تَصَوُّرَاتِهِ ، وَسَاعَفَه عَلَى ذَلِكَ التَّصوُّرِ وَٱلْخَيَالِ ، مَا مَرَّ فِي ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ من وَصْفِ لِجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَٱلأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ . وَإِنِّي لأُجِلُّ القرآنَ عَنِ المُغَالاةِ وَٱلتَّهْوِيلِ ، وَإِنَّمَا تِلْكَ أُمُورٌ فِي عِلْمِ ٱللّهِ ، ذَكرهَا فِي كِتَابِه ٱلْحَكِيمِ . وَلِلْمُؤْمِنِ أَنْ تَتَشَوفَ [3] نَفْسُه الى خلودِ عَالَمِهَا وَبَقَاءِ نُعْمَاهَا بَعْدَ أَنْ أَحَسَّ الشقَاءَ فِي هَذِهِ ٱلْحَيَاةِ الدُّنْيَا ـ وَلَوْلاَ مَا رَكّبَ الخالِقُ فِي طِبَاعِ ٱلإِنْسَانِ من المُيُولِ والمشَاعِرِ ، وَالنَّوَازِعِ وَٱلدَّخَائِلِ . [4] وَفِيهَا ٱلأَمَلُ وَاليَأْسُ . لَـ ا كَانَتْ نَشَأَتْ قَضِيَّةُ الآخِرَةِ فِي سَائِرِ ٱلأَدْيَانِ السَمَاوِيَةِ . وَلَقَدْ نَشَأَ التَّقَابُلُ بَيْنَ خِلْقَةِ ٱلإِنْسَانِ وَالطَّبِيعَةِ مُنْذُ كَانَا . فَلَوْلاَ النُّورُ لما خُلِقَتْ عُيُونُنَا ،

وَلَوْلاَ ٱلأَصْوَاتُ لَمَا خُلِقَتْ حَنَاجِرُنَا . فَالجَنَّةُ عَالَمٌ إِبْدَاعِيٌّ يَتَرَاءَى فِي نَوَازِعِ النَّفُوسِ ، وَتَرْكِيبِ الخَيَالِ فِي ٱلأَذْهَانِ .

غَيْرَ أَنَّ أَبَا العَلاَءِ نَسَجَ عَلَى تِلْكَ الصُّورِ المَأْمُولَةِ فِي العَقَائِدِ ٱلإِسْلاَمِيَّةِ أَبْرَادًا [5] مِنَ الوَهْمِ الخَارِقِ خَرَجَ بِهِ عَنْ نِطَاقِ الجِدِّ إِلَى الهَزْلِ .

وَلَسْتُ أَشُكُّ فِي أَنَّهُ أَحَبَّ أَن يُدَاعِبَ عَلِيَّ بْنَ منصورٍ كَمَا يُدَاعِبُ الدَّاهِيَةُ المحَنَّكُ شَيْخًا مَهْوُوسًا [6] لِيَجْعَلَهُ هُزَأَةَ المتهكِّمين وَسَلْوَةَ السَّاخِرِينَ .

فَأَبُو العَلاَءِ أَمَاتَ ابنَ القَارِحِ ثُمَّ بَعَثَهُ وَخَرَجَ بِهِ يَوْمَ الدِّينِ فَطَوَّفَهُ بِالجَنَّةِ وَٱلنَّارِ ، وَأَرَاهُ مُتَعَ وَأَهْوَالَ الجَحِيمِ . وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ مَعْنِيًّا بِسِوَى ٱلأَدَبِ وَٱللُّغَةِ وَالنَّحْوِ ، وَجَرَائِمِ الاعتقَادِ ، وَعَذَابَاتِ ٱلمُلْحِدِينَ . وَظَلَّتِ ٱلاخْلاَقُ عِنْدَهُ قَلِيلَةَ الذِّكْرِ ، فَأَيْنَ الرِّيبَةُ وَالخَبَائِثُ ، والفجُورُ والمفَاحِشُ ، والجوْرُ والمَظَالِمُ ، والتَّنْكِيلُ بِأَهْلِيهَا فِي الآخِرَةِ ، وَٱلاسْتِفَاضَةُ فِي تَصْوِيرِ ذَلِكَ وَتَخَيُّلِهِ ؟

كُلُّ هَذَا مَرَّ بِهِ ٱلمَعَرِّي مُرُورَ ٱلإِلْمَامِ بِغَيْرِ مَقَامٍ .

وَأُولُ صُورَةٍ عَنْ تَهَكُّمِهِ فِي الرِّسَالَةِ وَسُخْرِيَتِهِ ، مَا أَجْرَاهُ مِنَ ٱلكَلاَمِ فِي مُشَاجَرَةِ النَّابِغَةِ الجَعْدِيِّ مَعَ أَعْشَى قَيْسٍ . فَكَانَ يَقُولُ لَهُ ٱلجَعْدِيُّ ، إِنَّ دُخُولَهُ ٱلجَنَّةَ مِنَ ٱلمُنْكَرَاتِ وَكَانَ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَكُونَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ من النَّارِ . وَقَدْ صُلِيَ بِالنَّارِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ ، حَتَّى يَقُولَ لَهُ ،

(وَلَوْ جَازَ الغَلَطُ عَلَى رَبِّ العِزَّةِ لَقُلْتُ إِنَّهُ غُلِطَ بِكَ) ـ كَمَا تَقَدَّمَ .

وَفِي هَذَا غَمْزٌ ظَاهِرٌ ، تَخْرِيجُهُ بِأَنَّ الْكَثِيرَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ قَدْ دَخَلُوهَا بِغَيْرِ حَقٍّ .

أَمَّا التَّهَكُّمُ الْخَفِيُّ وَالسُّخْرِيَّةُ الْمَكْتُومَةُ فَكَانَتْ فِي الأَوْزِ اللَّوَاتِي يَنْتَفِضْنَ عَنْ قِيَانٍ كَأَنَّهُنَّ الدَّرَارِي [7] يَرْفُلْنَ فِي وَشْيِ الْجَنَّةِ وَبِأَيْدِيهِنَّ الْمَعَازِفُ . فَيَقُولُ ابْنُ الْقَارِحِ لِلنَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ ، (يَا أَبَا لَيْلَى اخْتَرْ لِنَفْسِكَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ فَلْتَذْهَبْ مَعَكَ إِلَى مَنْزِلِكَ تُلَاحِنُكَ أَرَقُّ اللَّحَانِ وَتُسْمِعُكَ ضُرُوبَ الأَلْحَانِ) .

فَيَقُولُ لَبِيدٌ ، (إِنْ أَخَذَ أَبُو لَيْلَى قَيْنَةً وَأَخَذَ غَيْرُهُ مِثْلَهَا أَلَيْسَ يَنْتَشِرُ خَبَرُهَا فِي الْجَنَّةِ فَلَا يُؤْمَنُ أَنْ يُسَمَّى فَاعِلُو ذَلِكَ أَزْوَاجَ الأَوْزِّ) .

فَيَكِفُّ أَبُو لَيْلَى وَصَحْبُهُ عَنِ الزَّوَاجِ بِتِلْكَ الأَوْزَّاتِ .

وَتَهَكُّمٌ آخَرُ فِيهِ لَذْعٌ ، ذَلِكَ الْحِوَارُ الَّذِي جَرَى بَيْنَ ابْنِ الْقَارِحِ وَبَيْنَ (رِضْوَانَ) بَوَّابِ الْجَنَّةِ وَصُدُوفُ [8] رِضْوَانَ عَنْهُ ، غَيْرَ عَابِئٍ بِشِعْرِهِ ، جَاهِلًا مَا هِيَ الأَشْعَارُ وَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ بِهَذِهِ الْكِلْمَةِ قَطُّ . فَيُنْكِرُ عَلَيْهِ رِضْوَانُ الدُّخُولَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ .

وَحِينَ أُعْيَاهُ الأَمْرُ انْصَرَفَ إِلَى حَاجِبٍ آخَرَ مِن حُجَّابِ الْجَنَّةِ فَمَنَعَهُ الدُّخُولَ إِلَّا بِشَفَاعَةِ نَبِيِّهِ . فَتَعَلَّقَ ابْنُ منصور بِرِكَابِ إِبْرَاهِيمَ ابنِ الرَّسُولِ ، فَوَجَدَ نَفْسَهُ لَا يَسْتَمْسِكُ عَلَى الصِّرَاطِ .

فَقَالَتِ ٱلزَّهْرَاءُ أُخْتُ أَبْرَاهِيمَ لِجَارِيَةٍ لَهَا أَجِيزِيهِ . فَجَعَلَتْ تُمَارِسُهُ وَهُوَ يَتَسَاقَطُ مِنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ فَقَالَ لَهَا ، يَا هَذِهِ إِنْ أَرَدْتِ سَلَامَتِي فَٱحْمِلِينِي زَقْفُونَةَ . فَقَالَتْ لَهُ ، وَمَا زَقْفُونَةُ ؟ فَقَالَ ، أَنْ يَطْرَحَ ٱلْإِنْسَانُ يَدَيْهِ عَلَى كَتِفَيِ ٱلْآخَرِ وَيُمْسِكَ بِيَدَيْهِ وَيَحْمِلَهُ وَيَطْنُنَهُ عَلَى ظَهْرِهِ ، وَضَرَبَ لَهَا مَثَلًا بِبَيْتٍ مِنَ الشِّعْرِ فِيهِ ذِكْرُ الزَّقْفُونَةِ قَالَهُ ٱلْجَحْجَلُولُ مِنْ أَهْلِ كَفْرِ طَابَ . فَقَالَتْ ٱلْجَارِيَةُ لِٱبْنِ منصور: مَاسَمِعْتُ بِزَقْفُونَةٍ وَٱلْجَحْجَلُولِ وَلَا كَفْرِ طَابَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ . فَلَمَّا عَبَرَ الصِّرَاطَ بَعْدَ أَنْ حَمَلَتْهُ هَذِهِ الجَارِيَةُ وَجَازَتْ بِهِ كَالْبَرْقِ وَقَفَ بِبَابِ ٱلْجَنَّةِ فَسَأَلَهُ رِضْوَانُ ، هَلْ مَعَكَ جَوَازٌ ؟ فَقَالَ:لَا . فَقَالَ:لَا سَبِيلَ إِلَى الدُّخُولِ إِلَّا بِهِ وَلَكِنَّ إِبْرَاهِيمَ رَجَعَ إِلَيْهِ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً حَصَلَ بِهَا فِي ٱلْجَنَّةِ .

وَكُلُّ هَذَا لَذْعٌ ظَاهِرٌ ، وَتَهَكُّمٌ لَارِيبَةَ فِيهِ . وَهَلْ بَعْدَ حَمْلَةِ الزُّقْفُونَةَ سُخْرِيةٌ أَبْعَدُ ، وَتَهَكُّمٌ أَجْرَحُ ؟ وَتَخْرِيجٌ آخَرُ لِهَذِهِ الصُّورَةِ فِي النَّقْدِ ٱلسَّاخِرِ أَنَّ قَضِيَّةَ الشَّفَاعَةِ وَالزُّلْفَى [9] ٱلَّتِي كَانَتْ مَعْرُوفَةً فِي الدُّنْيَا وَلَاتَزَالُ هِيَ هِيَ فِي ٱلْآخِرَةِ ، وَبَيْنَ يَدَيِ ٱلْحَشْرِ وَفِي دُخُولِ ٱلْجَنَّةِ .

وَقَدْ تَهَكَّمَ أَبُو ٱلْعَلَاءِ بِعَدْلِ ٱللَّهِ وَغُفْرَانِهِ تَهَكُّمًا أَخْفَى وَأَشَدَّ ٱسْتِبْسَارًا [10] وَذَلِكَ فِي عَرْضِ إِبْلِيسَ رَاسِفًا فِي ٱلْأَغْلَالِ رَاجِفًا مُضْطَرِبًا فِي السَّلَاسِلِ ، وَمَقَامِعُ [11] ٱلْحَدِيدِ تَهْوِي عَلَيْهِ بِأَيْدِي الزَّبَانِيَةِ ، وَهُوَ غَيْرُ مَشْغُولٍ عَنْ ٱلشُّعُورِ بِمَا فِيهِ مِنَ العَذَابِ ،

فَيَقُولُ لِٱبْنِ ٱلْقَارِحِ إِنَّهُ رَاضٍ عَنْ بَشَّارٍ لِأَنَّهُ مَدَحَهُ وَفَضَّلَهُ عَلَى آدَمَ بِقَوْلِهِ ،

إِبْلِيسُ أَفْضَلُ مِنْ أَبِيكُمْ آدَمٍ فَتَبَيَّنُوا يَا مَعْشَرَ ٱلْأَشْرَارِ

وَإِذَا بَشَّارٌ مَوْجُودٌ ثَمَّةَ ، وَقَدْ أَغْمَضَ عَيْنَهُ لِئَلَّا تَهُولَهُ مُشَاهَدَةُ عَذَابِ ٱلزَّبَانِيَةِ لَهُ وَٱلزَّبَانِيَةُ يَفْتَحُونَ عَيْنَيْهِ بِكَلَالِيبَ مِن نَارٍ فَيَأْسَفُ ٱبْنُ ٱلْقَارِحِ عَلَى بَشَّارٍ لِمَا نَزَلَ بِهِ وَيَقُولُ لَهُ ، (كُنْتُ فِي ٱلدَّارِ ٱلْعَاجِلَةِ أَذْكُرُ بَعْضَ قَوْلِكَ فَأَتَرَحَّمُ عَلَيْكَ ظَنًّا أَنَّ ٱلتَّوْبَةَ سَتَلْحَقُكَ بِمِثْلِ قَوْلِكَ) ،

أَرْجِعْ إِلَى سَكَنٍ تَعِيشُ بِهِ ذَهَبَ ٱلزَّمَانُ وَأَنْتَ مُنْفَرِدُ

وَقَوْلُكَ ،

ٱلْحُرُّ يُلْحَى [12] وَالعَصَا لِلْعَبْدِ وَلَيْسَ لِلْمُلْحِفِ [13] غَيْرُ الرَّدِّ

وَيَقْصُدُ أَبُو العَلَاءِ أَنَّ بِهَذِهِ ٱلْمَعَانِي ٱلْغُرَرِ وَٱلْحِكْمَةِ ٱلْبَاقِيَةِ شَفَاعَةٌ لِمِثْلِ بَشَّارٍ مِنْ هَذَا ٱلضُّرِّ ٱلَّذِي نَزَلَ بِهِ فِي ٱلآخِرَةِ . وَكَأَنَّهُ يَقُولُ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ يَأْبَى أَنْ يَغْفِرَ لَهُ .

كَذَلِكَ أَبْطَنَ ٱلْمَعَرِّيُّ مَعَانِيَ لَاذِعَةً فِي نَسِيجٍ مِنَ ٱلْكَلِمِ ، سَاخِرٍ حِينًا سُخْرِيَةً ظَاهِرَةً ، وَآوِنَةً خَفِيِّ ٱلسُّخْرِ دَقِيقِ ٱلتَّهَكُّمِ .

زَكِيُّ ٱلْحَاسِنِيُّ *
أَبُو ٱلْعَلَاءِ نَاقِدُ ٱلْمُجْتَمَعِ
ص ، 143 ، 146 ، ط 1 بَيْرُوتَ 1963

1 - شَرْحُ ٱلْمُفْرَدَاتِ :

1) تَوَاضَع ، تَوَاضَعَ القَوْمُ على كذا ، تَوَاطَأُوا وٱتَّفَقُوا .
2) مَنَالَتُهُمْ ، مَصْدَرٌ مِيمِيٌّ مِنْ نَالَ يَنِيلُ وَيَنَالُ نَيْلاً وَنَالاً وَنَالَةً ، أَصَابَ .
3) تَتَشَوَّفُ ، مِنْ شَافَ يَشُوفُ شَوْفًا ، وَتَشَوَّفَ إِلَى ٱلشَّيْءِ تَطَلَّعَ إِلَيْهِ .
4) الدَّخَائِلُ ، جَمْعٌ مُفْرَدُهُ دَخِيلَةٌ ، وَدَخِيلَةُ ٱلْمَرْءِ هِيَ بَاطِنُهُ وَضَمِيرُهُ .
5) أَبْرَادٌ ، جَمْعٌ مُفْرَدُهُ بُرْدٌ ، وَهُوَ ٱلثَّوْبُ ٱلْمُخَطَّطُ وَٱلْمَقْصُودُ فِي ٱلنَّصِّ (أَنْسِجَةٌ مُخْتَلِفَةٌ) .
6) مَهْوُوسًا ، إِسْمُ مَفْعُولٍ مِنْ هوس يَهُوسُ هَوْسًا ، كَانَ بِهِ هَوَسٌ وَهُوَ طَرَفٌ مِنَ ٱلْجُنُونِ وَخِفَّةِ ٱلْعَقْلِ ...
7) الدَّرَارِيُّ ، جَمْعٌ مُفْرَدُهُ دُرَّةٌ مِنْ درّ يَدِرُّ وَيَدُرُّ وَجْهُهُ ، حَسُنَ وَنَضَرَ . وَٱلدُّرَّةُ ، جَوْهَرَةٌ ثَمِينَةٌ .
8) صُدُوفٌ ، مِنْ صَدَفَ يَصْدِفُ وَيَنْصَدِفُ عَنْهُ ، أَعْرَضَ وَصَدَّ .
9) الزُّلْفَى ، مِنْ زَلَفَ يَزْلِفُ ، تقدّم وتقرّب . وَٱلزُّلْفَى ، ٱلْقُرْبَةُ .
10) ٱسْتِسْرَارٌ ، مِنْ ٱسْتَسَرَّ ، ٱسْتَتَرَ وتوارى .
11) مَقَامِعُ ، جَمْعٌ مُفْرَدُهُ مِقْمَعَةٌ ، وَهِيَ خَشَبَةٌ أَوْ حَدِيدَةٌ يُضْرَبُ بِهَا ٱلإِنْسَانُ لِيَذِلَّ .
12) يُلْحَى ، مِنْ لَحَى يَلْحِي لَحْيًا فُلاَنًا ، لاَمَهُ وَعَابَهُ .
13) ٱلْمُلْحِفُ ، مِنْ أَلْحَفَ يُلْحِفُ ، جَرَّ إِزَارَهُ عَلَى ٱلأَرْضِ خُيَلاَءَ وَهِيَ أَيْضًا ٱلْمُلِحُّ وَٱلْمُبَالِغُ فِي ٱلْقَوْلِ وَٱلْعَمَلِ .

2 - تَرَاجِمُ ٱلأَعْلاَمِ :

* زَكِيُّ ٱلْمُحَاسِنِيُّ ، هُوَ أَدِيبٌ وَبَاحِثٌ جَامِعِيٌّ سُورِيٌّ عَلَى دَرَجَةِ ٱلدُّكْتُورَاه فِي ٱلأَدَبِ ٱلْعَرَبِيِّ ، وَعُضْوٌ فِي ٱلْمَجْمَعِ ٱلْعِلْمِيِّ ٱلْعَرَبِيِّ بِدِمَشْقَ ، خَصَّصَ مُعْظَمَ أَبْحَاثِهِ وَأَعْمَالِهِ لِلأَدَبِ ٱلْعَرَبِيِّ ٱلْقَدِيمِ . مِنْ أَهَمِّ إِنْتَاجِهِ « أَبُو ٱلْعَلاَءِ نَاقِدُ ٱلْمُجْتَمَعِ » (طَبْعَةٌ أُولَى ، بَيْرُوتُ ، 1963).
* عَلِيُّ بْنُ مَنْصُورٍ ، هُوَ ٱبْنُ ٱلْقَارِحِ ، سَبَقَ ٱلتَّعْرِيفُ بِهِ فِي نَصِّ « ٱلْكَلِمَةُ ٱلطَّيِّبَةُ » لأَبِي ٱلْعَلاَءِ ٱلْمَعَرِّيِّ . ص. 156 .
* ٱلنَّابِغَةُ ٱلْجَعْدِيُّ هُوَ أَبُو لَيْلَى قَيْسُ بْنُ عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ جَعْدَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ ٱلْعَامِرِيُّ ، شَاعِرٌ مُخَضْرَمٌ قَدْ أَقَامَ فِي بِلاَطِ ٱلْمُلُوكِ ٱللَّخْمِيِّينَ فِي ٱلْحِيرَةِ ثُمَّ سَارَ عَلَى رَأْسِ قَبِيلَتِهِ فَقَدَّمَ خُضُوعَهُ لِلرَّسُولِ وَأَنْشَدَهُ شِعْرًا فَدَعَا لَهُ . سَاهَمَ فِي فَتْحِ فَارِسَ وَنَاصَرَ عَلِيًّا فِي صِفِّينَ . تُوُفِّيَ فِي أَصْفَهَانَ حَوَالَيْ سَنَةِ 65 هـ / 684 م بَعْدَ أَنْ عُمِّرَ طَوِيلاً .

* أَعْشَى قَيْس : هُوَ مَيْمُونُ بْنُ قَيْسِ بْنِ جَنْدَلٍ ٱلْبَكْرِيُّ . سَبَقَتْ تَرْجَمَتُهُ فِي نَصِّ « حَدِيثُ ٱلنُّزْهَةِ » لِأَبِي ٱلْعَلَاءِ . ص159

* لَبِيدُ : هُوَ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ، شَاعِرٌ مُخَضْرَمٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ، تُوُفِّيَ سَنَةَ 5661 .

* بَشَّارُ : هُوَ أَبُو مُعَاذٍ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ . فَارِسِيُّ ٱلْأَصْلِ . وُلِدَ أَعْمَى وَكَانَ إِلَى عَمَاهُ مَجْدُورًا جَاحِظَ ٱلْمُقْلَتَيْنِ . أَدْرَكَ ٱلْأُمَوِيِّينَ فَٱتَّصَلَ بِهِمْ ثُمَّ ٱتَّصَلَ بِٱلْعَبَّاسِيِّينَ وَهَجَا ٱلْمَهْدِيَّ فَسَخَطَ عَلَيْهِ . وَرُئِيَ مَرَّةً بِٱلْبَصْرَةِ يُؤَذَّنُ وَهُوَ سَكْرَانُ فَأَتَوْهُ بِٱلزَّنْدَقَةِ وَقَتَلَهُ بِهَا ٱلْخَلِيفَةُ ٱلْمَهْدِيُّ سنة 168 هـ / 784 م

3 - ٱلْأَسْئِلَـــةُ :

1 - لِمَاذَا يَرَى ٱلْكَاتِبُ أَنَّ ٱلْمَعَرِّيَّ فِي « رِسَالَةِ ٱلْغُفْرَانِ » إِنَّمَا كَانَ سَاخِرًا مِمَّا تَوَاضَعَ عَلَيْهِ ٱلنَّاسُ فِي وَصْفِ ٱلْحَيَاةِ ٱلْآخِرَةِ وَلَمْ يَكُنْ جَادًّا ؟

2 - مَا هُوَ مَوْقِفُ ٱلْكَاتِبِ ٱلْخَاصُّ مِنْ تِلْكَ ٱلْعَقَائِدِ ؟

3 - هَلْ يُصَوِّرُ هَذَا ٱلنَّصُّ بِحَقٍّ ٱلرُّوحَ ٱلْعَلَائِيَّةَ ٱلسَّاخِرَةَ ؟ دَعِّمْ إِجَابَتَكَ ؟

4 - هَلْ تَرَى أَنَّ ٱلْكَاتِبَ قَدْ وُفِّقَ فِي سَوْقِ أَمْثِلَتِهِ مِنْ « رِسَالَةِ ٱلْغُفْرَانِ » لِلتَّدْلِيلِ عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ فِي فَهْمِهَا ؟ دَعِّمْ رَأْيَكَ ؟

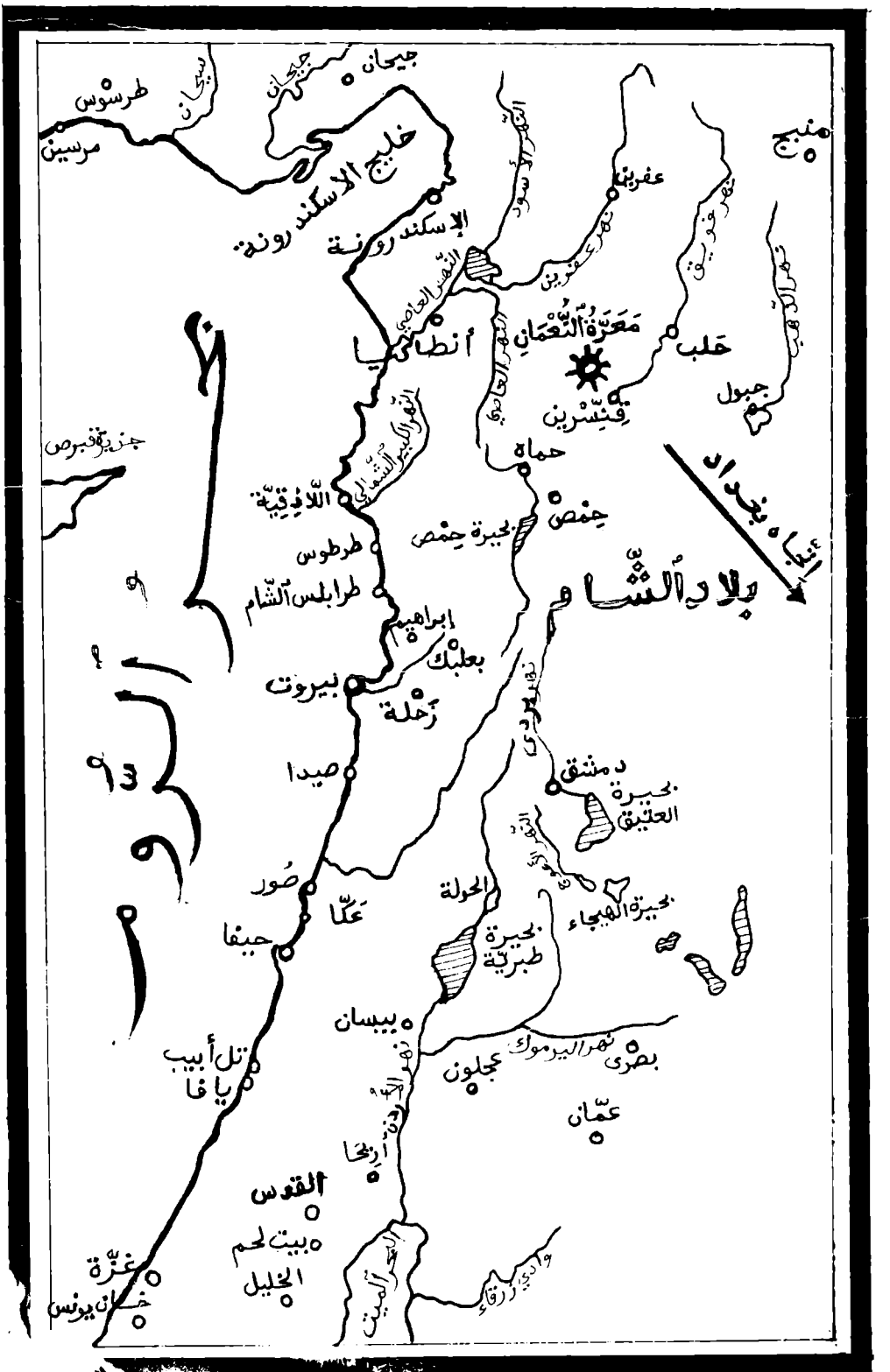
جيحان
طرسوس
مرسين
خليج الاسكندرونة
الإسكندرونة
النهر العاصي
أنطاكية
عفرين
نهر عفرين
منبج
نهر قويق
حلب
مَعَرَّةُ النُّعْمَانِ
قِنَّسْرِين
جبول
حماه
حِمْص
بحيرة حمص
اللاذقية
طرطوس
طرابلس الشام
جزيرة قبرص
بلاد الشام
إبراهيم
بعلبك
بيروت
زحلة
صيدا
دمشق
بحيرة العتيق
الحولة
بحيرة الهيجاء
بحيرة طبرية
صور
عكا
حيفا
بيسان
تل أبيب
يافا
نهر اليرموك
بصرى
عجلون
عمّان
أريحا
القدس
بيت لحم
الخليل
غزة
خان يونس
البحر الميت
وادي زرقاء

بلاد الشام

ب الأدب الحديث

- توفيق الحكيم
- محمود المسعدي
- ميخائيل نعيمة

توفيق الحكيم

1) **الطّورُ الأولُ** : النّشأةُ وَالتّكْوينُ بَيْنَ الإسْكَنْدَرِيَةِ وَالقَاهِرَة 1902 - 1924 :

وُلِدَ تَوْفِيقُ ٱلحَكِيمُ بِالاسْكَنْدَرِيَّةِ سَنَة 1902 ، وَيَذْكُرُ أَحَدُ ٱلبَاحِثِينَ أَنَّ وِلاَدَتَهُ كَانَتْ سَنَةَ 1898 وَلَكِنَّ وَالِدَتَهُ تُؤَكِّدُ أَنَّهُ وُلِدَ عَامَ 1902 .

وَكَانَ وَالِدُهُ إِسْمَاعِيلُ ٱلحَكِيمُ عَلَى حَظٍّ وَافِرٍ مِنْ الثَّرَاء إِذْ كَانَ يَمْتَلِكُ جُمْلَةً مِنَ ٱلمَزَارِعِ وَالضِّيَاعِ. وَأَمَّا أُمُّهُ فَهِيَ تُرْكِيَّةُ ٱلأَصْلِ عَنِيفَةُ الطِّبَاعِ،ذَاتُ كِبْرِيَاءَ وَاعْتِدَادٍ بِأَصْلِهَا ٱلأُرْسْتُقْرَاطِيِّ ... التَحَقَ الصَّبِيُّ تَوْفِيقُ عِنْدَ بُلُوغِهِ السَّابِعَةَ مِنْ عُمْرِهِ بِالْمَدْرَسَةِ ٱلابْتِدَائِيَةِ فِي دَمَنْهُور ، ثُمَّ سَافَرَ إِلَى القَاهِرَة لِمُتَابَعَةِ تَعْلِيمِهِ الثَّانَوِيِّ أَيْنَ أَسْتَقَرَّ هُنَاكَ فِي مَنْزِلِ أَعْمَامِهِ وَٱنْضَمَّ إِلَى مَدْرَسَةِ مُحَمَّد عَلِيّ الثَّانَوِيَةِ . لَقَدْ كَانَ عَمُّهُ ٱلأَكْبَرُ مُدَرِّسًا لِلْحِسَابِ بِإِحْدَى ٱلمَدَارِسِ ٱلابْتِدَائِيَّةِ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَلَّى الإِنْفَاقَ عَلَى ٱلبَيْتِ ، أَمَّا عَمُّهُ ٱلأَصْغَرُ فَهُوَ طَالِبٌ بِكُلِّيَةِ ٱلهَنْدَسَةِ ، وَبَعْدَ حُصُولِهِ عَلَى شَهَادَةِ ٱلبَكَالُورِيَا ٱلمِصْرِيَةِ التَحَقَ بِكُلِّيَّةِ ٱلحُقُوقِ حَسَبَ رَغْبَةِ وَالِدِهِ ٱلَّذِي يَوَدُّ أَنْ يَرَى ٱبْنَه قَاضِيًا كَبِيرًا أَوْ مُحَامِيًا شَهِيرًا . فَتَخَرَّجَ مِنَ الكُلِّيَةِ بِشَهَادَةِ ٱلإِجَازَة سَنَةَ 1924 ـ وَقَدْ كَانَ فِي هَذِهِ ٱلفَتْرَة مَيَّالاً إِلَى التَّمْثِيلِ وَٱلمُمَثِّلِينَ.وَقَدْ قَدَّمَ إِلَى بَعْضِ ٱلفِرَقِ فِي ٱلقَاهِرَة أُولَى مُحَاوَلاَتِهِ ٱلمَسْرَحِيَةِ مِثْلَ« الضيف الثّقيل» و « المرأة الجَديدة » .

2) **الطَّورُ الثَّاني** : السَّفرُ إلى باريسَ 1924 – 1928 :

بَعْدَ أنْ أنْهَى تَوْفيقُ الْحَكِيمُ دراستَه الْجَامِعِيَّةَ فِي الْقَاهِرَةِ بِنَجَاحٍ أَرْسَلَهُ أَبُوهُ إِلَى بَارِيسَ لِدِرَاسَةِ الْقَانُونِ وَالْحُصُولِ عَلَى الدُّكْتُورَاه ، إِلاَّ أَنَّهُ انْعَكَفَ عَلَى الأَدَبِ وَالْمَسْرَحِ. وَهُنَاكَ فِي فرنسا تفتَّقَتْ مَوَاهِبُ الشَّابِّ عَلَى الْحَيَاةِ الْبَارِيسِيَّةِ بِمَا فِيهَا مِنَ نَوَاحِي الفَنِّ وَمَظَاهِرِ الْجَمَالِ إِلَى قِرَاءَةِ الْقِصَصِ وَالْمَسْرَحِيَاتِ ، وَكَانَ يَهْرَعُ بَيْنَ الْفَيْنَةِ وَالأُخْرَى إِلَى مَسْرَحِ الأُودِيُون ، وَدَارَ الأُوبِرَا لِيُمَتِّعَ نَفْسَهُ وَحِسَّه بِمَا يُعْرَضُ هُنَاكَ مِنْ رَوَائِعِ الْمَسْرَحِ الأُوربي. كَمَا شُغِفَ بِمُوسِيقَى بِيتهُوفن وَمُوزار وشُومان وَشُوبرت وَغَيْرِهم من أَعْلاَمِ الْمُوسِيقَى الْغَرْبِيَّةِ .

وَفِي عَامِ 1926 كَتَبَ مَسْرَحِية « أَمَامَ شُبَّاكِ التَّذَاكِرِ » بِاللُّغَةِ الْفِرَنْسِيَةِ وَجَعَلَ بَطَلَتَهَا تِلْكَ الْفَتَاةَ الَّتِي تَعْمَلُ بِشُبَّاكِ التَّذَاكِرِ بِالأُودِيُونَ وَالَّتِي أُعْجِبَ بِهَا الْحَكِيمُ أَيْمَا إِعْجَابٍ .

3) **الطَّور الثَّالث** ، العَوْدَةُ إِلَى مِصْرَ 1928 :

عَادَ الْحَكِيمُ إِلَى مِصْرَ بِزَادٍ فِكْرِيٍّ خِصْبٍ وَمَلَكَةٍ فَنِّيَّةٍ مُمْتَازَةٍ – إِلاَّ أَنَّهُ لَمْ يَعُدْ بِالدُّكْتُوراه الَّتِي ارْتَحَل مِن أَجْلِهَا إِلَى بَارِيسَ ...

وَفِي مِصْرَ تَقَلَّدَ عِدَّةَ مَنَاصِبَ حُكُومِيَةٍ ، فَقَدْ سُمِّي وَكِيلَ النَّائِبِ الْعَامِّ فِي الأَرْيَافِ بِالْقُرْبِ مِنْ مَدِينَةِ طَنْطَا ، بين 1930 و 1934 ، وَكَتَبَ فِي هَذِهِ الآوَنَةِ « يَوْمِيَاتِ نَائِبٍ فِي الأَرْيَافِ »

ثُمَّ عُيِّنَ رَئِيسًا لِقِسمِ التَّحْقِيقَاتِ بِوَزَارَةِ ٱلْمَعَارِفِ ٱلْعُمُومِيَّةِ الى أن ٱعْتَزَلَ الوَظَائِفَ ٱلْحُكُومِيَّةَ لِيَتَفَرَّغ لِلصَحافَةِ و لِانْتَاجِ ٱلأَدَبِيّ وَٱخْتِيرَ مُدِيرًا لِدَارِ ٱلْكُتُبِ ٱلْمِصْرِيَةِ ،فَعُضْوًا بِٱلْمَجْلِس ٱلأَعْلَى لِرِعَايَةِ الفُنُونِ وَٱلآدَابِ وَالعُلُوم ٱلاجْتِمَاعِيَةِ ،ثُمَّ عُيِّنَ مندُوبًا فِي مُنظمة اليُونسكُو بِبَارِيسَ سَنَةَ 1959 إلاَّ أَنَّهُ عَادَ سَنَة 1960 إلَى القَاهِرَةِ لِيُوَاصِلَ عَمَلَه السَّابِقَ فِي ٱلْمَجْلِس ٱلأَعْلَى لِلفُنون وَٱلآدَابِ .

- آثـارُ الحكيـم :

لَهُ مُؤلَّفَاتٌ فِي شَتَّى فُنُونِ القِصَّةِ وَٱلْمَسْرَحِ وَٱلْمَقَالَةِ ـ وَقَدْ تُرْجِمَ لَهُ مَايَرْبُو عَلَى ٱلْعِشْرِينَ كِتَابًا إلَى ٱللُّغَاتَ ٱلأَجْنَبِيَّةِ كَالإنْكِلِيزِيَةِ وَٱلْفَرنسية وَالرُّوسِيَةِ وَٱلإيطَالِيَةِ وَٱلإسْبَانِيَةِ وَٱلأَلْمَانِيَةِ وَالسُّويدية ـ كَمَا مُثِّلَ ٱلْكَثِيرُ مِنَ رِوَايَاتِهِ فِي أَعْظَمِ مَسَارِح أُرُوبَا . وَآخِرُ مَا ظَهَرَ لَهُ «عودةُ الوَعْيِ» و « حديث الأحمرة الثَّلاثَةِ » وَقَدْ ٱخْتَصَّ بعد عَوْدَتِهِ من بَارِيسَ بِٱلْمَسْرَحِ الذهنِيّ وَأَشْهر هَذِهِ ٱلْمَسْرِحِيَاتِ :

- أهـــلُ الكهف :

صَدَرَتْ سَنَة 1933 . وَقَدْ ٱسْتَمَدَّ الكاتبُ مَادَّتَهَا مِن القُرْآن «ٱلْكَرِيمِ مُثِلَتْ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ سَنَة 1955 وَقَدْ قَالَ عَنْهَا طه حسين :«إنَّهَا

حَدَثَ فِي تَارِيخِ ٱلأَدَبِ ٱلعَرَبِيِّ، وَإِنَّهَا تُضَاهِي أَعْمَالَ فَطَاحِلِ أُدَبَاءِ الغَرْبِ ».

- **شَهْرَزَادُ :**

استمدَّهَا من قصصِ«ألْفِ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٍ»، وَصَدَرَتْ سَنَةَ 1934. وَفِيهَا تَصْوِيرٌ لِفِكْرَةِ الصِرَاعِ العَنِيفِ بَيْنَ ٱلمَادَّةِ والروحِ . وَقَدْ دَبَّجَهَا ٱلكَاتِبُ بِحِكْمَةِ إِيزِيسَ الخالدة « أَنَا كُلُّ مَا كَانَ ـ كُلُّ مَا سَيَكُونُ ـ قِنَاعِيَ لَمْ يَكْشِفْهُ بَعْدُ إِنْسَانٌ » .

- **بِجْمَالِيُون :**

صَدَرَتْ سَنَةَ 1942، مُسْتَمَدَّةٌ مِنَ ٱلأَسَاطِيرِ ٱلإِغْرِيقِيَةِ . عَالَجَ فِيهَا الحَكِيمُ قَضِيَّةَ ٱلفَنِّ وَٱلحَيَاةِ ...

- **مُحَمَّد :**

وَهِيَ قِصَّةُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ صَدَرَتْ سَنَةَ 1936

وَهَكَذَا فَإِنَّ مَسْرِحِيَاتِ ٱلحَكِيمِ هِيَ بِمِثَابَةِ حَقْلِ تَجَارِبَ لإِيجَادِ حَلٍّ لِلْمُشْكِلَاتِ ٱلَّتِي طَالَمَا ٱعْتَرَضَتْ العَمَلَ ٱلمَسْرَحِيَّ وَمِنْهَا مُشْكِلَةُ ٱللُّغَةِ ٱلَّتِي مَا تَزَالُ مَوْضِعَ جَدَلٍ وَخِلَافٍ بَيْنَ ٱلكُتَّابِ .

وَقَدْ نَالَ ٱلْحَكِيمُ تَقْدِيرًا كَبِيرًا لِمَكَانَتِهِ ٱلْفَنِّيَةِ وَوَفْرَةِ إِنْتَاجِه فَمُنِحَ جَائِزَةَ الدَّوْلَةِ التَّقْدِيرِيَّةِ فِي ٱلْآدَابِ سنة 1961 ـ وَهُوَ مَا يَزَالُ يُوَاصِلُ نَشَاطَهُ الصَّحُفِيَّ وَٱلإِنْتَاجَ ٱلأَدَبِيَّ بِكُلِّ غَزَارَة ...

ايمـــان يمليخـــا

التقـــديـــم :

(الكهف بالرقيم [1] ـ ظلام لا يتبيّنُ فيه غيرُ الأطياف . لقد أستيقظ أهلُ الكهف ـ الوزيران مرنوش ومبشلينا والرّاعي يمليخا والكلبُ قطمير ـ يتساءلُ ثلاثتهم عن المدة التي قضوها بالكهف هروبا من بطش الملك الوثنيّ دُقْيَانُوسَ الذي أقام مذبحةً مُريعةً للمسيحيين في مملكته بطرسوس [2] ـ يومًا أو بعض يوم في ظنهم ـ ثُمّ يتطرّقُ بهم الحديثُ الى مسائل دينية تخصُّ معتقدهم وظروف إيمانهم بالمسيح)

مشلينيا : إنّي أعجَبُ بإيمانِكَ يا يَمْلِيخا ـ

يمليخا : إنّي أؤمِن بالمسيح لأنّه حقٌّ ـ وَلاَ يُمْكِنُ أنْ تَكُونَ هذِهِ البَشَرِيةُ قَدْ بَذَلَتْ أرْوَاحَهَا وسفكَتْ دِمَاءَهَا من أجْل شيء غير الحقّ

مشلينيا : أوُلِدْتَ مسيحيًا أم اعتَنَقْتَ الدّين عَلَى كِبَرٍ؟

يمليخا : بَل ولدتُ مَسِيحيًا

مشلينيا : مثلي إذَنْ

يمليخا : نعمْ ـ وَلَكِنَّ الإيمانَ الحَقِيقِيَّ إيمانَ اليقين والاقْتِنَاع لم يُضِيءْ كُلَّ نَفْسِي إلاّ مِن يوم سَمِعتُ ذلك الراهبَ يتكلم تحت أسوار طَرَسُوسَ

مشلينيا : أيُّ رَاهِبٍ ؟

يمليخا : كَانَ ذَلِكَ مُنْذُ خَمْسَةِ أعْوَامٍ إذْ بلغتُ الثّلاثينَ ـ وَمَا كنتُ بعدُ أُفكّرُ فِي غير غَنَمِي ـ وكنتُ أدينُ بالمسيحية اسمًا بحُكم الوِراثَةِ وحدَهَا لاَ عَنْ شعور واُقتنَاع . حَتّى كَانَ يوم

ذهبتُ الى مدينة طَرَسوس في بعضِ شَأني فلمحتُ خارجَ أسوارِها راهبًا يتكلّمُ في جمعٍ صغيرٍ تُخفيهِ عَنْ الأعيُنِ خرائبُ قديمةٌ وأحجارٌ. فاقتربتُ وَطفِقْتُ أُصغي. وَإذا بِي كأنّي انقلبتُ إنسانًا آخر وكأنّ عينيّ تَرَيانِ ما كانتا عنه غافِلَتَيْنِ.

مشلينيا : مَاذَا كَانَ يَقُولُ ذَلِكَ الراهِبُ ؟

يمليخا : لستُ أذكرُ شيئًا ممّا قالَ. لكِنّي لَنْ أنسى ما شَعرتُ بِهِ إذْ ذَاكَ. إحْسَاسٌ لِمَ يَعْتَرِني فِي حَيَاتِي مِن قَبْلُ إلا مرة إذْ كنتُ أهبطُ الجَبَلَ ساعةَ غُروب. فَأشْرَفْتُ عَلى مَنْظَرٍ بالخَلاء لَمْ أرَ أجْمَلَ مِنْهُ. فَلَبِثتُ لَيْلَتِي أُفكّرُ وأَستذْكِرُ أين رأيتُ هذه الصُورةَ من قبل ؟ أفِي الطُفولة ؟ أفِي الأحلام ؟ أم قَبْلَ أنْ أُولَدَ ؟ إنّ هَذا الجمالَ عَلى غَرابَتِهِ أيْسَ مَجْهُولاً عِنْدِي. وقمتُ فِي الفجْرِ فذكرتُ صورةَ البَارِحةِ. وَفجأةً بَرَقَتْ فِي رأسي فكرةٌ، هَذَا الجَمَالُ كَانَ موجُودًا دائِمًا مُنْذُ الأزَلِ. مُنْذُ وُجِدتِ الخليقةُ. هَذَا الإحْسَاسُ بِعَيْنِهِ هُوَ مَا شَعرتُ بِهِ وَأنَا أصْغِي الى الرّاهِبِ، إن كَلاَمَه الّذِي أَسْمَعُه أوّلَ مرةٍ لَيْسَ مع ذَلِكَ جَدِيدًا عِنْدِي، أيْنَ سَمِعتُه ؟ وَمَتَى ؟ أفِي الطفولَةِ ؟ أفِي العَدَمِ ؟ أقَبلَ أن وُلِدتُ ؟ وَتولّدتْ فِي نَفْسِي عَقِيدَةٌ، إنّ هَذَا الكَلاَمَ هُوَ الحَقُّ، إذْ لاَ أتَصَوّرُ بدءَ الوُجودِ بدونِه، وَلاَ انتهاءَهُ بدونِه.

مشلينيا : (فِي شبه دهش) مرنوشُ . أَسَامِعٌ ؟

مرنوش : نَعَمْ

مشلينيا : مَا تقولُ فِي ذِلِكَ ؟

مرنوش : أقولُ إن هَذَا الرَّاعِي يَتَكَلَّمُ هُرَاءً [3] . وَلَا أفهمُ مَا يَقُولُ .

مشلينيا : أنت لَا تفهَمُ شَيْئًا سوى أَنَّكَ غِبْتَ لَيْلَةً عَن امرأَتِكَ وَوَلَدِكَ .

مرنوش : (فِي شبه تهكُّم) وَأَنْتَ مَاذَا فَهِمْتَ مِنْهُ ؟

مشلينيا : فهمتُ أَنَّنَا بَعِيدَان عن ٱللّٰهِ ، وَأَنَّ قَلْبَيْنَا مشغولانِ بِغَيْرِ ٱللّٰهِ .

مرنوش : وَأَيُّ بأْسٍ فِي ذَلِكَ ؟

يمليخيا : (مستنكرا) ٱللّٰهُمَّ رَحْمَاكَ . (ينهض)

توفيق الحكيم
أهل الكهف الفصل الاول ص ، 18/16
المطبعة النموذجية - بمصر

1 - الشـــرح :

1) الرَّقِيمُ ، اسم الوَادِي ٱلَّذِي يُوجَدُ فيه الكَهْفُ .

2) طَرَسُوسُ ، هِيَ عَاصِمَةُ مملكةِ الطاغية دُقْيَانُوس - وَهِيَ مدينة في تُركيا الآن بها ولدُ القدِّيسِ بُولس رسول الأمَم - فتحَهَا الخليفة العبَّاسيّ المأمونُ سنة 788 م .

3) هُرَاءٌ ، هَرَأَ يَهْرَأُ هَرْأً وَهُرَاء ، أكثرَ من الكلام حَتَّى أَخْطَأَ فالهُرَاءُ هو الكلامُ الكثيرُ الفَاسِدُ ٱلَّذِي لَا نِظَامَ لَهُ .

2 - تـراجـم الأعـلام :

* دقيانوس = أمبراطـورٌ رومانِـيٌّ وَثنـيٌّ ـ أقـامَ مَـذْبَحَـةً رَهِيـبَـةً للمسـيحيين في مملكـته ـ حكـم بَيْنَ 249 و 251 م .

3 - الاسئلـــــة :

1 - في الكهفِ ثلاثـةُ أشـخاص ، فكيـفَ صـوَّرَ الحكيـمُ نفسـيـةَ كُـلِّ واحدٍ منهم ؟
2 - لقد أستَمَعَ كُلٌّ من مرنوش ومثلينيا الى قصةِ إيمانِ يمْلِيخَا فَمَا هُوَ أثَرُ ذَلِكَ فِي نَفْسَيْهِمَا وَمَا مَوْقِفُهمَا منه ؟
3 - كَيْفَ يَبْدُو لَكَ إيمانُ يمليخَا ؟ وَمَا رَأيُكَ فِي هَذَا الإيمَانِ ؟

كيفَ أصبحت بريسكا مسيحية

التقـــديـــم :

استمع مشلينيا ومرنوش الى قصة إيمان يمليها ووقفا على عنق مغتقده ، ثم أخذا يستعيدان ذكرياتهما الماضية في قصر ڤيانوس * وكل له مشاغله وحيرته . فمشلينيا قلق لخوفه ان يخلف موعده مع الاميرة بريسكا ابنة ڤيانوس ، ومرنوش حائر على مصير زوجته وابنه ـ ثم ها هو مشلينيا يقص على رفيقه قصة إيمان حبيبته وظروف اعتناقها دين المسيح .

مشلينيا : لولا امرأتُكَ المسيحيةُ لَمَا كُنْتَ اعتنقتَ دينَ المسيح ، أنْتَ الوثنيُّ المُؤمِنُ بالوثنيّةِ وَساعدُ دُقيانوس الأيمنُ في مذابحِهِ السّابِقَةِ .

مرنوش : ولولاكَ أنْتَ لَمَا اعتنقت الأميرةُ بريسْكا دِينَ المَسيح وَهْيَ المُؤمِنَةُ بِدينِ أبيهَا دُقيانوس .

مشلينيا : (يكتُم اغتباطَه) مرنوشُ أتَرَاهَا حَقِيقَةً تَرَكَتْ دِينَهَا لِهَذَا السَّبَبِ ؟

مرنوش : وَهَلْ فِي هَذَا شَكٌّ ؟

مشلينيا : أنت دَائِمًا تُفْهِمُنِي ذَلِكَ .

مرنوش : لأنَّكَ لاتُرِيدُ أنْ تفهَمَ أيُّهَا الأحْمَقُ

مشلينيا : (مستذكرا في فرح) نعم، إنّي لن أنسَى تِلْكَ اللّيْلَةَ الّتِي طَالَمَا حَدّثْتكَ عَنْهَا ، لَيلةَ كَانَتْ فِي ثِيابِ بَيْضَاءَ تَخطرُ فِي بهْو الأعْمَدَةِ حَيْثُ موعدُنَا بَعْدَ سكونِ

القصر . لَقَدْ قلتُ لَهَا وَقتئذٍ فِي غَيْرِ حَذَرٍ إنَّكِ مَلَكٌ من ملائكةِ السَّمَاء . فنظرتْ إليَّ دَهِشَةً وَسَألَتْ عَنْ مَعْنَى الملكِ ، فقلتُ لَهَا فِي أرتبَاكٍ: هُوَ اِسْمٌ فِي ٱلْمَسِيحِيةِ لمخلوقاتٍ أَسْمَى وألطفُ من مخلوقاتِ ٱلأَرْض . ثُمَّ صمتُّ لحظةً وقلت لها مُمَوِّهًا ، ليتَنِي كنتُ مسيحيًا فقالَتْ ، « لِمَاذَا ؟ » قلتُ: « حَتَّى أستَطِيعَ أَن أكونَ خطيبَكِ أمامَ ٱللَّهِ وَأَنْ يكونَ بيننا عقدٌ مقدَّسٌ لاَ يَسْتَطِيعُ أحدُنَا الحِنْثَ بِهِ . فَقَالَتْ : « أهَذَا فِي ٱلْمَسِيحِيَّةِ وَصَمَتَتْ لحظةً . ثُمَّ قَالَتْ فِي سَذاجَةٍ وَحَيَاء ، « لَيْتَنِي أَنَا أَيْضًا كنتُ مَسِيحِيةً » .

مرنوش : وبعدئذٍ بِقَلِيلٍ كنتَ بِبَابِي كَالمَجنونِ فَرِحًا .

مشلينيا : نَعَمْ ، ومن فَوْرِكَ أخذتَ تفكرُ لِي وَتُدَبِّرُ الأُمُور .

مرنوش : وكان أن ذهَبْتُمَا سِرًّا الى الرَّاهِب كي يُدخِلَهَا فِي الدِّين.

مشلينيا : بفضل رَأيكَ وَمُعَونَتك مرنوش ، حَقًّا لستُ أَنْسَى حَرَجَ مَوْقفك يومئذٍ وقد لَبِثْتَ بَعْدَ ذَهَابِنَا ترقبُ عَوْدَتَنَا وَتَقُولُ لذقيانوس إذْ يسألُ عَنْ ٱبْنَتِهِ إنَّهَا مَعَ وَصَائفهَا في الحمام وتَقُول لوصَائفها القَلِقَاتِ: هِيَ عِنْدَ أَبِيهَا،أَجَل ، غَيْرَ أَنِّي لاَ أَرْتَعِدُ لِذِكْرَى شَيْءٍ مِثْلَمَا أَرْتَعِدُ لِذِكْرَى دُقيانوس ، وَقَدْ فَاجَأَنِي مرَّةً فِي بهوِ ٱلأَعْمَدَةِ أَنْتَظرُ بريسكا وَفِي يدي الكتاب

المقدّسُ، إنّي لَمْ أَزلْ أَسمعُ صوتَ الملك وهو يقولُ لِي وَأَنا من الهَلَع [1] لَا أعِي مَا هَذَا الكتابُ بِيدِكَ ؟؛ وَهُنَا تقدّمْتَ أنْتَ يَا مرتُوشُ وخطفته من يدي وقلتَ مُجِيبًا ، « هَذَا كِتَابِي يَا مولَاي نسِيتُهُ فِي هَذَا ٱلْبَهْوِ » عِندئِذٍ أدركتُ أنّكَ مستعدٌ أحْيَانًا للهلاك من أجْلِي.

مرنوش : لا من أجلِك ، بل من أجلِ مُحبٌ وخطيبٍ أردتُ أن أحفظَه لخطِيبَتِهِ .

توفيق الحكيم

اهل الكهف الفصل الأول ص : 26 / 28

1 - الشـــرح :

1) الهَلَعُ ، هَلِعَ يَهْلَعُ هَلَعًا بمعنى جَزِعَ وَخَافَ .
فالهلعُ هُوَ الجُبْنُ وَالخَوْفُ .

2 - تـراجم الأعـــلام :

* دُقيانوس ، انظر النص السابق « إيمان يمليخا »

3 - الاسئـــلـة :

1 - لماذ بقي مثلينيا ومرنوش متعلّقيْن بالحياة بعد مضيّ ثلاثمائة عام ؟
2 - ما رَأيُكَ في إيمانِ بريسكا كما يبْدو من كلام مثلينيا ؟
3 - مَا رَأيُكَ فِي الدّوْرِ ٱلّذِي قام به مرنوش بيْن العاشقيْن ؟

بـــدءُ الحيـــرة

التقـــديـــم :

غادرَ الرّاعي يمليخا الكهفَ حاملاً معه بعضَ النقود للبحث عنْ الطعام بعْدَ أن أحسّ الجماعةُ بالجوع ـ ثُمّ لا يلبثُ أنْ يَعُودَ إلى رَفيقَيْهِ فزِعًا مرعوبًا.

يمليخيا : أنْتُمَا فِي الظّلاَمِ تَنْتَظِرَان الفَجْرَ ، والشّمْسُ فِي كَبَدِ السّمَاء .

مرنوش : أيْنَ هَذَا ؟

يمليخا : خَارَجَ الكهفِ ، وَلَقَدْ عثرتُ بالبابِ ، فَإذَا هُوَ دُوننا وَلاَ نعرفُ ـ ولكن،ولكن ، شيء عَجِيبٌ ، إنّ الحَرَارةَ والضوء لا لاَ يَدخُلاَنِ إلَيْنَا منه كَأنما الشمسُ تميلُ عنه في ذهابِهَا وَإيَابِهَا .

مرنوش : أهَذَا كُلُّ مَا فعلتَ ؟ أيْنَ الطّعَامُ ؟

يمليخا : لو تعلَمَان مَا رَأيْتُ وَمَا سمعتُ .

مرنوش : تكلّم .

يمليخا : ما كدت أسير خُطوَتَيْن حَتّى رَأيْتُ أمَامِي فَارِسًا يلبسُ لِبَاسًا غَرِيبًا وَكَأنّه صيادٌ فَأبرزْتُ لَهُ مِمّا معي من فضّةٍ ، عَارِضًا عَلَيْهِ شِرَاءَ بِعْضِ صَيْدِهِ ، فَمَا تَبيّنَنِي حَتّى كَأنهُ امْتَلأ رُعْبًا ، وَلَكزَ [1] فرسَه يريدُ

الركْضَ . فَأَمسكْتُ بِزِمَام الدَّابَةِ وأَوقفتُ الرجلَ وَأَنا أَلوِّحُ لَهُ بالنقود ، وَفِي النهايةِ أَخَذَ مِنِّي قطعةً فِي حَذَرٍ وَجَعَلَ يتأَمَّلُهَا وَأَنا أَرقبُه . وإِذا هو يقولُ فِي تلعْثُمٍ وخوفٍ وعجبٍ ، وهو يُقلِّبُهَا بَيْنَ أَصَابِعِه « دُقيانُوسُ أَضُربَ فِي عَهْد دُقيانوسَ » ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ متشجِّعًا وَقَالَ لِي : « أَمَعَكَ مِن هَذَا كثيرٌ ؟ فأَخرجتُ لَهُ كُلَّ مَا مَعِي . فَقَالَ : «أَيْنَ وجَدتَه ؟ قلتُ : « مَاذَا ؟ » قَالَ : هَذِهِ النقودُ القديمةُ ، هذا الكنزُ ؟ فحسبتُ بالرجل مسًّا فَخَطفْتُ مِنْهُ قِطعتِي وَبُعْدْتُ عَنْهُ وَهُوَ يَتْبَعُنِي بِنَظرةِ عَجَبٍ واستطلاع وَخَوْفٍ ثُمَّ لَكَزَ فَرَسَه وَٱخْتَفَى عَنْ بَصَرِي .

مرنوش : صدقتَ إنَّ بصاحبِك مسًّا .

مشلينيا : لا يامرنوش ـ لا تَتَعَجَّل .

مرنوش : مَابِكَ ؟

مشلينيا : لَقَدْ دَاخَلَنِي شَكٌّ .

مرنوش : فِي مَاذَا ؟

مشلينيا : فِي زمن إِقَامَتِنَا بِهَذَا الكهفِ ، أَلاَ تذكُرُ أَنِّي أَتَيتُهُ حَلِيقًا ؟ هَأَ نَذَا الآنَ وَلِحْيَتِي مرسلةٌ وَشَعَرِي يَتَدلَّى، مَا تَنبَّهْتُ الى ذَلِكَ إِلاَّ السَّاعَة وَأَنَا أَحُكُّ رَأْسِي بِظُفْرِي

يمليخا : نعم نَعَمْ ! أَنَا كَذَلِكَ لحظتُ وَأَنا أُخرِجُ قطعةَ الفضةِ

للرجُلِ أنَّ أظافري طويلةٌ عَلى هيئَةٍ لَمْ أعهدْهَا من قبلُ ، ومن يَدْري لَعَلَّ الرجلَ ارتَاعَ من منظرِ شعري المبعثَرِ الأَشْعَثِ ، وَنَحْنُ هُنَا فِي الظلام لا نلحظُ شَيْئًا وَلَا يَرَى أَحَدُنَا الآخَرَ .

مشلينيا : تُرَى أَلبِثْنَا أُسبوعًا وَنَحْنُ لَا نَشعُرُ ؟

مرنوش : - يلتمس رأسه - «صدقْتُمَا . أنَا أيْضًا لَا أَحْسبُنِي جِئْتُ الكهفَ بِهَذَا الشّعرِ كلّه فِي رَأسِي وَلِحْيتِي - هَذَا عَجيبٌ انْظُرْ يَامشلينيا ، لَوْ كُنْتَ تُبصِرُ فِي الظِلَامِ ، أكَادُ بِهَذِهِ اللحيةِ أُشبِهُ القدّيسِينَ عَلى مَا يُخَيَّلُ إِلَيَّ .»

يمليخا : لعلّنَا مكثنا شَهْرًا .

مرنوش : وَيْحَكَ! شَهْرًا ؟ وَأَيْنَ كُنَّا طولَ هَذِهِ المدّة ؟

يمليخا : كنا نِيَامًا .

توفيق الحكيم
أهل الكهف الفصل الاول
ص ، 30 ـ 32

1 - الشـــرح :

1) لكز ، لَكَزَ يَلْكُزُ لَكْزًا الشيءَ أي ضَرَبَهُ بجمع كفّه .
لَكَزَ الدّابَةَ ، ضربها ليُحثّهَا عَلى السّير .

2-الاسئلـــة :

1 - كيفَ بدأت حيرةُ يمليخا أوّل الامر ؟

2 - ما هو موقفُ الراعي من الصياد ؟ هل في حِوارهما جانبٌ فُكاهيٌّ ؟

3 - رجع يمليخا الى زميليه وأعلمهما بقصّته خارجَ الكهف ـ فهل انتقلت الحَيْرَة اليهما ؟

4 - ما هِيَ طريقة الكاتب في تصوير نفسية أبطاله الثلاثة ؟

قلـــب المـــرأة

التقـــديـــم :

(في قصر المَلِكِ ـ الأميرةُ بريسكا الحفيدةُ بين وصيفاتها وفي يدِها كِتابٌ تتحدثُ مع مُرافِقِها غاليَاس حولَ الحدثِ الهامِ الذي غمرَ المدينةَ متمثلاً في روايةِ الصيادِ عن اكتشافِ كنزٍ ثمينٍ ضُربَ في عهدِ دقيانوس مختفٍ في كهفِ الوادي بالرقيم) .

الأميرة : مَاذَا شَاعَ بِالمَدِينَةِ ؟

غاليَاس : أَنَّ كَنزًا من عَهْد دُقيانوس مَدفُونٌ فِي كَهْفٍ بِوَادِي الرَّقيم

الأميرة : ـ مستذكرة ـ : دُقيانوس ؟

غاليَاس : نعم دقيانوس صَاحِبُ عَصرِ الشُّهَداء ـ ألم أحدّثْكَ بِخَبَرِهِ فِيمَا حدثتُكِ من قَديمِ التَّوَاريخ ؟

الأميرة : أَلَيْسَ هُوَ أَبَا تِلْكَ الأميرةِ الَّتِي تَسمَّيْتُ باسمها ؟

غاليَاس : هَا أَنْتِ ذِي قَدْ ذَكرتِ يَا مَولاتِي . نَعَمْ هِيَ ابنتُه تلك الأميرةُ القِديسةُ الَّتِي تَنَبَّأَ لكِ العرَّافُ سَاعَةَ مِيلَادِكِ بِأَنَّكِ ستُشبِهِينَهَا خَلْقًا وَإِيمَانًا .

الأميرة : أَوْ تَرَى هَذَا العرَّافَ قَدْ صَدَقَ ؟ أَوْ تَرَانِي أُشْبِهُهَا حَقِيقَةً ؟ إِنِّي لَا أَكَادُ أعرِفُ عَنْهَا شَيْئًا يَا غَالياسُ وَأَنْتَ لَا تُرِيدُ أَن تطلِعَنِي عَلَى تَارِيخِهَا مَا أَقسَاكَ . إِنَّكَ لَاتُحِسُّ مبلغَ رغْبَتِي فِي معرفةِ تِلكَ التي يَزعُمُونَ أَنِّي أُشبِهُهَا.

غاليَاس : أُقسِمُ بالمَسيح يَا مُولاتِي أَنِّي أطلعتُكِ عَلَى كُلِّ مَا

أعرفُ من تاريخِها وَكُلّ مَا وَصَلَ إلَى علِمنا من عهدِها.
ألَمْ أقُلْ لَكِ إنَّها كَانَتْ مسيحيةً شَدِيدَةَ الإيمان باللّهِ والمسِيح في عصر كَانَت المسِيحِيةُ فيه مُضطهَدَةً مغلوبةً، ألَمْ أقلْ إنَّها ظَلَّتْ تُخْفِي دينَهَا عَنْ أبِيهَا الوثنيّ الظَّالِمِ وَإنَّها ظَلّت راهبةً تَأبَى الزواجَ حَتَّى استُشْهِدَتْ عَذْرَاءَ فِي سنّ الخَمسين.

الأميرة : إنك قلتَ لِي مرّةً يَاغَالياس إنَّهَا سَمِعَتْ تَقُولُ كُلَّمَا أَرْغَمُوهَا عَلَى الزَّواج : إنَّهَا مرتبطةٌ بعهدٍ مقدّسٍ لن تَحنَثَ بِهِ.

غَالياس : أصبْتِ يَامولاَتِي.

الأميرة : تُرَى مَعَ مَنْ هَذَا العهدُ المقدّسُ ؟

غَالياس : مَعَ ٱللّهِ يَا مَوْلاَتِي، مَعَ مَنْ غَيْرِ ٱللّهِ تُرِيدِينَ ؟

الأميرة : كُنْتُ أحسَبُه مَعَ مَنْ اخْتَارَه قلبُهَا.

غَالياس : ـ مستنكرا ـ : حَاشَا ٱللّهُ يَا مولاتِي، أَستغفُر ٱللّه، أَوَ يَخْتَارُ قلبُهَا غَيْرَ ٱللّهِ.

الأميرة : وَمَا يَمْنَعُ ؟ إن قَلبَ المرأةِ يَتّسِعُ دَائِمًا لله وَغَيرِ ٱللّهِ إنّكَ لاَ تَعرف قلبَ المرأةِ يَا غَالياس، لأنّكَ احمقَ.

غَالياس : مولاتي إنّي اطّلعتُ على تَاريخِهَا كلّه ...

الأميرة : ـ فِي تهكّم ـ ولم تَفْهَمْ منه شَيْئًا غيرَ مَا يُمكن أَن يَفهمَه شيخٌ مثلُك.

غالياس : إنّي أَفهمُ الحقيقَةَ ، لقد كانَتْ قِدّيسَةً لاَرَيْبَ فيها ، وَبالأَمْسِ عَثَرتُ عَلَى سِفْرٍ قَدِيمٍ وَرَدَ فِيهِ أن إحْدَى وَصائِفِهَا كَانَتْ تسمعُهَا دَائِمًا تقول : « إنّي أَنتظر كلَّ يومٍ ... وَسَأنتظِرُ ولَنْ أَمَلَّ الانتظارَ حَتَّى يَعُودَ » .

الأميرة : أَرَأَيْتَ ، من تَنْتَظِرُ ؟ من ٱلَّذِي يَعُودُ ؟

غالياس : المسيحُ يَا مولاتِي ، « تنتظرُ يومَ عَوْدَةِ المسيح من السَّمَاء .

توفيق الحكيم

ـ أهل الكهف ـ الفصل الثاني ص 40/38

الاسئلـــة :

1 - كيفَ كَانَ حديثُ المُؤَدِّبِ غالياس عن القدّيسَةِ بريسكا ؟

2 - هَلْ الجدّة قِدّيسة أم امرأة كسائر النساء في نظر بريسكا ؟ لِمَاذا ؟

3 - كَيْفَ صوَّرَ الحكيمُ قلبَ المرأة وَمَا رَأْيُكَ فِي هَذَا التَّصْوير ؟

بَيْنَ يَدِي الملك

التقديم :

يخرج أهلُ الكهف من مَخبئهم بَعْدَ ان اكتشفَ امرهم ، يحملُهم الجنودُ إلى قصرِ الملك وقد فرح بمقدمهم اعتقادا منه ان اللّه كرّمه بأنْ أظهرَ أهلَ الكهف في عصرِه لأنّه مسيحيٌ مؤمنٌ بإلاهٍ واحدٍ ولأنّ عصرَه هو عصرُ المسيحيةِ الزاهرة .

الملك : إنّ قصري . إن شئتُم منزلُكم وَمَأْوَاكُم،وَكُلُّ حَوَائجكم مُجَابَةٌ،وَكُلُّ أوامِركم مطاعَةٌ،وَلَيْسَ لَنَا مِن مطمح غَيْرَ خدمتِكم وَرِضَاكم .

يمليخا : هَمْسًا لمرنوش / أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ ،إن اللّه حقٌّ ؟وإن الشَّهْرَ الّذِي مَكثْنَاه فِي الغَارِ قَدْ حَدَثَ فِيهِ العَجَبُ العُجَابُ ، مرنوشُ لا يسمعُ لَهُ وَمشيلينيا مَشْغُولٌ بِمَا هُوَ فِيهِ مِن أمرِ الأميرة /

مرنوش : (يلتفتُ الى الملك مجيبا) مَوْلاَيَ ، كَمْ أَحْمَدُ اللّهُ عَلَى هَذِهِ المعجزةِ الحقّةِ إذ أَهْلَكَ دُقيانوسَ الظالمَ فِي طَرفَةِ عينٍ ، وَأَخْلَفَكَ عَلَى العرش فِي الحَالِ ، وَكُنْتُ أَوَدُّ أَن أُطنِبَ فِي شكرِ اللّهِ عَلَى تَوَلِيَتِكم بَيْنَ عَشِيَّةٍ وَضُحَاهَا ملِكًا عَلَى أفئدَتِنَا أجمعينَ لَوْ لَمْ يَكُنْ لِي حَاجَةٌ مُلِحَّةٌ لاَ أَستَطيعُ عَنْهَا صَبْرًا لحظةً وَاحِدةً ... ـ الملك يَبْهَتُ قَلِيلاً ـ أَنْ يَأذَنَ لِي الملكُ فِي الانْصَرافِ عَلَى الفَوْرِ إلَى امرأَتِي وَوَلَدِي ، يَنْتَظِرَانِ

أوْ بَيتِي فِي قَلَقٍ مُنْذُ أسْبُوعٍ وَرُبَمَا أكْثَرَ من أسبوع ...

يمليخا : (هَامِسًا لمرنوش): « إنّي خَائِفٌ من هذا القَصْرِ .(ثُمَّ التفتَ كَذَلِكَ إلَى الملك في صوتٍ مضطرب) وَأنَا كَذَلِكَ يَا مولايَ لِي غَنَمٌ تَرْعَى الكَلأ في مَكَانٍ لاَ يَعْلَمُه سِوَايَ .

مرنوش : (فِي إلحَاحٍ) أتَأذَنُ يَا مولايَ ؟

الملك : (مَأخوذٌ مُرتَبِكٌ يَبْحَثُ عَن غالياس حوله) يا غالياس يا غالياس ...

مرنوش : كَلاَّ لاَ لزومَ يَا مولايَ إنّي أعرِفُ الطريقَ الى بَيْتِي (يَنْحَنِي وَيَخرجُ حَالاً وَيَنْتَهِزُ يمليخا الفُرصَةَ ويخرجُ في أثرِ مرنوش. أمَّا مشيلينيا فَيَبْقَى وَيَخْرُج من تَأمُّلِهِ وَيَتَقدَّمُ إلَى المَلِكِ ...)

مشلينيا : مولايَ . إنّي لستَ خليقًا بالمَثُولِ بَيْنَ يَدَيْك والتحدُّثِ إليكَ الآن . وَأنَا عَلَى مَا تَرَى من سُوء الحَالِ . أيَأْذَنُ لِي مولايَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ فِي الذَّهَابَ الى حُجْرَتِي أغَيِّرُ ملابِسي هَذِهِ وأحلِقُ شعري الأشعثَ ولحيتِي الطويلةَ ؟

الملك : (فِي دَهَشٍ): يَاغالياس ،

مشلينيا : كَلاَّ . لاَ لزومَ يَا مولايَ أنَا كَذَلكَ أعرفُ حُجْرَتِي فِي هَذَا القصرِ فليعْذُرْنِي مولايَ ، إنّي مَا انتبهْتُ الى رثَاثَةِ هيئَتِي إلا السَّاعَةَ . هَذَا وَلاَ ريبَ قَدْ نَفَّر الأَميرةَ الآن فلم تَرُدَّ تَحِيَّتِي ... (يخرج من البهو تاركا الملِك ومن معه

جامدين في دهشةٍ عظيمةٍ ...

توفيـق الحكيـم

أَهْلُ ٱلْكَهْفِ: الفصل الثاني ص : 54 / 56

- **الاسئلـــة :**

1 - مَـا هـو أثـرُ الحياة الجديدة فِي نفوسِ أهلِ الكهف بعد خُروجهم من مخبئهم ؟

2 - كَيْفَ فَسَّرُوا التَّغييراتِ ٱلَّتِي طرأتْ على الحياةِ طيلَةَ إقامتهم بالكهف ؟

3 - مَـا هِي مختلفُ المشاغل ٱلَّتِي كانت لكلّ واحد منهم ؟ وما كان موقف الملك منها ؟

هـــزيمـــة يمليخـــا

التقـــديـــم :

(خرج يمليخا من القصر قبل رفيقيه للبحث عن أغنامه ومعه كلبه الصغير - لكنه فوجئ بالحقيقة المرة حقيقة مكوثهم في الكهف ثلاثمائة سنة كما أعلمه بذلك كل الناس، فدقيانوس الجبار قد مات منذ ثلاثة قرون.
ويعود يمليخا الى رفيقيه يدعوهما للعودة إلى الكهف لأن هذا العالم لم يعد عالمهم بيد أن مشلينيا ومرنوش لا يصدقانه ويتمسكان بالبقاء في المدينة محاولين إقناعه فيجيبهما).

يمليخا : (فِي حِدَّةٍ) قلتُ لَكُمَا لاَ تَسْأَلاَنِي الآنَ شَيْئًا (بَعْدَ لَحْظَةٍ بَيْنَمَا يَنْظُرَان إِلَيْهِ فِي وُجُوم) لَقَدْ صِرتُمَا أَنْتُمَا أَيْضًا غَرِيبَيْنِ عَنِّي مُنْذُ قَلِيلٍ،أَنْتُمَا البَقِيَّةُ البَاقِيَةُ بَعْدَ أَنْ مَضَى كُلُّ شَيْءٍ كَحُلْمٍ ... وانطفأت صورٌ وَأجيالٌ فِي شبهِ لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ ، آه لَوْ تَعَلَمَانِ أَيُّهَا الأَعمَيَانِ مَا رَأَيْتُ الآنَ فِي شَارِعٍ بِطَرَسُوسَ إن كَانَتْ هَذِهِ بَعْدُ مَدِينَةَ طَرَسُوسَ ، لَوْ رأَيتُمَانِي وَقَدْ أَحَاطَ بِي أَنَاسٌ فِي ثِيَابٍ غَرِيبَةٍ وَعَلَى وُجُوههم مَلاَمحُ عَجِيبَةٌ وَهم ينظُرونَ إِليَّ نَظَرَاتٍ كَادَ قَلْبِي ينخلِعُ مِنْهَا وَكَأَنَّهم يفحَصُونَ أمري تفحُصَ من يحسَبُنِي من عَالَمِ الجنّ ، وَأَينَمَا سِرْتُ فهم في أثري بنظراتهم المستطلِعَةِ الحذرةِ لا أستَطِيعُ مُخَاطبةَ أحدٍ منهم وَإِنْ فعلتُ فَلاَ أحسبُنِي أجِدُ مُجِيبًا بَلْ نظراتٍ صامتةً فَزِعَةً يخيَّلُ إليَّ أَنِّي

أموتُ جوعًا قبل أن يمُدّ أحدُهم يدَه بطعامٍ . إنّهُمْ يظنُّونَنِي وَلاَرَيْبَ من خِلْقَةٍ لاَتَأكُلُ وَلاَ تشربُ وَلاَشكَّ أنّي إن أردتُ سَكَنًا فَلَنْ يُسْكَنَنِي أحدٌ بِجِوَارِهِ وَإنْ هَبَطْتُ مَكَانًا فالكُلّ هَارِبُون وَتَاركوه لِي . لينظرُوا إلَيّ عَنْ كَثَبٍ بِعُيونِهم المستطلعة الحذرة ألّتِي لاَتتغير نظراتُهَا بل إنّي سمعتُ أثْنَاءَ هَذَا نُبَاحًا خَافِتًا مخنوقًا فانتبهتُ فألْفَيْتُ كَلْبِي قِطميرًا كَذَلِكَ قَدْ أحَاطَتْ بِهِ كلابُ المدينةِ وَطَفِقَتْ [1] ترمقُه وتشمُّهُ كَأنّهُ حيوانٌ عجيبٌ وَهْوَ يُحَاولُ الخَلاَصَ من خِنَاقِهم وَلاَ يجدُ الى ذَلِكَ سبِيلاً.وَجَرَى المسكِينُ أخِيرًا الى جدارٍ قَرِيبٍ وَوَقَعَ تَحْتَهُ إعياءً وَرُعبًا والكلابُ فِي إثْرِهِ حَتّى وَقَفَتْ مِنْهُ عَلَىَ قيدِ خُطوةٍ تُعيد النَظَرَ إلَيْهِ وَيُرِيدُ بعضُهَا الدّنُوَّ منه لِمُعاوَدَة شَمّه فَيُقْصيه الحَذرُ . هَذَا أنَا وَهَذَا كَلْبِي قطمير فِي هَذه الحياةِ ألْجَدِيدَةِ أمّا أنتُمَا فَأعميان لا تُبْصِرَانِ،أعْمَاكُمَا الحبُّ فَلاَ أستطيعُ بعْدَ الآن أنْ أُرِيكما مَا أرى،ابقيَا إذن مَا شِئْتُمَا فِي هَذَا ألْعَالَم . لَقَدْ صِرْتُ وَحِيدًا فِيهِ وَلَيْسَ يربطُنِي إلَيْهِ سببٌ . وَلئن كنتُمَا لم تُحِسّا بَعْدُ الهَرَمَ فَإنّي بدأتُ أحسُّ وَقْرَ ثلاثمائة عام ترزحُ تحتهَا نَفْسي .. الوَدَاعَ يَا إخْوَانَ ألْمَاضِي اذكرُا عَهدَنَا إلجميلَ ... عَهْد دُقْيَانوسَ ، وَالآنَ

أستودعُكُمَا ٱللّٰهَ هَانِئَيْنِ بِشَبَابٍ قَلْبَيْكُمَا فِي حياتِكمِا ٱلْجَدِيدَةِ ...

وَيَذْهَبُ فِي بُطْءٍ وَكَآبَةٍ عَلَى حِينِ تتبَعُهُ أَنْظَارُ مشلينيا ومرنوش فِي صَمْتٍ حَتَّى يَخْتَفِيَ) .

تـوفيـق الحكيـم

أَهْلُ ٱلْكَهْفِ : الفصل الثالث ص : 74 / 77

1 - الشـــرح :

1) طَفِقَ يَطفَقُ طَفْقًا وَطُفُوقًا يَفْعَلُ كَذَا ، بمعنى أَخَذَ وَبَدَأَ ـ وهو أحدُ أفعال الشروع .

2الاسئلـــة :

1 - كَيْفَ جَاءَ وصفُ يمليخا لحالتِه وحالةِ كلبِهِ في شوارع المدينة بعد خروجهما من قصر الملك ؟

2 - مَاذَا يُمثِّلُ الكَلْبُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى يَمْلِيخَا ؟ .

3 - مَا هِيَ فِي نظرك أَسْبَابُ غُربَةِ يَمْلِيخَا وَكَلْبِهِ فِي هَذَا العَالمِ ٱلْجَدِيدِ ؟

هـزيمـــة مـــرنـوش

التقـــديـــم :

(ثُمْ يَأتِي دورُ مرنوش ليُصدَمَ بالحَقِيقَةِ أيضا . فَقَدْ عادَ الى قَصرِ المَلِكِ بَعْدَ أنْ خَرَجَ مِنْهُ لِزيارَةِ زَوْجَتِهِ وَابْنِهِ . لَقَدْ ألْفَى دارَهُ قَدْ اصْبَحَتْ سُوقًا لِلرِّمَاحِ وَالدُّرُوعِ وَأهلُه قَدْ مَاتُوا جَمِيعًا . لكِنَّهُ بَقِيَ مُضْطَرِبًا إذْ هالَهُ مَوْتُ ابْنِهِ خَاصَّةً).

مشلينيا : أيُّهَا المسكينُ أنْتَ لاَ تَسْتَطِيعُ أن تَتَصوَّرَ وَلَدَكَ إلاَّ كَمَا رَأيْتَهُ آخِرَ مَرةٍ وَمهْمَا تَسْمَعُ عَنْ الثَّلاثمائِةِ عَامٍ فَهْيَ كلماتٌ وَأرْقَامٌ لاَ تَغَيَّرُ شَيْئًا من صورةِ وَلَدِكَ الصغِيرِ تِلْكَ الصورةِ المنطبعةِ في مخيلتِكَ ...

مـرنوش : (صائحا) كَفَى هُراءً . كَفَى هُرَاءً.وَلَدِي قد مَاتَ وَلاَ شَيْءَ يَربِطُنِي الآن بهذا العَالَمِ هَذَا العالمِ المُخيفِ . نَعَمْ صَدَقَ يمليخا هَذِهِ الحَيَاةُ الجَدِيدَةُ لاَ مَكَانَ لَنَا فِيهَا وَإنَّ هَذِهِ المَخْلُوقَاتِ لاَ تَفْهَمُنَا وَلاَ نَفْهَمُهَا. هَؤُلاَءِ النَّاسُ غَرباءُ عَنَّا وَلاَ تَسْتَطِيعُ هَذِهِ الثِّيَابُ الَّتِي نُحَاكِيهم بِهَا أن تَجْعَلَنَا مِنْهم لَقَدْ عَرَفَنِي النَّاسُ من وَجْهِي ومن كَلاَمِي رَغْمَ ثِيَابِي فَتَبِعُونِي أنَا والعَبَدَ وَحَتَّى العَبدُ الَّذِي نَصبَهُ الملك لِخِدْمَتِي مَا كَانَ يفهمُ أغلبَ مَا أقولُ وَكَانَ يبْتَعِدُ عَنِّي كَأنِّي أجربُ أوْ أبرصُ. وَلَقَدْ صِرْنَا نتخبَّطُ طولَ اليَوْمِ فِي

آلْمَدِينَةِ نسأَلُ ونبحثُ واليأسُ والرَّجَاءُ يُقَطِّعَانِ قَلْبِي وَالنَّاسُ من حَوْلِي لاتفهَمُ مَا أُرِيدُ ولا أَسْمَعُ منهم إلاَّ صِيَاحًا يَتْبَعُونَه بِإِشَارَةٍ إِلَيَّ هَامِسِينَ :«هَذَا أَحَدُهُم ، هَذَا أَحَدُهم ، تَعَالَوْا شَاهِدُوا ، هَذَا أَحَدُهم ، ثُمَّ آلْمَدِينَةُ . أَهِي طَرَسُوسُ ؟ مستحيلٌ أن تَكُونَ طَرَسُوسَ. نَعَمْ يَا مشلينيا إِنَّا بَعِيدُونَ عَنْ هَذِهِ المَدِينَةِ وَسُكَّانِهَا بِمقدارِ ثلاثمائة عام وَأَنَّ يمليخا لم يُجنَّ وَلَمْ يكذِبْ ، إِنِّي آلآنَ فَقَطْ أُدرِكُ هَذِهِ الحَقِيقَةَ ثَلاَثُمَائِة عام مَضَتْ ، وَهَا هُوَ ذَا عَالَمٌ آخر يُحِيطُ بِنَا كَأَنَّهُ بَحْرٌ زَاخِرٌ لاَنَسْتَطِيعُ الحياةَ فِيهِ.كَأَنَّنَا سَمَكٌ تَغَيَّرَ مَاؤُه فَجَأَةً من حُلْوٍ الى مِلْحٍ ...

مشلينيا : لِمَاذَا لَمْ تَقُلْ هَذَا الكَلاَمَ أمسِ ..؟ أَلَسْتَ أَنْتَ السَّاخِرَ مِنْ يَمْلِيخَا ...

مرنوش : لَقَدْ صَدَقَ هَذَا الرَّاعِي.

توفيق الحكيم

أهل الكهف ، الفصل الثالث ص ، 90-93

الاسئلة :

1 - هلْ فِي هَذَا المَشْهَدِ المأسَويّ جَانِبٌ فُكَاهِيٌّ ؟ بَيِّنْ ذَلِكَ

2 - لِمَاذَا لا يَسْتَطِيعُ مَرْنوشُ أَنْ يَتَصَوَّرَ وَلَدَه إلاَّ كَمَا رَآه آخِرَ مَرَّة ؟

3 - لِمَاذَا صَدَّقَ مَرْنُوشُ آلانَ يَمْلِيخَا بَعْدَ أَنْ كَانَ قَدْ كَذَّبَهُ مِنْ قَبْلُ ؟

4 - هَلْ تَدُلُّ ثَوْرَةُ مَرْنوش عَلَى صِرَاعٍ فِي نَفْسِهِ ؟ بَيِّنْه مبرزًا أَسْبَابَه

هـــزيمـة مشلينيـــا

التقـــديـــم :

(خَرَجَ يمليخا من القصر وتبعه مرتوش راجعين الى الكهف بعد يأسهما من الحياة من جديد في المدينة ، ويبقى مشلينيا وحيدا ببهو القصر ينتظر مزور حبيبته بريسكا ... تمر الأميرة من أمامه وحدها ويبدها كتاب فيناديها مشلينيا ويشرع في مخاطبتها واصفا لها هيامه ووجده،تنصت بريسكا الى كلامه الغزلي في شغف ولذة أولا ثم لاتلبث ان تدرك أنها لم تكن هي الحبيبة المفنية).

بريسكا : (تلتفت إليه فِي قُوَّة وَتَقُولُ فِي لهجة قَاطِعَةٍ) أَسْمَعْ ، أَتُرِيدُ أن تُصْغِيَ إِلَيَّ مَلِيًّا وَتَعِيَ مَا أَقُولُ ؟

مشلينيا : (يلتفتُ إِلَيْهَا بِكلّ جَوَارِحه) نَعَمْ ...

بريسكا : إِنّ بريسكا ابنةَ دُقيانوس خَطيبَتَكَ ٱلَّتِي تَهْوَاهَا مَاتَتْ مُنْذُ ثَلاَثَمَائَةَ عَامٍ .

مشلينيا : (بِغَيْرِ فَهْمٍ) مَاتَتْ ... ؟

بريسكا : نَعَمْ عَذْرَاءَ طَاهِرةً كَمَا تَرَكتهَا وَقَدْ حَافظتْ عَلَى عَهْدِكَ المقدّسِ وَظَلّتْ طولَ حَيَاتِهَا تَقُول:إِنَّهَا تَنْتظِرُ تَنْتَظِرُ . تَنْتَظرُك أَنْتَ بِالطَّبْعِ حَتَّى تَعُودَ ...

مشلينيا : (كَٱلْمَخْبولِ) مَاذَا أَسمَعُ ...

بريسكا : لَقَدْ وَفَتْ بِوَعدِهَا وَٱنْتَظَرتْكَ حَتَّى أدركَهَا الموتُ فِي الخمسين من عمرِهَا وَقَدْ طلبتْ فِي النَّفس ٱلأَخِيرِ أَنْ تُحْمَلَ لِتَمُوتَ فِي ٱلْبَهْوِ لِمَاذَا ؟ أَكُنْتُمَا تَتَلاَقَيَانِ هُنَا ؟ تَكلَّمْ يَا هَذَا ...؟

مشلينيا : (فِي غِيْرِ وَعْيٍ) نَعَمْ نَعَمْ ...

بريسكا : آلآن وَقَدْ عَرَفتَ اذهَبْ وَابكِهَا إنَّهَا وَلاَ رَيْبَ تَنْتَظر دُموعَكَ ... الوداع ...

مشلينيا : (يتمسَّكُ بِأَذيَالِهَا وَهْيَ تَهمُّ بِالانْصَراف) بريسكا لاَ تَذْهَبِي ...

بريسكا : (فِي حِدَّة غَرِيبة) قلتُ لَكَ إنِّي لستُ بريسكا ...

مشلينيا : (فِي توسُّل) لَسْتِ أَنْتِ ؟ لِمَ هَذَا يابريسْكَا ؟ رُحْمَاكِ أتُرِيدِين أنْ أفقِدَ عَقلي ؟

بريسكا : (فِي حِدَّة) أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قُلْتُ ... لستُ بريسكا آلَّتِي تُحِبُّهَا. مَاذَا تَرِيدُ مِنِّي ...؟

مشلينيا : (يُحملقُ كَالمجنونِ) رَحْمَتَك يَارَبِّي، مَنْ أَنْتِ إذَنْ ؟ إنِّي لَسْتُ أدري بَعْدُ هَلْ لِي رَأسٌ فوق كَتِفَيَّ ...؟

بريسكا : (فِي تَجَهُّم) إنِّي أشبِهُهَا وَلَسْتُ إيَّاهَا ... آنْظُر جَيِّدًا وَلْيَعُدْ إلَيْكَ عقلُكَ ...

مشلينيا : (يَحْمِلُق كَمَنْ لا يُصَدِّق) تُشبِهِينَهَا ؟ تُشبِهِينَ مَنْ يَابريسكا ...؟

بريسكا : وَلَقَدْ أَسمَوْنِي باسْمِهَا ،

مشلينيا : (كَمن كَادَ يَفْهم) رَبَّاهُ ...

بريسكا : أَلم يُخْبِرْكَ أَحَدٌ بِقِصةِ العرَّافِ آلَّذِي جَاؤوا بِهِ سَاعَةَ مِيلاَدِي لينظُرَ طَالِعِي ...؟

مشلينيا : (كَمَنْ يَتَذكَّر) العرَّاف ...

بريسكا : لقد تنبأ بأني حينما أكبر سأشبه القديسة بريسكا ابنة دقيانوس . ولهذا دعوني باسم بريسكا ...

مشلينيا : العراف ! نعم يخيل إليّ إنّي سمعتُ شيئًا كهذا ... أين ؟ ومتى ؟

بريسكا : أوضحتْ لعينيكَ الحقيقةُ الآنَ ...

مشلينيا : (ينظر إليها طويلًا) لستِ إياها ...

بريسكا : كلّا لستُ إياها . اذهبْ ماذا تنتظرُ بعدُ في هذا المكانِ.قلبُكَ لمْ يعدْ هنا ...

مشلينيا : (وهو لمْ يزلْ ينظرُ إليها) قلبي لمْ يعدْ هنا ؟

بريسكا : (تنظر إليهِ طويلًا ثمّ تقولُ بصوتٍ خافتٍ) الوداع ... (تنصرف)

مشلينيا : (كمن أصابه خبلٌ يمدُّ يديه نحوها) بريسكا عزيزتي تعالي أنتِ هيَ ... ربّاهُ ... أنتِ لستِ إياها ... لستِ إياها ... ومن تكونينَ إذنْ ؟ أنتِ ، أنائمٌ أنا ؟ أحيٌّ أنا؟أأكونُ في حلمٍ مضطرب مختلطٍ إلا هي ؟ إلا هي ... أيها المسيحُ أيها الإلاهُ اعطني عقلي أرى بهِ اعطني النورَ . أوْ أعطني الموتَ . اليقظةَ ... النّومَ ... العقلَ . العقلَ ... مرنوشُ ... أينَ أنتَ يامرنوشُ ؟ أينَ نحنُ ؟ أينَ نحنُ الآنَ ؟ أحلامُ الكهفِ ؟ أهي أحلامُ الكهف ؟ أأنا في حقيقةٍ؟أأنا في الكهفِ.ما هذهِ الأعمدةُ ؟ (يتخبّط

بَيْنَ العَصَدِ فِي البَهْوِ) إلَيَّ يَامرنوشْ .... يايمليخا ... إنَّا لاَنَصلُحُ للحياة ... إنَّا لاَنَصلُحُ للزَّمَنِ . ليست لنا عقولٌ، لاَنَصلُحُ للحياةِ .

توفيق الحكيم
أهل الكهف ـ الفصل الثالث
ص : 115 ـ 119

الاسئلة :

1 - هَلْ فِي هَذَا ٱلْمَشْهَدِ جَانب مُؤَثرٌ ؟ عَلِّلْ ذَلِكَ
2 - هَلْ اقتنع مشلينيا بِكَلام الأميرة من أوَّلِ وَهْلَةٍ ؟
3 - إلَى مَا تَرْمزُ رغبةُ ٱلْجَمَاعَةِ فِي الرُّجُوعِ إلَى الكَهْفِ ؟

في الكهف من جديد (1)

التقديم :

(منظرُ الفصلِ الأولِ عينه ، الكهفُ « بالرَّقيم » يمليخا ومرنوش ومشلينيا ممدودونَ على أرضِ المكانِ كالموتى أو كالمحتضرين . والكلبُ الطميرُ قابعٌ على مقربةٍ منهم . سكونٌ عميقٌ.لقد ماتَ يمليخا وبقيَ رفيقاهُ يتحاورانِ)..

مرنوش : عذِّبْ نفسكَ أيُّها المسكينُ . أمَّا أنا فلا يهولُني أنْ أعلمَ هذا . إنّي إنَّما رجعتُ لأموتَ لأنَّ قلبي كانَ قدْ ماتَ . إنَّكَ أنتَ الذي أوهمنا أنَّه حُلمٌ لقدْ أمكنَكَ أن تخدعَ منّا العقلَ ... ولكنَّ القلبَ لم يُخدعْ . لأنَّ قلبي كانَ قدْ ماتَ .

مشلينيا : أُقرُّ بأنَّ قلبي لمْ يكُنْ قدْ ماتَ .

مرنوش : نعمْ . القلبُ . نافورةُ الأحلامِ والآمالِ . ماذا كُنتَ تؤمِّلُ بعدَ أيُّها الشَّبحُ ؟

مشلينيا : لا شيءَ لمْ أكنْ أؤمِّلُ في شيءٍ . لقدْ رجعتُ وأنا فاقدُ الأملَ في الحياةِ ولكن الآنَ أحسُّ إنّي أحبُّ يا مرنوشُ . أحبُّ بكلِّ ما يستطيعهُ قلبٌ .

مرنوش : تُحبُّ ؟

مشلينيا : سيّانِ عندي أنْ تكونَ إيّاها أوْ لا تكونَ أحبُّ هذهِ المرأةَ ذاتَ الكتابِ التي رأيتُها في اليقظةِ .

مرنوش : أنتَ جُنِنْتَ يَا مشلينيا .

مشلينيا : لَمْ أجُنَّ - إنّي فَتًى . وَلِي قَلْبُ فَتًى . قَلْبٌ حَيٌّ - كَيْفَ تُرِيدُ أنْ أذفِنَ قَلْبِي ؟ كَيْفَ أذفِنُ قَلْبِي ؟ كَيْفَ أذفِنُ نَفْسِي حَيًّا ومن أحِبُّ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ لاَ يَفْصِلُنِي عَنْهَا فَاصِلٌ ؟

مشلينيا : الزَّمَنُ !

مرنوش : لاَ فَائِدَةَ من نِزَالِ الزَّمَنِ . لَقَدْ أرَادَتْ مصرُ من قبلُ مُحَارَبَةَ الزَّمنِ بِالشَّبَابِ . فَلَمْ يَكُنْ فِي مِصْرَ تِمْثَالٌ وَاحِدٌ يُمَثِّلُ الهَرَمَ وَالشِّيْخُوخَةَ كَمَا قَالَ لِي يَوْمًا قَائِدُ جُنْدٍ عَادَ مِنْ مصرَ . كُلُّ صُورَةٍ فِيهَا هِيَ للشَّبَابِ مِنْ آلِهَةٍ وَرِجَالٍ وَحَيَوَانٍ، كُلُّ شَيْءٍ شَابٌ . وَلَكِنَّ الزَّمَن قَتَلَ مِصْرَ وَهِيَ شَابَّةٌ وَمَا تَزَالُ وَلَنْ تَزَالَ ، وَلَنْ يَزَالَ الزَّمَنُ يُنْزِلُ بِهَا المَوْتَ كُلَّمَا شَاءَ وَكُلَّمَا كُتِبَ عَلَيْهَا أنْ تَمُوتَ .

مشلينيا : مَاذَا تَعْنِي، يَا مَرْنُوشُ ؟

مرنوش : أحْلاَمٌ نَحْنُ أحْلاَمُ الزَّمنِ .

مشلينيا : الزَّمَنُ يَا مرنوشُ ؟

مرنوش : نَعَمْ، الزَّمَنُ يَحْلُمُنَا .

مشلينيا : كَي يَمْحُوَنَا بَعْدَ ذَلِكَ ؟

مرنوش : إلاَّ مَنِ استحَقَّ الذكرَ فَيَبْقَى فِي ذَاكِرَتِهِ .

مشلينيا : (فِي قَلَقٍ) أَهَذَا هُوَ كُلُّ مَا تَرتَجِيهِ بَعْدَ المَوْتِ ؟ أَهَذَا كُل تِلْكَ ٱلْحَيَاةِ ٱلأُخْرَى ؟

مرنوش : نَعَمْ.

مشلينيا : (فِي قَلَقٍ) مَرْنُوش أَنْتَ إِذَنْ لاَ تُؤْمِنُ بِالبَعْثِ ؟

مرنوش : أَحْمقُ، أَوَ لم نَرَ بِأَعْيُنِنَا إِفْلاَسَ البَعْثِ ؟

مشلينيا : أَسْتغفرُ ٱللّه، أَنْتَ ٱلَّذِي عَاشَ مَسِيحِيًّا تَمُوتُ الآنَ كَوَثَنِيٍّ.

مرنوش : (فِي صوتٍ خَافِتٍ) نَعَمْ، أَمُوتُ ٱلآنَ.

مشلينيا : مجردًا عَنِ ٱلإِيمَانِ.

مرنوش : مجردا عن كلّ شيء ... عَارِيًا كَمَا ظَهَرْتُ ، لاَ أَفْكَارَ وَلاَ عَوَاطِفَ وَلاَ عَقَائِدَ.

مشلينيا : رَحْمَة لَكَ أَيُّهَا التَّعِسُ.

مرنوش : مِشْلِينيا (مشلينيا يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَلاَ يُجِيبُ) وَقْتَمَا تَلْحَقُ بِي ... ضَعْ يَدَكَ فِي يَدِيَ ٱلْيُمْنَى ...

مشلينيا : حَاشَا أَن أَضَعَ يَدِي فِي يَدٍ وَثَنِيٍّ.

مرنوش : إِذَنْ (مشلينيا يَنْظُرُ إِلَيْهِ صَامِتًا وهو يَمُوتُ) الوَدَاع (حَشْرَجَة [1] ثُمَّ صَمْتٌ).

تـوفيق الحكيـم
أهلُ الكهف ـ الفصل الرّابع
ص ، 148 ـ 155

1- شـــــرح المفرّدات:

1) حَشْرَجَةٌ ، حَشْرَجَ يُحَشْرِجُ حَشْرَجَةً ، غَرْغَرَ عِنْدَ المَوْتِ وَتَرَدّدَ نَفَسُهُ .

2- الأسئلـــــة :

1 - إلى أيّ شَيْء يَرْمُزُ القَلْبُ فِي هَذَا ٱلْمَشْهَدِ وَمَا قِيمَتُهُ بِالنِّسْبَةِ لِتَفْكِيرِ الحَكِيمِ فِي ٱلْمَسْرحِيَةِ عَامَةً ؟

2 - كَيْفَ يَبْدُو لَكَ ٱسْتِسْلاَمُ مَرْنُوش : هَلْ هُوَ ٱسْتِسْلاَمُ القَلْبِ أَمْ العَقْلِ أَمْ كِلاَهُمَا مَعًا ؟

3 - لِمَاذَا يَتَعَلّقُ مِشْلِينيا بِٱلْحَيَاةِ تَعَلُّقًا مَتِينًا كَمَا يَبْدُو مِنْ خِلاَلِ هَذَا ٱلْمَشْهَدِ ؟

فِي الكهـف من جـديـد (2)

التّقـــديـــم :

(حَاوَلَ مَرْنُوش عَبَثًا إِقْنَاعَ مَشْلِينْيَا بِوَاقِعِهَا الأَلِيم ـ بَيْدَ أَنَّ مِشْلِينْيَا مَازَالَ يُجَادِلُ وَيُنَاقِشُ ... ثُمَّ يَمُوتُ مَرْنُوشُ فِي قَلْبِهِ خِصَامٌ مَعَ زَمِيلِهِ ... وَلَمْ يَبْقَ فِي الكَهْفِ حَيًّا غَيْرُ مِشْلِينْيَا)...

مشلينيا : (بعد لحظة) مرنوشُ (مرنوش لا يجيب) .

صَدِيقِي ، أَخِي ... (لَا يَسْمَعُ جَوَابًا) مَاتَ ... مَرْنُوشُ (ينظُرُ الى السَّمَاء) اَللَّهُمَّ ارْحَمْه رَحْمَةً وَاسِعَةً ، إِنَّهُ قَانِطٌ فَقَدَ قَلْبَهُ وَلَا يَعِي مَا يَقُولُ (صمت عَمِيق) لَمْ يَبْقَ سِوَايَ وَكلبِ الرَّاعِي ذَهَبَ ... يَمْلِيخَا وَلَمْ يَذْكُرْ كَلْبَهُ (يُنَادِي) قِطمِيرُ ... قِطْمِيرُ ... (لَا يُجِيبُه سِوَى الصَّدَى) لَعَلَّه مَاتَ كَذَلِكَ وَهُوَ رَابِضٌ فَلَم يَنْتَبِه إِلَيْهِ أَحدٌ ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ المِسْكِينُ مَقَاوَمَةَ الجُوع (لحظة صمت) هُوَ أَيْضًا عَاشَ حَيَاتَه وَذَهَبَ كَأَنَّهُ ظِلُّ كلبٍ مَرَّ فَوْقَ حَائِطٍ (لحظة) مَا الفَرقُ بَيْنَ قِطمير وَظِلِّه ؟ (لَحْظة تَأَمُّل) رَبَّاهُ أَخْشَى أَنْ يَكُونَ مَرنوشُ قَد أَصَابَ ... (لحظة تَأَمُّلٍ أُخرَى) كَلَّا ، كَلَّا ، لَقَدْ فَقَدَ مَرْنُوشُ البَصِيرَةَ ، لَسْنَا حُلْمًا ، لَا ، بَلْ الزمن هُوَ الحُلْمُ أَمَّا نَحْنُ فَحَقِيقَةٌ هُوَ الظِّلُّ الزَّائِلُ ، وَنَحْنُ البَاقُونَ ، بَلْ هُوَ حُلمُنَا فَنَحْنُ نَحْلم الزمن ، هُوَ وَليدُ خَيَالَنَا وقريحَتنا وَلَا وجودَ لَهُ بِدُونِنَا ، إِنَّ تِلْكَ القُوةَ المُركبة فِينَا وَهِيَ العَقْلُ ، مُنَظِّمُ جِسْمِنَا المَادِي المَحْدُودِ ، آلة المقاييس والأَبْعَادِ المَحْدودَةِ ، هُوَ

ٱلَّذِي ٱخْتَرَعَ مِقْيَاسَ الزَّمَنِ . وَلَكِنْ فِينَا قُوَّةٌ أُخْرَى تَسْتَطِيعُ هَدْمَ كُلَّ ذَلِكَ . أَوْ لَمْ نَعِشْ ثَلَاثَمَائَة عَام فِي لَيْلَةٍ وَاحِدة فحطَّمْنَا بِذَلِكَ ٱلْحُدُودَ وَالمقاييسَ وَٱلْأَبْعَادَ ؟ نَعَمْ هَا نَحْنُ أولاء اسْتَطَعْنَا أن نَمْحُوَ الزَّمَنَ، نَعَمْ تغلَّبْنَا عَلَيْهِ، (لحظة) لَكِنْ ... وَأَسَفَاهُ ...

بريسكا . مَا يَحُولَ بيني وبينهَا إِذَنْ ؟ الزَّمَنُ ؟ نَعَمْ مَحَوْنَاهُ وَلَكِنْ هَا هُوَ ذَا يَمْحُونَا.الزَّمنُ يَنْتَقِمُ.إِنَّهُ يُطردُنَا ٱلآنَ كَأَشْبَاحٍ مُخِيفَةٍ وَيُعْلِنُ أَنَّهُ لَايَعْرِفُنَا وَيَحكم عَلَيْنَا بِالنَّفْيِ بَعِيدًا عَنْ مملَكَتِه ـ رَبِّي . هَذه المبارَزَةُ الهَائِلَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الزَّمَنِ . أَتَرَاهَا ٱنْتَهَتْ بِالنَّصْرِ لَهُ ؟ (بَعْدَ لَحْظَة مَنْهوكًا)، آه! لَقَدْ تَعِبْتُ، تَعِبْتُ مِنَ الكَلَامِ ومن التَّفْكِيرِ ومن ٱلْحَيَاةِ . بَلْ مِنَ الحُلْمِ . هَذِهِ لَيْسَتْ ٱلْحَيَاة . بَلْ هِيَ حُلْمٌ مُهَوَّشٌ مُضْطَرِبٌ؛إِلَى ٱلْحَقِيقَة إِذَنْ ، الصَّافِيةِ ٱلْجَمِيلَةِ . نَعَمْ إِنَّ ٱلْحَقِيقَةَ لَايُمكِنُ أَنْ تَكُونَ بِهَذَا الاضْطِرَابِ . وَلَا يُمْكِنُ كَذَلِكَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ حَقِيقَةٌ (لحظة) أُشْهِدُ ٱللَّه ... أَنِّي أَمُوتُ مؤمِنًا ... أُشْهِدُ ٱلْمَسِيحَ أَنِّي أُؤْمِنُ بِالبَعْثِ لأَنَّ لِي ... قَلْبًا ... يُحِبُّ، صَمْتٌ).

تـوفيـق الحكيـم
أهل الكهف ـ الفصل الرّابع
ص ، 148 ـ 155

الأسئلـــة :

1 - لِمَاذَا تَذْكُر ميثلينيا الآن فَقط صَدِيقَه يمليخا وَكَلْبَه قِطْمِيرا ؟

2 - هَلْ وَافَقَ مِيثْلِينِيا صَدِيقَه مَرْنوشَ فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مِنْ تَفْكِيرٍ ؟

3 - مَا قِيمَةُ الصِّرَاعِ ٱلَّذِي أَبْدَاهُ ٱلْحَكِيمُ عَلَى لِسَانِ مِيثْلِينيا خَاصَّةً ؟

للمطـــالعـــة :

آيـات مـن سـورة الكهف

بسم الله الرّحمان الرحيـم

« ... أم حَسِبْتَ أنّ أصحابَ الكهفِ والرّقيمِ [1] كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجبًا ، إذْ أوَى الفِتْيَةُ إلَى الكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِن أمْرِنَا رَشَدًا فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ، ثُمّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أيُّ الحِزْبَيْنِ أحْصَى لِمَا لَبِثُوا أمَدًا نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالحَقِّ إنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ، وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِم إذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِن دُونِهِ إلَاهًا لَقَدْ قُلْنَا إذًا شَطَطًا .[2] هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا وَإذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إلاَّ اللّهَ فَأْوُوا إلَى الكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِن رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أمْرِكُمْ مِرْفَقًا ، وَتَرَى الشَّمْسَ إذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ [3] عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ اليَمِينِ وَإذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ [4] ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ من ءَايَاتِ اللّهِ مَنْ يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ المُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا . وَتَحْسَبُهُمْ أيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ اليَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالوَصِيدِ [5] لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِم لَوَلَّيْتَ مِنهم فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنهم رُعْبًا . وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ ، كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا

يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا . إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِم قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا . سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ [6] وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ [7] فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ـ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَمِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ـ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ من دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ... »

قرآن كريم ـ سورة الكهف ـ
الآيات من ، 9 الى 26

شَـــرْحُ المُفرداتِ :

1) الـرقيـم ، بِمَعْنَى الكتاب .
2) الشَّـطط ، مصدر شَطَ يَشِطُ بِمَعْنَى أفْرَط وَتَبَاعَدَ عَن الحَقّ .

4) تَـزَاوَرَ ، تَزَاوَرَ وَٱزْوَرَّ وٱزوارُ بِمَعْنَى عَدَلَ وَٱنْحَرَفَ وَمَالَ .

4) قَـرَضَ ، قَرَضَ يَقْرِضُ قَرْضًا ٱلْمَكَانَ حَاذَاهُ وجَانَبَه .

5) ٱلْـوَصِـيـدُ ، ج. وَصُدٌ يُطْلَقُ عَلَى ٱلْكَهْفِ وَفِنَاء ٱلدَّارِ وَعَتَبَتِهَا وَهُوَ ٱلْمَقْصُودُ هُنَا .

6) ٱلرَّجْمُ بِٱلْغَيْبِ ، هُوَ أَنْ يَتَكَلَّمَ ٱلْإِنْسَانُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فَيُقَالُ رَجَمَ بِٱلْغَيْبِ .

7) مَـارَ ، يُمَارِي مِرَاءً وَمُمَارَاةً ، جَادَلَ وَخَاصَمَ وَنَازَعَ .

للمطـــالعـــة :

أهـــل الكهـــف

... وَمِنَ ٱلْجَدِيرِ بِالذِّكْرِ أَن بَعْضَ النُّقَادِ رَأَوْا فِي عَوْدَةِ أَهْلِ الكهفِ إلى كهفِهم نهايةً مُتَشائِمَةً لمسرحيةِ الحكيم فهي تَعْنِي عندهم أنه لاَجَدْوَى من بعثِ مصر القديمةِ .ومن هُنَا أتهم هَذَا المفهوم بالرجعيةِ . وَفِي ظَنِّي أَنَّهُ تَقدُّميٌّ وَاضِحٌ إذا وافقْنَا عَلَى استعارة هذه ٱلْمُصْطَلَحَاتِ ، فَلَا شَكَّ أَن عَاقِلًا لَا يَسْتَطِيعُ أن يؤمِنَ بِالبَعْثِ التَّارِيخِيِّ ، أي عَوْدَةِ نَفْسِ الحَضَارةِ بِكل سُمعتِهَا وَمَلَامِحِهَا ، وَلَكِنَّه قَدْ يَسْتَطِيعُ أن يُؤْمِنَ بِالمِيلَادِ أَوْ «الرِّينَسَانِس» فِي ظُروفٍ جَدِيدَةٍ وَتَحْتَ ٱخْتِيَارَاتٍ جَدِيدَةٍ ، إذْ أَنَّ ٱلإِيمَانَ بِالبَعْثِ سوَاءٌ أَكَانَ البعثُ الفِرْعَوْنِي أم البعثُ العَرَبِيّ لعصرِ ظهور الإسْلَامِ يَعْنِي مغالطة تَارِيخيةً ، وَنُزُوعًا سَلَفِيًّا يَجِبُ أَنْ يَبْرَأَ منه كُلُّ انسانٍ مُتقدِّم .

إن الإيمان يبعث ٱلْمَاضِي بِكُلّ سِمَاتِه وَمَلَامِحه يَعْنِي مُحَاوَلَةَ تجميدِ ٱلْحَيَاةِ ، أو التَّحَايُلِ عَلَى الزَّمَنِ بِخَلْقِ تَمَاثِيلَ جَامِدةٍ تُمَثِّلُ صُورَةَ الشَّبَابِ ، وَهِيَ فِي ٱلْوَاقِعِ أَحْجَارٌ ضَارِبَةٌ فِي العُمْرِ ، لَاتُدْرِكُ من أَمرِهَا إلا كَمَا تدرك ٱلْأَحْجَارُ .

وَإذا كَانَ تَوفِيقُ الحكِيمُ يحدّثُنَا فِي هذه المسرحيّةِ أَنّ التَّارِيخَ يَنْبَغِي أَن يَعُودَ لِكَهْفِهِ ، وأن تُهَال عَلَيْهِ الأَحْجَارُ ، وأَن مِصر

المعاصرةَ يَنْبَغِي أَن تَجِدَ حَيَاتَهَا فِي إِطَارٍ غَيْرِ ذَلِكَ ٱلإِطَارِ . فَتِلْكَ دَعْوةٌ كُنَّا فِي أَشَدِّ ٱلْحَاجَةِ إِلَيْهَا فِي ثَلَاثِينَات هَذَا القَرْنِ . وَلَاشَكَّ أَن توفِيقَ الحكيم كَانَ يُفَكِّرُ عِندئِذٍ فِي أُوروبَا ٱلَّتِي لَمْ يَكَدْ يُفَارِقُهَا إِلاَّ مُنْذُ سَنَوَاتٍ قَلَائِلَ .

« يَقُول مشلينيا لرفيقه مرنوش .

مرنوش ؟ أَنت إذن لَاتؤمن بِالبَعْثِ

ويُجِيب مرنوش ،

أَحمقُ أو لم نَرَ بِأُغْيُنِنَا إِفْلَاسَ البَعْثِ ... »

نَعَمْ إن البَعْثَ بمعناه الحرفِيِّ جديرٌ بِأَن يفلسَ ، ومن الواضح أَن مَصر كَانت فِي ذَلِكَ الوقتِ تَتَمَيَّزُ بِتَيَّارَيْن يُؤمِنان بِالبَعْثِ .

أَمَّا التيار الأول فهو تيارُ البَعْثِ الفِرعَونِيّ ٱلَّذِي يتزَّعمهُ بَعْضُ المفتُونين بِالتَّاريخ ٱلْقَدِيمِ . بَيْنَمَا كَانَ التيار الثَّانِي هو تيار البعثِ ٱلَّذِي يَجِد وَطنه الرُّوحِيَّ فِي دفاتِ كتب التُّراثِ العربيِّ .

وَالإِيمَانُ بِالبَعْثِ قَدْ يَعْنِي رَفْضَ ٱلْحَاضِرِ ٱلْمُسْتَسلِم الذَّلِيلِ، وَلَكِنَّهُ يَعْنِي أَيْضًا محاولةَ الرجُوع الى ٱلْمَاضِي . لَا تَجَاوُزَ هَذَا الحاضرِ الى المستقبلِ . ومن هُنَا نَسْتَطِيعُ أَن نَعُدَّ هذين التَّيَارين تَيَّارَيْن رجعَيْين . وأَن نعدّ أَهْل الكهف مسرحية تَقَدُّمية . هَذَا إِذَا كنا حريصِينَ عَلَى استِعْمَالِ هَذَيْنِ المصطلحين غَير النُّقْدِيَيْنِ .

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَإِنَّ « أَهْلَ الكهف » لِهَذَا السَّبَبِ تُعَدُّ مَعْلَمًا هَامًا من معالِم أَدَبِ توفيق الحكيم إذ فيها تتمثلُ هَذه التَّسْوِيةُ ٱلَّتِي

استطاع أن يُقرِبَها بَيْنَ التراث الشّرقِيّ وَالْمُكتسبَاتِ الغَربِيَّةِ . كَمَا يَتَحَقّق فِيهَا تبينُه لِوَضْعِهِ الْجَدِيدِ إثْر الاختبار المَصِيرِيّ الّذِي وَاجَهَه حِينَ لِقَائِهِ بِأُورُوبَا . وَأَظُنُّنَا أَيْضًا نَسْتَطِيعُ أن نَلْمَس فيها هذه « التّعَادُلية » الّتِي تَتَحَقّقُ فِي كُلّ أعمالِهِ الفنيةِ . إذ نَشْهَدُ صِرَاعًا بَيْنَ قِيمَتَيْنِ . كَالصراع بَيْنَ الفنّ والحياة فِي بيجماليون،أو القُدرةِ والحكمة فِي سليمان الحكيم،أو الجسدِ والروح فِي شهر زاد .

وينفتِحُ بعد ذلك لنا طريقٌ يستطيع الناقد أن يَمضِي فيه لولا ضيق الوَقت . فيترك أمر ذلك الى لِقاءٍ قريبٍ .

صلاح عبد الصبور
عن « مجلة الهلال (عدد خاص بتوفيق الحكيم) عدد 2 السنة 76 (فيفري 1968)

الأسئلـــة :

1 - لِمَاذَا أعتبَرَ بعضُهم أهل الكهف « مسرحية رجعية » وكيف كَان ردُّ الكاتب على هذا المفهوم ؟
2 - مَا هُوَ نوعُ « البعث » الذي يريدُه الحكيمُ في مسرحية أهل الكهف،وَمَا رأيُك فيه ؟
3 - هل في مسرحية أهلِ الكهف أثر لِثَقَافَاتِ الحكيم المتنوّعةِ ؟ أوْضحْ ذَلِكَ.
4 - أين تَبْدُو فكرةُ « التّعادلية » في هذه المسرحية حسب ما ورد في هذا النصّ ؟

الانسان فِي مسرح الحكيم

لَقَدْ ابتَكَرَ الحكيمُ أيُمَا ابتِكَارٍ فَنَقَّب فِي الآثارِ ٱلْقَدِيمَةِ وَعَثَرَ عَلَى موضوعاتٍ بعضُهَا مطروقٌ سواء فِي الشَّرقِ أو فِي الغرب ولكنه أعَادَ صِياغَتَهَا بعدَ أن نَفَثَ فِيهَا من روحه هو ـ كَمَا سَمِعْنَا عن سليمان وشهرزاد وأهلِ الكهفِ وكم سَمِعَ أهل الغَربِ عن بجماليون وأوديب ـ وكم كَتَبَ الكتاب فِي الشرق والغربِ عَنْ محمّدٍ صَاحِبِ الرسَالةِ المحمديةِ ـ وَكَمْ طَالعنَا أشعَبُ فِي دنيا الطرائفِ والشراهةِ ولكنّك عندما تقرأ هذه الموضوعاتِ بعد أنْ أعَادَ توفيقُ الحكيمُ صياغَتَهَا تُحِسُّ أنّكَ أمَامَ خَلْقٍ جَدِيدٍ لَيْسَ فِي مَوْضُوعِهِولكِنَّ فِي طَرِيقَةِ صِيَاغَتِهِوَٱلْوَان التَّفْكِيرِ ٱلَّتِي تُطَالِعُك حين تقفلُ هَذِهِ الآثَار الأدبية ٱلَّتِي تَجْعِلُكَ عَلَى التَّأمُّلِ فَتَبْدَأُ متاعبُكَ ـ وَهَذَا هُوَ ٱلابْتِكَارُ الحقُّ ـ هُوَ أن تَتَنَاوَلَ الفكرَةَ ٱلَّتِي قَدْ تَكُونَ مَألوفَةً عِنْدَ النَّاسِ فَتَسْكُبَ فِيهَا من أدبِكَ وَفَنِّكَ مَا يَجْعَلُهَا تنقَلِبُ خَلْقًا جَدِيدًا أوْ تُعَالِجَ الموضوعَ القديمَ المطروق فَإذَا هُوَ يُضِيء بَيْنَ يَدَيْكَ بِرُوحٍ من عِندِك ، الابتكارُ عند ٱلحَكِيم هُوَ أن تُحَقِّقَ ذَاتِيتَكَ. هُوَ أنْ تَكُونَ أنْتَ ... هُوَ أنْ تُحَقِّقَ نَفْسَكَ ... هُوَ أنْ تُسْمِعَنَا صَوْتَكَ ... فَالفنّانُ أو ٱلأدِيبُ ذُو الشَّخْصِيَةِ يَبْتَكِرُ حتّى وَهو يريدُ أن

يقلّد ... والفَنَّانُ ٱلّذِي لم يستقل بعدُ بشخصيتهِ يُقلّد وهو يريدُ أنْ يبْتكِر (الحكيم = فن الادب) .

وقَدْ تَنَاوَلَ الحكيمُ قضيةَ العصرِ وقضيةَ الإنسانية الخالدةِ فِي قيمهَا العُلْيَا رِفْقًا لمبادئه ومعتقداتِهِ وَهو فِي نظرته إلَيْهَا يَقِفُ علَى الجَانِبِ ٱلآخَرِ بِالنِّسْبَةِ للفيلسوف الفرنسيّ ٱلْمُعَاصِر جَانْ بول سارتر زعيمِ المذهبِ الوجوديّ ...

فَالمذهبُ الوجُودِيُّ يؤمنُ بِحَقِّ الفرد أو حَقّ الشخْصِيةِ الفردِيةِ وَيُنَادِي بِمقاومَةِ طُغْيَانِ ٱلْجَمَاعَةِ وإنكارِ المصطلحاتِ الشَّائِعَةِ ٱلّتِي تَتَحَكَّمُ فِي مصيرِ النَّاسِ بِغَيْر تَمْحِيص.

فسارتر يَدْعُو إلَى تَحْرِيرِ الإنسانِ من كُلّ سُلْطَةٍ وَإعْلَانِهِ أَنَّ الإنسانَ حُرٌّ بِطَبِيعَتِهِ وَسَلِيقَتِهِ وَفِي إرَادتِهِ ومسؤوليتِهِ أَمَامَ ٱللّه ٱلّذِي لَا يَمْلِك معه حَلًّا وَلَا عَقْدًا لأنه هو إلَاهُ الوُجُود ...

وَهَذَا المَوقفُ من قَضِيَّةِ العصرِ وَقَفَه الحكيمُ وَتَأمّلَه وَعَرَضَ فِيهِ نَظْرَتَه بِاعْتِبَارِهِ شرقِيًّا ـ مُسْلِمًا ـ وَلَا يُمْكِنُ فِي إطَار النَّظرة الإسْلَامِيةِ للإنسانِيةِ أَنْ يَكُونَ الإنْسَانُ إلاهَ العَالَم أَوْ أَنَّهُ وحدَه فِي الوُجُود أَوْ أَنَّهُ مُطْلَقُ الحُرِيَّةِ إنَّمَا هُوَ يَعِيشُ وَيُكَافِحُ فِي دَاخِل إطَارِ الإرَادَةِ الإلَاهِيَةِ ٱلّتِي تَتَجَلّى للإنْسَانِ أَحْيَانًا فِي صُوَرٍ غَيْرِ منظورَةٍ مِنْ عَوَائِقَ وَقيودٍ عَلَيْهِ أَن يُكَافِحَ لاجتيازِهَا والتَّغلُّبِ عَلَيْهَا وَلِذَلِكَ تَتَضّح فِي مسرحيات الحكيمِ فكرةُ عَجْزِ الإنْسَانِ أَمَام مصيرِه ، فمصيرُ ٱلإنْسَانِ مرتَبِطٌ عِنده دَائِمًا بِجَهَادِهِ ، أَمَامَ القُوَى غَيْرِ المنظورَةِ ـ فَهُوَ بشعورِهِ الدَّاخِليّ أَنَّهُ ليسَ وحْدَه فِي الكَوْنِ وَأَنَّهُ

لَيْسَ حُرًّا لَقَدْ ادركَ أَنَّهُ سجينُ تِلْكَ القُوةِ الخفِيَّةِ ٱلَّتِي تُسمَّى (الزمن) وأَنّ مصيرَه مرتبطٌ بالزمن ارتباطًا متينًا وَأَنَّهُ ليس حرًّا في التخلُّص من زمنه وأَنه ليس فِي مَقْدُورِهِ أَنْ يعيشَ طَلِيقًا فِي كل جَوّ وفِي كل زَمنٍ ، وَهَذَا هو محورُ مسرحية (أهل الكهف) .

مصطفى أحمد عبد الرحيم
توفيق الحكيم ـ أفكاره ، آثاره ...
المطبعة النموذجية ... القاهرة ـ 1952

الأسئلـــــة :

1 – مَا هو مفهومُ التجديدِ والابتكارِ عند الحكيم كَمَا يَبْدُو فِي هَذَا المقال ؟
2 – هَلْ فِي مسرحية أهلِ الكهفِ مَا يدعم هَذَا المفهومَ الجديدَ للابتكار ؟ أوضح ذلك .
3 – مَا هِيَ نظرة الحكيم إلَى الحياة وَوَضع الانسانِ فيهَا في هذا النصّ ؟
4 – فِيَم يَتَمثل « عجزُ الانسان » في مسرحيةِ أَهْلِ الكهفِ ؟

محمود المسعدي

محمود المسعدي

وُلِدَ فِي 28 جانفي 1911 بِقَرْيَةِ تَازَرْكَةَ (بِٱلْوَطَنِ ٱلْقِبْلِيِّ) وَتَلَقَّى تَعْلِيمَه ٱلأوَّل بِكُتَّابِ ٱلْقَرْيَةِ وَعَلَى وَالِدِهِ إذْ يَقُولُ فِي إهْدَائِهِ لِكِتَابِ « حَدَّثَ أبُو هُرَيْرَةَ قَالَ : ...»:« إلَى أبِي رحمَهُ ٱللَّهُ . ٱلَّذِي رَتَّلْتُ مَعَهُ صِبَايَ عَلَى أنْغَامِ ٱلْقُرْآنِ وَتَرْجِيعِ ٱلْحَدِيثِ مِمَّا لَمْ أكُنْ أفْهَمُهُ طِفْلاً وَلَكِنِّي صُغْتُ مِنْ إيقَاعِهِ مُنْذُ الصِّغَرِ لَحْنَ حياة ... » وَزَاول تَعْلِيمَهُ ٱلابْتِدَائِيّ وَالثَّانَوِيَّ بِٱلْمَعْهَدِ ٱلصَّادِقِيِّ وَأحْرَزَ عَلَى الجزء ٱلثَّانِي مِنَ ٱلْبَاكَالُورِيَا بِمَعْهَدِ كَارْنُو سَنَةَ 1933 وَتَحَصَّلَ عَلَى ٱلإجَازَةِ فِي ٱلأدَبِ ٱلْعَرَبِيِّ بِجَامِعَةِ السُّرْبُونِ بِبَارِيسَ سَنَةَ 1936 وَعَلَى شَهَادَةِ ٱلدِّرَاسَاتِ ٱلْعُلْيَا سَنَةَ 1939 ثُمَّ ٱجْتَازَ مُنَاظَرَةَ ٱلتَّبْرِيزِ بِنَجَاحٍ سَنَةَ 1947 .

وَعُيِّنَ رَئِيسًا لِمَصْلَحَةِ ٱلتَّعْلِيمِ ٱلثَّانَوِيِّ بِوَزَارَةِ ٱلتَّرْبِيَةِ ٱلْقَوْمِيَّةِ ثُمَّ مُتَفَقِّدًا عَامًّا ثُمَّ كَاتِبَ دَوْلَةٍ لِلتَّرْبِيَةِ ٱلْقَوْمِيَّةِ وَالشَّبَابِ وَالرِّيَاضَةِ مِنْ سَنَةِ 1958 إلَى سَنَةِ 1968 .

وَكَانَ لِلأسْتَاذِ مَحْمُودِ ٱلْمِسْعَدِيِّ نَشَاطٌ سِيَاسِي وَٱجْتِمَاعِيٌّ . فَتَرَأسَ ٱلْجَامِعَةَ ٱلْقَوْمِيَّةَ لِلتَّعْلِيمِ مِنْ سَنَةِ 1948 إلَى 1954 وَٱنْتُخِبَ كَاتِبًا عَامًّا مُسَاعِدًا لِلاتِّحَادِ ٱلْعَامِّ ٱلتُّونُسِيِّ لِلشُّغْلِ إلَى جَانِبِ فَرْحَات حَشَّادٍ مِنْ سَنَةِ 1948 إلَى سَنَةِ 1954. وَإلَى رُوحِ حَشَّادٍ أهْدَى ٱلْمِسْعَدِيُّ كِتَابَهُ « السُّدُّ » . وَأبْعِدَ إلَى ٱلْجَنُوبِ التُّونُسِيِّ مِنْ دِيسَمْبَرَ 1952

إلى ماي 1953 بسبب نشاطه السّياسيّ والنّقابيّ. وكان أحد المشاركين في المفاوضات التّونسيّة الفرنسيّة سنة 1954

وكان قد ترأس تحرير مجلّة المباحث من سنة 1944 إلى سنة 1947 وكان يتولّى تحرير افتتاحيّاتها وعدّة مقالات نشرها في المجلاّت التّونسيّة والشّرقيّة. وأصدر كتاب السُّدّ سنة 1955 ومولد النّسيان الّذي ظهر فصولا في المباحث من أفريل إلى سبتمبر 1945 ثمّ ظهر في طبعة أولى سنة 1975.

أمّا « حدث أبو هريرة قال ... » فلم يظهر منه إلاّ جزء في المجلاّت التّونسيّة وأعتزم أخيرا نشره كاملا سنة 1973.

وقد تناول المسعديّ في مؤلّفاته جميعا ما كان يعانيه جيله. وهو جيل ما بين الحربين من مشاكل فكريّة ومعاناة نفسيّة وصراع بين التّقليد والتّجديد في السّلوك والعادات وطرق التّفكير ومناهج الإنتاج الأدبيّ. وتميّزت هذه الفترة بيقظة الوعي في الشّباب التّونسيّ وتحسّسه لمشاكل عصره سياسيّة كانت أم اقتصاديّة. وكانت البلاد التّونسيّة تعيش مرحلة حاسمة من تاريخها كما كان العالم يعاني تفجّرا كبيرا في الاقتصاد والسّياسة والفكر. والتقى المثقّفون من الشّبان التّونسيّين في نواد ثقافيّة وعلى صفحات مجلاّت أنشأوها لتبادل المعارف كمجلّة المعالم الأدبيّ والمباحث وعبّروا بصراحة عن هذا الصّراع المميّز لحالة البلاد في الدّاخل وحالة العالم في الخارج.

وَإِنْتَاجُ ٱلْمِسْعِدِيِّ هُوَ صَدًى لِلصِّرَاعِ ٱلسِّيَاسِيِّ ٱلدَّامِي بَيْنَ ٱلْوَطَنِيِّينَ وَصَوْلَةِ ٱلْمُعَمِّرِينَ وَدُعَاةِ ٱلْفَوْضَى وَتَشْتِيتِ ٱلْجُهُودِ .

وَعَبَّرَ ٱلْمِسْعِدِيُّ بِمَا لِأَدَبِهِ مِنَ ٱلْأَبْعَادِ ٱلْفِكْرِيَّةِ عَنْ مَشَاغِلِ ٱلشَّبَابِ فِي فَتْرَةِ مَا بَيْنَ 1930 وَ 1940 فَكَانَ ٱلشَّبَابُ وَاعِيًا وَكَانَ وَعْيُهُ يَصْطَدِمُ بِٱلْعَقْلِيَّةِ ٱلْقَدِيمَةِ فِي ٱلْمُجْتَمَعِ ٱلتَّقْلِيدِيِّ ٱلَّذِي يَعِيشُونَ فِيهِ . وَهُوَ مُجْتَمَعٌ لَا يُؤْمِنُ بِٱلْغَدِ ٱلْأَفْضَلِ ٱلَّذِي كَانَ حُلْمَ هَذَا ٱلشَّبَابِ وَأَمَلَهُ ٱلْمُقَدَّسَ وَنَتَجَ عَنْ هَذَا ٱلْخِلَافِ ٱلْجِذْرِيِّ ٱلظَّاهِرِ تَصَادُمُ قُوَّتَيْنِ مُتَقَابِلَتَيْنِ هُمَا « ٱلْحَرَكَةُ » وَ « ٱلْجُمُودُ » .

وَقَدْ كَانَ لَهُ دَوْرُهُ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلثَّقَافِيَّةِ وَٱلسِّيَاسِيَّةِ فِي ٱلْبِلَادِ وَفِي ٱلْحَرَكَةِ ٱلْأَدَبِيَّةِ أَيْضًا . فَهُوَ ٱلَّذِي وَاصَلَ ٱلْإِشْرَافَ عَلَى مَجَلَّةِ « ٱلْمَبَاحِثِ » ٱلَّتِي كَانَ قَدْ أَنْشَأَهَا عَبْدُ ٱلْخَالِقِ ٱلْبَشْرُوشُ . وَهُوَ فِي آخِرِ ٱلْأَمْرِ مُؤَلِّفُ أَحَادِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَفَاتِحُ بَابِ ٱلْأَدَبِ ٱلرَّمْزِيِّ وَمَا لَهُ مِنْ أَبْعَادٍ فَلْسَفِيَّةٍ وَأَعْمَاقٍ فِكْرِيَّةٍ يَلْتَزِمُ فِيهِ صَاحِبُهُ قَضَايَا عَصْرِهِ وَيَتَبَنَّى مَشَاكِلَ جِيلِهِ بَاحِثًا لَهَا عَنْ حُلُولٍ شَافِيَةٍ وَأَعْمَالٍ نَبِيلَةٍ تُعَبِّرُ عَنْ عُلُوِّ هِمَّةِ ٱلْفَرْدِ وَمَنْزِلَةِ ٱلْمَجْمُوعَةِ ٱلَّتِي يَنْتَمِي إِلَيْهَا مُنَزِّلًا قَضَايَاهَا مِنْ بَيْنِ قَضَايَا ٱلْعَالَمِ وَضِمْنَ مَشَاغِلِ ٱلْعَصْرِ ٱلَّذِي تَعِيشُ فِيهِ .

ابتداء المغامرة الوجودية

التقديم :

(أبو هريرة * ، في هذا النص ، في بداية بعثه الأول . فهو في منتهل تجربته مع الوجود إذ بدأ يخرج عن عالم الناس المألوف . فقد أحب صديق له أن يصرفه عن الدنيا عامة يومه ، وقد اختار له من وجوه الانصراف عن الدنيا أخفها وقعا على النفس وألذها سماعا . لقد صعدا على كثيب ، فشاهدا شبحين ، هما فتى وفتاة في زي آدم وحواء ، مندودان جنبا الى جنب متجهان إلى مطلع الشمس ...)

ثُمَّ بَدَتْ مِنَ الشَّمْسِ بَوَادِرُ نُورٍ[1] . فَإِذَا الفَتَاةُ ٱرْتَمَتْ كَأَنَّهَا الظَّبْيَةُ أَحَسَّتْ بِالنَّبْلِ . وَجَعَلَتْ تَهِمُّ بِالشَّرْقِ فَلَا تَخْطُو إِلاَّ خُطْوَةً ، ثُمَّ تَتَرَاجَعُ وَتُرْسِلُ يَدَيْهَا إِلَى السَّمَاءِ وَالشَّمْسِ ، كَأَنَّهَا تَرُومُ[2] انْ تُدْرِكَهُمَا ، ثُمَّ تَتَرَاجَعُ بِهِمَا فِي هَيْئَةٍ مِنَ الرَّقْصِ كَأَنَّهَا الغُصْنُ يَهُزُّهُ النَّسِيمُ . وَسَكَنَتْ طَرفَةَ عَيْنٍ . ثُمَّ عَادَتْ فِي الرَّقْصِ إِلَى مِثْلِ حرَكَاتِهَا ٱلأولَى . فَرَأَيْتُهَا لِسَانًا مِنَ الرَّمْلِ قَائِمَةً عَلَى رَأْسِ ٱلْكَثِيبِ ، وَكَأَنَّهَا وُلِدَتْ مِنْهُ أَوْ ذَابَتْ فِيهِ . فَهْيَ رَقِيقُ الرَّمْلِ يَجْرِي بَيْنَ ٱلأَصَابِعِ . وَأَرْسَلَتْ إِلَى ذَلِكَ صَوْتَهَا بِٱلْغِنَاءِ . فَكَانَ يَتَرْقَرَقُ فِي حَلْقِهَا ، وَيَرِقُّ لَرَنِينِ يَدَيْهَا وَثَدْيَيْهَا وَكَامِلِ جَسَدِهَا . ثُمَّ يَتَرَاجَعُ بِتَرَاجُعِهِ حَتَّى أَخَالَهُ سَكَنَ . ثُمَّ تَعُودُ فَتَرْقُصُ وَتُغَنِّي :

سَلَامٌ عَلَى الرُّوحِ يَسْرِي عَلَى يُسْرِ
سَلَامٌ عَلَى النُّورِ سَلَامٌ عَلَى ٱلْفَجْرِ

حَتَّى كَأَنَّ صَوْتَهَا وَرَقْصَهَا فِي ٱلانْدِفَاعِ وَالتَّرَاجُعِ ٱبْتِسَامَةُ السُّرُورِ أَوَّلَ نَشْأَتِهِ . ثُمَّ سَكَنَتْ وَيَدَاهَا إِلَى الشَّمْسِ البَازِغَةِ وَإِحْدَى رِجْلَيْهَا مُرْسَلَةٌ كَالرُّمْحِ ٱلْمُصَوَّبِ فِي ٱلْهَوَاءِ كَأَنَّهَا تَهِمُّ أَنْ تَطِيرَ ، فَكَأَنِّي بِهَا قَدِ ٱنْفَصَلَتْ عَنِ ٱلأَرْضِ وَطَارَتْ ، ثُمَّ ٱنْفَجَرَ صَوْتُ مِزْمَارٍ فِي قُوَّةٍ وَرَوْعَةٍ . وَٱرْتَمَتْ ٱلْجَارِيَةُ تَرْقُصُ فِي سُرْعَةٍ وَشِدَّةٍ . وَإِذَا ٱلْمُزَمِّرُ ٱلْفَتَى . وَقَدْ قَامَ فَبَدَا عَلَى وَجْهِ السَّمَاءِ ٱلْمُشْتَعِلِ كَالصَّنَمِ ٱلْحَيِّ . وَجَعَلَتِ ٱلْفَتَاةُ تَدُورُ أَوْ تَقِفُ ، وَتَقُومُ أَوْ تَهْبِطُ ، فَتَقَعُ فِي هَيْئَةِ ٱلسَّاجِدِ فَإِذَا هِيَ قَائِمَةٌ ، أَوْ تَرْتَفِعُ فَإِذَا هِيَ سَاجِدَةٌ فَكَأَنَّهَا دُخَانٌ كَاذِبٌ أَوْ سَرَابٌ [3] خُلَّبٌ [4] أَوْ خِفَّةٌ وَلَا جَسَدَ ، ثُمَّ ٱنْقَضَتْ مِنْ صَوْتِ ٱلْمِزْمَارِ قُوَتُهُ . فَٱرْتَدَّ رَقِيقًا حَتَّى كَأَنَّهُ وَحْيٌ مِنَ ٱللَّهِ أَوْ هَمْسُ الشَّيَاطِينِ . وَسَكَنَتْ عَنِ ٱلْجَارِيَةِ سُرْعَةُ ٱلرَّقْصِ ، فَصَارَتْ تَتَثَنَّى بِتَثَنِّي الصَّوْتِ وَتَتَهَادَى [5] لِتَهَادِيهِ وَتُبْطِيءُ الدَّوْرَ لِبُطْئِهِ ، حَتَّى رَأَيْتُهَا أَصْبَحَتْ ذَوْبًا فِي ٱلْهَوَاءِ أَوْ سَكَنَهَا نَفَسٌ مِنَ النَّسِيمِ فَهْيَ فِي لِينِهِ .

وَدَامَ ذَلِكَ سَاعَةً ، فَرِحْتُ لَهُ أُرِيحِيَّةً [6] عَذْبَةً ، وَصَرَفَنِي عَنْ صَدِيقِي وَهَزَّنِي الطَّرَبُ . حَتَّى كِدْتُ آخُذُ فِي الرَّقْصِ مِنْ حَيْثُ لَا أَشْعُرُ . ثُمَّ دَقَّ الصَّوْتُ حَتَّى سَكَنَ وَإِذَا الفَتَى قَد وَثَبَ إِلَى ٱلْجَارِيَةِ وَرَفَعَهَا مِنْ خَصْرِهَا فَبَدَتْ عَلَى يَدَيْهِ مُمْتَدَّةً فِي ٱلْهَوَاءِ وَيَدَاهَا مَقْرُونَتَانِ فِي هَيْئَةِ ٱلْمُقْبِلِ عَلَى ٱلْبَحْرِ أَنْ يَغُوصَ فِيهِ ، وَالشَّمْسُ نَاشِئَةٌ تَكْسُوهَا ثُمَّ حَطَّهَا ٱلْفَتَى إِلَى ٱلأَرْضِ فَتَعَانَقَا وَصَوَّبَا فِي

ٱلْكَثِيبِ [7] يَرْقُصَانِ مَعًا . حَتَّى حَجَبَهُمَا عَنَّا .

محمود المسعدي (حدّث أبو هريرة قال)

(حديث البعث الاول) ص : 20 ـ 23

1 - شـــرح المفـــردات :

1) بَـوَادِرُ : ج بَادرة (من بدر ـ يبدر) ، أوّل الشّيْء

2) تَـــرُومُ : رَامَ رَوْمًا وَمَرَامًا الشيء ، أرَادَهُ .

3) سَـــرَابٌ : مَا يُشَاهَد عِنْد اشْتِدَادِ ٱلْحَرّ كَأَنَّهُ مَاءٌ تَنْعَكِسُ فِيهِ ٱلْبُيُوتُ والأشْجَارُ.

4) خُـلَّبٌ : (من خَلَبَ يَخْلُبُ) كَاذِبٌ .

5) تَتَـهَادَى : مَشَتْ مَشْيًا غَيْر قَوِيّ مُتَمَايِلَةً .

6) أَرِيجِيَّـةٌ : ٱرْتِيَاحٌ إِلَى ٱلأَفْعَالِ ٱلْحَمِيدَةِ أَوْ كُلّ مَا يَرُوقُ العَيْن وَيُرْضِي النَّفْس.

7) صَوْبًا في الكثيب : اِنْحِدَارًا مِنْ أَعْلاَهُ إِلَى أَسْفَلِهِ .

2 - تـراجـم الأعـلام :

✱ عرَفَ التّاريخُ العربيُّ الإسْلاَميُّ شَخْصِيَتَيْن بِهَذَا الاسْم هُمَا :

1 - أَبو هُرَيْرَةَ المُحَدّثُ تُوفِي 59 هـ / 679 م:

عبد الرحمان بنْ صخر الدُّوسِي . الملقّبْ بِأبِي هُرَيْرَةَ ، صَحَابِيٌّ . كَانَ أَكْثَرَ الصَّحَابَةِ حِفْظًا لِلْحَدِيثِ وَرِوايَةً لَهُ . نَشَأَ يَتِيمًا ضَعِيفًا فِي ٱلْجَاهِلِيَةِ . وَقَدِمَ ٱلْمَدِينَة ورَسُولُ ٱللّه بخيْبر . فَأَسْلَمَ سَنَة 7 هـ . ولزم صُحْبَةَ ٱلنَّبِيّ . فَرَوَى عَنْهُ 5374 حديثًا نقلها عنْ أبي هُرَيْرة أَكْثَرُ من 800 رَجُل بَيْنَ صَحَابِيّ وَتَابِعِيّ . وَوَلِيَ إمرة ٱلْمدينة مُدَّة . ولمّا صارت الخلافةُ الى عمر اسْتعْمَلَه عَلَى ٱلْبَحْرِينِ ثُمّ رَآهُ لَيّن ٱلْعَريكة مشْغُولاً بالعبادة فعزلَهُ وأرادهُ بعْد زمن عَلَى ٱلْعَمَلِ فَأَبَى ... وكان أَكْثرُ مقامه في ٱلْمدينة وتُوُفي فيها وكان يُفْتِي وقدْ جمع شَيْخُ الإسْلام تقيُّ الدين السّبكيّ جُزْءًا سَمّى « فتاوى أبي هُريرة » ولعبد الحسين شرف الدّين كتابٌ في سيرته « أبو هريرة » .

2 - أَبو هُرَيرة النّحوي ، من نُحاة البصْرة اشْتهر بردّوده على نُحاةِ الكوفة أخذ عن أحْمد بن الطيب تُوفيَ سنة : 261 هـ / 874 م

3 - وَشَخْصية « أحَاديث أبي هريرة » للمسعدي هي مِنْ خلق المؤلف . ولعلّ صلته بأبي هريرة الأولُ أوثق . لأنَّهُمَا يَلْتَقِيَانِ فِي « ٱلحديث » .

3 - الأسئلـــــة :

1 - هلْ بَدَا أبو هُريرة يشعر بِتَبْدُلِ موقفِهِ من الوُجُود ؟ بَيِّن ذَلِك .
2 - مَا هِيَ المُؤَثِّرَاتُ ٱلَّتِي كَانَتْ سَبَبًا فِي هَذَا الخَلْقِ ٱلجَدِيدِ ؟
3 - مَا هِيَ الرُّمُوز ٱلَّتِي ٱسْتَخْدَمَهَا المسعدي لِيبْرز بِدَاية ميلَادِ حياةٍ جَديدة
4 - حَلِّلْ خَصَائِص أسْلُوب المسعدي مِنْ حَيْثُ ٱلجُمل وَتَرابُطِهَا . وَمِنْ حَيْثُ الصور وَتَقَابُلُهَا ؟

رَيْحَـــانَـــة

التّقـــديـــم :

(وَيَنْطَلِقُ أبو هُرَيْرَة فِي مَسِيرَتِهِ الْوُجُودِيَّةِ الْجَدِيدَةِ وَيَتَجَاوَزُ مَرْحَلَةَ الْبَحْثِ الْجِنْسِيِّ الْأَوَّلِ إِلَى تَجْرِبَةٍ عَاطِفَةِ الْحُبِّ . إِنَّهَا « الْأُسْوَدَةُ حُبِّ أَبِي هُرَيْرَةَ وَرَيْحَانَة » وَهَذِهِ الْمَرْأَةُ الَّتِي عَلِقَهَا يَعْرِفُنَا بِشَخْصِهَا وَبِأَطْوَارِ حَيَاتِهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَرَفَهَا وَعَرَفَ تَعَلُّقَهَا الصَّحِيحَ بِأَبِي هُرَيْرَةَ فَلَا تَفْتَأُ تَذْكُرُهُ وَتَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ . فَقَدْ أَخْلَصَتْ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ كَكُلِّ مَنْ عَرَفَتْ مِنَ الرِّجَالِ وَلِأَنَّهَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مُغَايِرَةً لِكُلِّ النِّسَاءِ . فَمَنْ عَسَاهَا تَكُونُ ؟)

وَكَانَتْ رَيْحَانَةُ تُحَدِّثُنَا فَتَقُولُ ، أَنَا آخِرَةُ قَوْمِي ، وَقَدْ أَكَلَتْهُمُ النَّارُ جَمِيعًا . كَانُوا مِنْ وُلْدِ الْبَرَاءِ بْنِ كَسْيَانَ . وَسَكَنُوا الْعُمَانَ [1] ثُمَّ خَرَجُوا عَنْهَا بَعْدَ أَنْ أَصَابَتْ بُيُوتَهُمْ نَارٌ ذَهَبَتْ بِأَكْثَرِهِم . فَجَاءَ مَنْ بَقِيَ الْحِيرَةَ [2] وَنَزَلُوا بِهَا فَأَقَامُوا ـ فَإِنَّهُمْ بِهَا إِذْ غَزَوْنَا [3] قِبَلَهُمْ . فَأَوْقَدْنَا نَارًا فَأَصَابَتْهُمْ فَمَاتُوا بِهَا جَمِيعًا ، وَأَدْرَكَهَا لَبِيد [4] فَوَقَاهَا النَّارَ وَمَلَكَهَا . وَكَانَتْ تُحَدِّثُ أَنَّهُ كَانَ لِقَوْمِهَا عَنْ أَسَافٍ * وَنَائِلَةَ غَيْرُ الْخَبَرِ الْمَعْرُوفِ لَا يُشْرِكُونَ فِيهِ أَحَدًا ، وَتَقُولُ ، وَلَمْ يَبْقَ الْيَوْمَ مَنْ يَعْرِفُه غَيْرِي . فَهُوَ هُنَا مَكْنُونٌ إِلَى يَوْمِ أَمُوتُ . وَتَجْعَلُ يَدَهَا عَلَى صَدْرِهَا فَكَأَنِّي بِنَهْدَيْهَا قَدْ قَامَا وَاضْطَرَبَا كَرِمَالِ الْكُثْبَانِ نَشْأَةَ الرِّيحِ .

وَلَمَّا حَالَ الْحَوْلُ عَلَى جُنُونِ لَبِيدٍ حَجَجْتُ إِلَى الْكَعْبَةِ . فَلَمَّا انْتَهَيْتُ مِنْ مَنَاسِكِ الْحَجِّ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ حَجًّا بِلَا زِيَارَةٍ . فَإِنِّي لَمُنْطَلِقٌ مِنْ مَكَّةَ إِذْ رَأَيْتُ عَلَى طَرِيقِ الْمَدِينَةِ بَيْتًا

مُنْفَصِلًا عَنِ ٱلْبُيُوتِ . وَالنَّاسُ بَيْنَ دَاخِلٍ وَخَارِجٍ . وَلَمْ أَكُنْ رَأَيْتُهُ قَبْلُ ، فَجِئْتُهُ . فَإِذَا حَانُوتٌ وَعَرْبَدَةٌ وَغِنَاءٌ وَنَبِيذٌ وَخَنَى . فَأَنْكَرْتُهَا وَأَنَا عَلَى حَالِي تِلْكَ مِنَ ٱلْعِبَادَةِ . وَبَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ رَاحِلَتِي هُنَاكَ . إِذْ مَرَّ بِي رَجُلَانِ مُنْصَرِفَانِ مِنَ ٱلْحَانُوتِ وَهُمَا فِي نَبِيذٍ كَثِيرٍ . فَقَالَ أَحَدُهُمَا وَلِسَانُهُ كَالْقَصَبَةِ فِي ٱلرِّيحِ :

قِفَا نَشْكُ مِنْ رَيْحَانَةِ ٱلْعَيْنِ وَٱلْحَشَى

وَقَدْ ذَهَبَ عَلَيَّ شَطْرُ ٱلْبَيْتِ . فَقُلْتُ : لَا أَبْرَحُ ٱلْبَلَدَ أَوْ أَعْلَمَ جَلِيَّةَ ٱلْأَمْرِ . فَعَقَلْتُ رَاحِلَتِي وَدَخَلْتُ . فَإِذَا هِيَ وَٱللَّهِ رَيْحَانَتُنَا تُغَنِّي وَتُلْقِي إِلَى النَّاسِ فَيَبْسُطُونَ لَهَا ٱلْأَيْدِي فَتُمْسِكُ وَتُعْرِضُ ، كَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ بِنَا ، فَخَرَجْتُ لِسَاعَتِي وَٱنْطَلَقْتُ لِشَأْنِي . وَكَانَ آخِرَ عَهْدِي بِهَا فِي شَبَابِهَا وَشَبَابِي .

ثُمَّ طَوَانِي ٱلدَّهْرُ وَذَهَبَ أَتْرَابِي فِي ٱلْحَيِّ مِمَّنْ يَعْرِفُونَ رَيْحَانَةَ جَمِيعًا . وَإِنَّا ٱنْتَجَعْنَا [5] قِبَلَ نَجْدٍ .[6] فَنَزَلَتْ بِنَا امْرَأَةٌ فَأَضَافَهَا بَعْضُ ٱلْحَيِّ . فَسَأَلْتُ عَنْهَا . فَقَالُوا ، إِنَّهَا تَقُولُ إِنَّ اسمها رَيْحَانَةُ . فَأَمَرْتُ أَنْ تَأْتِيَنِي فَجَاءَتْ . فَكَانَتْ هِيَ وَٱللَّهِ ، وَكَانَتْ مِن حَيٍّ إِلَى حَيٍّ . لَا تَسْكُنُ عَنِ التَّرْحَالِ . تُحَدِّثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَلَا تَبْكِي ، وَتَقُولُ : لَقَدْ جَمَدَتْ عَيْنِي . وَهْيَ يَوْمَئِذٍ قَدْ ضَرَبَ الشَّيْبُ فِي شَعْرِهَا ، وَذَهَبَ حُسْنُهَا إِلَّا نُورًا مِنْهُ فِي العَيْنِ ، وَأَصَابَتْ وَجْهَهَا ٱلْأَحَادِيدُ [7] . وَكَانَتْ لَاتَزَالُ كَعَهْدِي ظَرِيفَةً لَسِنَةً طَيِّبَةَ ٱلْحَدِيثِ ، وَلَكِنَّهَا أَصْبَحَ بِهَا كَالْبَحِّ [8] . تَقُولُ فَكَأَنَّمَا تَبْكِي ،

ولبس على وجهها إلا نفس مسلمة راضية .

وكانت لاتتحدث عن أبي هريرة إلا كان آخر قولها ، رحم الله أبا هريرة .

محمود المسعدي (حدث أبو هريرة قال ،)
(حديث المزح والجد) ص ، 31 ـ 34

1 - شرح المفردات :

1) اليمن : أرض اليمن .
2) الحميرة : مدينة اللخميين من ملوك العرب في الجاهلية اندثرت وباد أثرها كانت توجد قرب الكوفة بالعراق من ملوكها المناذرة فتحها خالد بن الوليد سنة 633 م
3) غزونا : الضمير يعود على الأنصار . أي قوم الراوي .
4) لبيد : هو الذي كانت ريحانة سبيته .
5) أنتجعنا : نزول القافلة أو القبيلة بمكان به كلأ وعشب .
6) نجد : ما أرتفع من الأرض .
7) الأخاديد : ج أخدود . الشجاعيد العميقة في الوجه .
8) البح : غلظ الصوت من أثر البكاء .

2 - تراجم الاعلام :

* إساف ونائلة ، هما رجل من جرهم يقال له إساف بن يعلى.ونائلة بنت زيد بن جرهم . كان إساف يتعشق نائلة في أرض اليمن . أقبلا مع قوميهما حجاجا فدخلا الكعبة . ولما وجدا غفلة من الناس وخلوة في البيت فجرا . فمسخا . وأخرجا ووضعا عند الكعبة . ولطول المكث عبدا مع بقية الأصنام .

3 - الأسئلـــة :

- هَلْ تَشْتَرِكُ رَيْحَانَةُ مع أبي هُرَيْرَةَ في غُرْبَتِها ومُعاناتِها النَّفْسِيَة
- هَلْ أنَّ خَيْبَهُمَا تَولَّد عَنْ مَحْضِ الصُّدْفَةِ أمْ هُنالك بواعثُ وتكامُلٌ في وتشابُهٌ تَظَافَرَتْ جَمِيعًا لربطِ أواصِرِه ؟
- مَا هِيَ قِيمَةُ الزَّمَانِ وَتَوَالِي الأَحْدَاثِ وَتَعَدُّدِ التَّجَارِب في المُغَامرة الوُجُودِيَّة خِلَال حَيَاةِ رَيْحَانَةَ ؟

التّعارُف في الخمر

التّقديم :

(قد يقفُ المرءُ وقفةَ تأملٍ يستعيد فيها يومًا أو جزءًا من حياته الماضية ، ويغتبر بما عاشه من الأحداث وتتداخل في فكره الرؤى والأحلام . ذلك ما حدث لريحانة وقد أعرضت يومًا في حانوت الخمار عن ملاعبة الشاربين وملاطفة « أصحاب الليل » والغناء وقد صمت النفس عن سماع الأنغام والارتياح لها . فانسلت في الغلس من مكة إلى المدينة ، وتبدأ مغامرة جديدة في حياتها بملاقاة أبي هريرة وقد توقف عند الأنصار . ورب ملاقاة تغير مجرى حياة الإنسان ...)

حدثت ريحانة قالت :

... فلما استيقظت كان الليل قد اسود ، ونظرت فإذا القوم في شأن لهم وقد ملكهم فصحت بامرأة رجل منهم كان يسمى سعدا ، وكانت مقبلة على قدر وقد أدخلت يدها تخرج منها الطعام ، فقالت ، نزل بنا الليلة أبو هريرة ، ونحب أن نكرمه . قومي يا هاتِه فسيكون منه كالمأدبة ، فقمت فرأيت رجال الحي وقد اجتمعوا إلى رجل لم أكن أعرفه وهو يحدثهم ويضحك ضحكا كثيرا . فرأيته سكران وكان كذلك . ثم تهيأ الطعام . فصففت على بساط . وجعل عند سمرة [1] هناك ، وجلس الرجال فتأخر عنهم الرجل ، وقصد إلى راحلته فأخرج زقا من الخمر وجاء به القوم . فقالوا جميعا ، أخفيتها ضنا ؟ قال ، بل خوف أن تتوقعوا فتذهب المتعة ، وجلسوا جميعا يأكلون ويشربون

حَتَّى ذَهَبَتْ لَهُمْ سَاعَةٌ وَنِيرَانُ ٱلْحَيِّ تَخْبُو [2] وَأَصْوَاتُهُمْ تَعْلُو . وَأَهَمَّنِي أَنْ يَكُونُوا فِي لَهْوٍ وَأَبْقَى فِي قِطْعَةٍ مِنَ ٱللَّيْلِ فَقُمْتُ كَالوَالِهَةِ [3] فَسَعَيْتُ . فَوَقَعْتُ عَلَى الزِّقِ فَصَبَبْتُ وَشَرِبْتُ أَقْدَاحًا وَصَاحَ بِي بَعْضُهُمْ : حَسْبُ ٱلأَنْمَارِ [4] لَبِيدٌ . وَقَامَ يُرِيدُنِي وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ الخَمْرُ . فَقَامَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ وَمَنَعَنِي عَنْهُ وَقَالَ : دَعُوا ٱلْجَارِيَةَ تَشْرَبْ . ثُمَّ دَنَا مِنِّي وَلَانَ وَقَالَ : مَا ٱسْمُكِ يَا هَاتِهِ ؟ قُلْتُ : رَيْحَانَةُ . قَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ فِينَا إِلاَّ حَفِيٌّ [5] بِكِ مُحِبٌّ لَكِ . فَنَحْنُ نَشْرَبُ وَنُحِبُّ مَنْ يَشْرَبُ . أَلَكِ فِي قَدَحٍ آخَرَ ؟ وَأَخَذَ الزِّقَّ مِنِّي كَأَنَّمَا يُرِيدُ ذَلِكَ . فَإِذَا هُوَ قَدْ رَفَعَهُ وَصَبَّهُ عَلَى رَأْسِي . فَصِحْتُ وَٱرْتَعْتُ وَقَالَ : ٱنْظُرُوا رَيْحَانَةَ ٱلْخَمَرِ . فَٱنْطَلَقَ أَصْحَابُهُ يَضْحَكُونَ مِنِّي . وَهِمْتُ أَنْ أَلْطِمَ وَجْهَهُ لَطْمَةً تَذْهَبُ بِخَمْرِهِ . فَمَا كِدْتُ أَهُمُّ بِهِ حَتَّى أَخَذَنِي وَاحْتَمَلَنِي [6] وَأَنَا أَضْطَرِبُ . فَجَعَلَنِي تَحْتَ سُمْرَةٍ إِلَى ٱلأَرْضِ وَٱنْصَبَّ عَلَيَّ فَوَجَدْتُهُ صَاحِيًا مِنْ أَشَدِّ الرِّجَالِ . ثُمَّ شَدَّنِي إِلَيْهِ حَتَّى صِرْتُ مِنْهُ وَقَامَ عَنَّا الرِّجَالُ . فَجَعَلَ يَرِقُّ وَيُحَدِّثُنِي وَيَقُولُ : مَا كَانَ أَحْسَنَ ٱنْصِبَابَكِ عَلَى الزِّقِّ إِلَى أَنْ طَابَتْ لِي رِيحُ الخَمْرِ فِي ثِيَابِي .

فَلَمَّا أَصْبَحْنَا أَرْدَفَنِي إِلَى مَكَّةَ . فَلَزِمْتُهُ ثَلاَثًا ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى ٱلْحَانُوتِ وَقَدْ طَابَ مُقَامِي . رَحِمَ ٱللَّهُ أَبَا هُرَيْرَةَ .

محمود المسعدي (حدث أبو هريرة قال :)

(حديث التعارف في الخمر) ص : 37 - 40

1 - شرح المفـــردات :

1) السَّـمـرة : شجرة العضاه ولها شوك .
2) خبت النّار : أنطفأت .
3) الوالهة : الحزينة كثيرًا الى حد فقدان العقل .
4) الأنمـار من جدود قبائل العرب أبوه نزار من بني عدنان .
5) حَفِيَ المكثر من الإكرام والسؤال عن الحال .
6) أحتملني : حملني

الأسئلـــة :

- بم يمكن أن نفسر نفور ريحانة من الحياة في حانوت الخمار ؟
وهل تعتقد أن المغامرة أساسيّة في حياة الإنسان ؟
2 ما هي الصورة التي تبدو لك عن شخصية أبي هريرة من خلال تعريف ريحانة له ؟
3 هل تجاوز أبو هريرة التجربة الحسية الأولى في هذا الحديث ؟
4 ما يمثل الرحالة المتواصل في رأي محمود المسعدي ؟

يثقل الكوْن إذا همّ أن يكُون ...

التّقـــديـــــم :

(تغير أبو هريرة في سلوكه ونظرته للوجود تغيرا غريبا أنكره عليه أصحابه ، مثل أبي المدائن . فقد أصبح لايحسب لِغَدِه حسابا ، واصلا نهاره بليله في انصرافه الى متع الحياة ولذة الوجود . وهو في هذا الحديث ـ حديث القيامة ـ يعيش نمطا آخر من « الوجود الحيّ » فقد ابتاع من أبي المدائن كل ما عنده من الشموع واستدعاه الى ضيعته ليلا . وذهب أبو المدائن الى ضيعة أبي هريرة ، فوجده وجماعة من الأخوان بجانب كهف يَتَأَلون الظلام ، ومعهم رَيحانة متعلقة بأبي هريرة).

حَدَّثَ أَبُو ٱلْمَدَائِنِ ـ وَكَانَ مِن خَاصَّةِ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ قَالَ ،

... وَمَضَتْ سَاعَةٌ لَمْ نَقُلْ فِيهَا شَيْئًا ، ثُمَّ تَكَلَّمَتْ رَيْحَانَةُ فَقَالَتْ ، يَثْقُلُ ٱلْكَوْنُ إِذَا هَمَّ أَنْ يَكُونَ ، وَتَكَلَّمَ آخَرُ فَقَالَ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ قُبَيْلَ خَلْقِهِ ثَقِيلًا مُرْهِقًا لَمَا خُلِقَ . فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ، لَقَدْ كَانَ حِينَئِذٍ كَٱلْأَلْحَانِ قَبْلَ ٱلضَّرْبِ ، وَلَيْسَ أَبْدَعَ مِنَ ٱلْأَوْتَارِ تُجَسُّ ، ثُمَّ سَكَتُوا وَحَدَّثْتُ نَفْسِي أَنِّي وَقَعْتُ فِي مُصَابِينَ أَوْ سَكَارَى . وَمَضَتْ سَاعَةٌ لَمْ يَعُودُوا فِيهَا إِلَى ٱلْكَلَامِ . وَطَالَ عَلَيَّ حَتَّى كَادَ يَذْهَبُ صَبْرِي ، وَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ هَتَفَ مِزْمَارٌ هَمْسًا رَقِيقًا نَائِيًا كَأَنَّهُ الذِّكْرَى تَتَجَمَّعُ فِي أَعْمَاقِ النَّفْسِ . ثُمَّ تَعَالَى فَإِذَا لَهُ صَلْصَلَةٌ وَزَفِيرٌ وَٱنْفِلَاقٌ وَدَوِيٌّ ، وَفِيهِ إِلَى ذَلِكَ تَشَنٌّ كَأَنَّ الرِّيحَ تَحُطُّهُ وَتُعْلِيهِ ثُمَّ جَنَّ وَٱشْتَدَّ وَقَامَتْ إِلَيْهِ مَزَاهِرُ وَدُفُوفٌ وَصَوْتُ مُغَنِّيَةٍ فَرَاحَتْ جَمِيعًا فِي الظَّلَامِ كَالْبَرْقِ ، وَكَانَتْ ٱلْمُغَنِّيَةُ رَيْحَانَةَ.غَنَّتْ ،

أُسَـــافُ وَنَـــائِلَـــةْ* أَوْقِـدَا جَـذَوَاتِـــــي
أُسَـــافُ وَنَـــائِلَـــةْ وَٱنْفِيَـــا عَبَرَاتِـــــي

وَسَكَنَتْ . فَشَدَّ عَلَيْهَا ٱلْمِزْمَارُ وَٱلْمَزَاهِرُ وَٱجْتَمَعَتْ إِلَىٰ ذَٰلِكَ أَصْوَاتُ نِسَاءٍ كَثِيرَةٍ قَامَتْ مِنْ أَرْجَاءِ ٱلضَّيْعَةِ فَرَدَّدْنَ غِنَاءَهَا . ثُمَّ عَادَتْ رَيْحَانَةُ تُغَنِّي وَتَشُدُّ عَلَيْهَا ٱلْمَعَازِفُ وَٱلْمُغَنِّيَاتُ ،

إِنَّ نَفْسِي لَحَمِيمٌ [1] رَفْرَفَ ٱللَّحْمُ عَلَيْهِ
وَدَعَـاهَـا يَـا سَقِيمُ مَلَكُ ٱلْمَجْزُ يَدَيْهِ

أُسَـافُ وَنَـائِلَـــةْ
أَوْقِدَا جَـذَوَاتِـــي
أُسَـافُ وَنَـائِلَـــةْ
وَٱنْفِيَـا عَبَـرَاتِـــي

هَذِهِ ٱلدُّنْيَـا إِنَـــاثٌ كُلُّهَـا تَدْعُـو الذُّكُـورْ
يُسْمَعُ مِنْهَـا لَهَـــاثٌ بَدْؤُهُ بَـدْءُ الدُّهُـــورْ
أُسَـافُ وَنَـائِلَـــةْ ...
كَمْ أَرَدْنَـا الرُّوحَ فَيْضًـا جَارِفًا صَخْـرَ السُّـدُودْ
وَأَثَرْنَا النَّفْسَ غَيْضًا [2] دَاوِيًـا مِثْـلَ الرُّعُـودْ
أُسَـافُ وَنَـائِلَـــةْ ...
وَأَكَلْنَا الرُّوحَ حِسًّـا وَٱنْفَجَرْنَـا لِلْهَـــوَى
ثُمَّ خِفْنَـا مِنْـهُ مَسًّـا فَجَعَلْنَاهَـا هَـــوَا
أُسَـافُ وَنَـائِلَـــةْ ...

إنَّمـا ٱلْجُبْنُ بَـلَايـا وسقَـامٌ فِي سقَـامِ
مـا لمـائي فـي ٱلْهَوَايَا [1] ذَاهـبٌ مثْـل هُيَـامِي
غَار فعْلي فِي النَّـوَايـا كَجبَـالٍ فـي ظَـلَامِ

حتَّى ٱسْتَوْفَتْ شعْرهَا ثُمَّ سكَنَّ جَميعًا .

محمود المسعدي (حدث أبو هريرة قال :)
(حديث القيامة) ص : 45 ـ 48

1 - شـرح المفـردات :

1) ٱلْحميمُ ج حمائم : ٱلْماءُ ٱلْحارُّ ـ أو ٱلْجمْرُ
كذلك ٱلْماءُ ٱلْبارد (ٱلْكَلِمةُ من أَسْمَاء ٱلأَضْدَادِ)
2) ٱلْغَيْضُ هو السقط الذي لم يتم خلقه . وٱلْمَاءُ ٱلْمَحْبُوسُ .
3) ٱلْهوايا ج هويةٍ . البئْر ٱلْبعيدةُ القعْر .

2 - تـراجـم الأعـلام :

إسَافٌ ونائلة : أنْظر تَعْريفَهما في نَصّ « ريْحَانَة » ص 256

الأسْئلـة :

- هل الإطَار الذي وَصَفه ٱلْكَاتِبُ يَتَلاءَمُ مَعَ ٱلْحَالَةِ النَّفْسِيَّةِ ٱلَّتِي أَصْبَحَ عَلَيْهَا أَبُو هُرَيْرَةَ مِنْ شُعُورٍ بِٱلْحُرِيَّةِ وَٱنْطِلَاقٍ مِنْ رِبْقَةِ ٱلْعَوَائِقِ وَٱلتَّقَالِيدِ ٱلاجْتِمَاعِيَةِ ؟
- هَلْ يُمَثِّلُ أَبُو ٱلْمَدَائِنِ صَوْتَ ٱلْمَاضِي وَشَبَحَ ٱلْحَوَاجِزِ ٱلْقَدِيمَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ تَقْطَعُ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ سُبُلَ ٱلْخَلَاصِ وَالانْفِلَاتِ مِنْ رِبْقَةِ ٱلْعَدَ ٱلْقَرِيبِ ؟
- هَلْ يَتَكَامَلُ أَبُو هُرَيْرَةَ وَرَيْحَانَةُ فِيمَا يَتُوقَانِ إِلَيْهِ مِنَ ٱلْمَجْهُولِ فِي هَذَا الصِّرَاعِ ٱلْمُشْتَرَكِ وَالْبَحْثِ عَنْ تَوَافُقٍ فِي النَّظْرَةِ وَٱلأَهْدَافِ ؟
- مَا هِيَ أَهَمّ المعاني ٱلَّتِي لمح إليها الكاتب فِي القطعة الشعريَة ؟
- مَا هِيَ القيمة ٱلأدبية والفنية للشعر المتضمّن في هذا النصّ ؟

آمْتِـــلاءُ آلْكِيَـــانِ

التّقـــــديـــــم :

(لعلّ مِنْ خصائص المصائب أنّها تدعو الإنسان إلى التأمّل والاعتبار. فأبو المدائن يقف على أنقاض بيت أبي هريرة المخروق وقفة المؤمن المعتبر، أمّا أبو هريرة فلم تثنه المصيبة ولم تفت من عزمه شيئا. فلقد بقي واقفا، واقفا لا يبكي بل طفق يهذي من روع صديقه وهو المصاب قبله بفاجعة الكارثة ... والمصيبة إنما هي قادح له على العودة ومواصلة التجربة الوجودية، إلاّ أنّه محتاج إلى الراحة قليلا، لاستعادة نشاطه، ولا بدّ له من جوّ ملائم لذلك. فهو يعود إلى خليلته ويستطيب حديثها رغم ما كان بينهما من سابق النفور، وتعود المأساة ثانية فتنزل الصاعقة على زوجته في فناء الدار. فيتألم إلاّ أنّه يصمد ويبقى واقفا ... فالمصيبة تجربة وجودية أخرى تضاف إلى تجاربه ...)

فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَصْبَحَ رَوْعِي غَضَبًا عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَخَوْفًا عَلَى ٱلْجَوَارِي وَصَحْبِي. فَجِئْتُهُ فَإِذَا بَيْتُهُ أَنْقَاضٌ سَوْدَاءُ قَد أَكَلَتْ النَّارُ أَوْصَالَهُ [1] وَأَلْقَتْ أَحْجَارَهُ كَالعِظَامِ. وَكَانَتْ لاَتَزَالُ بَقَايَا دُخَانٍ خَارِجَةً [2] مِنْهُ بَيْضَاءَ فِي الرِّيحِ البَارِدِ. وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ وَقْفَةَ ٱلْمُعْتَبِرِ. فَٱسْتَلْطَفْتُ لَهُ وَقُلْتُ: ٱللَّهُ أَكْبَرُ. أَوَ نَارٌ هُنَا أَيْضًا؟ تَٱللَّهِ إِنَّهُ لَمِنْ عِقَابِ رَبِّي. وَفَاضَ حُزْنِي فَبَكَيْتُ. فَأَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ: دَعِ ٱلْبُكَاءَ وَخُذْ فِيمَا أَقُولُ لَكَ. ثُمَّ أَخَذَنِي إِلَى قِطْعَةٍ مِنْ جِدَارٍ طَرِيحٍ. فَأَجْلَسَنِي وَجَلَسَ وَقَالَ وَٱبْتَسَمَ: لَمْ أَرَ كَالأَصْنَامِ ظَاهِرُهَا الرُّوحُ وَتَمْلِكُ ٱلْجَسَدَ. فَأَرَدْتُ أَنْ أُثْنِيَهُ عَمَّا أَخَذَ فِيهِ مِنْ مُبْهَمِ ٱلْقَوْلِ فَقُلْتُ: مَاذَا صَنَعْتَ بَعْدَ ٱلانْصِرَافِ مِنَ

الضَّيْعَةِ ؟ وَأَيْنَ ٱلْجَوَارِي وَٱلْفِتْيَانُ وَصَحْبُنَا وَرَيْحَانَةُ ؟ وَمَا خَبَرُ ٱلْبَيْتِ ؟ قَالَ ، مَلَكْتُ رَيْحَانَةَ عَنْ نَفْسِهَا فَأَرَدْتُهَا إِلَى مَكَّةَ . وَٱنْطَلَقْتُ بِهَا فِي ٱللَّيْلِ يَحْجِبُ عَنْهَا جَسَدَهَا . فَمَا كِدْتُ أُبَرِّحُ الضَّيْعَةَ حَتَّى جَاءَتِ ٱلْمُعْصِرَاتُ [2] بِٱلْأَنْوَاءِ . وَكَانَ الْبَرْقُ يَسْتَطِيرُ [3] فَتَنْطَلِقُ ٱلسَّمَاءُ وَرُكَامُهَا وَٱلْأَشْجَارُ وَٱلْجِبَالُ وَتَقُومُ عَصَا الطَّرِيقِ فَتَرْتَمِي جَمِيعًا عَلَى وَجْهِي . وَسَيْلُ ٱلْمَاءِ يَكَادُ يَجْرِفُنَا وَٱلْفَرَسَ . وَتَهَيَّجَ ٱلْكَوْنُ حَتَّى كَأَنَّهُ جَهَنَّمُ الشَّيَاطِينِ وَلَا نَارَ . وَكَانَتْ رَيْحَانَةُ تَقُولُ ، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ذَهَبَتْ نَارِي.وَتَبْكِي . وَكُنْتُ لَا أُعِي.فَٱلْمَطَرُ فَالرِّيحُ فَالشِّدَّةُ فَأَنَا أَمْلَأُ مَا أَكُونُ .

وَٱنْتَهَيْنَا إِلَى حَانُوتِهَا فَأَلْقَيْتُهَا . وَأَتَيْتُ بَيْتِي فَأَطْلَقْتُ ٱلْفَرَسَ بِالْفِنَاءِ وَدَخَلْتُ عَلَى ٱمْرَأَتِي فَإِذَا هِيَ لَائِذَةٌ بِالسِّرَاجِ تَطْلُبُ أُنْسَهُ . فَقَالَتْ ، لَقَدْ بَقِيتُ أَتَوَقَّعُكَ حَتَّى ذَهَبَ التَّوَقُّعُ بِٱلْأَمَلِ وَهَا لَيْلَتِي جَاءَتْ . قَالَ أَبُو ٱلْمَدَائِنِ ، وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ لَا يُعَاشِرُ ٱمْرَأَتَهُ . وَكَانَتْ تَقُولُ ، أَحْبَبْتُهُ حَتَّى جَعَلْتُهُ نُورًا فِي ظَلَامِهَا نَفْسِي ، عَلَى مَا فِيهِ مِنَ الشُّرُودِ ـ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ، ثُمَّ قَامَتْ تُرِيدُ ٱلْفَرَسَ أَنْ تُكِنَّهُ . فَقُلْتُ ، لَاتَفْعَلِي ، فَسَيَفْعَلُهُ بَعْضُ ٱلْغِلْمَانِ ، وَهَاتِ حَدِّثِينِي ، وَقَدْ أَعْجَبَنِي مِنْهَا أَنْ رَدَّتْ إِلَيَّ بَعْضَ مَا أَحْمَلْتُهَا [4] سِنِينَ . فَلَمْ تُبَالِ وَقَامَتْ إِلَى مَا تُرِيدُ . فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ ٱلْفِنَاءَ ٱنْشَقَّ فَلَقُ الصَّاعِقَةِ فَأَخَذَتْهَا . فَرَأَيْتُهَا وَقَدِ ٱشْتَعَلَتْ كَأَنَّهَا مَلَكٌ مِنْ نُورٍ . وَقَفَزَ ٱلْفَرَسُ رَوْعًا ثُمَّ نَظَرْتُ فَإِذَا ٱلْأَمْرُ نَاقِصٌ

أَبْتَرُ . وَوَدِدْتُ لَوْ ٱخْتَرَقَتِ السُّحُبُ ، وَإِنَّمَا كَانَ البَرْقُ يُنِيرُهَا ، فَقُمْتُ إِلَى بَيْتِي وَأَحْرَقْته وَجَلَسْتُ أَنْظُرُ إِلَى النَّارِ فِي ٱلْمَاءِ وَٱلْمَاءُ فِيهَا ، فَرَمَادُهَا ٱلآنَ تَحْتَ ٱلْخَرَابِ وَقَدْ أَصْبَحَتْ بَيْنَ مَا أَرَدْتُ لَهَا أَهْلاً مِنَ ٱلْمَلاَئِكَةِ وَٱلْمُخَلَّدِينَ . ثُمَّ قَالَ ، رَحِمَهَا ٱللَّهُ ، لَقَدْ أَرَدْتُهَا عَلَى ٱلْجِبَالِ وَمِثْلِ مَا شَهِدْنَا ٱلْبَارِحَةَ مِنَ ٱلْجِهَادِ وَأَنْ تَمْشِيَ عَلَى دَهْرِهَا كَالْفَلَكِ تَسِيرُ آمِنَةً وَٱلْهَاوِيَةَ ، فَقَصَّرَتْ عَنْ ذَلِكَ ، فَلَمَّا خِفْتُ عَلَيْهَا أَوْقَعْتُهَا فِي رُوحِهَا . وَقَالَ ، وَإِنَّ مَثَلَ كُلِّ جِهَادٍ لَكَمَثَلِ مَصِيرِهَا ، وَيَنْقُضُهُ ٱلْبُكَاءُ .

فَرَقَقْتُ لَهُ وَبَكَيْتُ وَقُمْتُ بِهِ إِلَى بَيْتِي فَأَمْضَى بِهِ أَيَّامًا . ثُمَّ ٱنْصَرَفَ فَلَمْ أَرَهُ دَهْرًا ، وَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقَالُوا ، إِنَّهُ وَرَيْحَانَة ...

محمود المسعدي (حدث أبو هريرة قال ،)
حديث القيامة ص : 52 ـ 55

1 - شرح المفردات :

1) الأوْصَالُ : ج وَصْل ، كُلُّ عَضْوٍ عَلَى حِدَةٍ .
2) ٱلْمُعْصِرَاتُ : السَّحَائِب تَعْتَصِرُ بِٱلْمَطَرِ .
3) يَسْتَطِيرُ : يَأْتَلِقُ وَيَلْمَعُ .
4) ما أَحْمَلَتْها : ما أَعنَتَها بِهِ .

لأسئلة :

- ما هي قيمة هذه النكبة ٱلتي حلت بأبي هريرة وما هي نتائجها على نفسه وسلوكه ؟

- كَيْفَ تَرَاه تَحـمـل هَذه المصيبة ؟ بِمَ تفسر ذَلِكَ ؟
- قَارن موقفه بموقف أبي المدائن من هذه المصيبة .
- مَاذَا تمثل زوجة أبي هريرة في نظرك ؟ قَارن بينها وبين ريحانة ملحا على الفروق بينهما .
- مَا هِيَ المعاني التي أراد المسعدي إثارتها في هذا النصّ ؟

الحيـــاة بيـــن العـــدم والكيـــان

التّقـــــديـــــم :

(ألمرض تجربة وجودية أخرى . يصل به المرء إلى كشف عميق لبواطن النفس ولخبايا الروح . وهذا ما وجده أبو هريرة فقد ارتقى إلى المعرفة الصحيحة عن طريق السقام وهو يفجب من إدراكه ذلك « إذا سلم من كثافة الصحة » وشفت روحه « فيخف اللحم والدم وكأنه في الخلد » .)

حَدَّثَتْ رَيْحَانَةُ قَالَتْ ،

مَرِضَ أَبُو هُرَيْرَةَ حَتَّى أَشْفَقْتُ عَلَيْهِ . وَكُنْتُ لاَ أَبْرحُهُ سَاعَةً وَأَبْكِي وَأُوجَعُ لأَلَمِهِ حَتَّى كَأَنِّي مِنْهُ . فَيَهْمِسُ : أَبْكِي مَا لَذَّ لَكِ الْبُكَاءُ ، وَيُومِيءُ أَنْ ضُمِّينِي إِلَيْكِ ، فَأَضُمُّهُ ضَمًّا خَفِيفًا ، فَيُلْقِي بِأُذُنِي كَالْحَنِينِ وَيَقُولُ ، وَجَعْتُ أَنْ لَسْتِ فِي مِثْلِ عِلَّتِي .

ثُمَّ ذَهَبَ عَنْهُ بَعْضُ مَرَضِهِ فَدَخَلَ إِلَى الإِبْلاَلِ . سَأَلْتُهُ : هَلْ عَدَ لَكَ مِنَ الصِّحَةِ مَا كَانَ ذَهَبَ ؟ قَالَ ، إِنَّهُ قَدِ اسْتَوَى عِنْدِي أَنْ تَذْهَبَ أَوْ تَبْقَى ، بَلْ كِدْتُ أُخْتَارُ الْعِلَّةَ .

يَمْرَضُ النَّاسُ يَا رَيْحَانَةُ فَيَطْلُبُونَ الشِّفَاءَ ، فَيَثْقُلُ الْمَرَضُ فَيُضْنِي فَيَذْهَبُ سُدًى ، وَقَدْ طَلَبْتُ الشِّفَاءَ مِثْلَهُمْ سَاعَةَ مَرَضِي الأُولَى ، ثُمَّ وَجَدْتُ فِي عِلَّتِي مَا لَمْ أَجِدْهُ فِي الصِّحَةِ وَتَمَّتْ لِي بِهَا حَيَاتِي فَخَشِيتُ أَنْ تُعَاوِدَنِيَ الصِّحَةُ وَالاسْتِقَامَةُ فَأَمُوتُ . كَذَا نَحْنُ وَلَعَلَّهُ لاَ يَبْلُغُ الْعِلَّةَ مِنَ النَّاسِ إِلاَّ الْقَلِيلُ . قُلْتُ : وَهَلْ فِي

ٱلعِلَّةِ غَيْرُ ٱلاِمْحَالِ [1] وَذَهَابِ ٱلمَاءِ يَا حَبِيبِي ؟ قَالَ ، لاَ أَدْرِي . فَقَدْ يَكُونُ ، وَقَدْ تَكُونُ ٱلعِلَلُ مِنْ مُخْبِيَاتِ ٱلحَيَاةِ . بَلْ ٱنْظُرِي ـ قَالَتْ ، وَكَانَ فِي صَوْتِهِ كَصَدَى غَيْبٍ بَعِيدٍ ، إِنِّي أَجِدُ فِي جَسَدِي وَهْوَ عَلِيلٌ كَيْفَ يَرِقُّ حَتَّى كَأَنَّهُ عُودٌ كُلَّمَا جَسَسْتُهُ أَنَّ . وَكَيْفَ تَدِقُّ ٱلحَاشَّةُ وَتَحْتَدُّ وَقَدْ ذَهَبَتْ لِي وَٱللَّهِ سَاعَاتٌ وَأَنَا أَقْفُو أَثَرَ الرُّوحِ تَنْتَقِلُ مِنْ يَدِي إِلَى رَأْسِي أَوْ مِنْهُ إِلَى صَدْرِي ، وَتَتَرَدَّدُ عَلَى ٱلأَعْضَاءِ وَٱلقَلْبِ وَٱلأَمْعَاءِ تَرَدَّدَ الفَجْرِ ، فَكَأَنِّي أَسْبَحُ فِي دَمِي يَجْرِي ، وَلَذٌّ عِنْدِي ، فَيَلْذَعُنِي ٱلأَلَمُ فِي كَتِفِي أَوْ صَدْرِي أَوْ رَأْسِي فَأَنَا أَكُلُّ حَنْظَلاً لاَ كَحَنْظَلِ النَّاسِ ، فِيهِ مَرَارَةٌ وَحُمُوضَةٌ وَأَلْوَانٌ مُخْتَلِفَةٌ وَنَارٌ تَضْطَرِمُ وَتَخْسُنُ فِي ٱلعَيْنِ ، فَكَأَنَّ مِقْدَارَ القُوَّةِ وَٱلحَيَاةِ يَزْدَادُ لِلْعِلَّةِ ، وَكَأَنَّ قُرْبَ الفَنَاءِ خَلاَّقٌ .

تَرَيْنَ ؟ أَلاَ تَكُونُ الدُّنْيَا مِنْ خَلْقِ ٱلآلِهَةِ عِنْدَ النَّزْعِ [2] يَا رَيْحَانَةُ ؟

ثُمَّ تَنَفَّسَ فَمَدَّ نَفَسَهُ ، ثُمَّ قَالَ ،

وَدِدْتُ مِنْ زَمَنٍ بَعِيدٍ لَوْ أَنِّي عُلِّقْتُ بَيْنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلأَرْضِ ، أَوْ أَنِّي جَلَسْتُ عَلَى قِمَّةِ جَبَلٍ وَقَدْ طَلَقَتْهُ ٱلأَرْضُ فَطَارَ ، فَلَمْ أُصِبْ ذَلِكَ إِلاَّ فِي عِلَّتِي تَفُكُّ ٱلجَسَدَ وَتُمَيِّزُ ٱلأَوْصَالَ فَيَخِفُّ ٱللَّحْمُ وَالدَّمُ فَكَأَنِّي فِي ٱلخُلْدِ ، إِنَّهُ لاَ تَكُونُ ٱلحَيَاةُ أَبْدَعَ مِمَّا تَكُونُ بَيْنَ ٱلعَدَمِ وَٱلكِيَانِ ، وَلاَ أَقْرَبَ مِنْ طُمَأْنِينَةِ السَّعِيدِ .

قَالَتْ رَيْحَانَةُ ، ثُمَّ ٱبْتَسَمَ وَسَكَنَ ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا دُمُوعُهُ كَقَطْرِ ٱلنَّدَى عَلَى خَدِّهِ وَقَالَ ، ٱلْمَنِي أَنْ يَكُونَ نِصْفُ مَتَاعِ الدُّنْيَا فِي حَالٍ لَايُصِيبُهَا ٱلإِنْسَانُ إِلاَّ حِينًا بَعْدَ حِينٍ ، إِذَا سَلِمَ مِنَ كَثَافَةِ الصِّحَةِ،وَضَمَمْتُهُ إِلَيَّ وَضَمَّنِي إِلَيْهِ . رَحِمَ ٱللَّهُ أَبَا هُرَيْرَةَ .

محمود المسعدي (حدث أبو هريرة قال ،)
(حديثُ الجِسّ) ص ، 57 ـ 60

1 - شـــرح المفـــردات ،

1) الأَمحالُ ، ٱلْجَدْبُ وَٱحْتِبَاسُ ٱلْمَطَرِ .
2) النَّزعُ ، الاحْتِضَارُ وَزَمَنُ المَوْتِ.

2 - الأُسئلـــــة ،

- مَا هِيَ ٱلأَحَاسِيسُ وَٱلْمَشَاعِرُ ٱلَّتِي ٱكْتَشَفَهَا أَبُو هُرَيْرَةَ فِي نَفْسِهِ عَنْ طَرِيقِ تَجْرِبَةِ السُّقَامِ وتفاقُم العِلَّةِ بِجِسْمِه ؟
- لِمَاذَا لَايُدْرِكُ خَبَايَا النَّفْسِ إِلاَّ القِلَّةُ ٱلْمُضْطَفُونَ مِنَ النَّاسِ ؟ وَمَا تَسْتَنْتِجُ مِنْ ذَلِكَ ؟
- بِمَ أَدْرَكَ أَبُو هُرَيْرَةَ سِرَّ حَوَاسِهِ وَكُنْهَ رُوحِهِ ؟
- لِمَاذَا يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ قَدْ عُلِّقَ مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ بَيْنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلأَرْضِ أَوْ أَنْ يجلس عَلَى قِمَّةِ جبلٍ وقد أَطْلَقَتْهُ ٱلأَرْضُ فَطَارَ ؟

هـل الحيـاة عبـث ؟

إنّ مُعَاشَرةَ أبي هُرَيْرَةَ لِرَيْحَانَةَ جَعَلَتْهُ يَخْتَبِرُ نَفْسَهُ وَتَتَمَثَّلُ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ أَرْوَعُ فَتَرَاتِ النَّمَاءِ الْوُجُودِيِّ . فتنفجرُ الآمَالُ وَتَنْتَهِي العَوَاطِفُ الى الكمالِ الحَيَوِيِّ وَتَصِلُ الآمَالُ الى الغَايَةِ القُصْوَى مِنْ بَهْجَةِ الحُبِّ وَعُنْفِ الشَبَابِ . وَلكنه يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ تطورٌ آخر فِي المسيرة الوجُوديّة . فَيَسْعَى الى فهْمِهَا وَإلى « وَضعِهَا » كَمَا يَشَاءُ هُوَ بِقُدْرَتِهِ الخَلاَّقَةِ وَإرَادَتِهِ الَّتِي تُرِيدُهُ مُسَيْطِرًا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَمَاسِكًا بِنَاصِيَةِ كل أمْرٍ . وَلَكِنَّ بَعْضَ الأَسْرَارِ الكونيَّةِ تَبْقَى غَامِضَةً فِي ذهنه . وَهَذَا مَا يَبُثُّه إلَى أَصْحَابِه وَيَرْوِيهِ عَنْهُ بَعْضُ خُلاَّصه وَهُوَ معنٌ بْنُ سُلَيْمَانَ وَقَدْ تَذكُر أُخْتًا لَهُ مَاتَتْ فِي الثَّالِثَة من عُمُرِهَا بَكَمَاءَ ، صَمَّاءَ . فَمَا السِّرُّ فِي هَذَا الَّذِي أَصَابَهَا وَالعَذَابِ الَّذِي لَقِيَتْه مِن الحَيَاةِ ؟ مَا عَسَاهَا فَعَلَتْ ؟ هَلْ هُوَ الذنْبُ ؟ أم جَزَاءُ مَا اقترفت ؟ تِلْكَ أَسْئِلَة خَامَرَتْهُ منذ الطفولَةِ

ثُمَّ أَمَرَ بِالطَّعَامِ وَالنَّبِيذِ ، فَجَاؤُونَا بِمَائِدَةٍ عَلَيْهَا لَحْمٌ مَشْوِيٌّ وَرُطَبٌ وَنَبِيذٌ كَثِيرٌ ، فَأَصَبْنَا مِنَ الطَّعَامِ وَصَبَبْنَا مِنَ النَّبِيذِ ، وَهُوَ [1] مُمْسِكٌ لاَ يَمُدُّ يَدَهُ الى رُطَبٍ وَلاَ شِوَاءٍ وَيَشْرَبُ وَلاَ يَقُولُ شَيْئًا فَلَمَّا فَرَغْنَا مِن الطَّعَامِ ، وهوَ عَلَى وُجُومِهِ كَالمُمْتَلِيءِ بُكَاءً لاَ يَنْفَجِرُ ، ثَقُلَ عَلَيْنَا وَأَعْدَانَا [2] مِنْ غَمِّهِ ، فَقُلْنَا : قُلْهَا ، قَدْ ضِقْنَا ، قَالَ ، هَلْ تَعْرِفُونَ لِلنَّارِ مَعْنًى ؟ قُلْنَا ، لاَ وَاللّهِ ، قَالَ ،

يَرَى النَّاسُ نِيرَانًا كَثِيرَةً ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَفْقَهُونَ . وَلِلصَّاعِقَةِ ؟ وَلِظُلُمَاتِ القَبْرِ ؟ وَلِانْهِيَارِ الصُّخُورِ فِي الْجِبَالِ ، وَلِلرِّيَاحِ العَاصِفَاتِ هَلْ تَعْلَمُونَ مِنْ مَعْنَى ؟ قُلْنَا ، كَلَّا وَاللَّهِ ، أَيَّ شَيْءٍ هَذَا الْكَلَامُ ؟ قَالَ ،

كَانَتْ لِي بَيْنَ السَّادِسَةِ وَالتَّاسِعَةِ من عُمُرِي أُخْتٌ لم تَعِشْ إِلَّا ثَلَاثًا . وَكُنْتُ أُحِبُّهَا حُبَّ الشَّيَاطِينَ لِلشَّرِ ، وَكَانَتْ ذَاتَ عَاهَاتٍ لَا تَدَعُهَا عِلَّةٌ إِلَّا أَصَابَتْهَا أُخْرَى . وَكَانَتْ إِلَى ذَلِكَ بَكْمَاءَ صَمَّاءَ . أَسْأَلُ فِي ذَلِكَ فَيُقَالُ ، هُوَ القَضَاءُ ، وَكُنْتُ كُلَّمَا بَكَتْ بُكَاءَهَا عَطَفْتُ عَلَيْهَا وَحَفَفْتُهَا فَهِيَ بكماء حَتَّى عَنْ مُطْلَقِ البُكَاءِ تُرِيدُهُ فَتَتَوَجَّعُ وَلَا يَنْشَرِحُ لَهَا ، وَكُنْتُ أَرْعَاهَا فَأُلْهِيهَا بِمَا أَتَعَلَّمُ من الْأَلْعَابِ مَعَ أَتْرَابِي فِي الحَيِّ ، وَكَانَتْ أُمِّي تُنْكِرُهَا وَتَقُولُ ، هِيَ مِن سِقْطِ [3] أَوْ عَبَثِ الْأَقْدَارِ ، فَلَمْ تَزَلْ كَذَلِكَ ثَلَاثًا حَتَّى نَزَلَتْ بِهَا يَوْمًا عِلَّةٌ ذَهَبَتْ بِعَيْنَيْهَا ثُمَّ لَمْ تَلْبَثْ أَنْ ذَهَبَتْ بِهَا ، فَصِحْتُ وَبَكَيْتُ وَنَدَبْتُ وَطَالَ عَوِيلِي . وَحَسِبْتُهُ الشَّيْطَانَ وَقَالُوا ، هُوَ اللَّهُ .

قَالَ معنُ ، فَقُلْتُ ، هَذَا لَيْسَ فِيهِ مَا يُحْمِلُ مِثْلَ غَمِّكَ ، فَلَا تَجْعَلْ نَفْسَكَ كَالجَبَلِ يَدْعُو الصَّاعِقَةَ ، فَإِذَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ أَرْتَجَّ وَأَصْدَى . قَالَ ، لَقَدْ عَلَّمْتَنِي البُكَاءَ مِنَ القَضَاءِ . ثُمَّ صَبَّ فَشَرِبَ ثُمَّ انْفَجَرَ فَبَكَى حَتَّى رَأَيْنَا الدُّمُوعَ فِي لِحْيَتِهِ . فَرَقَقْنَا لَهُ وَقُلْنَا جَمِيعًا ، رَحِمَهَا اللَّهُ وَصَبَّ لَنَا فَشَرِبْنَا ، وَمَا زِلْنَا كَذَلِكَ نُشَارِبُه

وَيَبْكِي حَتَّى جَاء وَقْتُ الصَّلاَةِ . فَقُلْنَا ، نَذْهَبُ فَنُصَلِّي فَيَذْهَبُ ذَلِكَ بِغَمِّكَ . قَالَ ، دَعُونِي ، نُصَلِّي أَوْ لاَ نُصَلِّي وَنَسْعَدُ أَوْ نَشْقَى ، هَلْ تَرَوْنَ فِيهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ؟ ثُم قَالَ ، شَرُّ مَا فِي الدُّنْيَا أَنَّ ٱلْحَيَاةَ عَبَثٌ ، بَلْ لاَ أَدْرِي لَعَلَّهُ خَيْرٌ مَا فِيهَا .

محمود المسعدي (حدث أبو هريرة قال ،)
(حديث الحق والباطل) ص ، 82 ـ 84

1 - شـــرح المفـــردات ،

1) هـــو ، الضمير يعود على أبي هُرَيْرَةَ .
2) أَعْدَانَا ، تَسَرَّبَتْ مِنْهُ عَدْوَى إِلَيْنَا .
3) سِقْط ، الجَنِينُ سَقَطَ مِن بَطْنِ أُمِّهِ قبل تَمَامِه .

2 - الأَسْئلـــــة ،

- هل شَعُرَ أبو هُرَيْرَةَ بالظُّلم في الوُجُود يُصِيبُ ٱلأَبرِيَاءَ من الأَحْيَاء ؟ فِيمَ يَتَمَثَّلُ ذَلِكَ الظُّلم ؟
- مَا هُوَ عَبَثُ الأَقدار الذي تصوره أَبُو هُرَيْرَةَ منذُ طُفُولَتِه ؟
- هل الشُّعُورُ بِٱلْمَأْسَاةِ الوجُودِيةِ غَيَّرَ مواقف أَبِي هُرَيْرَةَ منذُ مَوْتِ أُختِهِ ؟ لِمَاذَا ؟
- مَا هو مَوْقِفُكَ من المَسْأَلَة ٱلَّتِي أَثَارَهَا الكَاتِبُ عَلَى لِسَانِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي هَذَا النصّ ، فَهَل ٱلْحَيَاةُ عَبَثٌ ؟
- استخرجْ من النصّ التشبيهاتِ والاستعارات،وبين انطلاقًا مِنْهَا القيمة الأُسْلوبيّة في النصّ .

حـــديث الحـــاجة

إنّ الدنيا أصْبَحَتْ فِي عَين أبي هُرَيْرَة اللُّغزَ الأكْبَرَ والانتهاءُ الى فَهْم حَقيقَتِهَا هُوَ المَعْنَى الّذِي يطْلبُه بِدُونَ هَوَادَةٍ. هل الدنْيَا باطل أمْ حقّ ؟ وَكَانَ انطواؤهُ عَلى نَفْسِهِ يدُومُ أيّامًا . وَأصبَحَ بِهِ مِثْلُ الكَرَاهِيَةِ لِلنّاسِ جَمِيعًا يودُّ أنْ يَشُقّ أدمِغتَهُمْ ليعْرِفَ مَا تَنْطوِي عَلَيْهِ مِنَ الأسْرَار . « فَإذَا هُوَ يَتَطلّع الى كِيَانٍ أوسَعَ وأبعَدَ وأغْلَى وَيَرُومُ إشَاعَةَ رُوحِهِ وَحَيَاتِهِ وَوُجُودِهِ إلى كثرة البَشَرِ وَعَدَدِهِمْ حولَه . ليُشْبِع بِذَلِكَ نفسَه وَيُشِعُّهَا إشعَاعًا طَلَبًا للاتّسَاع عَنْ طَرِيق الاتصالِ بِالغَيْرِ ، بِالعَالَمِ ، وَ الطّبِيعَةِ ، وَالكَوْن » . فَتَبْدأ عِنْدَه إذَن « الحَيْرَة فِي النّاس » ...

حَدّثَ أبُو المَدَائِن قَالَ ،

كَانَ أبُو هُرَيْرَةَ سَرّاقَ أرْوَاح ، [1] وَكَانَ مِنَ المُولِعِينَ بِالصّيْدِ ، يَخْرجُ فَيَرْمِي الرّمْيَةَ فيُصِيبُهَا فَيَشْرَحُهَا [2] وَيُلْقِي بِهَا ، وَلاَ يَأتِي بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ إلَى بَيْتِهِ ، وَكَانَتْ تَأتِي عَلَيْهِ أيّامٌ يَقُولُ فِيهَا ، لِمَ حُرّم أنْ يُرْمَى النّاسُ ؟ تُقْتُ وَاللّهِ أنْ أشُقّ مِنْهُمْ فَأنظُرَ مَا فِي أمْخَاخِهم وَقُلُوبِهِمْ وَأحْشَائِهم . ثُمّ يَقُولُ وَيُشِيرُ الى بَعْضِ عَابِرِي الطّرِيقِ ، أنْظُرْ إلَى هَذَا ، إنّي أرَاهُ سَلَبَنِي حَقّي ، يَمُرُّ وَلاَ أصِيبُ مِمّا فِي صَدْرِهِ شَيْئًا . فَأقُولُ ، وَمَا أحْوَجَكَ يَا أبَا هُرَيْرَةَ إلَى غَيْرِكَ ؟ فَيَقُولُ ، لاَ أدْرِي ، أوْ لَعَلّهُ ضِيقُ مَحْبِسِ النّفْسِ الفَرْدِ ،

وَقَدْ أَحْسُدُ الصِّبْيَانَ حَسَدًا شَدِيدًا . أَتَذْكُرُ صِبَانَا ؟ كُنْتُ أَشْهَدُ سِبَاقَ الخَيْلِ ، فَلَا يَنْتَهِي السَّابِقُ إِلَى القَصَبِ [3] حَتَّى أَكُونَ قَدِ اسْتَفْرَغْتُ فِي قَلْبِي جُهْدَهُ وَسَرَقْتُ تَعَبَهُ . وَكُنْتُ أُلَاعِبُ أَتْرَابِي فِي الحَيِّ ، فَنَكُونُ مُلُوكًا كَمُلُوكِ الرُّومِ وَطُيُورًا وَسِبَاعًا وَرِيَاحًا عَاصِفَةً وَنَسْتَوْفِي جَمِيعَ مَا خَلَقَ اللَّهُ . فَكَانَ يَبْلُغُ بِيَ الوِدُّ والشَّوْقُ مَبْلَغَهُ ، لَقَدْ تَشَبَّهْتُ يَوْمًا بِبَعْضِ قُطَّاعِ الطَّرِيقِ ، فَتَلَبَّسْتُ بِهِ ، فَلَمْ أُطْلِقْ أَصْحَابَ القَافِلَةِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ عَقَلْتُ رَوَاحِلَهُمْ وَشَدَدْتُ عَلَيْهِمْ حَتَّى بَكَوْا وَعَلَتْ أَصْوَاتُهُمْ صِيَاحًا ، ثُمَّ أَفَقْتُ فَإِذَا أَنَا قَدْ مَزَّقْتُ ثِيَابَ أَصْحَابِي تَمْزِيقًا وَأَوْجَعْتُ أَكْثَرَهُمْ ضَرْبًا وَشَكَوْنِي إِلَى أُمَّهَاتِهِمْ .

محمود المسعدي (حدث أبو هريرة قال ...)
(حديث الحاجة)
ص ، 89 ـ 90

1 - شـــرح المفـــردات :

1) سَرَّاق أَرْواح ، كثيرُ الصَّيْدِ وحاذقُ الرِّمَايَةِ .
2) شَـرَحَ ، قَطَعَ بِالسِّكِينِ .
3) القَصَبُ ، يُقَال أحرزَ قَصَبَ السَّبْقِ ، كَانَ الغَالِبَ وَأَصْلُهُ أنهم كَانُوا يَنْصِبُونَ فِي حَلْبَةِ السِّبَاقِ قَصبة فَمَنْ سَبَقَ اقتلعَهَا وأخذَهَا لِيُعْرَفَ أَنَّهُ السَّابِقُ .

2 - الأسئلـــة :

- هَلْ ٱسْتَطَاعَ أَبُو هُرَيْرَةُ التخلُّص منْ مَاضِيهِ ؟
فِيمَا يتمثَّلُ عِنْدَهُ هَذَا ٱلْمَاضِي ؟
- مَا هُوَ مَوْقِفُهُ من النَّاس ؟ وَبِمَ تُفَسِّرُ ذَلِكَ ؟
- لِمَاذَا تَلَبَّسَ بِدَوْرِ قَاطِعِ الطريقِ وَهُوَ صَبِيٌّ تَلَبُّسًا كَامِلاً ؟
- بِمَا تَفسِّرُ عِنْدَه انهِدَام ٱلْحَاجِزِ بَيْنَ الواقع وٱلْخَيَالِ ؟

رَفْضُ السَّبَبِ الْمَشْطُورَةِ .

التَّقْديم :

(شعر أبو هريرة بأن كيانه ينحصر في حدود الغريزة الضيقة ، فالعشق الذي عاش تجربته لا يكفي مهما امتلأ به كيانه . فقد حاول هذه الغريزة والانعزال الروحي ، ولكنه شعر بالفراغ وهو يجرب هذه المعاناة . فتجربة هذه الغريزة العاجلة لا تمكنه الا من استنتاج بعض الأحكام القاصرة المحدودة عن نفسه وعن غيره . لذا فإنه شعر بحاجته للآخرين وبتوقه الى مشاركتهم من جديد .) .

رَوَاهُ أَبُو عُبَيْدَةَ وَحَدَّثَ بِمِثْلِهِ ثَابِتٌ الْقَيْسِيُّ وَزَادَ عَلَيْهِ فَقَالَ ،

وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ إِذْ ذَاكَ بِكُرَاعِ الْغَمِيمِ ، وَادٍ ذِي رِمَالٍ بَيْنَ الْحَرَمَيْنِ . يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ مِنْ أَرْضِ الْجِنِّ لَا تَبْرَحُهُ الْمُعْصِرَاتُ [1] الْمُعْمِيَاتُ إِلَّا قَلِيلًا . فَهُوَ شَدِيدُ الْمِرَاسِ [2] لَا يَجْرَأُ عَلَيْهِ أَحَدٌ . فَرَآهُ بِهِ مَنْ أَخْبَرَنِي - وَظَنَنْتُهُ مِنَ الْجِنَّةِ - قَالَ ، رَأَيْتُهُ وَقَدْ أَقْبَلَ عَلَى رَسْمٍ [3] يَلْعَنُهُ وَيَلْعَنُ الْقُرُونَ الْخَوَالِي وَيَتْفُلُ كَالشَّيْطَانِ . ثُمَّ أَنْشَأَ يُجِيلُ بَصَرَهُ فِي حَيْرَةِ الْفَاقِدِ صَاحِبَهُ . ثُمَّ عَمَدَ إِلَى مَكَانٍ فَاضْطَجَعَ .

قَالَ ثَابِتٌ ، فَذَكَرْتُ الْخَبَرَ يَوْمًا لِأَبِي هُرَيْرَةَ وَسَأَلْتُهُ فِيهِ فَقَالَ ، نَعَمْ ، وَقَدْ ضِقْتُ يَوْمِي ذَاكَ ، فَطَلَبْتُ فُرْجَةً [4] ، فَقُلْتُ فِي آدَمَ وَحَوَّاءَ رِثَاءً وَجِئْتُ بِهِ نِسَاءَ حَيٍّ كَانُوا بِالْوَادِ ، فَأَبَيْنَ أَنْ يَنُحْنَ بِهِ وَقُلْنَ ، هَذَا أَبْرَدُ مَا رَأَيْنَا [5] مِنَ الرِّثَاءِ . أَنْتَ أَحْمَقُ ، فَقُلْتُ ،

نَعَمْ ، وَنُحْتُ بِهِ وَحْدِي فَلَمْ أَجِدْ وَاللّٰهِ أَبْرَدَ مِنْهُ ، وَضَحِكَ أَبُو هُرَيْرَةَ ، قَالَ ثَابِتٌ ، لَعَلَّهُ يُرِيدُ حَيًّا وَنِسَاءً مِنَ الْجَانِّ ، أَوْ لَعَلَّهُ أَنْشَأَ الْخَبَرَ إِنْشَاءً دُونَ مُطَابَقَةٍ ، فَقَدْ كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ لَا يُخْطِىءُ أَمْرًا مِمَّا يُغَالِطُ فِيهِ ، يُصِيبُهُ فَيُغَالِطُ بِهِ ، كَأَنَّمَا يَكْرَهُ أَنْ يَبُوحَ بِبَاطِنِ سِرِّهِ أَوْ يَعْلَمَه أَحَدٌ ، حَتَّى اشْتَبَه أَمْرُهُ عَلَى النَّاسِ ، قَالَ ، فَقُلْنَا لَهُ ، وَمَا كَانَتْ حَاجَتُكَ إِلَى رِثَاءِ الشَّيْخِ وَالعَجُوزِ ؟ قَالَ ، لِأَنَّهُمَا كَادَا أَنْ يُعَلِّمَانِي جَهْلَهُمَا الدُّنْيَا وَبِكْرَ السَّبِيلِ ، فَلَمَّا فَقَدْتُهُمَا عَادَتْ تَقُودُنِي السُّبُلُ المَسْطُورَةُ ، وَوَقَعْتُ فِي سَابِقِ قِصَّتِي وَنَفْسِي ، وَكُنْتُ أُرِيدُهَا عَذْرَاءَ لَمْ يَطَأْهَا وَاطِىء ، فَإِذَا هِيَ عَجُوزٌ فَاجِرَةٌ .

محمود المسعدي (حدث أبو هريرة قال ،)
(حديث الطين) ص ، 94 ـ 96

1 - شـــرح المفـــردات :

1) اَلْمُعْصِرَاتُ ، السَّحَائِبُ تَعْتَصِرُهَا الرِّيَاحُ بِالْمَطَرِ ، وَهِي أَيْضًا الرِّيَاحُ الشديدةُ الْعَنِيفَةُ الَّتِي تُثِيرُ الغبارَ .
2) اَلْمِرَاسُ ، الشِّدَّةُ وَالقُوَّةُ .
3) رســم ، ما تبقى من البناء المتهدم ،
4) اَلْفُرْجَه ، من فَرَّجَ يُفَرِّجُ اللّٰهُ الغمّ ، كشفَهُ ،
5) أبرد ما رأينا ، شِعْر بَارِدٌ ، سَخِيفٌ لَا وَقْع لَهُ فِي النَّفْسِ .

2 - الأسئلـــــة :

- بِمَ تُفَسِّرُ رِثَاءَ أَبِي هُرَيْرَةَ لآدَمَ وَحَوَّاءَ وَهُمَا أَبَوَا البشريّة جَمِيعًا ؟
- مَا هُوَ سِرُّ الدُّنْيَا وَحَدُّهَا عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ وَهُوَ يُقَارِنُ مَعْرِفَتَهُ بِمَعْرِفَةِ آدم وَحَوَّاءَ ؟
- مَا هِيَ قيمةُ رَأْيٍ ثَابِت في أَبِي هُرَيْرَة فِي هَذَا النَّصّ ؟
- مَا هِيَ قيمة هَذَا النص الادبيةُ ؟

اللـــذّةُ لا تُغْلَـبُ.

التّقـــديـــم :

(عاش أبو هريرة تجربة جديدة وحاول أن يعطي روحه ويمتحنها لغيره محاولا التأثير على « الجماعة » ليحرّكهم فيحسّنوا من حالهم ويغيّروا من منزلتهم ومصيرهم . وقد عبّر عن ذلك في « حديث الحاجة » و « حديث العدد » خاصة . وهو هنا في حديث الغيبة تطلب فلا تدرك « يحاول ان يخيا تجربة جديدة انصرافا الى العبادة طلبا للطمانينة والروح عن طريق إماتة الحواس . ولكن تجربته تفشل بل ويغيّر من مجرى حياة راهبة - هي ظلمة - قد كلفت في الدير بأمر أبي هريرة لتعلمه وتروضه . فينقض طمانينتها ويعلمها أن اللذة لاتغلب وأن الحواس لايمكن إماتتها ...)

(قالت ظلمة) :

... وَلَمّا أَصْبَحْنَا جِئْتُ الصَّلاَةَ فَإِذَا أَبُو هُرَيْرَةَ قَدْ شَقَّ لَحْمَهُ بِظُفْرِهِ ، فَهْيَ عَلَى جَسَدِهِ كَالخُيُوطِ الْحَمْرَاء ، وَصُوفُه [1] مَضْرُجَةٌ كَجِلْدِ السَّلِيخَةِ ، ثُمَّ اخْتَفَى عَنَّا وَخَلاَ بِمِحْرَابِهِ ، فَبَقِيَ بِهِ شَهْرَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ لاَيَنْفَذُ إِلَيْهِ بَصِيصٌ مِنَ النُّورِ ، وَكُنْتُ أَذْهَبُ إِلَيْهِ بِطَعَامِهِ فَلاَ يَفْتَحُ لِي بَابَ مِحْرَابِهِ،وَيَقُولُ ، ضَعِيهِ عَلَى البَابِ ، فَأَضَعُهُ وَأَنْصَرِفُ وَأَعُودُ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ فَإِذَا هُوَ يَصُومُ اليَوْمَيْنِ وَالثَّلاَثَةَ لاَ يَطْعم وَلاَ يَشْرَبُ حَتَّى خَشِيتُ عَلَيْهِ ، وَصِرْتُ بَعْدَهُ كَالخَاوِيَةِ القَفْرِ وَبَكَيْتُ كَثِيرًا . ثُمَّ أَنكرْتُ ذَلِكَ وَتَمَرَّدْتُ، فَخَلَوْتُ أَيَّامًا بِمِحْرَابِي ، وَبَكَيْتُ شَوْقًا،وَدَعَوْتُ خِشْيَةً،وَلَعَنْتُ الشَّيْطَانَ وَأَبَا هُرَيْرَةَ ، وَقُلْتُ ، لاَ يَغْلِبُنِي،ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ وَهَنَ عَزْمِي وَكَرِهْتُ لَيَالِيَ يَذْهَبُ بِسُكُونِهَا أَبُو هُرَيْرَةَ ، فَخَرَجْتُ مِنْ

مَعْزِلِي . فَكُنْتُ أُجِيءُ بَابَ مِحْرَابِهِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ وَأَقْنَعُ بِنَفْسِهِ أَسْمَعُهُ كَنَفَسِ الرِّيحِ الحَيْرَى أَوْ بِنَبَرَاتٍ بُكَائِهِ أَسْمَعُهَا كَالدَّلْوِ . فَأَبْكِي وَيَخْفِقُ قَلْبِي ثُمَّ لَا يَطِيبُ مَنَامِي .

ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْنَا فَجَانَبْتُه . وَكَانَ كَالذَّاهِبِ الْبَالِ . لَا يُكَلِّمُ أَحَدًا وَلَا يَسْأَلُ عَنْ أَحَدٍ . وَيُكْثِرُ مِنَ الْجُلُوسِ فِي مَقْبَرَةِ الدَّيْرِ . وَلَمْ أَصْبِرْ عَنْهُ فَأَتَيْتُه . فَقَالَ ، هَلْ نَسِيتِنِي ؟ قُلْتُ ، لَمْ أَسْتَطِعْ . قَالَ ، وَتَطْمَعِينَ بِالْمَوْتِ . قُلْتُ ، وَهَلْ آنَسَتْكَ الْعُزْلَةُ ؟ فَابْتَسَمَ وَقَالَ فَإِذَا ابْتِسَامَتُهُ فِي وَجْهِهِ النَّاحِلِ الشَّاحِبِ كَالْفَجْرِ الطَّاهِرِ ، لَا أَدْرِي لَعَلِّي نَسِيتُ الْأَلَمَ . أَمَّا اللَّذَّةُ فَلَا أَدْرِي . فَكَأَنَّهُ أَثْبَتَ فِيَّ سَهْمًا . فَأَلْقَيْتُ بِنَفْسِي وَكِدْتُ أَقَعُ عَلَى وَجْهِي . لَوْلَا أَنَّهُ أَقَامَنِي وَاحْتَمَلَنِي إِلَى مِحْرَابِي . وَقَدْ غُلِبْتُ غَلَبَةً لَمْ يَكُنْ لِي بَعْدَهَا شِدَّةٌ وَلَا عَزْمٌ . فَلَمَّا أَفَقْتُ إِذَا هُوَ عَلَى رَأْسِي يَقُولُ ، كَذَا الْمَرْأَةُ . لَا تَكُونُ إِلَّا وَاهِنًا مِقْطَاعَ الْجُهْدِ [2] . فَإِذَا هَمَمْتُ أَوْ اشْتَدَّتْ بَعْضَ يَوْمٍ إِذَا هِيَ رَمَادٌ . ثُمَّ بَقِينَا أَيَّامًا بِمِحْرَابِي . وَالدَّيْرُ يَحْسَبُنَا نَتَعَبَّدُ وَنَبْتَهِلُ . وَإِنَّمَا كُنَّا فِي الشَّيْطَانِ . وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَقُولُ ، الْآنَ عَلِمْتُ وَعَلِمْتِ أَنَّ اللَّذَّةَ لَا تُغْلَبُ . فَسَأَلْتُهُ أَوَ كَانَتْ فِيَّ مُنْذُ الصِّغَرِ ؟ قَالَ ، نَعَمْ وَفِيَّ . قُلْتُ ، وَقَدْ كَرِهْتُهَا لِمَا فِيهَا مِنْ تَوَاضُعٍ [3] إِلَى أَمْثَالِكَ مِنَ الْخَلْقِ . وَكُنْتُ مِنْ أَيَّامٍ تَيَقَّظِي إِلَى مَحَاسِنِي وَنُعُومَةِ لَحْمِي أَدْفَعُ الْجُودَ بِهَا عَلَى الرِّجَالِ وَالْوُقُوعَ تَحْتَهُمْ وَالِاسْتِكَانَةَ إِلَيْهِمْ . فَكُنْتُ أَتَنَاسَاهَا وَأَنْفِيهَا حَتَّى جَاءَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَقَالَ ، إِنَّهُ

لا يتناسى الجسد إنسانٌ إلا أكلته الخيالات . وسألني ، هل وجدت في تعبدك امتلاء ؟ إذ ذاك آمنت بإنسانيتي ووجدت من حياتي ملأ لم أجده قبله واتسعت حتى علوت حياتي . وكنت من قبل خاوية ذليلة مستكينة مستضعفة .

وكانت لنا أيام .

محمود المسعدي (حدث أبو هريرة قال ،)
(حديث الغيبة تطلب فلا تدرك)
ص ، 138 ـ 141

1 - شرح المفردات :

1) صوفه ، اي لباسه الخشن الذي قد من صوف .
2) مقطاع الجهد ، صيغة مبالغة من قطع . أي أنها ضيقة الطاقة سريعا ما ينقطع جهدها ويَنفدُ .
3) تواضع ، من تواضع فلان ، تذلل وتخاشع . (مطاوع من وضعه) .

2 - الأسئلة :

- هل عاودت أبا هريرة تجربة الحس أم هو يعيش تجربة وجودية جديدة بين جسد أكلته الخيالات وروح تتوق الى المطلق والمجهول ؟
- ما هي أهمية رأي أبي هريرة في المرأة عمومًا ؟ هل يمكن اعتبار ذلك الموقف موقف الكاتب نفسه ؟ لماذا ؟
- ما هي المسألة التي أراد المسعدي أن يعالجها في هذا النص ؟ كيف عرضها ؟

اَلْغَبْيَةُ تُطْلَبُ فَلَا تُدرَكُ.

التّقديم :

(اقنع أبو هريرة ظلمة ان اللذة لاتغلب وان محاولة الانسان التخلص من المادة واماتة شهواته محاولة فاشلة . وهو في هذا النص يصنف اولئك « المحاولين » ويحلل تجاربهم ويبين ما فيها من تناقض).

كُنْتُ يا ظَلَمَةُ أَرَى المُؤْمِنَ مُرْتَاحًا كَاطْمِئْنَانِ اَلْجَمَالِ تَطْوِي اَلْمَرَاحِلَ طَيًّا وَلَانَصَبَ يَبْدُو وَلَا شَكْوَى وَلَاعِصْيَانَ، فَاشْتَهِي أَنْ أَكُونَ مِثْلَهُ وَأَنْ أَعْضُدَ [1] هَذِهِ اَلْحَيْرَةَ مِنْ قَلْبِي كَمَا تُعْضَدُ النَّخْلُ العَقِيمُ . وَكُنْتُ مِمَّنْ ذَهَبَ إِيمَانُهُ فَجَاءَتْ حَيْرَتُهُ . وَلَيْسَ سِوَاهَا خَلِيفَةً لِلّهِ فِي قُلُوبِ النَّاسِ فَجِئْتُ هَذَا الدَّيْرَ وَقُلْتُ لَعَلِّيَ أَرُوضُ النَّفْسَ عَلَى اَلإِيمَانِ .

وَقَدِ اَنْتَهَى اَلْيَومَ جِهَادِي وَعَلِمْتُ أَنَّ اَلآلِهَةَ لَاتُقَامُ إِذَا هَوَتْ ...

قَالَتْ ظَلَمَةُ ، فَقُلْتُ ، وَهَؤُلَاءِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؟ أَعْنِي الرُّهْبَانَ ، قَالَ ، إِنَّهُمْ خَلِيطٌ كَسُوَيْقَاءِ المَرَقِ . فِيهِمُ الهَوَائِيُّونَ عَبَدَةُ اَلْسَخِيَالَاتِ أَصْحَابُ اَلأَحْلَامِ اَلَّذِينَ يُرِيدُونَ اَلأَرْضَ أَنْ تَرْتَفِعَ إِلَى السَّمَاءِ وَاَلْحَقِيقَةَ إِلَى الوَهْمِ وَالذَّاتَ إِلَى الظِّلِّ . وَقَدْ حَدَّثَنِي بَعْضُهُمْ يَوْمًا فَقَالَ ، أَنْظُرُ الى السَّمَاءِ فَأَرَاهَا نُورًا وَاَلأَرْضَ فَأَرَاهَا مَاءً وَنَفْسِي فَأَرَاهَا شُعَاعًا . وَيَقُولُ ، النُّجُومُ إِخْوَتِي وَزَهْرُ اَلأَرْضِ وِسَادِي وَالشَّمْسُ طَعَامِي. هَلْ أَكَلْتَ مِن الشَّمْسِ ؟ أَنَا طَائِرٌ أَوْ صَخْرٌ أَوْ سَحَابٌ فِي السَّمَاءِ . فَقُلْتُ لَهُ ، فَإِذَا تَيَقَّظْتَ ؟ قَالَ ، لَا أَدْرِي فِي أَيِّ بَلَدٍ وَقَعَتْ وَلَيْسَ مِنْ هَمِّي . وَطَلَبْتُ مِثْلَ أَحْلَامِهِ فَإِذَا صَاحِبُ

ٱلأحلام إذا ذهبت به قتل الدنيا وانقطع الى الفوق فليس في الكون غيره وإن هو إلا خيال . وليس أكره من الخيال عندي . وفيهم الأرضي يلعن ربه أن ليس من طين مثله ويطلب المغالطة كالذئب يتصنع جزة الغنم [2] فكأنه يقول ، يارب نزعت طيني فانزع روحانيتك . ولست ممن يحب الطين أن يرتد إليه كل شيء ...

وفيهم يا ظلمة الأعرج الضعيف النفس يحب الكامل السالم ويكبره فيعبده ويكره ضعف نفسه فيريد ربه أن يقرضه القوة ، وفيهم صاحب الشوق يحن إلى ما يوسوس في صدره من ذكرى القدم . وفيهم يا ظلمة الكفرة مثلك إيمانهم خدعة ، وقد جهدوا أن يعلموني إيمانهم ، ثم نظرت إليهم يركعون ويسجدون لله ويكثرون من ذكره ويجعلونه في السماء يرفعون إليها الأبصار ، فلا يذهب ذلك بشيء من كفرهم ، فإن أكثرهم يلحون في ذكر الله إلحاح الشاك أو المنكر . وبعضا منهم يلحون في ذلك إكثار من ذكر الله ولما يعرفه فلما خاف أن يجده سكن اللسان . إنهم يخلقون ما يعبدون ويطلبون الغيبة ، ولكنهم لم ينجوا من أنفسهم ، بل تفرد بهم شيطان الروح وماتوا ميتة غريبة أحياء في بواطنهم نيام عن الدنيا ، قد اتسعت نفوسهم فغطت عليها . أولئك قوم تاهت قلوبهم وأعيتهم وغرهم ما غرني من أمر البراهمة [3] بالهند ، يظل

الرَّجُلُ مِنْهُمْ عَامَّة دَهْرِهِ يَتَعَبَّدُ حَرًّا أَوْ قَرًّا وَلَا يُغَيِّرُ مِنْ ثِيَابِهِ وَلَا يُحَرِّكُ مِنْ طَرْفِهِ . كَأَنَّمَا ذَهَبَتْ حَيَاتُهُ وَذَهَبَ جَسَدُهُ . فَكَأَنَّه الفَنَاءُ أَوِ الاطْمِئْنَانُ الكَامِلُ . وَلَيْسَ كَذَلِكَ . كَذَا رُهْبَانُ الدَّيْرِ سُكُونٌ وَلَا اطْمِئْنَانَ .

وَقَدِ ٱرْتَضْتُ رِيَاضَتَهُمْ وَتَلَوْتُ ٱلْأَدْعِيَةَ وَصَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ . وَأَمْسَكْتُ نَفْسِي أَنْ تُكَابِرَ ٱللَّه فَلَمَّا ٱنْتَهَيْتُ فَقَدْتُ نَفْسِي ، فَفَرِحْتُ وَقُلْتُ ، فَنَيْتُ فِي رَبِّي ، وَقُلْتُ:هُوَ ٱللَّهُ.ثُمَّ طَلَبْتُهَا فإِذَا هِيَ حَاضِرَةٌ لَمْ تَغِبْ ، وَإِنَّمَا ٱنْقَلَبَ الشَّكْلُ ، وَإِذَا رُوحِي لَغْوٌ [4] مِنَ ٱلْأَنَاجِيلِ وَعَقْلِي نَسِيجٌ مِنَ ٱلْحُرُوفِ وَقَلْبِي مِنَ الظُّلُمَاتِ وَرَبِّي وَهْمٌ مِنَ ذَلِكَ وَلِيدٌ ، وَإِذَا عَلَى لِسَانِي لَعْنَةُ ذِي ٱلْمَسْغَبَةِ [5] يُطْعَمُ الزَّقُّومَ [6].

وَنَظَرْتُ إِلَيْهِم عَلَى ٱخْتِلَافِ مَذَاهِبِهِمْ ، فَرَأَيْتُهُم يَخْدَعُونَ أَنْفُسَهُمْ أَوْلَا يَعْلَمُونَ مَا يَفْعَلُونَ ، أَوْ يَكُونُونَ أَدْخَلَ مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ فِي الرُّوحِ يَطْلُبُونَ مَحَلَّ ٱلْآلِهَةِ وَيَقُولُونَ ، لَقَدْ تَأَلَّه ٱلْمَسِيحُ مِنْ قَبْلِنَا . ـ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ لَايَتَخَلَّصُونَ مِنَ ٱلْحَاجَة تُنْزِلُهُمْ الى الغَائِطِ [7] وَلَا مِنَ الطَّعَامِ يُحَرِّكُ فُكُوكَهُمْ كَالإِبِلِ تَجْتَرُّ وَلَا مِنَ الشَّهْوَة يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . فَقُلْتُ ، سُحْقًا لآلِهَةٍ كَالقِردة أَوْ كَالحَمِيرِ . وَقُلْتُ ، سُحْقًا لِرَهْبَنَةٍ لَا تَكُونُ إِلَّا تَأَلُّهًا مُسْتَحِيلًا أَوْ غُرُورًا مُؤْلِمًا . ثُمَّ خَرَجتُ عَنْهُمْ وَعَنْهَا .

ـَـالَتْ ظُـلْـمَـةُ ، فَـقُـلْـتُ ، وَقَـدْ أَخْـرَجْـتَـنِـي فَـإِذَا لِـلْـجَـسَـدِ مَـسْ ٱلْـجَـديـدِ ٱلْـمُـعَـادِ ٱلْـخَـلْـقِ فَـلَـمْ يَـقُـلْ شَـيْـئًـا وَضَـمَّـنِـي إِلَـيْـهِ ، ثُـمَّ هَـبَـطْـنَـا الأَرْضَ .

محمود المسعدي (حدث أبو هريرة قال ،)
(حديث الغيبة تطلب فلا تدرك)
ص ، 143 ـ 148

1 ـ شـــرح المفـــردات :

1) أعضُـدُ ، عَضَدَ : قَطَعَ الشَّجَرَةَ بالمعضد وهو حديدةٌ كَالْمِنْجَلِ .
2) جِزَّة الغَنَم : ج جِزَز وَجَزَائِز ، مَا يُجَزُّ من صوف الشاة في السنة .
3) البراهمة ، طائفة من الهنود واحدهم بَرْهَمِي يحرمون لحوم الحيوان خاصّة .
4) اللغـو : السفه من الكلام ومالا يُعتد به منه .
5) المسغبَة ، الجوع ..
6) الزقوم ، كل طعام يقتل وهي أيضا شجرة ذكرت في القرآن . منها يطعم أَهْلُ جهنَّمَ .
7) الغائط : مَا يُلْفَظُ مِنْ ٱلْبَطْنِ عِنْدَ قَضَاءِ ٱلْحَاجَةِ .

2 - ٱلأَسْئلـــة :

- لماذا لا يثق أبو هريرة في الرياضة النفسية التي يحياها المتعبد المعتزل ؟
- لماذا جعل المسعدي الغيبة تطلب فلا تدرك ؟
  وهل توجد طريقة تمكن منها حسب أبي هريرة ؟
- هل يمكن للانسان أن يدرك المطلق وأن يفنى في الله أم ذلك تاله مستحيل وغرور مؤلم ؟

حَـدِيثُ ٱلْحِكْمَـــةِ .

أقبَلَ أبو هريرة على البحر ، فوجد رجلا غريب الاطوار ، هو أبو وغال ، قد سبق له أن مات ميتتين ، وفي الثانية منهما ذهب إيمانه بالناس ومعاشرتهم وتاق الى الوحدة ، فخرج عنهم .

فَأَنَا هُنَا مِنْ يَوْمِ خُرُوجِي ،

جِئْتُ هَذَا البَحْرِ وَهَاتِهِ ٱلْجِبَالَ ٱلَّتِي لاَتَرَى فِيهَا إِلاَّ صُخُورًا هَاوِيَةً عَلَى صُخُورٍ هَاوِيَةٍ وَقُلْتُ ، أَكُونُ أَوْ لاَ أَكُونُ ، وَكَانَتْ قَبْلُ حَيَاتِي قَبِيحَةً شَوْهَاءَ لِأَنِّي لَمْ أَحْذِفْ زَوَايَاهَا وَلَمْ أُهَذِّبْ النَّاتِئَ فِيهَا وَلَمْ أَنْزَعْ مُتَنَاقِضَهَا ، فَجُرْتُ حَتَّى أَفْنَيْتُ النَّاسَ جَمِيعًا فِي نَفْسِي وَخَلَوْتُ بِهَا ، فَخَلَقْتُ لِي سَبِيلاً فَأَنَا عَلَيْهَا وَلاَ قَافِلَةَ وَلاَ رَفِيقَ ، فَكَأَنِّي قَدْ أَضَعْتُ ظِلِّي وَٱسْتَحَالَ عَلَيَّ.أَلَمْ تَرَ أَنِّي لاَ ظِلَّ لِي ؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَقُلْتُ ، لَمْ أَرَ وَٱللَّهِ . فَقَالَ ، وَقَفْتُ يَوْمًا فَإِذَا هُوَ قَدْ تَمَادَى فِي طَرِيقِهِ كَالرَّاحِلَةِ تَعْصِيكَ وَتَطْرَحُكَ وَتَسِيرُ ، أَوْ كَرُوحِ المَيْتِ ، ثُمَّ جَعَلَ أَبُو رِغَالٍ يَضْحَكُ فَيُقَهْقِهُ فَأَجِدُ مِنْهُ كَالبَرْدِ . ثُمَّ سَكَتَ فَقَالَ ، فَلَمَّا ضَاعَ ظِلِّي جِئْتُ البَحْرَ وَخَلَوْتُ إِلَى ٱلْحِكْمَةِ وَقُلْتُ ، لاَبُدَّ أَنْ أَخْرُجَ مِنْ تَنَاقُضِي فَالرُّوحُ وَٱلْجَسَدُ كَالْحُوتِ فِي ٱلْمَاءِ أَوْ لاَ يَكُونَانِ وَيُهْلِكُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ ، وَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَ كَاتِّحَادِ ٱلْجَسَدِ وَٱلْبَحْرِ يَتَمَالَكَانِ وَيَتَغَالَبَانِ وَيَتَلاَعَبَانِ ، فَيَحْمِلُ ٱلْجَسَدُ ٱلْمَاءَ وَلاَ يَمُنُّ عَلَيْهِ ، لاَ كَالرُّوحِ تَحْمِلُهُ وَتَمُنُّ عَلَيْهِ وَتَكْرَهُهُ وَتَقْضِي عَلَيْهِ ، وَقُلْتُ ، ٱلْحِكْمَةُ

ٱلاعْتِدَالُ وَقَدْ تَمَّتْ لِي . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَسَأَلْتُهُ ، وَمَا ٱلاعْتِدَالُ ؟ فَقَالَ ، ٱعتِدَالُ الحُوتِ أَوْ المَوْتِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ . وَإِنَّهُ لَيْسَ كَالحَرَكَةِ الدَّائِمَةِ قَاتِلٌ وَلَا كَالسُّكُونِ ٱلمَحْضِ سَعَادَةٌ وَشِفَاءٌ . فَقُلْتُ ، وَمَا كَانَ مِنْهُ ؟ قَالَ ، أَتُرِيدُ أَنْ تَرَى ؟ قُلْتُ ، نَعَمْ . قَالَ ، هَات يَدَكَ . ثُمَّ أَخَذَنِي مِنْ يَدِي فَذَهَبَ بِي إِلَى صُخُورِ ٱلجَبَلِ فَقَالَ ، انْظُرْهَا مُتَدَلِّيَةً فِي ٱلجَوِّ لَاتَشُدُّ إِلَى شَيْءٍ وَقَدْ غَلَبَتْ تَجَاذُبَ ٱلأَجْرَامِ [1] كَمَا غَلَبْتُ ٱلأَرْضَ بِالبَحْرِ . فَنَظَرتُ فَلَمْ أَرَ شَيْئًا . فَقُلْتُ ، أَنَا لَا أَرَى شَيْئًا . قَالَ ، أَنْتَ أَعْمَى يَا هَذَا أَوْ لَا تَرَى مَا تَحتُ عَلَيْهَا مِنْ صُوَرٍ وَأَشْكَالٍ ؟ هِيَ مَا كَانَ مُمْكِنًا مِنَ الخَلْقِ ثُمَّ ٱسْتَحَالَ . ٱنْظُرْ ... هَذَا مَخْلُوقٌ تُخْبِلُهُ ٱلسَّمَاءُ ثُمَّ لَايَكْتَفِي فَيَحْبَلُ وَيَلِدُ دُونَهَا . عِلَّةُ الخَلْقِ وَالوِلَادَةِ . عِلَّةُ ٱلأَرْضِ وَبَنِيهَا . وَهَذَا أَلَا تَرَاهُ ؟ إِنَّهُ جَسَدٌ وَلَا صُورَةَ وَذَاتٌ وَلَا صِفَاتٍ ، كَأَنَّهُ نَجْمٌ مَاتَ وَلَمَّا يَنْقَطِعْ نُورُهُ ، هُوَ أَنْتَ ، هُوَ أَنَا ، مُسْتَحِيلًا . وَهَذَا أَيْضًا ، ٱنْظُرْهُ فِي خُشُوعِهِ كَأَنَّهُ العَيْنُ يَغْشَاهَا القَذَى . [2] أَنْتَ حِمَارٌ لَيْسَتْ لَهُ أُذُنَانِ وَإِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ أَنَا وَأَنِّي أَنْتَ وَأَنَا غَيْرُنَا،وَأَنَّ ٱلجَنَّةَ مِنْ نَفْسِكَ كَمَا كَانَتْ نَفْسُكَ مِنْ تُرَابٍ فَصَارَتْ طَائِرًا فِي السَّمَاءِ ، وَهَاتِهِ كُلُّهَا كَٱلمَخْلُوقَاتِ ٱلَّتِي حَبَسْتُهَا بِغَارِي ، أَتُرِيدُ أَنْ تَرَاهَا ؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ، وَكَانَ فِي عَيْنِهِ وَهُوَ يَقُولُ كَمِثْلِ ثُورِ النَّبِيِّ يُوحَى إِلَيْهِ . فَقُلْتُ ، نَعَمْ . وَأَنَا لَا أَجْرُؤُ عَلَى ٱلِامْتِنَاعِ خَشْيَةَ جُنُونِهِ فَذَهَبَ بِي إِلَى كَهْفٍ فِي ٱلجَبَلِ

مُظْلم ضَيّقٍ كَسَاعَةِ شُؤْمٍ ، وَوَقَفَ بِي عَلَى بَابِهِ وَقَالَ ، لَقَدْ جَعَلْتُ بِقَصْرِي هَذَا جَمَاعَةً مِنَ الخَدَمِ وَٱلْجَوَارِي ٱلْحِسَانِ لاَ آكُلُ مِنْهُمْ أَحَدًا . إِنَّمَا إِذَا نَفَدَتْ رُوحِي عَمَدْتُ إِلَى أَحدِهِمْ فَقَتَلْتُهُ وَتَلَطَّخْتُ بِدَمِهِ فَأَنَا مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ، هَذَا طَعَامُ الرُّوحِ ، أَلاَ تَنْظُرِ إِلَيْهِمْ فِي أَغْلاَلِهِمْ [3] كَٱلأُسُدِ ؟ ثُمَّ تَقَدَّمْنَا قَلِيلاً فَنَظَرْتُ فَإِذَا جِرَاذَاتٍ كَثِيرَةٌ مَشْدُودَةٌ بِخُيُوطٍ حَمْرَاءَ ، فَقُلْتُ ، إِنَّهَا لَبَدِيعَةُ ٱلْحُسْنِ ، فَجَلَسَ يَمْسَحُ عَلَيْهَا وَيَقُولُ ، إِنَّ دِمَاءَهُمْ مَنُوطَةٌ بِٱلْفَلَكِيَّاتِ [3] لاَ تَقَعُ لِلنَّفْسِ النَّاطِقَةِ أَوِ العَقْلِ الفَعَّالِ [6] إِلاَّ مِنْ نُورِ الهَيُولَى [7] ، وَلَوْ جَازَ تَعَدُّدُ ٱلْعِلَلِ وَانْتَفَتِ الفَاعِلَةُ وَٱلْمَادِيَّةُ وَالصُّورِيَّةُ وَالغَائِيَّةُ لَكَانَ تَعَلُّقُ النَّفْسِ بِالجَسَدِ مِنْ تَعَلُّقِ ٱلْجَرَبِ بِالشَّاةِ ٱلْجَرِبَةِ ، لَكِنَّ ٱلْوَاجِبَ بِذَاتِهِ وَٱلْوَاجِبَ بِغَيْرِهِ لاَ يَلْتَقِيَانِ إِلاَّ وَيَتَنَاطَحَانِ ، وَهُمَا لاَيُكَافِئَانِ ٱلْوَاجِبَ ٱلْوُجُودِ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنْ فَرْقٍ فِي التَّجْرِيدِ وَٱلإِبْدَاعِ وَالتَّدْبِيرِ ، وَشَرَائِطُ الامْتِنَاعِ كَشَرَائِطِ ٱلإِمْكَانِ بَابُهَا وَاسِعٌ كَالْبَحْرِ . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ، فَقُلْتُ ، لَقَدْ مَاتَ مَوْتَةً الآخِرَةَ ، وَقُلْتُ ، نَعَمْ ، هِيَ أَحْلاَمُكَ كَالسَّمَكِ يُصَادُ فَيُؤْكَلُ الشَّصُّ وَتَتَّقِدُ مَصَابِيحُ دِجْلَةَ وَالفُرَاتِ . قُلْتُ ذَلِكَ مُجَارَاةً لِجُنُونِهِ وَٱنْطَلَقْتُ أَضْحَكُ وَٱنْطَلَقَ حَتَّى ٱسْتَلْقَيْنَا ، ثُمَّ قَالَ ، أَنْتَ مَجْنُونٌ فَٱرْتَعْتُ وَٱنْزَعَجْتُ حَتَّى ٱرْتَعَدْتُ وَٱهْتَزَزْتُ وَخِفْتُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ حَقَّ اليَوْمِ أَوْ غَدٍ .

فَلَمَّا خَشِيْتُ عَلَى عَقْلِي قُلْتُ ، لَمْ يَبْقَ إِلاَّ أَنْ أَطْلُبَ النِّهَايَةَ .

وَأَرَدْتُ ٱلانْصِرَافَ فَقَالَ ، أُحِبُّ أَنْ تَصْبِرَ حَتَّى أُهْدِيَكَ شَيْئًا ، ثُمَّ غَابَ فِي ٱلْجَبَلِ فَجَاءَنِي بِقَلَمٍ وَقِرْطَاسٍ وَقَالَ ، قَدْ تَحْتَاجُ إِلَيْهَا يَوْمًا فَتَجْعَلَ عَلَيْهَا خُطُوطًا وَدَوَائِرَ وَنُقَطًا فِي وَسَطِهَا بَيَاضٌ .

فَأَخَذْتُهَا وَٱنْصَرَفْتُ مُظْلِمَ العَقْلِ وَالقَلْبِ .

محمود المسعدي (حدث أبو هريرة قال ،)
حديث الحكمة ص ، 166 ـ 171

1 - شـــرح المفـــردات ،

1) الاجَـرامُ ، ج جِرْم الأجرام الفلكيّةُ أي النجُومُ .
ذات ، الجوهر والنفس .
صفات ج صفة ، أمارة الشيء وما ينعت به .
2) القَذَى ، ما يَسْقُطُ في العَيْنِ من تُرَابٍ أوْ قَشٍّ وَغَيرِهِمَا .
3) الأغْلاَلُ ، ج غلٌّ ـ القَيْدُ والسِّلاَسِل توضَعُ في يدي الأسير أو عُنقه أو رجليه.
4) الفَلَكِيّاتُ ، كل مَا يَتَعَلَّقُ بمدار النُّجُوم وَتَحرّكَاتِهَا .
5) النفس الناطِقَةُ ، يقسمُ الفلاسِفَة نفس الانسان الى ثلاثة أقسام . النفس الناطقة ـ وهي أشرفها ـ ومركزها الدماغ . والنَّفْسُ ٱلْغَضَبِيَّةُ وَالنَّفْسُ ٱلشَّهَوِيَّةُ
6) العَقْلُ الفَعّال ، هو جَوْهر بسيطٌ رُوحَانِيٌ . فيه جَمِيعُ صُور الموجُودَاتِ غيرُ متَراكمة ولا متزاحِمَةٍ كَمَا تَكُونُ صُور المصْنُوعات في نفس الصَّانع قَبْلَ إِخْرَاجِهَا .
7) الهَيُولَى ، جَمْع هَيُولِيَات . هِيَ المادة الأولَى .

2 - الأسئلـــة :

- ما هو موقف أبي رغال من الجسد والرّوح وما هِيَ الصلةُ التي تتضِحُ لأبي هريرةَ بينَهُما ؟
- كيف وجد أبو هريرة متصورات أبي رِغَال وفهْمَهُ لِواقع الاشْياء فِي الطَّبِيعَةِ ؟
- مَا هُوَ الرمزُ الّذي يَقْصُدُه المسعدي بِالْقِرْطَاسِ وَالقَلَم هَدِيَّةِ أبي رِغَالٍ لأبي هُرَيْرَةَ ؟
- هل وَجَدَ أبو هُرَيرةَ اتّجَاهًا جَدِيدًا عِنْدَ مُلاَقَاةِ أبي رغال يُعَوِّضُ بِهِ يَأسَهُ من الناس ونفورَهُ من معاشرتهم بعد أنْ خَبِرَهم وَتَعَمقَ فِي مَعْرِفَتِهم ؟
- ما هو أثرُ الثقافة الفلسفية الاسلامية على تفكير الكاتب وأسْلُوبِهِ فِي هَذَا النصّ ؟

مِـــنْ لَهْـــوِ أَبِي هُرَيْـــرَةَ.

التَّقْـــدِيـــم :

(تأثر أبو هريرة بتجربة أبي رغال ، فأراد أن يطلب النهاية . أرسل الى أبي المدائن ، وخرج معه في تجربة « البعث الآخر » ، فركبا فرسيهما وسارا في الظلام حتى وصلا جبلاً حزيزا صعبا وقد أصاب الجهد أبا المدائن وفرسه . فأراد أبو هريرة أن يروي له ملحة ظريفة تحمل عن أبي المدائن مشقة السير.)

ضَحِكَ وَقَالَ ، أَلَا تَسْمَعُ ظَرِيفَةً تَحْمِلُ عَنْكَ مَشَقَّةَ السَّيْرِ ، قُلْتُ ، هَاتِهَا.وَكَانَ عَهْدِي بِهِ لَطِيفَ الظَّرْفِ إِذَا أَرَادَهُ.قَالَ ، أَظْلَمْتُ يَوْمًا فَطَلَبْتُ لُعْبَةً أَوْ عَبَثًا أَفَرِّجُ بِهِ عَنِي . فَجَمَعْتُ صَحَابَةً لِي عَلَى دَعْوَةٍ دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهَا . وَكَانُوا كُلُّهُمْ مِنْ أَهْلِ ٱلْحِكْمَةِ وَٱلْأَدَبِ لَا يَسْكُنُونَ عَنْ ذِكْرِ ٱلْآخِرَةِ وَلَا يَتَّبِعُونَ ٱلْهَوَى وَلَا يَشْرَبُونَ إِلَّا سِتْرًا، فَلَمَّا حَضَرُوا ضَرَبْتُ لَهُمْ أَلْوَانَ الطَّعَامِ وَالنَّبِيذِ ٱلْجَيِّدِ فَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ إِلَى النَّبِيذِ وَلَا يَجْرُؤُونَ عَلَيْهِ وَهُمْ مُنْكِرُوه عَلَيَّ ، فَقُلْتُ: كُلُّكُمْ يَشْرَبُ فَلَا حَيَاءَ فِي ٱلْجَمَاعَةِ وَكُنْتُ شَرِبْتُ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى حِدَةٍ وَخَلْوَةٍ ، فَٱسْتَبْشَرُوا وَتَضَاحَكُوا وَقَالَ الوَاحِدُ لِلآخرِ ، وَأَنْتَ أَيْضًا . ثُمَّ أَكَلُوا وَشَرِبُوا حَتَّى ٱنْقَلَبَ كُلُّه فَرَحًا ، فَلَمَّا ٱكْتَفَوْا وَأَثْنَوْا عَلَى طَعَامِي وَطَابِخَتِهِ وَنَبِيذِي وَسَاقِيَتِهِ قُلْتُ ، وَٱلَّذِي ٱدَّخَرْتُ لَكُمْ خَيْرٌ،فَارْتَمَت ٱلْأَنْفُسُ مِنَ ٱلْعُيُونِ إِلَى ذَخِيرَتِي ، فَأَشَرْتُ إِلَى الجَارِيَةِ بِشَيْءٍ فَقَالَتْ ، نَعَمْ،وَٱنْفَجَرَتْ ضَحِكًا حَتَّى كَادَتْ تَكْشِفُ ٱلْأَمْرَ كَشْفًا وَيَصْحُو أَصْحَابِي فَزَجَرْتُهَا فَلَوَتْ وَخَرَجَتْ ثُمَّ عَادَتْ وَأَوْمَأَتْ أَنْ قَدْ تَهَيَّأَ ٱلْأَمْرُ فَأَخَذْتُ أَصْحَابِي وَهُمْ

كَأَنْفَاسِ الرَّيْحَانِ وَخَرَجْتُ بِهِمْ إِلَى مَجْلِسِ الغِنَاء فَقَالُوا ، أَقَيْنَةَ لاَنَعْرِفُهَا ؟ قُلْتُ ، نَعَمْ ، وَلَمْ تَسْمَعُوا وَاللَّهِ مِثْلَهَا . فَصَاحُوا إِعْجَابًا وَدَخَلْنَا الْمَجْلِسَ وَقَدْ ضُرِبَتْ فِيهِ سِتَارَةٌ فَأَجْلَسْتُهُمْ وَقُلْتُ ، الآنَ تَسْمَعُونَ . وَضَرَبْتُ فِي يَدِي فَسَمِعُوا مِنْ وَرَاء السِّتَارَة صَوْتًا وَغِنَاء وَضَرْبًا رُومِيًّا لَمْ يَجِيءْ بِمِثْلِهَا أَحَد قَطُّ ، ثُمَّ سَكَنَ الغِنَاءُ وَقَامَتْ أَصْوَاتُ أَصْحَابِي بِالإِعْجَابِ فَقُلْتُ ، أَلاَ تَسْمَعُونَ ؟ فَسَكَتُوا فَإِذَا بِبَبِغَاءَ مِنْ وَرَاء السِّتَارَة يَحْكِي كَلاَمَهُمْ أَقْبَحَ حِكَايَةٍ . فَضَحِكُوا فَضَحِكَ الْبَبِغَاءُ ضَحِكًا مُشَوَّهًا كَرِيهًا . وَتَكَلَّمُوا ثَانِيَةً فَفَعَلَ بِهِمْ مِثْلَ فِعْلِهِ الأَوَّلِ ، وَأَنَا أَنْظُرُهُمْ وَأَبْتَسِمُ حَتَّى غَضِبُوا ، فَغَضِبَ الْبَبِغَاءُ ، وَأَرَادُوا الانْصِرَافَ فَأَرَادَ ذَلِكَ فَضَحِكْتُ وَاللَّهِ حِينَئِذٍ حَتَّى اسْتَلْقَيْتُ . ثُمَّ قُلْتُ : اصْرِفُوا مَلْنَاسَ ، وَكَانَ ، اسْمَ الْبَبِغَاء ، فَصَرَفُوهُ وَسَكَنَ الغَضَبُ وَالانْصِرَافُ عَنْ أَصْحَابِي وَقَالُوا ، لَنَا عَلَيْكَ بَعْدَ هَذِهِ السُّخْرِيَةِ أَنْ تُسْمِعَنَاهَا مَرَّةً ثَانِيَةً ، يَعْنُونَ القَيْنَةَ ، فَقُلْتُ ، نَعَمْ ثُمَّ صَفَّقْتُ بِيَدِي فَصَفَّقَ الْبَبِغَاءُ بِجَنَاحَيْهِ ، فَسَمِعُوا أَحْسَنَ مِمَّا سَمِعُوا قَبْلاً حَتَّى ذَهَبَ بِعُقُولِهِمْ وَصَاحُوا كُلُّهُمْ ، لَقَدْ أَغَنَّتْ غُنَّةً [1] عَجِيبَةً ، تُخْرِجُهَا لَنَا فَهْيَ مِنْ بَنَاتِ الجِنِّ أَوِ الْجَنَّةِ ، قُلْتُ ، بَلْ مِنْ بَنَاتِ الرُّومِ . زَرْقَاءُ العَيْنِ صَفْرَاءُ الجِلْدِ حَمْرَاءُ الشَّعَرِ كَأَنَّهَا الدُّنْيَا فَقَامُوا كُلُّهُمْ وَصَرَخُوا كَالْوَاحِدِ ، تَهَبُهَا لِي لَيْلَةً.قُلْتُ ، أَمَّا الآنَ فَلاَ ، وَلَكُمْ عَلَيَّ ذَلِكَ كُلٌّ بِدَوْرِهِ وَأَبْدَأُ بِأَكْبَرِكُم سِنًّا ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ الآنَ نَاظِرُوهَا ، ثُمَّ

قُمْتُ فَأَزَحْتُ السِّتَارَةَ فَإِذَا وَرَاءَهَا الببغاءُ فِي قَفَصِهِ ، وَجَارِيَةٌ لِي عَجُوزٌ تُحْسِنُ الضَّرْبَ وَلَيْسَ أَنْكَرَ مِنْ صَوْتِهَا وَكَانُوا يَعْرِفُونَ ذَلِكَ مِنْهَا فَقَالُوا ، وَأَيْنَ رُومِيَّتُنَا ؟ قُلْتُ ، هِيَ ذِي ، وَأَشَرْتُ إِلَى الببغاء وَكُنْتُ وَقَفْتُ عَلَيْهِ عِنْدَ تَاجِرٍ أَخَذَهُ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ فِي بَعْضِ قَوَافِلِهِ إِلَيْهَا وَلَمْ يُقَدِّرْ لَهُ قَدْرَهُ فَبَاعَنِيهِ ثَمَنًا بَخْسًا [2] . عَلَى غَرِيبِ مَا كَانَ يُحْسِنُ مِنْ حِكَايَةِ ٱلْأَصْوَاتِ حَاضِرِهَا وَمَاضِيهَا . فَجَعَلْتُ مِنْهُ مَلْهَاةً فِي تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ . فَلَمَّا قُلْتُ ذَلِكَ شَتَمَنِي أَصْحَابِي حَتَّى أَفْحَشُوا وَٱنْصَرَفُوا انْصِرَافًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَعْدَهُ عَوْدٌ ، وَبَقِيتُ أَعْتَبِرُ الببغاءَ .

محمود المسعدي (حدث أبو هريرة قال ،)
(حَدِيثُ ٱلْبَعْثِ ٱلْآخِرُ) ص ، 182 ـ 185

1 - شـــرح المفـــردات :

1) أغنت غنة ، مِنْ غَنَّ يَغُنُّ غَنًّا وَغُنَّةً ، كَانَ فِي صوته غُنَّة . وهو صوت يخرج من الخيشوم .
2) ثمنا بخسا ، ثَمَنًا مُنْخَفِضًا ، زَهِيدًا .

2 - الأسئلـــة :

- أبرز نزعة الكاتب الى النقد في هذا النص . وخاصة النقد الأخلاقي . ما هي المظاهر التي أراد انتقادها ؟
- عمّ يدلّ في نظرك اختيار أبي هريرة لهذا النوع من اللهو والعبث . وخاصة مع هذا الصنف من الناس ؟
- هل يدل عبث أبي هريرة في هذا النص عَلَى قلق وجودي ؟ بين ذلك .

آلبَعثُ الآخِـرُ

التّقـــديـــم :

(هذا النص مواصلة للنص الفارط . وفيه يقبل أبو هريرة على نهايته التي تجاءَ الى الجبل ينشدها . وفي ذلك نهاية تجربته مع الحياة والوجود ، فهو الخلاص بالنسبة إليه بعد ان مرّ بتجارب وجوديّة عدّة ولم يجد الرّوح الذي سعى جاذا الى وجوده وتحقيقه).

قَالَ أبُو المَدَائِنِ :

فَجَعَلْتُ أضْحَكُ مِنْ قِصَّتِهِ مَعَ أصْحَابِهِ حَتَّى كِدْتُ أقَعُ وَلَمْ أتَمَالَكْ عَنْ رِيحٍ سَمِعَهَا أبُو هُرَيْرَةَ ، فَضحِك وَقَالَ ، آنْتَقَضَ وُضُوؤُكَ وَقَدْ حَانَتِ الصَّلاَةُ.فَخجِلْتُ وَأمْسَكْتُ عَنِ الضِّحِكِ وَسَكَتْنَا جَمِيعًا . وَمَضَتْ لَنَا سَاعَة ثُمَّ إذَا هَاتِفٌ يَهْتِفُ شِعْرًا فِي صَوْتٍ مَا سَمِعْتُ أرْوَعَ مِنْهُ ،

أنَا الحَقُّ يُنَادِيكْ

أنَا الحُبُّ يُنَاغِيكْ

أنَا الشَّوْقُ طَغَى فِيكْ ...

فَأسْمَعُ أبَا هُرَيْرَةَ يُغَنِّي وَكَأنَّهُ النَّارُ آتَقَدَتْ أوِ آللّهُ يُنَادِي فِي الكَوْنِ بِالبَعْثِ ...

أيَا حَقُّ لبَّيْكْ

تَبَارَكْتَ لبَّيْكْ

حَبِيبِي جَلاَلَيْكْ

أنَا الآنَ إلَيْكْ ...

ثُمَّ سَكَتَ فَإِذَا أَنَا أَسْمَعُهُ يَقُولُ ، هَذَا مَا كُنْتُ أَطْلُبُ.أَتَذْكُرُ يَا أَبَا الْمَدَائِنِ يَوْمَ وَقَفْتُ عَلَيْكَ بِدُكَّانِكَ أَشْتَرِي عَنْكَ شَيْئًا فَجَاءَنِي مَنْ أَخْبَرَنِي بِمَرْيَمَ وُلِدَتْ ؟... يَعْنِي وَاحِدَتَهُ وَقَدْ مَاتَتْ صَغِيرَةً ... وَلَمْ يَكَدْ يُتِمُّ كَلَامَهُ حَتَّى حَثَّ فَرَسَهُ وَأَرْسَلَهُ كَالرِّيحِ فَأَسْمَعُ حَوَافِرَه عَلَى الصُّخُورِ كَالرَّعْدِ ، وَغَابَ عَنِّي فِي اللَّيْلِ . فَلَمْ تَمْضِ هُنَيْهَةٌ حَتَّى سَمِعْتُ صُخُورًا هَاوِيَةً وَصَهِيلَ أَلَمٍ وَصَيْحَةً كَصَيْحَةِ الفَرَحِ تَمْلَأُ الوَادِي ، وَاقْشَعَرَّ لَهَا جِلْدِي فَكَأَنَّ الْأَمْرَ مَأْدُبَةُ شَيَاطِينَ . ثُمَّ سَكَنَ كُلُّ شَيْءٍ وَنَادَيْتُ فَلَمْ يُجِبْنِي أَحَدٌ فَلَزِمْتُ مَكَانِي إِلَى الصَّبَاحِ . فَلَمَّا أَصْبَحْتُ نَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا عَلَى قِمَّةِ جَبَلٍ يَكَادُ يَبْلُغُ السَّمَاءَ . وَإِذَا دَمٌ عَلَى الصَّخْرِ وَإِذَا تَحْتِي هَاوِيَةٌ يَقْصُرُ عَنْهَا مَدَى الْعَيْنِ .

رَحِمَ اللَّهُ أَبَا هُرَيْرَةَ ، لَقَدْ كَانَ أَعْظَمَ مِنَ الْحَيَاةِ ... .

محمود المسعدي (حدث أبو هريرة قال :)
(حديث البعث الآخر) ص : 185 ـ 189

- **الأسئلـــة :**

1 - ما هي في نظرك العلاقة بين ابنة أبي هريرة « مريم » والهاتف الذي سمعه يناديه وحثه فرسه الى الهاوية ؟

2 - كيف كانت نهاية أبي هريرة ؟ بماذا تفسر مفهوم « البعث الآخر » الذي قصده الكاتب ؟

3 - ماذا يعني أبو المدائن بقوله عن أبي هريرة « لقد كان أعظم من الحياة » ؟ ما رأيك أنت في أبي هريرة ؟

أبو هريرة بين التجربة الذاتية والتجربة الجماعية.

شعر أبو هريرة بخطورة حصر كيانه في حدود فرديته الضيقة بعد أن جرب عالم الحس بالجمال والمتعة والحب. فخروجه من جموده إلى دنيا الحركة واللذة وصحبة ريحانة وأنسها لم يدوما طويلا إذ سرعان ما ترك كل ذلك وفضل الحيرة في الناس. فقد وجد في وحدته عجزا وبترا. فتاق إلى الكثرة والعدد. وأقبل على قوم يتقاتلون زمن القحط. وعلمهم الثورة ودلهم على جني الثمار. لكن الدافع إلى ذلك لم يكن حبا في الجماعة بل حبا للذات.

وهذا يظهر في أقواله ... فقد سأله أبو المدائن مرة، « وما أحوجك يا أبا هريرة إلى غيرك ؟ فقال « لا أدري. أو لعله ضيق محبس النفس الفرد ». فحاجته إلى الجماعة إذن ليست وليدة الرغبة في الاشتراك معهم في عمل خلاق متميز يغير وجه الأرض وكيان الإنسان. إنما الحاجة وليدة قلق نفسي يريد أن يتبدد في عشرة الناس ...

ومن الطبيعي أن تخفق هذه التجربة الاجتماعية إذ لم يوجهها وجهة جماعية. ورجل وجه إقباله على الناس هذه الوجهة الفردية لا يمكن أن يجد ضالته. ولا يمكن أن يفعل شيئا مجديا. فالمنطلق ذاته خاطىء من الأساس. فكيف يمكن أن يثمر ؟

لِذٰلِكَ ٱعْتَزَلَ أَبُو هُرَيْرَةَ النَّاسَ مِنْ جَدِيدٍ وَهُوَ وَاعٍ أَوضَحَ مَا يُكُونُ الوَعْيُ بِغَايَتِهِ مِنْ عِشْرَتِهِمْ وَكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ ... فَهُوَ عَنْ نَفْسِهِ يَبْحَثُ لَا عَنْ صَالِحِ النَّاسِ . وَمَا يَأْسُهُ مِنَ النَّاسِ إلا يَأْسٌ مَنْ ذَاتِهِ . لِذٰلِكَ سَيَتَحَول إِلَى طلب الغَيْبَةِ [1] وَٱلإِيمَانِ . وَلَن يُدْرِكَهُمَا أَيْضًا مَا دَامَ سَعْيُه سَعْيَ الوَاحِدِ وَٱلأُوْحَدِ . وَلَنْ يَجِدَ الخَلَاصَ إلاَّ فِي ٱلاتِّصَالِ وَٱلاتِّحَادِ ، لَكِنَّهُ اتحاد بالعَالَمِ العُلْوِيِّ . وَكَمْ كُنَّا نَوَدّ أَن يَكُونَ بِعَالَمِ النَّاسِ ٱلأَرْضِيِّ .

محمود طرشونة

(الادب المريد في مؤلفات المسعدي)طبعة أولى .

تونس 1978 ـ ص : 68 ـ 70

1 - شرح المفردات :

1) طَلَبَ الغَيْبَةِ : إشَارَة إِلَى حَدِيثِ « الْغَيْبَة تُطْلبُ فَلَا تُدْرَكُ » من « حَدَّثَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ » لِلمسْعَدِي .

2 - التعريف بِٱلكَاتِبِ :

محمود طُرشُونة : أديبٌ تونسيٌ معاصرٌ وُلِدَ بِصَفاقس سنة 1941 . تحصَّلَ عَلَى شَهَادَة التبريز سَنَة 1961 وَنَشَرَ قِصصًا قصيرةً وأعمالاً نقديّة في الصُحُف والمجَلاَتِ التونسية منذ سنة 1962 . وهو الآن أستاذ فِي كُلِّيَّةِ الآدابِ بِتُونس . وَيُعِدُّ أُطْرُوحَةَ دُكْتُورَاه دَوْلَةٍ حَوْلَ أَهْلِ الكُدْيَةِ فِي ٱلادَبَيْنِ القَصَصِيَّيْنِ العَرَبِيِّ وَٱلاسْبَانِيِّ . صَدَرَتْ لَهُ مَجْمُوعَةٌ قَصَصِيَّةٌ بِتُونِسْ سَنَةَ 1977 بِعُنْوَان « نَوَافِذ » وَكِتَابُ « ٱلأَدَبُ ٱلْمَرِيدُ فِي مُؤَلَّفَاتِ المَسْعَدِي » بِتُونس سَنَة 1978 . وهو يَحْتَوِي مَجْمُوعَة مِنَ الدراسَاتِ والمقَالاتِ النقدِيَّةِ .

3 - الأسئلة :

- لماذا تَاقَ أَبُو هُرَيْرَةَ فِي ٱلبِدَايَةِ الى الكَثْرَة وَالعَدَدِ ؟
- لِمَاذَا أُخْفِقَتْ تَجْرِبَة أَبِي هُرَيْرَةَ الاجْتِمَاعِيَّة ؟
- مَا هُوَ مُنْقَلَبُ أَبِي هُرَيْرَةَ بَعْدَ فشل تَجْرِبتِه الاجْتِمَاعِيَّةِ ؟ لِمَاذَا ؟
- مَا ٱلَّذِي أَرَادَه الكاتبُ من أَبِي هُرَيْرَةَ ومِنَ ٱلمسْعَدي عِنْد مَا قَالَ « وَكَمْ كُنَّا نَودّ أَن يَكُونَ « الاتصالُ والاتحَادُ » بِعَالَمِ النَّاسِ ٱلأَرْضِيِّ » ؟

ميخائيل نعيمة

مِيخـــائِـــل نعيمـــة.

وُلِدَ مِيخَائِيلُ بنُ يُوسُفَ بن مِيخَائِيل نُعَيْمَةَ فِي شَهْرِ أُكْتُوبَرَ مِن سَنَةِ 1889 في قَرْيَة بَسْكَنْتَا بلبنانَ / فِي عَائِلَةٍ مَسِيحِيَّةٍ أُرثُوذُكْسِيَّةٍ / مُتَوَاضِعَةٍ . فَقَدْ كَانَ أَبُوهُ (اَلْمُتَوفَّى سَنَةَ 1937) من المهاجرين الى أَمْرِيكَا ولكن لِمُدَّة سِتِّ سَنَوَاتٍ فَقَطْ (من 1890 الى سَنَة 1896) ثُمَّ عَادَ لِيَشْتَغِلَ بِفَلْحِ اَلْأَرْضِ فِي جِهَةِ الشُّخْرُوبِ خَاصَّةً . تَلَقَّى نُعيمَةُ تَعْلِيمَهُ الاولَ فِي المَدْرَسة الطَائِفِيَّةِ بِقريتِهِ ثُمَّ فِي اَلْمَدْرَسَةِ الرُّوسِيَّةِ اَلَّتِي أَنْشَأَتْهَا رُوسِيَا اَلْقَيْصَرِيَّةُ سَنَةَ 1899 بِالقَرْيَة . وَمَكَافَأَةً لَهُ عَلَى نَجَابته أُلْحِقَ بِدَارِ اَلْمُعَلِّمِينَ فِي النَّاصرة بفلسطين سنة 1902. وفِي مدرسة النَّاصِرَة كَانَتْ لَهُ الصِّلَةُ بِاللُّغَتَيْنِ العَرَبِيةِ ـ فِي مظهرها التقليدي ـ وَاللغَةِ الرُّوسِيَّةِ . وَفِي سَنَةِ 1906 أَنْهَى دِرَاسَتَهُ فِي الناصرة بِتَفوقٍ فتمّ اختيارُهُ للذَّهَاب الى رُوسِيَا لمواصلة تعلُّمِه .

وَفِي رُوسِيَا التَحَق بِالسِّمِنَارِ الثَّانَوِيةِ فِي مَدِينَة بُلْتَافَا . وَفِي هَذِهِ اَلْمَدْرَسَةِ تَمَتَّنَتْ صِلَتُه بِاَللغَةِ الرُّوسِيَّةِ وَأَقْبَلَ عَلَى مُطَالَعَةِ مَشَاهِيرِ اَلْأَدَبِ الرُّوسِيِّ وَخَاصَّة أَدَبَ تولْوسْتُوي (توفي سَنَةِ 1910) اَلَّذِي كَانَ نُعَيْمَةُ مَعْجَبًا بِهِ أَيَّمَا إِعْجَابٍ . كَمَا أَنَّ قَرِيحَتَهُ قَدْ تَفَتَّقَتْ فِي هَذِهِ الفترَة لِكِتَابَةِ الشِّعْرِ ـ بِالرُّوسِيَّةِ . وبَعْدَ مُضِيِّ خَمْسِ سَنَوَاتٍ رَجَعَ نَعِيمَةُ الىَ مَسْقِطِ رَأْسِهِ حَامِلًا شَهَادَةَ المَدْرَسَةِ اَلَّتِي التحقَ بِهَا .

رَجَعَ سَنَة 1911 وَفِي نِيته الاتِّجَاهُ الى فرنسا لِمَوَاصَلَةِ الدِّرَاسَةِ فِي الحُقُوقِ بِبَارِيسَ وَلَكِنْ صَادَفَ رُجُوعُهُ مَجِيءَ أَخِيه (أديب) من ديار المَهْجَرِ ٱلامريكيّةِ فَأَثْنَاه عَنْ عزْمِهِ فَرَافَقَه ميخائيل الى أمريكا فِي نَفْسِ السَّنَةِ .

نَزَلَ فِي أَمِريكَا فِي مَدِينَة (وَالاَوَالاَ) أَوَّلاً مَعَ أَخَوَيْهِ أديب وهيكَلَ . ثُمَّ ٱنْتَقَلَ الى وَاشِنْطُنْ والتَحَقَ بِجَامِعَتِهَا سنة 1912 وَكَانَ رأيه قد ٱسْتَقَرَّ عَلَى دِرَاسَةِ ٱلآدَابِ وَتَعَلُّمَ الحُقُوق فِي آنٍ وَاحِدٍ ، فِي كليتَينِ مُخْتَلِفَتَيْنِ .

وَفِي هَذِهِ ٱلأَثْنَاء حَدَثَ أَمرَانِ مُهِمَّانِ سَيَكُونُ لَهُمَا دَوْرٌ مُهِم فِي حَيَاتِهِ ٱلأَدَبِيَّةِ وَٱلفِكْرِيَّةِ . الأَوَّلُ هُوَ التِقاؤُهُ بِثُلةٍ من الكتاب العَرَب السّورِيّينَ ـ من ضِمْنِهم جبْرَانُ ـ سنَة 1913 عَلَى صَحِيفَة عَرَبِيَّة بِعنوات « الفنون » يُصْدِرُهَا صَدِيقُهُ القدِيمُ فِي ٱلْمَدْرَسَة الروسِيَّة بِالنَّاصِرَة ، الشَّاعر نَسِيب عُرَيْضَةَ (توفِي سنة 1946) وَكَانَتْ بَعْدَئِذٍ خُطَاهُ ٱلأَدَبِيَّةُ ٱلأُولَى فِي الادَبِ العَرَبِيّ ، بَعْدَ تَجَارِبه الرُّوسِيَّة . أَمَّا الحَدَثُ الثَّانِي فَهُوَ التقاؤه بِشَابٍّ إسكتلندي جَمَعَتْهُ بِهِ ٱلْمُصَادَفَة فِي غُرْفَةٍ وَاحِدَة ... وَكَانَ هَذَا الطَّالِبُ عِضْوًا فِي جَمْعِيَّةٍ تُسَمَّى (ٱلْجَمْعِيَّةَ الثِّيُوسُوفِيَّةَ) ـ وَالثِيُوسُوفِيةُ أو الثِّيْسَفَةُ (Théosophie) تَعْنِي البَحْثَ فِي ٱلْحِكْمَةِ ٱلإِلَهِيَّةِ ـ ومن أَهَمّ مبادِيء تِلْكَ ٱلْجَمْعِيةِ التقَمُّصُ وميزَانُ الثَّوَابِ وَٱلْعِقَابِ . وَقَدْ مَكَّنَتْ نعيمَة مناقَشَاتُهُ مَعَ ذَلِكَ الشاب من إيجَادِ ٱلإِجَابَةِ عَلَى كَثِيرٍ مِن تَسَاؤُلاَتِهِ الفَلْسَفِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ . فَقَدْ

آمن بِفِكْرَةِ التقَمُّصِ وَتكرر حَيَاةِ الإنسانِ قَصْدَ تَكَرُّر ٱلاخْتِيَارِ فِي « مَدْرَسَةِ ٱلْحَيَاة » وَدَفَعَهُ ذَلِكَ الكَشْفُ ٱلْجَدِيدُ الى دَرْسِ تَعَالِيم « البَاطِنِيَّةِ » مُنْذُ أقدم العُصُورِ وَدَرْس الدِّيَانَاتِ السَّمَاوِيَة وَغَيْر السَّمَاوِيَّةِ وَٱلاطلَاع عَلَى المَذَاهِب الصُوفِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ ٱلْقَدِيمَةِ وَٱلإسْلَامِيَّة ...

تَخَرَّجَ من كليتي ٱلْحُقُوقِ وَٱلآدَابِ من جَامِعَة واشنطن بِشَهَادَتَيْهِمَا سَنَةَ 1916 . فَانصرف الى التَّأليف وَأَلَّفَ مَسْرِحِيَّة « الآبَاءُ وَٱلْبَنُونُ » وَبَدأ فِي تَأْلِيفِ « مُذكِّرَاتِ ٱلأَرْقَشِ » وَلَكِنَّ قَانُونَ التَّجْنِيدِ ٱلأمريكِيَّ لَمْ يُمهِلْه لإتْمَامِهَا . فَقَدْ جُنِّدَ فِي ٱلْجَيْشِ الأمريكيّ لِلمشَارَكَةِ فِي ٱلْحَرْبِ ٱلْعَالَمِيَّةِ ٱلأولى سَنَة 1918 وَنُقِلَ فِي نفس السَّنَةِ إلَى فِرَنْسَا حَيْثُ تَمَكَّنَ سَنَة 1919 من الالتحاق بِجَامِعَةِ « رين » (Rennes) ، وَبِهَا تَعَلَّمَ اللغَة ٱلْفرنسيَّةَ وَعِنْدَمَا وَضَعَتْ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا عَادَ إلَى أَمرِيكَا وَالتقَى سَنَة 1920 بِالأدَبَاء ٱللُّبْنَانِيِّينَ وَالسُّورِيِّينَ ٱلَّذِينَ كَانَ يَعْرِفُهُم عَنْ طَرِيقِ مَجَلَّةِ « الفُنُونِ » وَسُرعَانَ مَا كَوَّنُوا (الرَّابِطَةَ القَلَمِيَّة) وَكَانَ مِنْ أهم أَعْضَائِهَا جبْرَان خَلِيلٌ جبْرَان (توفي سَنَةَ 1931) ٱلَّذِي ٱخْتِيرَ عَمِيدًا لَهَا ، وَنُعَيْمَةُ ٱلَّذِي ٱخْتِيرَ مُسْتَشَارًا وَوَاضِعًا لِدستورِهَا وَنَسِيبُ عُرَيْضَةَ وَإيليا أَبُو مَاضِي (توفي سَنَة 1957) وَرَشِيد أَيُوب وَقَدْ تَوَاصَلَ نَشَاطُ الرَّابِطَةِ حَتَّى سَنَةِ 1931 سنة وَفَاةِ جِبْرَانِ ، فَقَدْ قَرَّرَ نعيْمَةُ عِنْدَئِذٍ العَوْدَةَ الى لُبْنَان بعْدَمَا أَثَّرَ فِي نَشَاط الرَّابِطَةِ تَأْثِيرًا كَبِيرًا يَكَادُ يَتَجَاوَزُ تَأْثِيرَ جبْرَانِ ، وَيَكْفِي

أن نُشيرَ الى كِتَاب (ٱلْغِرْبَالِ) نُشِرَ 1923 لِنَتَبَيّنَ أهَمِيَّة نُعَيْمَة فِي حَرَكَةِ الرَّابِطَةِ ٱلْقَلَمِيَّةِ .

وَمُنْذُ سَنَة 1931 دَخَلَتْ حَيَاةُ نُعَيْمَةَ مَرْحَلَةً جَدِيدَةً تَمْتَد حَتَّى يَوْمِنَا هَذَا ولكننا نُرِيدُ انْ نَقِفَ بِهَا فِي سَنَةِ 1963 وَذَلِكَ لأنَّ هَذِهِ السَّنَةَ هِيَ سَنَةُ نشر روَايَةِ«ٱلْيَوْم الأخِير » ٱلَّتِي تَعْنِينَا ، ثُمَّ لأنَّ هَذِهِ الرِّوَايَةَ تُمَثِّلُ خُلاصَة آرَاء نُعَيْمَةَ وَنَظْرِيَتِهِ فِي ٱلْحَيَاةِ وَفِي الوُجُودِ وَفِي النَّاس،أيْ أنَّها جِمَاعُ نِظَامِهِ الفَلْسَفِي ٱلَّذِي بَنَاهُ فِي مُخْتَلَفِ مَرَاحَلِ حَيَاتِهِ وَعَبْرَ مُخْتَلَفِ كُتُبِهِ . والملاحظ أنَّ مَا تَلا « اليوْم الأخِير » من إنتاج أدَبِيّ لِلكَاتِب كَانَ بِمَثَابَةِ ٱلإعَادَةِ لكثيرٍ من ٱلأفْكَارِ الوَارِدَةِ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ .

وَفِي سَنَةِ 1932 إذن غَادَر نُعيمةُ أمريكا رَاجِعا إلَى لُبْنَان وفِي لُبْنَانَ آثر العُزْلَة وَٱلانْصِرَافَ الى التَّأمل وَالعَمَلِ فِي ٱلأرْضِ وَالعَيْشِ ومن كتابَاتِهِ عَلَى ٱلاهْتِمَامِ بِمَا يَهْتَمُّ بِهِ النَّاسُ وَيَسْعَوْنَ وَرَاءَهُ سَعْيًا مِثْلَ ٱلْمَنَاصِبِ السِّيَاسِيَةِ أو تَعَاطِي مِهْنَةٍ مَا ، وَبَقِيَتْ شَهَادَاتُه ٱلْجَامِعِيَّةُ ـ لِذَلِكَ ـ حِبْرًا عَلَى وَرَقٍ .

وَفِي هَذِهِ الفَتْرَةِ ظَهَرَتْ أهَمُّ مُؤَلَّفَاتِهِ وَنَذْكُرُ مِنْهَا خَاصَّةً كِتَابَه « جِبْرَانَ خَلِيل جِبْرَان » ـ (1934) ، ثُمَّ « كِتَابُ مِرْدَاد » (ألف سنة 1947) ٱلَّذِي ٱعْتُبِرَ فِي ٱلْهِنْدِ ـ إثر نشره باللغة الانقليزية « كتابَ ٱلأبَدِيَّةِ » ثُمَّ كِتَاب«أبعَدُ من مُوسْكُو ومِنْ وَاشِنْطُن » (1957) ٱلَّذِي ألَفَهُ إثْرَ زِيَارَةٍ الى رُوسِيَا سَنَة 1956 بِدَعْوَةٍ مِن جَامِعَة ٱلْكُتَّابِ فِيهَا . ثُمَّ كِتَاب « سبعون » (1960) فِي ثَلاثَة أجْزَاء وهو فِي التَّرْجَمَةِ الذَّاتِيَة . ثُمَّ كِتَاب « اليوم الأخير » 1963 .

هـــاتـــف مـــن الغيـــب :

التّقـــديـــم :

(موسى العسكري دكتور في الفلسفة وأستاذ في الجامعة يدرس المادة التي اختص فيها . قد حمل « اليتم والفاقة والذل في مطلع حياته » . تزوج باحدى طالباته ـ هي زوايا الكوكبية ـ لكنها لم تلبث أن هجرته مع شاب هو أيضا من طلاب الفلسفة لدى الدكتور العسكري فهو في الخمسين من عمره وهي في السابعة والثلاثين والشاب الذي فرت معه في الخامسة والعشرين . لكنها فرت وقد خلفت ابنا منها ـ هو هشام ـ أبكم لا ينطق وأشل لا يمشي وذا رأس ضخم)

« قُمْ وَدِّعِ ٱلْيَوْمَ ٱلأَخِيرَ »

سَمِعْتُ الصَّوْتَ فَأُفِقْتُ من نَوْمٍ عَمِيقٍ ، وَبِحَرَكَةٍ عفويَّةٍ نَفَضْتُ عَنِّي ٱللِّحَافَ ، وَٱسْتَوَيْتُ جَالِسًا فِي سَرِيرِي . ثُمَّ فَتَحْتُ عينيَّ وَأَنَا عَلَى يَقِينٍ مِن أَنِّنِي سَأُبْصِرُ طَلَائِعَ الفَجْرِ فِي غُرْفَتِي وَأُبصرُ صَاحِبَ الصَّوْتِ عَلَى قَيْدِ خَطْوَةٍ أو أَقْرَبَ مِنْ سَرِيرِي . وَكُنْتُ أَتَوَقَّعُ أَن أَسْمَعَ مِنهُ فَوْقَ مَا سَمِعْتُ . لَقَدْ كَانَ صَوْتًا صَافِيًا ، جَازِمًا ، حَازِمًا .

وَلَكِنَّ غُرْفَتِي كَانَتْ فِي ظُلْمَةٍ عَمْيَاءَ وَكَانَ مِن ٱلْمُسْتَحِيلِ أَنْ أَتَمَيَّزَ أَيَّ شَيْءٍ مِن ٱلأَشْيَاءِ ٱلَّتِي فِيهَا . فَاعْتَرَانِي الخَوْفُ . وَشَعَرْتُ بِمَا يُشْبِهُ دَبِيبَ النَّمْلِ فِي جِسْمِي مِنْ أَمِّ رَأْسِي حَتَّى أَخْمَصَيَّ . وَتَهَيَّأَ لِي أَنَّ فِي الغُرْفَةِ إِنسَانًا يَرَانِي وَلَا أَرَاهُ . وَإِلَّا فَمِنْ أَيْنَ الصَّوْتُ ٱلَّذِي لَا يَبْرَحُ يَرِنُّ فِي أُذُنَيَّ ، « قُمْ وَدِّعِ اليَوْمَ ٱلأَخِيرَ » ؟

مَدَدْتُ يَدِي الى قِنْدِيلِ ٱلْكَهْرَبَاءِ ٱلَّذِي بِجَانِب سَرِيرِي . وَإِذَا بِيَدِي تَرْتَجِفُ فَلَا تَهْتَدِي إِلَى ٱلْمِفْتَاح إِلَّا بَعْدَ عَنَاء . وَعِنْدَمَا انطلَقَ النُّورُ فَتَبَدَّدَتْ الظُّلْمَةُ وَجَدْتُنِي وَحْدِي ، وَوَجَدْتُ كُلَّ شَيْء فِي الغُرْفَةِ مِثْلما تركتهُ عِنْدَمَا أَوَيْتُ إِلَى فِرَاشِي . وَكَانَتْ السَّاعَةُ ٱلَّتِي عَلَى معْصَمِي تُشيرُ إِلَى نِصْفِ ٱللَّيْلِ بِالتَّمَامِ . أَمَّا السَّكِينَةُ ٱلَّتِي تَلِفُّنِي وَتلفُّ بَيْتِي وَالطَّمَة خَارِجَ بَيْتِي فلم يَكنْ يَقلِقُهَا شَيْءٌ غَيْرُ أَنفَاسِي وَأَنبَاضِي الْمَضْطَرِبَةِ ، ٱلْمُتَسَارِعَةِ .

لَوْ أَنَّنِي كُنْتُ مِن ٱلَّذِينَ يَرْوَنَ الرُّؤَى ، أَوْ كُنْتُ مِمَّنْ سَبَق لَهُمْ أَنْ جَاءَهُمْ هَاتِفٌ مِنَ الغَيْبِ لَمَا أَذْهَلَنِي مَا سَمِعتُه وَمَا أَنا فِيهِ . فَقَدْ عَرَفْتُ أَكْثَرَ مَنْ رَجُلٍ ، وَأَكْثَرَ مِنَ ٱمْرَأَةٍ يَرْوُونَ أَغْرَبَ الرِّوَايَاتِ عَنْ رُؤَى أَبصَرُوهَا فِي اليَقَظَةِ أو فِي المَنَامِ ، وَعَنْ أَصْوَاتٍ سَمِعُوهَا مِنَ الغَيْبِ . وَمِنْهُمْ زَمِيلٌ مِنْ زُمَلَائِي فِي ٱلْجَامِعَةِ . وهو أُسْتَاذ الطَّبِيعِيَّاتِ،وَمِنَ ٱلْمَفْرُوضِ فِيهِ أَنْ يَكُونَ أَبْعَدَ النَّاسِ عَنْ تَصْدِيقِ تِلْكَ الرِّوَايَاتِ . وَلَكِنَّهُ أَكَّدَ لِي أَنَّهُ ذَاتَ مَرَّةٍ وَهُوَ يَتَنَاوَلُ غَدَاءَه مَعَ عَائِلَتِهِ ، سَمِعَ وَالِدَهُ يُحَذِّرُهُ بِصَوْتٍ جَلِيٍّ مِن سَفْرةٍ كَانَ يَنْوِي القِيامَ بِهَا فَأَقْلَعَ عَنْهَا . وَكَانَ وَالِدُهُ قَدْ ٱنْتَقَلَ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّه قَبْلَ ذَلِكَ بِعَشْرِ سَنَوَاتٍ . وَقَدْ أَدْهَشَه أَنْ لَا يَسْمَعَ الصَّوتَ أَحَدٌ غَيْرُهُ ، وَأَنْ لَا يُصدقَه حَتَّى أَهْلُ بَيْتِهِ . وَلَقَدْ صَدَّقْتُهُ لأَنَّنِي مَا عَرَفْتُ فِي حَيَاتِي رَجُلًا أَصْدَقَ مِنْهُ لِسَانًا ، وَأَنْبَلَ خُلُقًا .

أَمَّا أَنَا فَقَدْ جَاوَزْتُ السَّابِعَةَ وَٱلْخَمْسِينَ مِنْ عُمُرِي وَلَمْ

يَحْدُثْ لِي أَنْ رَأَيْتُ رُؤْيَا أَوِ سَمِعْتُ هاتِفًا من الغَيْبِ ، إِلاَّ ٱللَّيْلَةَ . مِنْ هُنَا حَيْرَتِي وَٱرْتِبَاكِي . إِنَّنِي رَجُلٌ يَسُوقُه ٱلأَيَّامُ وَلاَ يَسُوقُهَا . وَأَعْنِي أَنَّنِي أَتَقَبَّلُ بِالرِّضَى جَمِيعَ مَا تُرْسِلُهُ إِلَيَّ مِنْ حُلْوٍ وَمِنْ مُرٍّ . فَأَتَكَيَّفُ بِهَا وَلاَ أُكَيِّفُهَا ، وَمَنْ أَنَا لأَرُوضَ ٱلأَيَّامَ فَأَجْعَلَهَا رَهْنَ إِرَادَتِي ؟ هَا أَنَّ زَوْجَتِي قَدْ هَجَرَتْنِي مُنْذُ عَامٍ لِتَعِيشَ مَعَ شَابٍّ أَحَبَّتْهُ وَأَحَبَّهَا . وَلَوْ لَمْ يَكُنْ حُبُّهَا لَهُ أَقْوَى مِنْ حُبِّهَا لِي لَمَا تَرَكْتَنِي وَٱلْتَصَقَتْ بِهِ ، إِنَّهَا فِي السَّابِعَةِ وَٱلثَّلاَثِينَ وَهُوَ فِي ٱلْخَامِسَةِ وَٱلْعِشْرِينَ وَمِنْ طُلاَّبِ ٱلْفَلْسَفَةِ عِنْدِي . وَهُمَا اليَوْمَ فِي سُوِيسْرَا .

ميخائيل نعيمة (اليوم الاخير)
ص : 7 ـ 9 (الساعة الاولى)

الأسئلـــة :

- لِمَاذَا اعْتَبَرَ ٱلْعَسْكَرِيُّ الصَّوْتَ ٱلَّذِي سَمِعَهُ أَمْرًا غَيْرَ عَادِيٍّ .
- مَا هُوَ وَقْعُ الصَّوْتِ فِي نَفْسِ ٱلْعَسْكَرِيِّ ؟ لِمَاذَا ؟
- لِمَاذَا أَتَى بِمِثَالِ ٱسْتَاذِ الطَّبِيعِيَّات لِيَقِصَّ حَادِثَتَهُ ؟
- هَلْ يُمَثِّلُ العَسْكَرِيُّ بِفِكْرِهِ تَفْكِيرَ ٱلْكَاتِبِ ذَاتِهِ ؟ لِمَاذَا ؟
- هَلْ تَعْتَبِرُ مَا وَقَعَ لِلعَسْكَرِيِّ أَمْرًا عَادِيًا ؟ لِمَاذَا ؟

مَـا الـيَـــومُ الأخيـــر ؟

التَّقْـــديـــم :

(كَانَ فِي نِيَّةِ مُوسَى الْعَسْكَرِيِّ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْمَطْبَعَةِ لِتَقْدِيمِ مَخْطُوطَةِ كِتَابٍ لَهُ عَنِ الْحَرَكَةِ الصُّوفِيَّةِ وَتَأْثِيرِهَا فِي الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ وَالْعَالَمِيِّ ، ثُمَّ أَنْ يَذْهَبَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْجَرَّاحِ لِاسْتِئْصَالِ الْمَرَارَةِ الَّتِي أَظْهَرَتِ الأَشِعَّةُ أَنَّهَا مَلِيئَةٌ بِالْحَصَى . وَلَكِنَّ الصَّوْتَ الَّذِي سَمِعَهُ عِنْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ جَعَلَهُ لاَ يُغَادِرُ الْمَنْزِلَ وَدَفَعَ بِهِ إِلَى التَّفْكِيرِ فِي مَعْنَى « الْيَوْمِ الأَخِيرِ »).

كَانَ فِي خَاطِرِي أَنْ أَنْهَضَ الْيَوْمَ بَاكِرًا جِدًّا لأُعِيدَ النَّظَرَ فِي مَخْطُوطِ كِتَابِي عَنِ الْحَرَكَةِ الصُّوفِيَّةِ وَتَأْثِيرِهَا فِي الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ وَالْعَالَمِيِّ ، فَأَحْمِلَهُ إِلَى الْمَطْبَعَةِ وَأَذْهَبَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْجَرَّاحِ الَّذِي نَصَحَ لِي بِاسْتِئْصَالِ الْمَرَارَةِ . فَقَدْ أَظْهَرَتِ الأَشِعَّةُ أَنَّهَا مَلِيئَةٌ بِالْحَصَى ، وَأَنَّهَا قَدْ تَنْفَجِرُ فِي أَيِّ يَوْمٍ ، بَلْ فِي أَيِّ لَحْظَةٍ . وَهَا أَنَا قَدْ نَهَضْتُ عِنْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ . وَالَّذِي أَنْهَضَنِي مِنْ نَوْمِي لَمْ تَكُنِ الْمَرَارَةَ وَلاَ الْمَخْطُوطَ . وَكَانَ صَوْتًا لاَ أَعْرِفُ مَصْدَرَهُ وَلاَ أَفْهَمُ الَّذِي قَالَهُ . وهو لاَ يَنْفَكُّ يَقْرَعُ طَبْلَةَ أُذُنِي ،

« قُمْ وَدِّعِ الْيَوْمَ الأَخِيرَ » .

وَأَيَّ الْيَوْمِ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يَعْنِيهِ ؟ الْيَوْمُ فِي قِيَاسِ الزَّمَانِ الْمُتَعَارَفِ عَلَيْهِ بَيْنَ النَّاسِ هُوَ أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ سَاعَةً تَمْتَدُّ مِنْ نِصْفِ اللَّيْلِ وَحَتَّى نِصْفِ اللَّيْلِ الَّذِي يَلِيهِ . أَفَيَعْنِي الصَّوْتُ أَنَّ « الْيَوْمَ الأَخِيرَ » قَدْ ابْتَدَأَ مِنْ نِصْفِ هَذَا اللَّيْلِ وَسَيَنْتَهِي عِنْدَ نِصْفِ اللَّيْلِ الآتِي ؟ فَمَا قَوْلُهُ بِرَائِدِ الْفَضَاءِ الَّذِي دَارَ حَوْلَ الأَرْضِ

سَبْعَ عَشْرَةَ مَرَةً فِي خَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً فَشَهِدَ فِي خِلَالِ يَوْمٍ وَاحِدٍ سَبْعَةَ عَشَرَ شُرُوقًا لِلشَّمْسِ وَسَبْعَةَ عَشَرَ غُرُوبًا ؟ بَلْ مَا قَوْلُه إِذَا قَامَ رَائِدٌ آخَرُ فَرَاحَ يَدُورُ السَّاعَاتِ . بل الأيَّامَ بَلَ الشُّهُورَ حَوْلَ قُطْبِ الأَرْضِ الْمَوَاجِهِ لِلشَّمْسِ بِحَيْثُ لَا تَغْرُبُ عَنْهُ الشَّمْسُ لَحْظَةً وَاحِدَةً . فَلَا يَكُونُ لَيْلٌ عَلَى الإِطْلَاقِ ؟ وَعِنْدَئِذٍ فَمَا هُوَ « الْيَوْمُ » وَأَيْنَ يَبْتَدِىءُ وَيَنْتَهِي ؟ وَكَيْفَ هُنَالِكَ « يَوْمٌ أَخِيرٌ » ؟

وَلْنَفْرِضْ أَنَّ مَا عَنَاهُ الصَّوْتُ كَانَ يَوْمًا ابْتَدَأَ عِنْدَ نِصْفِ هَذَا اللَّيْلِ وَسَيَنْتَهِي عِنْدَ نِصْفِ اللَّيْلِ الآتِي فَلِمَاذَا دَعَاهُ الأَخِيرَ ؟ وَهَلْ هُو الأَخِيرُ فِي حَيَاتِي ، أَمْ فِي حَيَاة الْعَالَمِ ؟ فَهُنَالِكَ أَدْيَانٌ تُنَادِي بِالْيَوْمِ الأَخِيرِ وَتَحُثُّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى ادِّخَارِ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ لِمُوَاجَهَتِهِ . إِنَّهُ الْيَوْمُ الَّذِي فِيهِ سَيُحَاسَبُ كُلُّ إِنْسَانٍ عَنْ أَعْمَالِهِ . فَيَمْضِي الصَّالِحُونَ الى جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ . وَيَمْضِي الطَّالِحُونَ إِلَى جَهَنَّمَ النَّارِ . أَلَعَلَّ هَذَا هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي مِنْ بَعْدِهِ سَيَأْتِي يَوْمُ الْحَشْرِ ؟ وَهُنَالِكَ دُوَلٌ تَمْلِكُ من وَسَائِلِ التَّدْمِيرِ مَا لَوْ فَجَّرَتْهُ دُفْعَةً وَاحِدَةً لَمَا بَقِيَ عَلَى الْيَابِسَةِ وَفِي الْبِحَارِ أَيُّ حَيٍّ وَلَتَحَوَّلَتِ الأَرْضُ خَرَابًا يَبَابًا . فَهَلْ تَنْشُبُ الْحَرْبُ غَدًا فَيَكُونُ الْيَوْمُ يَوْمَ الإِنْسَانِيَّةِ الأَخِيرَ ؟

لَوْ كَانَ ذَلِكَ مَا عَنَاهُ الصَّوْتُ فَلِمَاذَا اخْتَارَنِي وَحْدِي لِتَوْدِيعِ الْيَوْمِ الأَخِيرِ ؟ وَلَوْ أَنَّهُ أَيْقَظَ جَمِيعَ النَّاسِ مِثْلَمَا أَيْقَظَنِي لَكَانَتِ الأَنْوَارُ تَتَلَأْلَأُ الآنَ فِي كُلِّ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الْقَرْيَةِ كَمَا

تَتَلَأْلَأُ فِي غُرْفَتِي . وَلَكِنَّ الظَّلَام الدَّامِسَ يَلُفُّ ٱلْقَرْيَةَ بِجَمِيعِ مَنْ فِيهَا وَمَا فِيهَا . وَالسَّكِينَةُ ٱلْمُخَيِّمَةُ فِيهَا سَكِينَةٌ رَهِيبَةٌ بِعُمْقِهَا . فَلَا نُبَاحُ كَلْبٍ ، وَلَا صَرِيرُ جُنْدُب [1] ، وَلَا خَرِيرُ سَاقِيَةٍ، وَلَا هَبَّةُ نَسِيمٍ،وَلَا وَشْوَشَةُ أَوْرَاقٍ عَلَى غُصْنٍ .

لَا . لَا . إِنَّ مَا عَنَاهُ الصَّوْتُ بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِيرِ هُوَ يَوْمِي ـ أَنَا وَحْدِي . إِنَّهُ ٱلْيَوْمُ ٱلْأَخِيرُ مِنْ عُمُرِي . مَا فِي ذَلِكَ أَيُّ شَكٍّ . إِنَّهُ ٱلشَّوْطُ ٱلْأَخِيرُ إِلَى النِّهَايَةِ ـ إِلَى ٱلْقَبْرِ .

ميخائيل نعيمة (اليوم الاخير)
ص : 10 ـ 12 (الساعة الاولى)

1 - شـــرح المفـــردات :

1) ٱلْجُنْدب ويقال ٱلْجَنْدَبُ أَيْضًا ج جَنَادِب : ضَرْب مِنَ ٱلْجَرَادِ .

2 - الأسئلـــة :

- مَا زَالَ تَأْثِيرُ الصَّوْتِ ٱلَّذِي سَمِعَه ٱلْعَسْكَرِيُّ متواصلاً عَلَى تَفْكِيرِه خَاصةً . أَبْرِز ذَلِكَ .
- مَا هِيَ القضية الفلسفية ٱلَّتِي عَرَضَ لَهَا الكاتب في هذا النصّ ؟ مَا هِي أهميتها وَما هِيَ أبعادها؟
- قَدْ ذَهَب العسكري في آخر النصّ الى أن اليوم الأخير لا يعني إِلَّا آخِرَ يوم فِي حَيَاتِه هو لِمَاذَا ذَهَبَ ذَلِكَ المذْهب ؟
- مَا هُوَ مَوْقِفُكَ انتَ من مفهوم « اليَوْمِ ٱلْأَخِيرِ » هَلْ يُمْكِنُ اعتبارُ وُجُودِ « يوم أَخير » ؟

عِنْدَ مَا يَضْمِحِلُّ الانسَانُ وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ...

أَكَادُ لَا أَصْدُقُ ... لَقَدِ ٱنْقَضَتْ سَاعَةٌ مُنْذُ أَنْ أَيْقَظَنِي الصَّوْتُ ، سَاعَةٌ كَامِلَةٌ بِدَقَائِقِهَا السِّتِّينَ ... وَهَا أَنَا لَا أَزَالُ جَالِسًا فِي سَرِيرِي وَرَأْسِي يُوشِكُ أَنْ يَنْفَجِرَ مِن كَثْرَةِ الرُّسُومِ وَٱلْأَشْبَاحِ وَٱلْأَصْوَاتِ وَٱلْأَحْدَاثِ وَٱلْأَفْكَارِ ٱلَّتِي تَزْدَحِمُ فِيهِ ...

إِذَا صَدَقَ الصَّوْتُ ـ وَهُوَ صَادِقٌ ـ فَلَمْ يَبْقَ مِنْ عُمُرِي إِلا ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ سَاعَةً ... وَمِنْ بَعْدِهَا ٱلْمُعَزُّونَ وَٱلْمُصَلُّونَ وَالدُّفَّانُونَ وَ « اللَّهُ يَرْحَمُهُ » وَيَرْقُدُ الدُّكْتُورُ مُوسَى العَسْكَرِيُّ رقدتَهُ الأَخِيرَةَ فِي مَثْوَاهُ [1] ٱلْأَخِيرِ ، وَيَمْضِي الدُّودُ يَرْعَى فِي جَسَدِهِ فَلَا يَعِفُّ مِنْهُ إِلَّا عَنِ ٱلْعِظَامِ ، وَتَخْتَفِي بِالتَّدْرِيجِ صُورَتُهُ فِي عُيُونِ النَّاسِ وَيَتَلَاشَى صَوْتُهُ فِي آذَانِهِم ، وَذِكْرَهُ فِي أَذْهَانِهِم وَتُشْرِقُ الشَّمْسُ فِي الصَّبَاحِ ، وَٱلْقَمَرُ وَالنُّجُومُ فِي ٱللَّيْلِ ، فَلَا يَسْأَلُ أَيٌّ مِنْهَا ، أَيْنَ هُوَ الدُّكْتُورُ مُوسَى ٱلْعَسْكَرِيُّ لَا يَفْتَحُ عَيْنَيْهِ لِنُورِي ؟ وَيَأْتِي الرَّبِيعُ فَتَزْهَرُ الوَرْدَةُ ٱلْحَمْرِيَّةُ فِي حَدِيقَتِي وَلَا تَقُولُ ، أَيْنَ هُوَ الدُّكْتُورُ مُوسَى لَا يُقَبِّلُنِي وَلَا يَشُمُّنِي .وَالبُلْبُلُ ٱلَّذِي بَنَى عُشَّهُ فِي اليَاسَمِينَةِ تَحْتَ شُبَّاكِي يَمْضِي يُذَرْذِرُ قَلْبَهُ أَلَحَانًا وَلَا يَخْطُرُ لَهُ فِي بَالٍ أَنْ يَسْأَلَ ، أَيْنَ هُوَ الدُّكْتُور مُوسَى لَا يُصْغِي لِأَلْحَانِي ؟ وَتَنْسَى الوَرْدَةُ وَاليَاسَمِينَةُ أَنَّ يَدِي هِيَ ٱلَّتِي غَرَسَتْهَا وَيَنْسَى البُلْبُلُ أَنَّهُ وَمُلْهِمَتَهُ يَعِيشَانِ فِي يَاسَمِينَتِي وَتَحْتَ شُبَّاكِي .

وَتَتَعَاقَبُ الفُصُولُ وَٱلأَعْوَامُ وَٱلأَجْيَالُ الى مَا شَاءَ ٱللّٰهُ وَتَبْلَى عِظَامِي وَتَتَحَوَّلُ تُرَابًا وَيَنْسَى التُرابُ أَنَّ فِيهِ بَعْضًا من ذَلِكَ الشَّيْءِ ٱلَّذِي هُوَ الآنَ جَسَدِي ، وَيَنْسَى الهَوَاءُ أَنَّ فِيهِ مِنْ أَنْفَاسِي ، وَٱلْبَحْرُ أَنَّ فِيهِ مِن دُمُوعِي ومن لُعَابِي،وَيَنْسَى الكَوْنُ أَنَّهُ ٱحْتَوَى فَتْرَةً مِنَ الزَّمَانِ كَائِنًا كَانَ يُدْعَى مُوسَى العَسْكَرِيَّ،وَهَكَذَا يَضْمَحِلُّ مُوسَى العَسْكَرِيُّ وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ...

ميخائيل نعيمة (اليوم الاخير)
ص ، 19 ـ 20 (الساعة الثانية)

1 - شـــرح المفـــردات :

1) مَثْوَى ، من ثَوَى يَثْوِي ثَوَاءً وثُوِيًا بالمكانِ وفيه ـ أقَامَ . وَٱلمَثْوَى هُوَ القَبْرُ .

2 - الأسئلـــة :

- يعتبر العَسْكَرِيُّ أَنَّ الصَوْتَ صَادِقٌ في ما ذكر. لِمَاذَا ٱقْتَنَعَ بِسُرْعَةٍ أَنَّهُ صَادِقٌ ؟ ثُمَّ لِمَاذَا لم يكذِّبْهُ ... ؟
- كَيْفَ تَصَوَّرَ العَسْكَرِيُّ مَصِيرَهُ بَعْدَ المَوْتِ ؟ هَلْ تَرَاهُ مُحِقًّا فِي تَصَوره ؟ لِمَاذَا ... ؟
- قد حَقَّر العَسْكَرِي من قِيمة ٱلإنْسَان في هَذَا النَّص بَيِّنْ ذَلِكَ وَٱذْكُرْ لِمَاذَا .... ؟
- كَيْفَ تَصِفُ رُؤْيَةَ ٱلعَسْكَرِيِّ لِلإنْسَانِ وَمَصِيرِه ...؟
- هَلْ مِنْ عَلَاقَةٍ بَيْنَ رُؤْيَةِ ٱلعَسْكَرِيِّ وَرُؤْيَةِ ٱلكَاتِب ... ؟ بَيِّنْ ذَلِكَ ...

بِدَايَـــةُ ٱلْحَيْـرَة

أَنَا جَبَانٌ لِأَنَّنِي حَتَّى السَّاعَةَ لَمْ أُحَاوِلْ ٱكْتِشَافَ ٱلْمَجَاهِلِ الهَائِلَةِ ٱلَّتِي فِي دُنْيَايَ . فَمَا سَأَلْتُ نَفْسِي مَرَّةً:مَنْ أَنَا ؟ وَلِمَاذَا أَنَا كَمَا أَنَا وَلَيْسَ غَيْرَ مَا أَنَا ؟ وَمِنْ أَيْنَ جِئْتُ ؟ وَإِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ ؟ وَمَا القَصْدُ مِنَ مَجِيئِي وَذَهَابِي ؟ وَلِمَاذَا تَزَوَّجْتُ رُؤْيَا الكَوْكَبِيَّة لَا غَيْرَهَا فَرُزِقْنَا وَلَدًا تَضَخَّمَ رَأْسُهُ وَتَقَلَّصَتْ سَاقَاهُ وَٱنْعَقَدَ لِسَانُهُ . وَلَمْ نُرزَقْ سِوَاهُ ؟ أَلَعَلَّهُ جَاءَ مُشَوَّهًا لِيَكُونَ قِصَاصًا [1] لِي وَلِأُمِّهِ وَلِنَفْسِهِ أَمْ لِيَكُونَ ٱمْتِحَانًا لَنَا جَمِيعًا ؟ قَدْ تَكُونُ ذُنُوبِي وَذُنُوبُ أُمِّهِ أَكْثَرَ من رَمْلِ البَحْرِ عَدًّا ... أَمَّا هُوَ فَمَا ذَنْبُهُ ؟ أَسفِي عَلَيْهِ تُهْمِلُه الطَّبِيعَةُ إِلَى هَذَا الحَدِّ وَتُغْرِقُ غَيْرَه بِعَطَايَاهَا ٱلَّتِي لَا تُثَمَّنُ إِنِّي أُحِبُّهُ حَتَّى الكُفْرِ . وَلَوْ كَانَ لِي لَأَعْطَيْتُهُ لِسَانِي وَسَاقَيَّ . وَلَكِنْ لِمَاذَا أَتَمَنَّى لَهُ مَا أَتَمَنَّى ؟ فَقَدْ يَكُونُ كَمَا هُوَ . أَسْعَدَ حَالًا مِنِّي كَمَا أَنَا . فَمَا نَفْعُهُ مِنْ رِجْلٍ تَسْعَى وَلَا تَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ تَسْعَى ؟ وَمِنْ يَدٍ تَأْخُذُ وَتُعْطِي وَلَا تَدْرِي مَاذَا تَأْخُذُ وَمَاذَا تُعْطِي ؟ وَمِنْ لِسَانٍ يَسْأَلُ . لِمَاذَا . وَلَا يَمْلِكُ الجَوَابَ عَلَى سُؤَالِهِ ؟ فَهَا أَنَا ذَا أَذْأَبُ وَأَسْعَى وَآخُذُ وَأُعطِي وَأُهْذِر وَأُثْرْثِرُ مُنْذُ سَبْعَةٍ وَخَمْسِينَ عَامًا وَمَاذَا جَنَيْتُ ؟

جَنَيْتُ لِمَاذَا ؟ وَلَا شَيْءَ غَيْرَ لِمَاذَا ؟ وَذَلِكَ مَا أَدْرَكْتُهُ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَقَدِ ٱنْقَضَّتْ عَلَيَّ فِيهَا أَلْفُ لِمَاذَا و لِمَاذَا فَكَأَنَّهَا كَانَتْ تَتَرَصَّدُنِي فِي كَمِينٍ وَكَأَنَّنِي عِشْتُ مَا عِشْتُ مِنَ السِّنِينِ وَلَمْ

أَكُنْ عَلَى عِلْمٍ بِوُجُودِهَا ، فِي حِينِ أَنِّي دَرَسْتُ الفَلْسَفَةَ وَأَدَرِّسُهَا وَفِي حِينِ أَنِّي أَحْمِلُ لَقَبَ دُكْتُورٍ فِي الفَلْسَفَةِ وَالْفَلْسَفَةُ لاَ شَأْنَ لَهَا إِلاَّ التَّفْتِيشُ عَنْ الْجَوَابِ عَلَى لِمَاذَا ؟ وَلَكِنِي دَرَسْتُهَا وَدَرَّسْتُهَا كَمَا لَوْ كَانَتْ أَشْيَاءَ فِي الكُتُبِ وَلاَ عَلاَقَةَ لَهَا البَتَّةَ بِمَا أَقُولُه وَأَفعلُه وَأَشْتَهِيهِ أَوْ أَهْرَبُ مِنْهُ فِي حَيَاتِي .

ميخائيل نعيمة (اليوم الاخير)
ص : 24 ـ 25 (الساعة الثانية)

1 - شـــرح المفـــردات :

1) قَصَاصًا: من قَاصَّ قِصَاصًا وَمُقَاصَّةً ـ وَقَّعَ بِهِ القَصَاصَ ـ أَيْ جَازَاه عَلَى الذَّنْبِ . أو فَعَلَ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ ...

2 - الاسئـــــلة :

- لِمَاذَا اعْتَبَرَ العَسْكَرِيُّ نَفسَهُ جبَانًا ؟ هَلْ تَعْتَبِرُ الْأَسْبَابَ الَّتِي عَلَّل بها جُبْنه قَوِيَّةً ؟ لِمَاذَا ؟
- يَرَى الْعَسْكَرِيّ أن لاَ نَفْعَ للانسانِ من أَعْضَائِهِ مَادَامَت قَاصِرَة عَنْ تَحْقِيقِ « الْمعْرَفَة » مَا مَوْقِفُكَ مِنْ ذَلِكَ . ؟ وَمَا رَأْيُكَ فِيهِ ؟ .
- حَدَّدَ العَسْكَرِيُّ مَفْهُومَ الفَلْسَفَةِ وَحَدَّهَا بَيِّنْ ذَلِكَ وَمَا رَأْيُكَ فِيهِ .
- مَاذَ يَعِيبُ العَسْكَرِيُّ عَلَى نَفْسِهِ فِي الفَقْرَة الاخِيرَة من النصّ ... ؟
- مَا هِيَ القَضَايَا الَّتِي أَرَادَ الكَاتِبُ مُعَالَجَتَهَا فِي هَذَا النَّصّ ... ؟

ٱلحَـيَـاة الـنُّـخـرة

التّقـــديـــم :

(مضت على العسكري ثلاث ساعات بعد ان أيقظه الصوتُ ، ولَمْ يستطع النوم بعد ذلك ، وقد رأتْ أمُ زيدان ـ وهي عجوزٌ تقوم بخدمةِ المنزل ـ الضوء في غرفته فجاءته تسأل عمّا به ، ولم يستطع افهامها ما يُعانِي ، فانصرفتْ عنه وقد اصبح تفكيرُ العسكري مندفعا وراء مجاهلَ ما كان من قبل قادرا على ارتيادها ، وكلما تقدم به الوقتُ ساعة تقدم به تفكيره (خطوات) حتّى تبيّن أنه يعيش حالة من القلق الوجودي عنيفةً ، وتساءل عن اسبابها ، وقارن بين حالته الراهنة وبين حالته في وقت ماض كانت ضرسه قد آلمته فيه إيلاما شديدا فسعى الى الخلاص منها وشعر براحة وغبطة كبيرتين).

وَهَا أَنْتَ تُعَانِي ٱلآنَ مِثْلَ ذَلِكَ الوَجعِ ، بَلْ هُوَ أَفظَعُ مِنْهُ بِكَثِيرٍ ، فِي صَدْرِكَ ضِيقٌ لَايُطَاقُ،وَفِي نَفْسِكَ وحْشَةٌ مَا بَعْدَهَا وِحْشَةٌ ، وَفِي رَأسِكَ بَلْبَلَةٌ وَلَا بَلْبَلَةُ ٱلَّذِينَ بَنَوْا بُرْجَ بَابِلَ ، وَلَيْسَ فِي فَمِكَ سِنٌّ نَخِرَةٌ أَوْ ضِرْسٌ نَخِرٌ . فَمَا هُوَ الشَّيْءُ النَّخِرُ الذي فِيكَ ... ؟

إِنَّهُ العَالَمُ ٱلَّذِي أَنْتَ فِيهِ ، إِنَّهُ الحَيَاةُ ٱلَّتِي تَحْيَاهَا وَيحيَاهَا مَعَكَ ٱلنَّاسُ وَكُلُّ مَا فِي ٱلكَوْنِ ، إِنَّهُ أَنْتَ ... أَجَلْ ـ الحَيَاةُ ذَاتُهَا هِيَ الضِّرْسُ المَعْرُضُ أَبَدًا لِلسُّوسِ ، وَسُوسُهَا يُولَدُ مَعَنَا سَاعَةَ تُولَدُ ، نَحْنُ نَنْمُو وَٱلسُّوسُ يَنْمُو ، فَهُوَ يَأكُلُ إِذْ نَأكُلُ وَيَشْرَبُ إِذْ نَشْرَبُ وَيَلْعَبُ إِذْ نَلْعَبُ وَيَتَزَوَّجُ إِذْ نَتَزَوَّجُ ، وَيَعْمَلُ إِذْ نَعْمَلُ وَلَكِنَّهُ لَايَسْتَرِيحُ وَلَا يَنَامُ عِنْدَمَا نَسْتَرِيحُ وَنَنَامُ إِنَّهُ يَرْعَى بِغَيْرِ ٱنْقِطَاعٍ ، وَدُونَمَا كَلَلٍ أَوْ مَلَلٍ ، فِي عُرُوقِنَا وَمَفَاصِلِنَا وَأَمْعَائِنَا وَكُلِّ قَطْرَةٍ مِن دِمَائِنَا ، يَرْعَى فِي أَدْمِغَتِنَا وَأَفْئِدَتِنَا وَأَكْبَادِنَا .

يَرْعَى فِي أَفْكَارِنَا وَأَحْلَامِنَا وَرَغَبَاتِنَا وَنَزَوَاتِنَا ، يَرْعَى فِي أَفْرَاحِنَا وَأَتْرَاحِنَا ، وَفِي جِدِّنَا وَهَزْلِنَا ...

مَا مِنْ نَبْتَةٍ ، مَهْمَا يَكُنْ شَأْنُهَا بَيْنَ النَّبَاتِ ، إِلاَّ يَمَشِي السُّوسُ فِي جُذُورِهَا وَسَاقِهَا وَكُلِّ وَرَقَةٍ مِن أَوْرَاقِهَا ، فَلَا يَتَوَقَّفُ هُنَيْهَةً وَلَا يَتَقَهْقَرُ قَيْدَ شَعْرَةٍ حَتَّى يَقْضِيَ عَلَيْهَا ، مَا مِنْ حَشَرَةٍ تَدِبُّ إِلاَّ يَدِبُّ السُّوسُ فِي دَبِيبِهَا ، مَا مِنْ طَائِرٍ يُصَفِّقُ بِجَنَاحَيْنِ إِلاَّ يُصَفِّقُ السُّوسُ فِي كُلِّ رِيشَةٍ من جَنَاحَيْهِ ، مَا مِن بَهِيمَةٍ تَقْضِمُ عُشْبَةً الا يَقْضِمُهَا السُّوسُ إِذْ هِيَ تَقْضِم العُشْبَةَ . مَا مِنْ وَحْشٍ يَلْتَهِمُ فَرِيسَةً إِلاَّ يَلْتَهِمُهُ السُّوسُ إِذْ هُوَ يَلْتَهِمُهَا .

حَتَّى التُّرَابُ ، وَحَتَّى ٱلْمَعَادِنُ والصُّخُورُ وَٱلْجِبَالُ لَهَا سُوسُهَا ٱلَّذِي يَعْمَلُ فِيهَا لَيْلَ نَهَارَ . فَهْيَ لَاتَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ ، وَحَتَّى الشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَبَنَاتُ نَعْشٍ وَالثُّرَيَّا ، وَجَمِيعُ الكَوَاكِب وَٱلْكَوْكَبَاتِ الهَائِمَةِ فِي ٱلْفَضَاء يَقرِضُهَا السُّوسُ قَرْضًا لَا هُدْنَةَ فِيهِ وَلَا هَوَادَةَ . وَلَا عِبْرَةَ إِذَا كَانَتْ عَيْنُكَ العَشْوَاءُ لَا تُبصِرُ ذَلِكَ السُّوسَ . إِنَّهُ هُنَاكَ . إِنَّهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، مِثْلَمَا هُوَ فِيكَ .

ميخائيل نعيمة (اليوم الاخير)

ص ، 36 ـ 38 (الساعة الرابعة)

الاسئلـــــة :

1 - ماذَا يقصُدُ العَسْكَرِيّ بـ « السُّوس » الذي ينخُرُ كُلَّ مَوْجُود ؟ دعم إجَابَتَكَ بأدِلّة

2 - أعْتَبِر العسكري ٱلحَيَاةَ كلها نَخِرَة ما يعني بذَلِكَ وما هِيَ أدِلَّتُهُ ؟

3 - لِمَاذَ كَانَتْ عَيْنُ العَسْكَرِيّ عشواءَ لَاتُبْصِرُ السُّوس ٱلَّذِي يَنْخَره ؟ هَلْ أن كلَّ النَّاسِ مِثْلُهُ في ذَلِكَ ؟ لِمَاذَا ؟

4 - مَا هِيَ القَضِيَّةُ الفلسَفِيةُ التي يَطْرَحُهَا هَذَا النصُّ ؟

قَرَأْتُ مَرَّةً عَنْ رَجُلٍ كَسِيحٍ كَانَ جَالِسًا فِي حَدِيقَةِ مَنْزِلِهِ يَنْعَمُ بِأَشِعَّةِ شَمْسِ الصَّبَاحِ . وَكَانَ بَابُ ٱلْحَدِيقَةِ مَفْتُوحًا . وَإِذَا بِكَلْبٍ دَانِمَارْكِيٍّ عَظِيمٍ يَدْخُلُ ٱلْحَدِيقَةَ بَغْتَةً . فَمَا أَنْ رَآهُ الرَّجُلُ حَتَّى صَاحَ مِنْ شِدَّةِ الذُّعْرِ، وَللحَالِ دَبَّ الدَّمُ فِي سَاقَيْهِ الْيَابِسَتَيْنِ . وَبِقَفْزَةٍ وَاحِدَةٍ بَلَغَ بَابَ مَنْزِلِهِ فَتَوَارَى فِي الدَّاخِلِ وَأَغْلَقَ البَابَ خَلْفَهُ وَمِنْ بَعْدِهَا عَادَ إِنْسَانًا سَوِيًّا . فَمَا هِيَ القُدْرَةُ ٱلَّتِي دَفَعَتْ الدَّمَ فِي تِلْكَ ٱللَّحْظَةِ إِلَى سَاقَيْهِ ؟ وَأَيْنَ كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ ؟ وَلِمَاذَا اسْتَنْجَدَهَا مِنْ قَبْلُ فَلَمْ تُنْجِدْهُ ؟ أَهِيَ حُبُّ ٱلْحَيَاةِ ؟ وَلَكِنَّهُ مَا فَتِيءَ يُحِبُّ ٱلْحَيَاةَ مُنْذُ أَنْ عَرَفَ ٱلْحَيَاةَ . وَهَلْ حُبُّ ٱلْحَيَاةِ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ ، وَيَضْعُفُ وَيَشْتَدُّ تَبَعًا لِلظُّرُوفِ ٱلَّتِي نَمُرُّ بِهَا فِي ٱلْحَيَاةِ ؟

وَالسُّرْعَةُ مَا هِيَ ؟

أَسْتَطِيعُ أَنْ أَزْحَفَ بِرِجْلَيَّ زَحْفًا ، وَأَنْ أَمْشِيَ الهُوَيْنَا ، وَأَنْ أَعْدُوَ عَدْوًا . وَفِي ٱلْحَالَاتِ الثَّلَاثِ أَنَا أَنَا ـ وَاحِدٌ لَا غَيْرُ . فَمَنِ ٱلَّذِي يَأْمُرُنِي بِتَعْدِيلِ خُطُوَاتِي مِنَ البَطِيءِ الَى السَّرِيعِ الى الأَسْرَعِ ؟ أَهُوَ فِكْرِي ؟ وَمَنْ ٱلَّذِي يُنَفِّذُ ٱلْأَمْرَ ؟ أَهُوَ دَمِي ؟ وَدَمِي هُوَ دَمِي ـ لَا يَنْقُصُ فِي ٱللَّحْظَةِ ٱلْوَاحِدَةِ وَلَا يَزِيدُ . فَكَيْفَ بِهِ يَتَبَاطَأُ هُنَا وَيُسْرِعُ هُنَاكَ ، ثُمَّ يَزِيدُ فِي سُرْعَتِهِ هُنَالِكَ ؟ وَلِمَاذَا يَكُونُ لِبُطْئِهِ حَدٌّ لَا يَتَعَدَّاهُ وَلِسُرْعَتِهِ حَدٌّ لَا تَتَجَاوَزُهُ ؟ وَإِذَا كَانَ فِكْرِي هُوَ

الآمر ودَمِي هُوَ المنفذُ ، فَكَيْفَ يَنْتَهِي أمْرُ فِكرِي إلَى دَمِي بِسُرْعَةٍ تَعْجِزُ عَن التِقَاطِهَا أيَّةُ حَاسَّةٍ مِن حَوَاسِّي ؟ فَمَا أنْ يَصْدُرَ الأمْرُ حَتَّى يُنَفَّذ . وَمَنْ ٱلَّذِي يَأمرُ فِكْرِي بِأنْ يُصْدِرَ أوَامِره ؟ أَلَعَلَّهُ « فِكْرٌ » فَوْقَ الفِكْر ؟ أَلَعَلَّهُ يَكْمُنُ فِي جَيْبٍ مِن الجُيُوبِ ٱلخَفِيَّةِ فِي كِيَانِي ٱلَّتِي لَمْ تَخْطرْ لِي بَعْدُ حَتَّى فِي ٱلحُلْمِ ؟

وَإذَا كَانَتْ لِفِكْرِي ٱلمَقْدُرَةُ عَلَى التَّحَكُّم فِي خُطَوَاتِي مَا بَيْنَ البَطِيء وَالسَّرِيع وَالأَسْرَعِ فَلِمَاذَا لَا تَكُونُ لَهُ المَقْدرة عَلَى التَّحكم فِي جَسَدِي كلّه ، فَيَجْعَلَهُ ، مَتَى شَاءَ شَفَّافًا كَالْهَوَاء وَخَفِيفًا كَالنَّسِيمِ،وَيَجْعَلَهُ مَتَى شَاءَ كَثِيفًا كَالتُّرَابِ ، وَثَقِيلًا كَأَثْقَل الرَّوَاسِي ؟

وَهَلْ قُوَّةُ فِكْرِي قَابِلَةٌ لِلنُّمُوّ ؟ وَإلَى حَدّ مَحْدُودٍ ، أمْ إلَى حَيْثُ لَا حُدُودَ ؟

بِٱلأَمْسِ كُنْتُ رَهِينَ التُّرَابِ ، وَلَا قُدْرَةَ لِي عَلَى التَّمَلُّصِ من قَبْضَتِهِ سَوَاءٌ زَحَفْتُ عَلَيْهِ زَحْفًا أو مَشَيْتُ الهُوِينَا أوْ عَدَوْتُ عَدْوًا . وَسُرعَتِي القُصْوَى كَانَتْ السُّرْعَةَ القُصْوَى فِي رِجْلَيَّ . وَاليَوْمَ أطِيرُ فِي ٱلجَوّ بِسُرْعَةٍ تَفُوقُ سُرْعَةَ الصَّوْتِ . وَأَشُقُّ طَرِيقِي إلَى كَوَاكِبَ غَيْرِ ٱلأَرْضِ . وَذَلِكَ بِفَضْلِ فِكْرِي . أوَ لَيْسَ يَعْنِي ذَلِكَ أنَّ فِكْرِي فِي تَفَتُّحٍ مُسْتَمِرٌ ؟

وَمَا دَامَ فِكْرِي فِي تَفَتُّحٍ مُسْتَمِر فَمَن ٱلَّذِي يَسْتَطِيعُ القَوْلَ إنَّهُ سَيَتَوَقَّفُ فِي تَفَتُّحِهِ عِنْدَ هَذَا الحَدّ أوْ ذَلِكَ ؟ وَكَيْفَ تَكُونُ

لِفِكْرِي حُدُودٌ مَا دَامَ لَهُ مَا يُفَكِّرُ فِيهِ ؟ ثُمَّ حَسْبُ فِكْرِي أَنْ يُفَكِّرَ فِي فِكْرِي لِيَكُونَ بِغَيْرِ حُدُودٍ . وَإِذَا كَانَ فِكْرِي بِغَيْرِ حُدُودٍ فَلَا حُدُودَ لِمَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَهُ بِجَسَدِي وَبِغَيْرِهِ مِنَ ٱلْأَجْسَادِ المَحْدُودَةِ . أَلَيْسَ فِي يَدِهِ ٱلْأَمْرُ وَالنَّهْيُ ؟ أَلَيْسَ لَهُ السُّلْطَانُ وَالجَبَرُوتُ ؟ أَلَيْسَ عَلَيَّ أَنْ أَنْمُوَ بِنُمُوِّهِ ، وَأَنْ أَتَعَلَّقَ بِهِ وَأُهْمِلَ مَا عَدَاه ؟ وَلَكِنَّنِي كُنْتُ غَرِيبًا عَنْهُ قَبْلَ الآنَ . فَمَا كَانَ أَجْهَلَنِي !

لَكَأَنَّنِي وُلِدتُ السَّاعَةَ . بَلْ لَكَأَنَّنِي أُعْتَقُ مِنْ هَذِهِ السَّاعَةِ ومن كُلِّ سَاعَةٍ . فَعُمْرِي عُمْرُ فِكْرِي . وَمَنْ يَدْرِي مَا هُوَ عُمْرُ فِكْرِي ؟ ...

ميخائيل نعيمة (اليوم الاخير)
ص ، 44 ـ 47 (الساعة الرابعة)

الأسئلـــــة :

- لِمَاذَا أَثَارَتْ حَادِثَةُ الرَّجُلِ الكَسِيحِ تَفْكِيرَ مُوسَى العَسْكَرِيِّ ؟
- مَا هِيَ ٱلْمَسَائِلُ ٱلَّتِي فَكَّرَ فِيهَا وَتَسَاءَلَ عَنْهَا إِثْرَ تَفْكِيرِهِ فِي الرَّجُلِ ٱلْكَسِيحِ وَإِلَى مَاذَا أَدَّاهُ ذَلِكَ التَّفْكِيرُ ؟
- هَلْ لِقُدْرَةِ الفِكْرِ حَدٌّ حَسَبَ نُعَيْمَةَ ؟ لِمَاذَا ؟
- مَا هِيَ أَهَمِيَّةُ قَولِ الكَاتِبِ « حَسْبُ فِكْرِي أَنْ يُفَكِّرَ فِي فِكْرِي لِيَكُونَ بِغَيْرِ حُدُودٍ »
- مَا هِيَ القَضَايَا ٱلَّتِي أَثَارَهَا الكَاتِبُ فِي هَذَا النَّصِّ ؟

تـأمـلات فِـي دُنْـيَـا النَّـاس

التَّقـــديـــم :

(يقع هذا النص في الساعة الخامسة أي في بداية الصباح . وقف العسكري في نافذة بيته واخذ ينظر من خلالها العالم القريب منه ويتخيل العالم البعيد عنه ، وفي نظراته تلك تاملات في الحياة والناس والمجتمع).

وفِي المَعَابد أرَى بَخُورًا وَشمُوعًا تَحْتَرِقُ ، وَجِبَاهًا تَنْطَحُ ٱلأَرْضَ ، وَأَكُفًا تَرْتَفِعُ الى فَوْقٍ وَأَيْدِيًا تَقْرَعُ الصُّدُورَ ، وَشِفَاهًا تُتَمْتِمُ ٱبْتِهَالاَتٍ وَتَسَابِيحَ وَضَرَاعَاتٍ فَلاَ أرَى الجِبَاهَ تُشْرِقُ بِالنُّورِ وَلاَ ٱلأَكُفَّ تَمْتَلِيءُ بِالخَيْرَاتِ وَلاَ الصُّدُورَ تَتَطَهَّرُ بِالبَخُورِ ، وَلاَ الشِّفَاه تَسِيلُ بِالبركَاتِ ...

وَفِي ٱلمُسْتَشْفِيَاتِ أرَى ٱلمَبَاضِع [1] تَعْمَلُ فِي ٱللَّحْمِ وَالعَظْمِ وَفِي ٱلأَحْشَاء وَٱلأَمْعَاء وَأرَى الجَرَاثِيمَ فِي سِبَاقٍ مَعَ العَقَاقِيرِ ، وَٱلأَسِرَّةَ تَتَرَنَّحُ بِٱلأَوْجَاعِ ، وَٱلَّذِينَ تَجَنَّدُوا لِلدِّفَاعِ عَنِ العَافِيَةِ ضِدَّ السُّقمِ أرَى بَعْضَهُمْ يَطْعَنُ العَافِيَةَ فِي الظَّهْرِ . وَلاَ عَجَبَ فَلَوْ ٱنْتَصَرَتِ العَافِيَةُ عَلَى السُّقمِ لمَا كَانَ لَهُمْ مَا يَعْمَلُونَ ، فَمِنْ سَقَمِ النَّاسِ رِزْقُهُمْ ورِضَا الدَّيَّانِ ٱلَّذِي بِٱسْمِهِ يُسَبِّحُونَ .

وَفِي الثَّكَنَاتِ أرَى أقْوَامًا جَعَلَتْ مِنْهُمْ شَرَائِعُ النَّاسِ دُمًى وَٱلأَعِيبَ وَذَبَائِحَ تُقَدِّمُهَا لِطَاغُوتٍ يُدْعَى الدَّوْلَةَ أوِ ٱلأُمَّةَ وهَذِهِ الدُّمَى لاَتَمْلِكُ مِنَ أمْرِهَا غَيْرَ وَاجِبِ الطَّاعَةِ العَمْيَاء وَٱلخَرْسَاء . فَلاَ حَقَّ لَهَا فِي الصِّيَاحِ .. أوِ النُّبَاحِ ، أو الشَّكْوَى مَهْمَا تَكُنْ ٱلمَهَامُّ

ٱلْمَنُوطَةُ بِهَا . إِنَّهَا هُنَاكَ لِتَزْرِعَ ٱلْمَوْت وَلِتَحْصِدَ ٱلْمَوْتَ عِنْدَ ٱلْحَاجَة وَأَكْرِمْ بِزَارِعِ ٱلْمَوْتِ وَحَاصِدِهِ من بَطَلٍ .

وَفِي ٱلْمَقَاهِي وَٱلْمَلَاهِي أَرَى النَّاسَ يَتَدَافَعُونَ بِٱلْمَنَاكِبِ هَرَبًا من فَرَاغٍ هَائِلٍ فِي نُفُوسِهِمْ فِيهِ تَزْحَفُ الثَّوَانِي بِأَرْجُلٍ مِن رَصَاصٍ فَتَضِيقُ عَلَيْهِمْ أَنْفَاسُهُمْ وَتَكَادُ تُزْهَقُ مِنْهُمْ الرُّوحُ . إِنَّهُمْ يَسْتَجِيرُونَ [2] من الرَّمْضَاء [3] بِالنَّارِ ... وَيَهْرَبُونَ من الدُّبِّ الى الجُبِّ . وَيُطْفِئُونَ عَطَشَهُمْ إِلَى ٱلْمَاء القَرَاح بِٱلْمَاء ٱلْأُجَاج . إِنَّهُمْ يَمْلَأُونَ الفَرَاغ بِالفَرَاغِ . وَيُطْرِدُونَ السَّأَمَ بِالسَّأَمِ وَيُهْرِمُونَ الدَّقَائِقَ بِالدَّقَائِقِ فَيَبْقَى الفَرَاغُ . وَيَبْقَى السَّأَمُ ، وَتَبْقَى الدَّقَائِقُ . أَمَامَهُمْ فَيَتَهَرَّمُونَ ....

وَفِي ٱلْمَحَاكِمِ أَرَى رِجَالاً تَجَلْبَبُوا بِسُلْطَانِ القَانُونِ وَرِجَالاً وَنِسَاءً يَسْتَجْدُونَ مِنْهُمْ العَدْلَ وَالرَّحْمَةَ بِاسْمِ القَانُون ... وَأَرَى الرَّحْمَةَ وَالعَدْلَ يَقْرَعَانِ أَبْوَابَ ٱلْمَحَاكِمِ قَرْعًا مَوْصُولاً . فَلَا تُفْتَحُ لَهُمَا ٱلْأَبْوَابُ . وَلَا يُسْمَحُ لَهُمَا بِالدُّخُولِ . وَفِي السُّجُونِ أُبْصِرُ الآلاَفَ المَؤَلَّفَةَ من ٱلَّذِينَ قَضَى عَلَيْهِمُ القَانُون بِالعَيْشِ ضِمْنَ جُدْرَانٍ كَالِحَةٍ . قَاسِيَةٍ عَابِسَةٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الشَّمْسِ ٱلْمُحْيِيَةِ وَٱلْهَوَاء الطَّلْقِ وَالنَّظَافَةِ ٱلْمُنْعِشَةِ جَفَاءٌ مُقِيمٌ مِثْلَمَا قَضَى عَلَيْهِمْ بِالحِرْمَانِ مِنْ كَلِمَةٍ لَطِيفَةٍ وَبَسْمَةٍ عَذْبَةٍ . وَلَمْسَةٍ مُؤْنِسَةٍ . وَبِضُرُوبٍ من التَّعْذِيبِ وَالتَّهْشِيمِ وَالتَّحْقِيرِ يَقْشَعِرُّ لَهَا حَتَّى الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ . أُولَئِكَ هُمُ ٱلَّذِينَ فِي طَبَائِعِهِمْ مَا لَيْسَ يَأْتَلِفُ وَطَبِيعَةَ القَانُونِ . وَلِذَلِكَ يُطِيعُونَ طَبَائِعَهُمْ وَيَعْصُونَ طَبِيعَةَ

القَانُونِ فَيَقْتُلُونَ لاَ حَيْثُ يَأْمُرُ القَانُونُ بِالقَتْلِ بَلْ حَيْثُ تَأْمُرُهُمْ طَبَائِعُهُمْ وَيَنْهَاهُمُ القَانُونُ وَيُحِبُّونَ حَيْثُ الحُبّ جَرِيمَةٌ ، وَيَتَزَوَّجُونَ حَيْثُ الزَّوَاجُ زِنًا فِي عُرْفِ القَانُون وَيَأْكُلُونَ مِنْ طَيِّبَات مَا رَزَقَهُمْ رَبُّهُمْ عِنْدَمَا تَكُونُ تِلْكَ الطَّيِّبَاتُ فِي حَوْزَةِ غَيْرِ حَوْزَتِهِم فَهُمْ لِذَلِك جَرَبٌ وَطَاعُونٌ وَنِفَايَاتٌ كَرِيهَةٌ فِي مُجْتَمِع سَلِيم الرُّوح وَالبَدَنِ ، وَطَاهِرِ النَّفْسِ وَلِلأَنْفَاسِ ، وَالقَانُونُ السَّاهِرُ أَبَدًا عَلَى سَلاَمَةِ ٱلْمُجْتَمَع وَطَهَارَتِهِ يَرَى الخَيْرَ كُلَّ الخَيْرِ فِي نَبْذِهِم وَحَصْرِهِمْ ضِمْنَ السُّجُونِ رَيْثَمَا مِنْ رَجَاسَاتِهِمْ يَتَطَهَّرُونَ .

ميخائيل نعيمة (اليوم الاخير)
ص : 52 ـ 55 (الساعة الخامسة)

شرح المفردات :

1) المَبَاضِعُ : جمع مِبضَع ، الآلةُ التي يُشَقُّ بِهَا الجِلْدُ وما شَاكَلَهُ .

2) استَجَارَ : طلبَ ٱلْجِوَارَ ...

3) الرِمْضَاءُ : شِدَّةُ الحَرّ ، والارضُ ٱلْحَامِيةُ من شِدَّةِ حَرّ الشَّمْسِ وٱلْجَمْلة كلُّها « يَسْتَجِيرُونَ مِنَ الرِمَضَاء بِالنَّارِ » مَأْخُوذَة من مَثَلٍ عَرَبِيٍّ مَعْرُوفٍ هُوَ « كَالمُسْتَجِيرِ مِنَ الرِمْضَاء بِالنَّارِ » ... وهو شطرُ بَيْتٍ شِعْرِيٍّ قَدِيمٍ :

ٱلْمُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ * كَالمُسْتَجِيرِ مِن الرِمْضَاءِ بِالنَّارِ

وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى ٱلاِنْتِقَال مِنَ ٱلسَّيِّءِ إِلَى ٱلأَسْوَإِ ...

الأسئلـــة :

1 - مَاذَا يَنْتَقِدُ العَسْكَرِيُّ فِي دُنْيَا النَّاسِ ٱلَّتِي يَرَاهَا وَيَتَصَوَّرُهَا ؟ مَا هِيَ الدَّوَافِعُ فِي فِي رأيكَ الى هَذَا النَّقْدِ ؟

2 - يَعْتَبِرُ العَسْكَرِيُّ قَوَانِينَ النَّاسِ وَعَادَتِهِم وَمَا اتفقُوا عَلَيْهِ فِي دُنْيَاهم عَلَى أَنَّهُ صَالِحٌ ، وَلَيْسَ فِي ٱلْحَقِيقَةِ كَمَا يَعْتَبِرُونَ . مَا هِيَ أدلته عَلَى ذَلِكَ ...؟ هل تُوَافِقُه فِي ذَلِكَ المَوْقف ؟ لِمَاذَا ؟...

3 - تَغْلُبُ عَلَى ٱلكَاتِب النُّزْعَةُ الانسانِيَّةُ . بَيِّنْ ذَلِكَ مُظْهِرًا التَّجَانُس بَيْنَ ٱلكَاتِبِ وَبَطَلِهِ فِي هَذَا النَّصّ ...

4 - فِي النَّصّ مَوَاطِنُ سُخْرِيَةٍ كَثِيرَةٌ بَيِّنْهَا وَٱذْكُر أَهَمِّيَتَهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى ٱلاسْلُوب القَصَصِيّ ....

ٱلْحَيَاةُ بَيْنَ « النِّظَامِ » وَاللَّامَعْنَى

صَبَاحٌ جَدِيدٌ

وَأَيُّ صَبَاحٍ لَيْسَ بِالجَدِيدِ ؟ بَلْ أَيُّ سَاعَةٍ ، أَوْ دَقِيقَةٍ أَوْ ثَانِيَةٍ لَيْسَتْ بِالجَدِيدَةِ ؟

وَلَكِنْ تَبْتِ [1] الحَوَاسُّ ٱلْبَلِيدَةُ ، فَهْيَ تَأْلَفُ ٱلْأَشْيَاءَ مِنْ يَوْمٍ لِيَوْمٍ ، وَمِنْ عَامٍ لِعَامٍ ، فَتَبْدُو لَهَا وَكَأَنَّهَا لَمْ يَطْرَأْ عَلَيْهَا أَيُّ تَبْدِيلٍ أَوْ تَغْيِيرٍ أو تَعْدِيلٍ فِي حِينِ أَنَّهَا تَتَغَيَّرُ وَتَتَبَدل وَتَتَعَدَّلُ فِي كُلِّ رَفَّةِ جَفْنٍ ، وَكَذَلِكَ الحَوَاسُّ ٱلَّتِي تَعْمَلُ عَلَيْهَا وَتَتَأَثَّرُ بِهَا.

فِي كُلِّ صَبَاحٍ أَنهَضُ مِنْ فِرَاشِي وَأَمْضِي أَقُومُ بِحَرَكَاتٍ لَا حَصْرَ لَهَا وَلَا عَدَّ وَهَذِهِ ٱلْحَرَكَاتُ تَتَشَابَهُ بَيْنَ صَبَاحٍ وَصَبَاحٍ وَلَكِنَّهَا لَا يُمْكِنُ أَبَدًا أَنْ تَكُونَ عَيْنَ ٱلْحَرَكَاتِ فِي صَبَاحَيْنِ مُتَتَالِيَيْنِ وَيُلَازِمُنِي ، مَعَ ذَلِكَ ، الشُّعُورُ ٱلْعَنِيدُ بِأَنَّ ٱلَّذِي يَقُومُ بِهَذِهِ ٱلْحَرَكَاتِ هُوَ أَنَّهُ أَنَا .

وَهَذِهِ الدُّؤَامَةُ الهَائِلَةُ مِنَ ٱلْحَرَكَةِ ٱلَّتِي تَكْتَنِفُنِي مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَٱلَّتِي لَا يَسْتَقِرُّ فِيهَا أَيُّ شَيْءٍ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ فِي لَمْحَتَيْنِ مُتَتَالِيَتَيْنِ تَبْدُو لِي وَكَأَنَّهَا تَخْضَعُ فِي حَرَكَتِهَا لِنِظَامٍ . أَوَ لَيْسَ يَعْنِي ذَلِكَ أَنَّ النِّظَامَ هُوَ وَحْدَهُ ٱلَّذِي لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَتَبَدَّلُ فِي دُنْيَا كُلُّ مَا فِيهَا يَتَغَيَّرُ وَيَتَبَدَّلُ بِاسْتِمْرَارٍ ؟ ثُمَّ أَلَيْسَ يَعْنِي ذَلِكَ أَنَّ شُعُورِي ٱلْعَنِيدَ بِٱسْتِمْرَارِ مَا أَدْعُوهُ أَنَا هُوَ بَعْضٌ مِنْ ذَلِكَ النِّظَامِ ؟

أنا في النظام والنظام فيَّ فما أكبرني ! ولكنَّ النظام يفهمني فيسيِّرني وأجهله فأنصاع له . فما أصغرني ! أفما من سبيل اليَّ الى فهمه ؟

لكأنني أسمع في داخلي أصواتا تؤكد لي أنَّ السبيل موجودٌ وأنني سائرٌ فيه وإلاَّ لما كان شعوري بالنظام وشوقي إلى فهمه في جميع مظاهره فأنا متى فهمتُهُ اكتملتُ به وفارقني الشعورُ بالعبوديَّة لتقلُّباتٍ لا رأيَ لي فيها ولا سلطان لي عليها .

إلاَّ أنني أعودُ فأسألُ نفسي عنْ ذلك النظام مِنْ أينَ جاءَ ؟ ومَنِ الَّذي جاءَ بهِ ؟ وهلْ مِنْ غايةٍ وراءَهُ ؟ وما هيَ تلكَ الغايةُ ؟ وهلْ إذا أنا أدركتُها أدركتُ المعرفةَ الَّتي ينتهي إليها ويَنْطفيءُ فيها كلُّ شوقٍ إلى المعرفةِ وبلغتُ الحريَّةَ الَّتي يموتُ لديها الموتُ وتختنقُ جميعُ المخاوف والهمومِ والرغباتِ والنَّزواتِ والمطامعِ ويبقى معَ ذلكَ الشُّعور بديمومةٍ خارج حُدود الزَّمانِ والمكانِ وخارجَ نطاقِ الخيرِ والشَّرِّ ؟ رُوَيدكَ رُوَيدكَ يا مُوسى العسكريَ ولا يُغرَّنك أنك تحملُ لقبَ دكتورٍ في الفلسفةِ . رُوَيدكَ واسمعْ ما يقولُه الصَّباحُ الجديدُ وماذا يقولُ الصَّباحُ الجديدُ ؟

إنَّهُ يهزأ منكَ كما يهزأُ البحرُ مِنْ سمكةٍ فيهِ تُحاولُ أن تبتلعَهُ فمِنْ أينَ لأُذنِكَ أنْ تسمعَ كلَّ ما يقولُه هذا الصَّباحُ ولفكرِكَ أن يعيَ كلَّ ما يسوقُه في ركابِهِ مِنْ عجائبَ ولعينِ خيالِكَ أن تبصرَ جميعَ الكائناتِ الَّتي أطلَّتْ على الأرضِ لأوَّلِ

مَرَّةٍ أَوْ لآخرِ مَرَّةٍ مَعَ إِطْلاَلَتِهِ ؟ فَهُنَاكَ رَبَوَاتٌ لِلأَعْشَابِ وَالأَزْهَارِ وَالزَّحَافَاتِ وَالْمُجَنَّحَاتِ وَالبَهَائِمِ وَالآدَمِيِّينَ الَّذِينَ دَرَجُوا فِي هَذَا الصَّبَاحِ مِنْ غَيَاهِبِ الظُّلُمَاتِ فِي التُّرَابِ وَالبُيُوضِ وَالأَرْحَامِ الى مَسَارِحِ النُّورِ وَهُنَاكَ رَبَوَاتُ الَّذِينَ لَفَّهُمْ هَذَا الصَّبَاحُ بِأَكْفَانِ الظُّلْمَةِ . إِنَّهُ الصَّبَاحُ الأَوَّلُ وَالصَّبَاحُ الأَخِيرُ لِرَبَوَاتِ الكَائِنَاتِ .

مِنَ الأَكِيدِ أَنَّ بَيْنَ الَّذِينَ أَيقَظَهُمْ هَذَا الصَّبَاحُ وَأَرْسَلَهُمْ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ . آلافًا مُؤَلَّفَةً مِنَ الآدَمِيِّينَ وَغَيْرِ الآدَمِيِّينَ الَّذِينَ لَنْ يُبْصِرُوا صَبَاحًا بَعْدَ هَذَا الصَّبَاحِ وَلَكِنَّهُمْ لاَيَعْرِفُونَ وَلِذَلِكَ يَسْعَونَ وَيُزَاحِمُونَ وَيُجَاهِدُونَ وَهؤُلاَءِ مِنْهُمُ الضَّاحِكُونَ وَالهَازِجُونَ . وَمِنْهُمُ الْبَاكُونَ وَالنَّائِحُونَ وَلَكِنَّهُمْ جَمِيعًا بِأَذْيَالِ الْحَيَاةِ يَتَمَسَّكُونَ وَلاَ تَمَسُّكَ الرَّضِيعِ بِثَدْيَ أُمِّهِ . إِلاَّكَ يَا مِسْكِينُ . أَنْتَ وَحْدَكَ قَدْ جَاءَكَ النَّبَأُ بِأَنَّ هَذَا الصَّبَاحَ سَيَكُونُ صَبَاحَكَ الأَخِيرَ . فَأَيَّ مَعْنًى لأَيِّ سَعْيٍ تَسْعَاهُ،وَأَيُّ نَفْعٍ فِي أَيِّ فِكْرٍ تُفكرهُ وَخَيَالٍ تَتَخَيَّلُهُ وَشَهْوَةٍ تَشْتَهِيهَا ونيةٍ تَنْوِيهَا .

ميخائيل نعيمة (اليوم الاخير)
ص : 62 ـ 65 (الساعة السادسة)

1 - شرح المفردات :

1) تَبَتَ : من تَبَّ يَتُبُّ تَبًّا وَتَبَبًا وَتَبَابًا وَتَبِيبًا : هَلَكَ وَمِنْهُ تَبَّت يداهُ . أي خَسِرَتَا ...

الأسئلة :

1 - قد انتقَدَ العسْكريُّ الحَوَاسَّ في أول النصّ بين ذَلِكَ وَاذْكُرْ رَأْيَكَ في الحَوَاسِّ: هَلْ يَجُوزُ فِيهَا الخطأ؟

2 - يَرَى العَسْكري أن الحركات والموجودات عَامَّة لاَيُمْكِنُ لَهَا أَنْ تَتَشَابه في شَيْءٍ . بَيِّنْ ذَلِكَ واذكر لِمَاذَا ؟

3 - مَا مَعْنَى قَوْلِ العَسْكَرِي « أَنَا فِي النظام والنظام فِيَّ » فَمَا أكبرني ! .. »

4 - مَا المقصود بالنظام في النصّ ؟

5 - مَا هِيَ القَضِيَة الفَلسفية التي يُثِيرُهَا الكَاتِبُ في هَذَا النصّ ؟

النظـــام الـكونـي

التقـــديـــم :

« تقدم الوقت بموسى العسكري فهو في الساعة الثامنة وتقدم به تفكيره أيضا في اكتشاف المجاهل الفكرية وقد حدث في الساعة السابعة حدث مهم ، فقد كان هشام ابن العسكري قد استيقظ وأقبل إلى نشرينة ـ شجرة مزهرة ذات شوك ... يتأملها تأملا غريبا وكان أبوه ينظر إليه بحنان فياض حتى شعر بأنه لا يتمالك نفسه وقفز إليه ليطوقه بذراعيه ، لكن الابن أجفل كالملسوع وانقلبت به العجلة التي كانت تحمله فهوى على الشجرة ووجهه إلى أسفل وكانت تلك السقطة كوالقة للسانه كي تنحل عقدته ويعود النطق إليه وقد سمعت القرية كلها بذلك الحادث فجاؤوا إلى منزل العسكري يستوضحون ويهنئون وكثير منهم يعتقد أنها معجزة قد حدثت وأن « مريم العذراء » وراء تلك المعجزة ما حدث كان بالنسبة إلى العسكري حافزا آخر للتفكير العميق في الكون وفي سيره وفي علاقة الانسان به ، وقد بدأ بعد تفكير متشعب يدرك معنى النظام الكوني » .

لِكَيْ يُولَدَ هِشَامٌ عِنْدَمَا وُلِدَ وَحَيْثُ وُلِدَ وَمِثْلَمَا وُلِدَ كَانَ لَابُدَّ لِيَ ولأُمِّهِ أَنْ تُولَدَ عِنْدَمَا وُلِدْنَا وَحَيْثُ وُلِدْنَا وَمِثْلَمَا وُلِدْنَا وَلِكَيْ نُولَدَ أَنَا وَأُمُّه عِنْدَمَا وُلِدْنَا وَحَيْثُ وُلِدْنَا وَمِثْلَمَا وُلِدْنَا كَانَ لِوَالِدَيْنَا أن يُولَدُوا عِنْدَمَا وُلِدُوا وَحَيْثُ وُلِدُوا وَمِثْلَمَا وُلِدُوا ، إنَّ الإِنْسَانَ كَذَلِكَ عَالَمٌ مُعَقَّدٌ وَمَلِيءٌ بِالأَسْرَارِ كَالْعَالَمِ اللَّامتنَاهِي الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ.فَالعَالَمَانِ فِي الوَاقِعِ عَالَمٌ وَاحِدٌ وَلَيْسَ يُمْكِنُ فَهْمُ الْوَاحِدِ دُونَ فَهْمِ الآخَرِ ...

إلاَّ أَنَّنِي وَإِنْ اسْتَعْصَى عَلَيَّ فِي الوَقْتِ الْحَاضِرِ فَهْمُ ذَيْنِكَ العَالَمَيْنِ أَوْ ذَلِكَ العَالَمِ ـ فَلَيْسَ يَسْتَعْصِي عَلَيَّ الشُّعُورُ بِأَنَّ النِّظَامَ الَّذِي يُسيرُ الإِنْسَانَ وَالْكَوْنَ هُوَ نِظَامٌ وَاحِدٌ وَبِأَنَّ فِي

مُسْتَطَاعِي إِدْرَاكُهُ يَوْمًا مِنَ ٱلْأَيَّامِ مَا دَامَ هُوَ ذَاتُه يُلْهِبُنِي شَوْقًا إِلَى فَهْمِهِ وَيَدْفَعُنِي بِغَيْرِ ٱنْقِطَاعٍ عَلَى التَّفْتِيشِ عَنْهُ ، وَإِذْ ذَاكَ فَلَا بُدَّ لِي مِنَ القَوْلِ بِأَنَّ النِّظَامَ هُوَ أَبَدًا فِي دَاخِلِي وَبِأَنَّ لَهُ غَايَةً مِنْ وُجُودِي ، مِثْلَمَا لِي غَايَةٌ مِنْ وُجُودِهِ وَالغَايَةُ هِيَ أَن يَتِمَّ وَأَتِمَّ بِهِ فَأَحْيَا بِهِ وَأُحِبَّهُ وَيَحْيَا بِي وَيُحِبَّنِي .

أَمَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ النِّظَامُ عَاقِلًا أَوْ غَيْرَ عَاقِلٍ ، وَأَنْ يَكُونَ مَادَّةً أَوْ رُوحًا ، فَجَدَلٌ لَاطَائِلَ تَحْتَهُ إِذْ أَنَّنَا حَتَّى اليَوْمَ لَانَسْتَطِيعُ التَّفْرِيقَ بَيْنَ ٱلْمَادَّةِ وَالرُّوحِ فَهَا هُوَ العَالَمُ ٱلَّذِي ذَكَرْتُ ـ وَهُوَ مِنْ أَفْحَاجِ العُلَمَاءِ ٱلْمَادِيِّينَ ـ يَعْتَرِفُ بِأَنَّ المُتَنَاهِيَ فِي الصِّغَرِ وَٱلْمُتَنَاهِيَ فِي ٱلْكِبَرِ لَايَقِفُ أَيُّ مِنْهُمَا عِنْدَ حَدٍّ ، فَمَا مِنْ صَغِيرٍ إِلَّا وَهُنَاكَ مَا هُوَ أَصْغَرُ مِنْهُ وَمَا مِنْ كَبِيرٍ إِلَّا وَهُنَاكَ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ ، وَعِنْدَئِذٍ فَالشَّيْءُ ٱلْوَحِيدُ الثَّابِتُ هُوَ ذَلِكَ المَجْهُولُ ٱلَّذِي فِي ٱسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يَصْغُرَ إِلَى مَا لَانِهَايَةَ وَأَنْ يَكْبُرَ إِلَى مَالَا نِهَايَةَ ، وَلَيْسَ يُغَيِّرُ فِي طَبِيعَتِهِ شَيْئًا أَنْ تَدْعُوَهُ مَادَّةً أَوْ أَنْ تَدْعُوَهُ رُوحًا ...

لَعَلَّ لَنَا فِي ٱلْأَرْقَامِ أَرْوَعَ مِثَالٍ عَلَى ذَلِكَ ٱلْمَجْهُولِ فَٱلْوَاحِدُ ٱلَّذِي مِنْهُ تَتَرَكَّبُ جَمِيعُ ٱلْأَرْقَامِ يَتَجَزَّأُ إِلَى مَالَا نِهَايَةَ وَيَتَضَاعَفُ إِلَى مَالَا نِهَايَةَ ، وَيَبْقَى مَعَ ذَلِكَ وَاحِدًا ، وَهُوَ إِذَا أَرَدْتَهُ جَبَلًا كَانَ جَبَلًا ،أَوْ بُرغُشَةً كَانَ بُرْغُشَةً ، أَوْ مَلَاكًا كَانَ مَلَاكًا ،أَوْ شَيْطَانًا كَانَ شَيْطَانًا ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ فِي ٱلْوَاقِعِ ، شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، بَلْ هُوَ خَيَالٌ مُطْلَقٌ يَتَلَبَّسُ شَتَّى الصُّوَرِ المَحْسُوسَةِ كَيْمَا يَغْدُوَ مَحْسُوسًا لِلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا بَعْدَ الوَعْيِ عَلَى مُسْتَوَى المُطْلَقِ ، وَأَنَا وَاحِدٌ

مِنْهُمْ . إِنَّنِي أَحِسُّهُ وَلَا أُعِيهِ ذَلِكَ الْمَجْهُولُ هُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الَّذِي دَعَاهُ الْأَقْدَمُونَ (اللَّهُ) وَالْإِنْسَانُ هُوَ أَتَمُّ صُورَةٍ لَهُ عَلَى الْأَرْضِ وَلَكِنَّهَا صُورَةٌ مَا تَزَالُ فِي طَوْرِ التَّطْهِيرِ . وَتَطْهِيرُهَا لَا يَجْرِي اعْتِبَاطًا أَوْ كَيْفَمَا اتَّفَقَ . بَلْ هُوَ يَتْبَعُ نِظَامًا دَقِيقًا وَمُحْكَمًا وَصَارِمًا إِلَى أَقْصَى الْحُدُودِ . وَهَذَا النِّظَامُ يُكَافِيءُ الَّذِينَ يُسَايِرُونَهُ وَيُعَاقِبُ الَّذِينَ يُعَانِدُونَهُ وَلِأَنَّ النَّاسَ فِي أَغْلَبِيَّتِهِمِ السَّاحِقَةِ لَا يَزَالُونَ يَجْهَلُونَ فَهُمْ يُسَايِرُونَهُ حِينًا وَحِينًا يُعَانِدُونَهُ . إِمَّا عَنْ وَعْيٍ مِنْهُمْ أَوْ عَنْ غَيْرِ وَعْيٍ . لِذَلِكَ كَانَتْ حَيَاتُهُمْ مَدًّا وَجَزْرًا مِنَ الْفَرَحِ وَالتَّرَحِ وَالطُّمَأْنِينَةِ وَالْقَلَقِ وَالنُّمُوِّ وَالانْحِلَالِ . وَجَمِيعُ أَصْنَافِ الْمُتَنَاقِضَاتِ مَا بَيْنَ خَيْرٍ وَشَرٍّ .

ميخائيل نعيمة (اليوم الاخير)

ص : 97 ـ 100 (الساعة الثامنة)

الأسئلـــــة :

1 - لِمَاذَا لَا يُمْكِنُ فَهْمُ الْعَالَمِ اللَّامُتَنَاهِي . إِلَّا بِفَهْمِ الانسان ؟ وبِتَمِّ فَهْمُ الإِنْسَانِ إِلَّا بِفَهْمِ ذَلِكَ الْعَالَمِ ؟

2 - مَا هُوَ النِّظَامُ الكَوْنِيُّ ؟ وَمَا هِيَ أَهَمِّيَةُ هَذِهِ النَّظْرِيَةِ لِتَفْسِيرِ ظَوَاهِرَ كَوْنِيَةٍ عَدِيدَةٍ ...

3 - مَا هِيَ الأَدِلَّةُ التي اعتمدها العسكريُّ لإثْبَاتِ نَظَرِيَتِهِ في النظام الكَوْنِيّ :...

4 - مَا هُوَ أَثَرُ النَّظَرِيَاتِ التَّصَوُّفِيَةِ فِي هذا الاعتقادِ الذي انتهى اليه العسكري ...

قِيمَةُ جهْدِ الانسَانِ الحَقِيقِيَّةُ

التّقـــديـــم :

(دارَ بَيْنَ هِشَام ووَالِدِهِ نِقَاشٌ تَبَيَّنَ فِيهِ الأَبُ أَنَّ ابْنَهُ كَانَ يَعْرِفُ كُلَّ مَا وَقَعَ لِلْعَائِلَةِ ـ مِنْ ذَهَابِ والِدَتِهِ مَعَ الشَّابِّ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ـ وَبَيْنَمَا كَانَ الاثْنَانِ يَتَحَدَّثَانِ أَقْبَلَتْ أُمُّ زَيْدَانَ عَلَيْهِمَا وَطَلَبَتْ مِنَ الْعَسْكَرِيِّ أَنْ يَدْخُلَ بِهِ إِلَى دَاخِلِ الْبَيْتِ ، وَقَدْ نَادَتْهُ بِـ « يَا دُكْتُور » عَلَى عَادَتِهَا . فَأَلِمَتْ كَلِمَةُ « دُكْتُور » إِذْ رَآهَا مَثَارًا لِلسُّخْرِيَةِ مِنْ نَفْسِهِ وَمِنَ الفَلْسَفَةِ الَّتِي اتَّخَذَ مِنْ تَدْرِيسِهَا مِهْنَةً يَرْتَزِقُ مِنْهَا).

وَهَا هِيَ الفَلْسَفَاتُ الَّتِي دَرَسْتُهَا وَدَرَسْتُهَا حَتَّى اليَوْمَ تَنْهَارُ جَمِيعُهَا أَمَامَ صَوْتٍ يَهْتِفُ بِي فِي الْمَنَامِ ، « قُمْ وَدَعْ اليَوْمَ الأَخِير » ، وَأَمَامَ شَبَحِ المَوْتِ الَّذِي يبعَثُه ذَلِكَ الصَّوْتُ فِي نَفْسِي المَذْعُورَةِ، وَأَمَامَ زَوْجَتِي تَهْجُرُنِي لِتَلْتَحِقَ برجُلٍ غَيْرِي ، وَأَمَامَ العَوْسَجَةِ الَّتِي رَدَّتِ النُّطْقَ إِلَى لِسَانِ وَلَدِي ، وَالْحَرَكَةِ إِلَى سَاقَيه ، وَأَمَامَ « بُولْسَانَيْنْ » وَحِقْدِهِ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ يَتَمَتَّعُ بِشَيْءٍ مِن النِّعْمَةِ وَالرَّاحَةِ ، وَحَتَّى أَمَامَ أُمِّ زيدَانَ الَّتِي مَا برِحَتْ تُرَدِّدُ : هِشَامٌ سَيَنْطَقُ هِشَامٌ سَيَمْشِي ...

أَجَلْ ، لَقَدْ انْهَارَتْ جَمِيعُ تِلْكَ الفَلْسَفَاتِ أَمَامَ مَا مَرَّ بِي فِي السَّاعَاتِ الثَّمَانِي الأَخِيرَةِ مِنْ حَيَاتِي ، فَأَيُّ قِيمَةٍ بَعْدُ لِلَقَبِ « دُكْتُورٍ فِي الفَلْسَفَةِ » ؟ إِنَّهُ لَيَسْخَرُ بِي أَفْظَعَ السُّخْرِيَةِ مِنْ بَعْد أَنْ كُنْتُ أَعْتَزُّ بِهِ أَعْظَمَ الاعْتِزَازِ .

بَلْ أَيُّ قِيمَةٍ بَعْدَ هَذَا لأَيِّ جُهْدٍ يَبْذُلُهُ الإِنْسَانُ وَلاَ يَكُونُ لَهُ عَوْنًا فِي مُجَابَهَةِ مَا يَطْرَأُ عَلَيْهِ مِنْ أَحْدَاثٍ نَافِعَةٍ أَوْ ضَارَّةٍ وَمُفَاجَآتٍ مُؤْلِمَةٍ أَوْ سَارَّةٍ . ؟

أَيُّ قِيمَةٍ لِلْفُنُونِ الْجَمِيلَةِ لاَتَتَجَمَّلُ بِهَا حَيَاةُ الَّذِينَ يُبْدِعُونَهَا فَتَغْدُو طَاهِرَةً مِنَ الرِّيَاءِ وَالتَّدْجِيلِ ، وَالْمَكْرِ وَالنِّفَاقِ .

وَٱلْحِقْدِ وَالغَضَبِ ، وَالفُحْشِ وَالتَّهَتُّكِ ، وَالظُّلْمِ وَالغَطْرَسَةِ ، وَالكُرْهِ والجَشَعِ وَحُبِّ الظُّهُورِ وَٱلْمَجْدِ البَاطِلِ ؟

وَأَيُّ قِيمَةٍ لِلأَدَبِ لاَ يَتَأَدَّبُ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخْلُقُونَه أَوْلاَ كَيْمَا يَتَأَدَّبَ بِهِ ٱلَّذِينَ يَقْرَأُونَهُ ؟

مَا نَفْعُ الشَّاعِرِ أَنْ يُقَالَ فِي قَصِيدَةٍ نَظَمَهَا إِنَّهَا قَصِيدَةٌ « عَصْمَاءُ » وَهُوَ عِنْدَمَا يَخْلُو بِرُوحِهِ يَجِدُهَا عَمْيَاءَ ، خَرْسَاءَ ، شَوْهَاءَ ؟ أَوْ يَجِدُهَا أَضْعَفَ مِنْ أَنْ تَصْمُدَ لِنَسْمَةِ هَوَاءٍ ، فَكَيْفَ بِعَاصِفَةٍ هَوْجَاءَ ؟ .

مَا نَفْعُ كَاتِبِ الرِّوَايَةِ أَوِ القِصَّةِ أَنْ يَسُوقَ إِلَيْكَ صُوَرًا صَادِقَةً مِنَ ٱلْحَيَاةِ ٱلَّتِي يَحْيَاهَا النَّاسُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَا دَامَ هُوَ نَفْسُه لاَ يَسْتَخْلِصُ مِنْ تِلْكَ الصُّوَرِ عِبرًا تُمَكِّنُهُ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ مِنْ حَيَاتِهِ قُدْوَةً يَقْتَدِي بِهَا النَّاسُ ؟

لاَ ، لاَ ، قِيمَةَ لأَيِّ فَلْسَفَةٍ ، أَوْ فَنٍّ ، أَوْ أَدَبٍ ، أَوْ دِينٍ إِلاَّ عَلَى قَدْرِ مَا يُتَرْجِمُهَا الفَيْلَسُوفُ وَالفَنَّانُ ، وَٱلأَدِيبُ وَٱلْمُتَدَيِّنُ إِلَى قُوَّةٍ تَخْلُقُ فِيهِ ٱلْمَنَاعَةَ ضِدَّ جَمِيعِ ٱلأَضَالِيلِ وَٱلأَوْهَامِ وَالتُّرَهَاتِ ، وَٱلْمَخَاوِفِ ، وَالبَشَاعَاتِ ٱلَّتِي مَا تَزَالُ تُشَوِّهُ حَيَاةَ ٱلإِنْسَانِ عَلَى ٱلأَرْضِ .

ميخائيل نعيمة (اليوم الاخير)

ص : 104 ـ 107 (الساعة الثامنة)

الأسئلـــــة :

- لِمَاذَا ٱنْهَارَتْ كُلُّ الفلسفات التي تَعَلَّمَهَا أَمَامَ الصَّوْتِ ٱلَّذِي سَمِعه عند منتصف ٱللَّيْلِ ؟ ما هو أثر ذلك الصَّوتِ على حياةِ العسكري وعلى فِكْرِه في هَذَا اليوم الأخير .
- ما هُوَ رَأْي العسكري في الغاية من كُلِّ جُهْدٍ إنسانِيٍّ ؟
- إِلَى مَاذَا يَجِبُ أَنْ يُوَجَّه ذَلِكَ الجهدُ فِي نَظَرِه ..؟
- أَظْهِر نزعَةَ الكاتِب الانسانيَّةَ فِي هَذَا النَّصّ .

الحياة مراحل تشلو مراحل

التقديم :

(تسامع القرويون بخبر عودة النُطق لهشام فتسارعوا إلى منزل العسكري وكان من بين الزُوار رجل اسمه « أبو لسانين » إشارة إلى كثرة كلامه في أعراض الناس . كما زاره في نفس الساعة شيخ قد أقبل من سويسرا حيث تُقيم زوجة العسكري مع عشيقها وكان الشيخ يحمل منها رسالة للعسكري أعادت إليه حنينه إليها . وتذكر ماضيه معها وكيف تم زواجهما . « في الساعة العاشرة حدثه هشام عن حلم عجيب رآه في المنام . فقد رأى نفسه سائرا في سرداب مظلم ضيق في حالة سيئة جدا وكان صوت في نفس الوقت يجمعه على السير وعلى عدم التوقف ، وعندما انتهى إلى خارج السرداب وجد رجلا يكسوه رداء أزرق وله لحية بيضاء علق على صدر هشام نجمة الصُبح . وفي الساعة الحادية عشر حدث أمر آخر مهم . فقد تولى في دار المختار - جار العائلة - ابن المختار الوحيد الذي جاءه بعد عدد كبير من البنات . وكان ذلك كالكارثة بالنسبة إلى الأب المفجوع . وقد كانت كل هذه السلسلة من الأحداث من الدوافع على التعمق في التفكير أكثر من ذي قبل ، وخاصة موت ابن المختار فالمختار يكره البنات . فيولد له منهم سبع ، وهو من بعد ... « نكبته » بالبنات السبع رزق ولدا ذكرا لكنه نكب فيه أيضا فلماذا هذه المحن ؟ ومن المتسبب للمختار في ما حصل له ؟ وهل أن ذلك قصاص منه ؟)...

وَمَا أَدْرِي لِمَاذَا ٱنْتَقَلْتُ بَغْتَةً بِفِكْرِي إِلَى حِكَايَةِ الرَّجُلِ ٱلْمَوْلُودِ أَعْمَى فِي ٱلإِنْجِيلِ . فَقَدْ وَرَدَ عَلَى لِسَانِ الحَوَارِيِّ يُوحنَّا أَنَّهُ فِيمَا كَانَ يَسُوعُ يَسِيرُ مَعَ تَلَامِيذِهِ أَبْصَرَ رَجُلاً أَعْمَى مُنْذُ مَوْلِدِهِ . فَسَأَلَهُ تَلَامِيذُه ، « يَا رَبُّ مَنْ أَخْطَأَ ، أَهَذَا أَمْ أَبَواهُ حَتَّى وُلِدَ أَعْمَى ؟ » فَأَجَابَهُمْ ، « لاَ هَذَا وَلاَ أَبَواهُ . لَكِنْ لِتَظْهَرَ أَعْمَالُ ٱللَّهِ فِيهِ » . وَلاَ أَنَا أَدْرِي لِمَاذَا وَقَفْتُ عِنْدَ هَذِهِ ٱلْحِكَايَةِ وَكَأَنَّنِي أَقْرَأُ ٱلْحِكَايَةَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي حِينِ أَنِّي قَرَأْتُهَا وَسَمِعْتُهَا مَرَّاتٍ .

رَجُلٌ يُولَدُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ أَعْمَى . هَهُنَا مَا هُوَ جَدِيرٌ بِالتَّفْكِيرِ العَمِيقِ ، العَمِيقِ .

وَلَكَمْ سَمِعْتُ النَّاسَ يَشْمَتُونَ بِسَارِقٍ إِذَا تَلَقَّفَهُ السِّجْنُ وَقَاتِلٍ إِذَا هُوَ تَدَلَّى مِنَ ٱلْمِشْنَقَةِ وَمُتَبَجِّحٍ بِغِنَاهُ إِذَا هُوَ أَفْلَسَ وَمُتَبَاهٍ بِقُوَّةِ عَضَلَاتِهِ إِذَا هُوَ لَقِيَ مَنْ يَلْقَمُهُ التُّرَابَ . أَوَ لَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ يَعْتَرِفُونَ بِوُجُودِ نِظَامٍ إِذَا تَعَدَّاهُ أَحَدُهُمْ جَلَبَ لِنَفْسِهِ ٱلْمَتَاعِبَ وَٱلْأَوْجَاعَ ؟ إِنَّهُ ٱعْتِرَافٌ بِصِدْقِ ٱلْحِكْمَةِ القَدِيمَةِ ٱلْقَائِلَةِ إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَا يَحْصِدُ غَيْرَ ٱلَّذِي يَزْرَعُ .

وَجَلِيٌّ أَنَّ تَلَامِيذَ يَسُوعَ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَوْثَقَ ٱلاعْتِقَادِ أَنَّ العَاهَاتِ والمَصَائِبَ عَلَى أَنْوَاعِهَا لَيْسَتْ سِوَى قِصَاصٍ عَادِلٍ لِلَّذِينَ تَنْزِلُ بِهِمْ وَٱلَّذِينَ يُشَارِكُونَهُم فِيهَا إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ أَوْ صَغِيرٍ . فَهِيَ حَصَادُهُمْ لِمَا زَرَعُوهُ . إِنَّهَا نِيَّاتُهُمْ وَأَفْكَارُهُم وَأَعْمَالُهُمْ وَقَدْ ٱرْتَدَّتْ إِلَيْهِمْ .

وَلَكِنَّ التَّلَامِيذَ ٱرْتَبَكُوا أَشَدَّ ٱلِارْتِبَاكِ عِنْدَمَا حَاوَلُوا أَنْ يُطَبِّقُوا قَانُونَ الزَّرْعِ وَالحَصَادِ عَلَى رَجُلٍ وُلِدَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ أَعْمَى . إِذْ كَيْفَ كَانَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ أَنْ (يَزْرَعَ) أَيَّ البُذُورِ وَهُوَ مَا يَزَالُ جَنِينًا فِي الرَّحِمِ ؟ وَإِذَا هُوَ لَمْ يَزْرَعْ أَيَّ بُذُورٍ تَسْتَوْجِبُ العَمَى وَزَرَعَهَا أَبَوَاهُ فَأَيُّ العَدْلِ هُوَ العَدْلُ ٱلَّذِي يَقْضِي بِأَنْ يَحْصِدَ الوَلَدُ مَا زَرَعَهُ أَبَوَاهُ حَتَّى قَبْلَ وِلَادَتِهِ ؟ إِنَّهُ الظُّلْمُ ٱلَّذِي مَا بَعْدَهُ ظُلْمٌ أَنْ يَأْكُلَ الآبَاءُ الحِصْرِمَ فَلَا يَضْرِسُوا وَيَضْرِسُ الأَبْنَاءُ . وَأَيُّ النَّاسِ يُطَاوِعُهُ قَلْبُهُ أَوْ فِكْرُهُ أَنْ يَقُولَ لِطِفْلٍ مَوْلُودٍ أَعْمَى ، « تَسْتَاهِلْ » ؟

فَكَّرْتُ فِي هَذِهِ ٱلأُحجِيَةِ وَفَكَّرْتُ حَتَّى كَادَ يَنْفَلِقُ رَأسِي . وَلَمْ أَهْتَدِ إِلى جَوَابٍ . وَبَغْتَةً خَطَرَ لِي خَاطِرٌ غَرِيبٌ . وَهُوَ أَنَّ تَلَامِيذَ المَسِيحِ لَمْ يَكُونُوا مِنَ البَلَاهَةِ بِحَيْثُ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الجَنِينَ يُمْكِنُ أَنْ يُخْطِىءَ وَهُوَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ . فَالخَطَأُ هُوَ تَجَاوُزُ القَاعِدَةِ أَوِ القَانُونِ أَوِ النِّظَامِ ، سَوَاءٌ كَانَ التَّجَاوُزُ عَنْ عَمْدٍ أَوْ عَنْ غَيْرِ عَمْدٍ . وَالجَنِينُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ لَا يَمْلِكُ القُدْرَةَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ التَّجَاوُزِ . فَكَيْفَ يُخْطِىءُ ؟

وَلَكِنَّ الرَّجُلَ وُلِدَ أَعْمَى . وَٱلعَمَى ، كَغَيْرِهِ مِنَ العَاهَاتِ وَٱلمَصَائِبِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ نَتِيجَةٍ لِتَجَاوُزِ النِّظَامِ ٱلَّذِي يَقْضِي عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَحْصِدَ مَا زَرَعَ . أَلَمَّ التَّلَامِيذَ عِنْدَمَا سَأَلُوا مُعَلِّمَهُمْ ذَلِكَ السُّؤَالَ كَانُوا يَقْصِدُونَ أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ « أَخْطَأَ » قَبْلَ أَنْ كَانَ جَنِينًا فِي بَطْنِ أُمِّهِ ؟ أَيْ أَنَّهُ عَاشَ وَمَاتَ ثُمَّ عَادَ فَوُلِدَ وَأَنَّهُ تَجَاوَزَ النِّظَامَ فِي حَيَاتِهِ السَّابِقَةِ تَجَاوُزًا ٱسْتَحَقَّ مِنْ أَجْلِهِ أَنْ يَعِيشَ حَيَاتَهُ الجَدِيدَةَ مَكْفُوفَ البَصَرِ .

بَلَى . بَلَى . ذَلِكَ مَا عَنَاهُ تَلَامِيذُ يَسُوعَ بِسُؤَالِهِمْ . وَذَلِكَ مَا فَهِمَهُ مُعَلِّمُهُمْ مِنْهُمْ . وَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ يَعْتَقِدُ ٱعْتِقَادَهُم أَنَّ النَّاسَ يُوَلَدُونَ وَيَمُوتُونَ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ لَأَنَّبَهُمْ أَقْذَعَ التَّأْنِيبِ فَقَالَ لَهُمْ ، (يَا مَجَانِينُ) كَيْفَ كَانَ لِهَذَا الرَّجُلِ أَنْ يُخْطِىءَ وَهُوَ جَنِينٌ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ؟) إِلَّا إِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ .

ميخائيل نعيمة (اليوم الاخير)

ص ، 150 ـ 154 (الساعة الحادية عشر)

الأسئلـــــة :

- مَا تَفْسِيرُ العسكري لِلإجَابَةِ ٱلَّتِي أَجَابَ بِهَا المسيح تَلاَمِيذَهُ ؟
- مَا هِيَ القَضيةُ الفلسفية التي يُثِيرُهَا العسكري في هذا النصّ ؟
- مَا هِيَ المؤثّراتُ ٱلَّتِي حَمَلَتْ العسكري على الانتهاء الى هذه الرؤية وهذا التأويلِ لإجَابةِ المَسِيح ؟
- مَا هِيَ مَصادر هذه النظريةِ التي كان نعيمةُ قد ٱنْتَهى اليهَا حولَ الانسانِ ومصيرِهِ ولتَفْسِيرِ ظَاهِرَتَيْ الخَيْرِ والشَرّ خَاصَةْ ؟

الغَايَةُ مِن الحَيَاةِ الكَمَالُ

التّقديم :

(يُواصِلُ العَسكَرِيّ في هذا النّصّ تفكيرَهُ في ما آلتهى إليه في النّصّ الفارط مِنْ نظريّة في تفضيلِ « الخَيْرِ والشّرّ » وَمَا يلحقُ الإنسانَ في حياتِه من لذّة وألم . ويتعمّقُ الكاتبُ في هذا النّصّ أكثرَ فيشتغلُ في تحليلِ « العَدالَةِ الإلهيةِ » و « الغايةِ مِنَ الوُجود » ومِنَ الحَياةِ عامّةً).

لَعَلَّ الّذِي رَاقَنِي مِنْ هَذِهِ الفِكْرَةِ فِي الدَّرَجَةِ الأُولَى هُوَ أَنَّهَا تَقْضِي عَلَى رَهْبَةِ المَوْتِ فَتَجْعَلُ مِنْهُ خَادِمًا أَمِينًا لِلْحَيَاةِ لاَ خَصْمًا لَدُودًا لَهَا ثُمَّ إِنَّهَا تَرُدُّ إِلَى « العَدْلِ » وَ « الحَقِّ » و « الحَيَاةِ » مَعْنَاهَا فَمَا يُصِيبُنِي مِنْ لَذَّةٍ وَأَلَمٍ هُوَ حَصَادُ مَا أَزْرَعُهُ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ وَمَا زَرعتهُ فِي حَيَوَاتٍ سَابِقَاتٍ مِنْ بُذُورٍ صَالِحَةٍ أَوْ طَالِحَةٍ . وَذَلِكَ هُوَ العَدْلُ كُلُّ العَدْلِ : أَنْ يَكُونَ ثَوَابِي فِي يَدِي . وَعِقَابِي فِي يَدِي . فَلاَ أُعَاتِبُ اللّهَ وَلاَ الدَّهْرَ ، وَلاَ الطَّبِيعَةَ وَلاَ أَيَّ إِنْسَانٍ فِي مَا يُصِيبُنِي مِنْ وَجَعٍ . فَأَنَا قَضَاءُ نَفْسِي . وَأَنَا قَدَرُهَا . وَأَنَا السَّبَبُ الأَوَّلُ وَالأَخِيرُ فِي كُلِّ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ مِنْ تَفَاوُتٍ فِي الحُظُوظِ ...

وَإِنِّي لأَسْأَلُ ، لِمَاذَا يَصْعُبُ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَتَقَبَّلُوا فِكْرَةَ تَجَدُّدِ الشَّخْصِيَةِ البَشَرِيَةِ مِرَارًا وَتِكْرَارًا بَعْدَ المَوْتِ كَيْمَا تَكْتَمِلَ لَهَا أَسْبَابُ المَعْرِفَةِ وَالحُرِّيَةِ وَالخُلُودِ . وَيَهُونُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَقَبَّلُوا فِكْرَةَ تَجْدِيدِ تِلْكَ الشَّخْصِيَةِ مَرَّةً وَاحِدَةً (يَوْمَ القِيَامَةِ) أَوْ فِكْرَةَ إِمْحَاقِهَا بِالمَوْتِ إِمْحَاقًا لاَ تَجْدِيدَ بَعْدَهُ ؟

أيُهمَا أقْرَبُ إلى مَنْطِقِ ٱلحَيَاةِ ، وَإلى العَدْلِ وَالرَّأفَة وَٱلمَحبَّةِ . أنْ يقُولَ ٱللّهُ لِلإنْسَانِ ،

« إنّي خَلقْتُكَ لِتُمَجِّدَنِي . وَإنّي وَإنْ يَكُنِ الزَّمَانُ كُلُّهُ فِي قَبْضَتِي ، لَمْ أُعْطِكَ مِنْهُ غَيْرَ فَسْحَةٍ أذْنَاهَا سَاعَةٌ أوْ بَعْضُ السَّاعَةِ وَأقْصَاهَا قَرْنٌ أوْ بَعْضُ القَرْنِ . ثُمَّ أُمِيتُكَ وَأتْرُكُكَ مَيْتًا حَتَّى يَوْمِ ٱلقِيَامَةِ . وَيَوْمُ ٱلقِيَامَةِ لاَ يَعْرِفُ مَوْعِدَهُ غَيْرِي ، فَقَدْ يَأتِي بَعْدَ ألْفِ عَامٍ . وَقَدْ يَأتِي بَعْدَ ألْفِ ألْفِ عَامٍ . فِي ذَلِكَ اليَوْمِ أعُودُ فَأَجْمَعُ عِظَامَكَ أيْنَمَا كَانَتْ وَكَيْفَمَا تَحَوَّلتْ فَأكْسُوهَا بِاللَّحْمِ وَأنْفُخُ فِيهَا ٱلحَيَاةَ فَإذَا بَشَرًا سَوِيًا . ثُمَّ أُدِينُكَ بِمَا فَعَلْتَهُ فِي خِلاَلِ عُمْرِكَ عَلَى ٱلأرْضِ . فَإذَا رَجَحَتْ كَفَّةُ الصَّالِحِ مِنْهُ عَلَى الطَّالِحِ أسْكَنْتُكَ إلَى ٱلأبَدِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلأنْهَارُ . وَإذَا رَجَحَت كَفَّةُ الطَّالِحِ عَلَى الصَّالِحِ زَجَجْتُكَ إلَى أبَدِ الدَّهْرِ فِي نَارٍ لاَ يَنْطَفِيءُ لَهَا أوَارٌ . فَلاَ لَهِيبُهَا يَخْبُو لَحْظَةً وَلاَ أنْتَ تَحْتَرِقُ فَتَتَرَمَّدُ .

أوْ أنْ يُخَاطِبَ ٱللّهُ ٱلإنْسَانَ هَكَذَا ،

« صُورَةٌ أنْتَ كَصُورَتِي . وَمِثَالٌ كَمِثَالِي . وَلَكِنَّكَ لاَ تَعْرِفُ نَفْسَكَ وَلاَ تَعْرِفُنِي . أمَّا أنَا فَأعْرِفُ نَفْسِي وَأعْرِفُكَ . لِذَلِكَ خَلَقْتُ لَكَ ٱلأرْضَ وَالسَّمَوَاتِ وَكُلَّ مَا فِيهَا لِتَكُونَ لَكَ مِنْهَا عِدَّةٌ تُسَاعِدُكَ فِي الوُصُولِ إلَى مَعْرِفَةِ نَفْسِكَ وَمَعْرِفَتِي . وَمَدَدْتُ لَكَ بِسَاطَ الزَّمَانِ كُلَّهُ لِتَتَمَكَّنَ مِنْ بُلُوغِ تِلْكَ ٱلمَعْرِفَةِ وَلأُسَهِّلَ عَمَلَكَ

عَلَيْكَ فَقَدْ جَعَلَتْ حَيَاتَكَ مَرَاحِلَ تَتْلُو مَرَاحِلَ ، فَعَمَلٌ وَرَاحَةٌ ، وَشِبَعٌ وَجُوعٌ ، وَيَقْظَةٌ وَنَوْمٌ ، وَطُفُولَةٌ وَصِبًا ، وَشَبَابٌ وَكُهُولَةٌ وَشَيْخُوخَةٌ ثُمَّ مَوْتٌ . وَإِنِّي لأُمِيتُكَ وَأُحْيِيكَ ثُمَّ أُمِيتُكَ وَأُحْيِيكَ ، ثُمَّ أُمِيتُكَ وَأُحْيِيكَ إِلَى أَنْ تَتِمَّ لَكَ مَعْرِفَةُ نَفْسِكَ وَمَعْرِفَتِي فَتَغْدُو خَارِجَ نِطَاقِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ . وَأَبْعَدَ مِنْ مُتَنَاوِلِ النُّمُوِّ وَالاِنْحِلاَلِ ، وَفَوْقَ سُلْطَانِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ) ؟

أَجَل . أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَى مَنْطِقِ الْعَدْلِ ، وَالْحَقِّ وَالْحَيَاةِ ، أَنْ يُخَاطِبَ اللهُ الإِنْسَانَ بِذَلِكَ الْخِطَابِ أَمْ بِهَذَا ؟ ...

ميخائيل نعيمة (اليوم الاخير)
ص ، 156 ـ 159 (الساعة الحادية عشر)

الأسئلـــــة :

1 - مَا هِيَ النَّظْرِيةُ الفَلْسَفِيَةُ الَّتِي يَطْرَحُهَا نُعِيمة لِلبَحْثِ فِي هَذَا النَّصِ ؟...
2 - كَيْفَ عَالجَ نُعيمة هذه النظريَة ؟ مَا هِيَ الأدلَّةُ الَّتِي اعْتَمَدَهَا لتدعِيمِ نَظْرتِهِ ؟
3 - مَا هِيَ قِيمَةُ هذه النَّظرية لِتَفْسِيرِ « العدلِ الإلَهي » و « الغاية من الوجود الانسانِي » و « ظاهرتي » الخيرِ والشرِّ ؟
4 - هَلْ تَلْمَسُ فِي هذه النظريةِ أَثَرا للفلسفات الشرقية ـ الهندية والصينية خاصةً ـ وَأَثَرًا للتصوُّف ؟
5 - هذه النظرية تُعتبرُ من أهمّ ما آنْتَهَى إِلَيهِ تفكيرُ نعيمة الفلسفيّ . وهي المحورُ الاساسيُّ له . بين أهميتَهَا بالنسبة الى نُعَيمَة المفكرّ بصفةٍ عَامَةٍ .

لاَ قِيمَةَ لِلإِنْسَانِ مَا لَمْ يُشْبِعْ إِلَهَ نَفْسِهِ

التقديم :

(تغيب العسكري في « يومه الأخير » عن الجامعة فلم يذهب للقيام بدروسه ، فأثار ذلك حيرة زملائه في الخلية ، وجاءه مُعيد من قسمه - في الفلسفة - يزوره ، وبينهما دار النقاش في هذا النص . والمتحدث الأول في النص هو العسكري . حول جدوى التمدن البشري والعلوم ومنافعها ونفع الانسان من ذلك جميعا والمتحدث الاول في النص هو المعيد)

- مَاذَا ٱلَّذِي تَعْنِيهِ بِقَوْلِكَ إِنَّ ٱلإِنْسَانَ يَجِبُ أَنْ يَمْلِكَ زِمَامَ ٱلإِنْسَانِ أَولاً ؟

- أَعْنِي أَنْ يَتَصَرَّفَ بِحَيَاتِهِ تَصَرُّفَ ٱلسَّيِّدِ ٱلْمُطْلَقِ بِمِلْكِهِ . فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَكُونَ لَهُ جَسَدٌ كَانَ لَهُ ٱلْجَسَدُ ٱلَّذِي يَشَاءُ . وَكَانَ رَبُّ ذَلِكَ ٱلْجَسَدِ لاَ يُشَارِكُهُ فِيهِ مُشَارِكٌ ، وَلاَ يُنَازِعُهُ فِيهِ مُنَازِعٌ . فَلاَ يَجُوعُ وَيَعْطِشُ إِلاَّ إِذَا هُوَ شَاءَ لَهُ أَنْ يَجُوعَ وَيَعْطِشَ ، وَلاَ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ إِلاَّ مِمَّا يَخْتَارُهُ لَهُ مِنْ مَأْكَلٍ وَمَشْرَبٍ وَلاَ يَتْعَبُ وَيَسْتَرِيحُ وَيَنَامُ وَيَسْتَيْقِظُ إِلاَّ إِذَا هُوَ أَرَادَ لَهُ أَنْ يَتْعَبَ وَيَسْتَرِيحَ ، وَأَنْ يَنَامَ وَيَسْتَيْقِظَ ، إِذَا شَاءَهُ ذَكَرًا كَانَ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى كَانَ أُنْثَى ، أَوْ لاَ ذَكَرًا وَلاَ أُنْثَى كَانَ لاَ ذَكَرًا وَلاَ أُنْثَى . وَإِذَا شَاءَ تَرَكَهُ لِسَاعَةٍ أَوْ لِعَامٍ ثُمَّ ٱلْعَوْدَةُ إِلَيْهِ بَعْدَ سَاعَةٍ أَوْ بَعْدَ عَامٍ كَانَ لَهُ مَا شَاءَ .

وَعَلَى الإِجْمَالِ فَالإِنْسَانُ لَنْ يُسَيْطِرَ عَلَى شَيْءٍ فِي الطَّبِيعَةِ قَبْلَ أَنْ يُسَيْطِرَ عَلَى جَسَدِهِ ٱلَّذِي هُوَ ٱلْصَقُ شَيْءٍ بِهِ مِنْ كُلِّ مَا فِي الطَّبِيعَةِ . وَهُوَ لَنْ يُسَيْطِرَ عَلَى جَسَدِهِ قَبْلَ أَنْ يُسَيْطِرَ عَلَى فِكْرِهِ ٱلَّذِي يَقُودُ جَسَدَهُ ، فَيُجَمِّدَ ذَلِكَ الفِكْرَ عِنْدَ مَا يَشَاءُ ،

وَيُطْلِقَهُ سَاعَةَ يَشَاءُ ، وَيُسَيِّرَهُ فِي الطَّرِيقِ ٱلَّذِي يَشَاءُ.ثُمَّ لَابُدَّ لَهُ مِنْ السَّيْطَرَةِ المُطْلَقَةِ عَلَى قَلْبِهِ كَذَلِكَ ، فَلَا يَشْتَهِي إلَّا مَا هُوَ وَاثِقٌ مُنْتَهَى الثِّقَةِ مِنْ قُدْرَتِهِ عَلَى الحصُولِ عَلَيْهِ ، وَمِنْ أَنَّهُ لِخَيْرِهِ لَا لِوَيْلِهِ ، وَلَا يَرْضَى بِالهَزِيمَةِ إذَا فَاتَتْهُ الغَنِيمَة .

أَجَلْ ، مَا لَمْ يُسَيْطِرِ ٱلإِنْسَانُ عَلَى ٱلإِنْسَانِ ـ عَلَى جَسَدِهِ وَفِكْرِهِ وَقَلْبِهِ ـ فَلَنْ يُسَيْطِرَ عَلَى الطَّبِيعَةِ وَمَا لَمْ يُسَيْطِرْ عَلَى الطَّبِيعَةِ فَهُوَ عَبْدٌ لِلطَّبِيعَةِ . وَالعَبْدُ عَبْدٌ أَسْكَنَ ٱلأَرْضَ أَمْ سَكَنَ المرِّيخَ وَزُحَلَ.وَالعَبْدُ عَبْدٌ أَطَارَ فِي الجوِّ أَمْ مَشَى عَلَى ٱلأَرْضِ ، وَالعَبْدُ عَبْدٌ أَكَانَ دُكْتُورًا فِي الفَلْسَفَةِ أَمْ مُنظِّفَ أَحْذِيَةٍ يَجْهَلُ القِرَاءَةَ وَٱلْكِتَابَةَ .

- لَكَأَنَّكَ تُرِيدُ لِلإِنْسَانِ أَنْ يُصْبِحَ إلَهًا .

- وَإِذَا هُوَ لَمْ يُصْبِحْ إلَهًا فَأَيُّ مَعْنًى لِحَيَاتِهِ ؟ وَلِمَاذَا لَا يَكُونُ ٱلإِنْسَانُ إلَهًا ؟ أَلَيْسَ يُسْعِدُكَ ، وَأَنْتَ أُسْتَاذٌ فِي جَامِعَةٍ ، أَنْ يُصْبِحَ طُلَّابُكَ فِي مُسْتَوَاكَ ؟ أَلَيْسَ يُسْعِدُ أَيَّ أَبٍ يَنْمُو ابْنُهُ حَتَّى يُضَاهِيَهُ فِي القُدْرَةِ البَدَنِيةِ وَالعَقْلِيةِ ؟ وَالقُدْرَةُ ٱلَّتِي نَدْعُوهَا ٱللَّهَ لَا مَعْنًى لِوُجُودِهَا إذَا هِيَ لَمْ تَكُنْ ٱلمُعَلِّمَ ٱلأَوَّلَ وَٱلأَكْبَرَ لِكُلِّ مَا فِي ٱلوُجُودِ ، وَإِذَا هِيَ لَمْ تَنْقُلْ إلَى طُلَّابِهَا جَمِيعَ مَا تَمْلِكُهُ مِنْ مَعْرِفَةٍ . إنَّهَا المُعَلِّمُ وَٱلأَبُ وَٱلأُمُّ فِي آنٍ مَعًا ، وَإِذَا هِيَ لَمْ تَعْمَلْ عَلَى رَفْعِ طُلَّابِهَا وَأَبْنَائِهَا إلَى مُسْتَوَاهَا فَقَدْ خَانَتْ رِسَالَتَهَا ـ رِسَالَةَ المُعَلِّمِ وَرِسَالَةَ ٱلأَبِ وَٱلأُمِّ) .

ميخائيل نعيمة (اليوم الاخير)

ص ، 181 ـ 183 (الساعة الثالثة عشر)

الأسئلـــة :

- ما هي القضية التي يعالجها نعيمة في هذا النّص ؟
- كيف يمكن للإنسان ان يصبح إله نفسه ؟ ما هي علاقة نظرية نعيمة في « أن الحياة مراحل تتلو مراحل » بما يذهب إليه هنا ؟
- أبرز النزعة الإنسانيّة الغالبة على رؤية نعيمة في هذا النّص .
- ما هو موقفك ممّا يذهب إليه الكاتب من آراء ؟ لماذا ؟

بَيْنَ نُعيمَةَ وَأبي العَلاء

لَا أدْري لِمَاذَا تُذَكِّرُنِي حَيَاةُ مِيخَائِيلِ نُعيمَة الصُّوفِيُّ وَأدِيبِ المَعَرَّةِ الحَكِيمِ أبِي العَلَاء ، إنَّمَا سَيْطَرَ العَقْلُ فِي حَيَاةِ ٱلْمَعَرِّي فَافْتَرَقَ ٱلاثْنَانِ حَيْثُ انْتَهَيَا .

إنَّ التَّشَابُهَ بَيْنَ نُعيمَةَ وَالمَعَرِّي ظَاهِرٌ ، إذْ كِلَاهُمَا أدِيبٌ وَشَاعِرٌ ، وَكِلَاهُمَا تَثَقَّفَ مُنْذُ البِدَايَةِ ثَقَافَةً دِينِيةً ، وَتَرَعْرَعَ فِي كَنَفِهَا . وَقَدْ جَاهَدَ كِلَاهُمَا فِي سَبِيلِ المَعْرِفَةِ وَالعِلْمِ . كِلَاهُمَا ثَارَ عَلَى الظُّلْمِ وَالاسْتِبْدَادِ وَعَلَى التُّزُمتِ وَالمُتَزَمِّتِينَ . وَكِلَاهُمَا غَمَرَتْ حَيَاتَهُ المَحَبَّةُ لِلْمَخْلُوقَاتِ جَمِيعًا . وَكِلَاهُمَا عَزَمَ عَلَى الانْفِرَادِ بَعْدَ جِهَادٍ ، لَمْ يُثْمِرْ مَادِيًا ، فِي حُدُودِ ٱلأرْبَعِينَ ، وَأعْلَنَا لأهْلِيهِمَا عَنْ تِلْكَ العُزْلَةِ .

كِلَاهُمَا تَرَفَّعَ عَنْ أعْقَابِ أصْحَابِ المَالِ ، وَعَنْ سَفْحِ مَاءِ الوَجْهِ لأصْحَابِ النُّفُوذِ . وَكِلَاهُمَا دَعَا إلَى ٱلإصْلَاحِ بِثَوْرَةٍ قَوِيَّةٍ ، وَٱهْتَمَّ بِالفَضَائِلِ ٱلإنْسَانِيةِ فَٱتَّخَذَهَا مِثَالاً وَقُدْوَةً ، وَغَاصَ فِي عَالَمِ اللَّامَرْئِيَاتِ مُتَسَائِلًا حَائِرًا . فَوَجَدَ نُعَيْمَةُ الطُّمَأْنِينَةَ وَهُدُوءًا فِي ٱلإيمَانِ وَفِي مُصَادَقَةِ القَضَاءِ وَالقَدَرِ . وَظَلَّ المَعَرِّي حَائِرًا بَيْنَ العَقْلِ وَٱلإيمَانِ ، يَجْذِبُهُ العَقْلُ إلَى ٱلأكْوَانِ حَيْثُ يَتِيهُ الفِكْرُ بِالضَّبَابِ ، وَيَجْذِبُهُ ٱلإيمَانُ بِاللهِ جَذْبًا قَوِيًا فَيَسْتَسْلِمُ لِلْقَضَاءِ وَٱلْقَدَرِ ...

كِلَاهُمَا لَمْ يَتَزَوَّجْ ، وَقَدْ ٱنْهَمَكَا بِالتَّأمُّلِ العَمِيقِ وَتَحَمُّلِ مَسْؤُولِيَةِ القَلَمِ وَالمُثَابَرَةِ دُونَ ٱنْقِطَاعٍ فِي السَّعْيِ وَرَاءَ الحَقِيقَةِ

وَٱلْمَعْرِفَةِ . إِنَّمَا ٱخْتَلَفَ كُلٌّ مِنْهُمَا عَنِ ٱلآخَرِ فِي رَأْيِهِ فِي المَرْأَةِ بِاخْتِلَافِ العَصْرَيْنِ وَالوَضْعَيْنِ . فَالمَرْأَةُ عِنْدَ ٱلْمُعَرِّي وَسِيلَةٌ للشرّ وَهْيَ كَائِنٌ نَاقِصٌ ، ضَعِيفٌ . لَا يَحُقُّ لَهُ أن يَنْطَلِقُ فِي عَالَمِ الفِكْرِ . أَمَّا فِي رَأْيِ نُعَيْمَةَ فَالمَرْأَةُ هِيَ صِنْوُ الرَّجُلِ ، فَإِنْ « تَكُنْ عَبْدَةً فَلِأَنَّ الرَّجُلَ عبدٌ ، أو يَكُنِ الرَّجُلُ عَبْدًا فَلِأَنَّهَا عبدَةٌ ... وَمَا يُحِطُّهَا يُحِطُّهُ ، وَما يُحَرِّرُهُ يُحَرِّرُهَا . وَمَا يُقَيِّدُهَا يُقَيِّدُهُ . فَبِالسَّلَاسِلِ ٱلَّتِي يُكَبَّلُ يَدَيْهَا يُكَبَّلُ يَدَيْهِ،وَبِالقِنَاعِ ٱلَّذِي يُقَنِّعُ وَجْهَهَا يُقَنِّعُ رُوحَهُ « نعيمة ، المراحل ، ص ، 100 » .

وَمَهْمَا يَكُنْ فَكِلَاهُمَا أَدِيبٌ مُصْلِحٌ ، حَكِيمٌ جَلِيلٌ ... غَيْرَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ نَهَجَ مَنْهَجًا خَاصًّا بِمِزَاجِهِ وَثَقَافَتِهِ وَمُيُولِهِ . كَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلْأُسْلُوبَانِ بِاخْتِلَافِ الزَّمَنِ . فَبَدَا أُسْلُوبُ نُعَيْمَةَ وَاضِحًا ، سَلِسًا ، مُشْرِقًا . بَيْنَمَا كَانَ أُسْلُوبُ ٱلْمَعَرِّي مُعَقَّدًا ، غَامِضًا ، غَلَبَ عَلَيْهِ التَّصَنُّعُ وَٱلْأَسَالِيبُ البَيَانِيةُ وَشَوَارِدُ ٱللُّغَةِ وَٱلْمُفْرَدَاتِ .

ثريا ملحـــس

« ميخائيل نعيمة الأديب الصوفي » ط 1 ،

بيروت ، 1964 ، ص ، 177 ـ 181

1 - التعريف بالأعلام :

★ ثُريا ملحس ، أديبة وَشَاعِرَةٌ وَأُسْتَاذَةٌ جامعيةٌ عِرَاقِيةٌ . قَدْ كَتَبَتْ القِصَّةَ وَالشِّعْرَ والبَحْثَ العِلْمِيَّ وَالنَّقْدِيَّ . مِنْ أَهَم إِنْتَاجِهَا الشِّعْرِيّ « النَّشِيدُ التَّائِهُ أصدر سنة 1949 » و « ملحمةُ الانسان » (1961) ، وَالقَصَصِيّ « العُقدةُ السَّابِعَة (1962) و « ميخائيل نعيمة الاديب الصُوفى » (1964) . وَالنَّقْدِيّ » القِيمُ الرُّوحِيَّةُ فِي الشِّعْرِ العربيّ قديمه وَحَدِيثه (1964) .

2 - الأسئلـــــة :

- مَا ٱلَّذِي يَجْمَعُ الأدِيبيـن فِي نَظَـرِ الكَاتِبَةِ ؟
- مَا ٱلَّذِي يُفَرق بَيْنَهُمَا فِي نظرِهَا ؟
- بِمَاذَا تُعَلِّلُ إلحاح الكاتِبَةِ عَلَى الاخْتِلَافِ بَيـنَ نُعَيْمَـة والمَعرّي في مَوْقِفِهِمَا مِن المرأة ؟
- هَلْ تُؤيد الكاتبة في نظرتها الى أسلوبِ نُعيمة وأسلوبِ المعرّي ؟ تَمَّمْ إجَابَتَكَ بأدِلَّةٍ مِمَّا دَرَسْت لِنُعَيْمَةَ وَلأبِي العَلاَء .

قضايا حضارية

- التقدم العلمي والتقني وأثره
في حياة الإنسان والتعاون البشري

الإنسانُ غايةُ العلمِ والتكنولوجيا.

يُعْتَبَرُ العلمُ والتكنولوجيا من المقوّماتِ الرئيسيةِ الهامّةِ في تَسارُعِ النُّموِّ الاقْتِصادِيِّ والاجتماعِيِّ والحَضارِيِّ لمختلفِ البُلْدانِ. فهما يُشَكِّلانِ القاسِمَ المُشْتَرَكَ الأعظمَ لمختلف عملياتِ التنميةِ القومية بشكلٍ عامٍّ والتنميةِ الصناعيةِ بشكلٍ خاصٍّ. إن الرَّبطَ المُباشر ما بين العلمِ والإنتاج. والعلاقةَ الموضوعيةَ المتبادلة بينهما يشكل أهم عامل من عوامِلِ تطوُّرِ عناصرِ قُوَى الانتاج المختلفةِ، وفي مقدّمتِهَا تحولُ العلم لِيَكُونَ عنصرًا مباشرا من عناصر هذه القُوَى. فتطورُ العلم وتطبيقُ المعارفِ العلميّةِ في الصّناعةِ يقودُ بالدّرجةِ الأساسيةِ إلى تكثيفِ الإنتاج عن طريق الزيادة المُطّردَة في الانتاجيةِ ورفع كفاءةِ العمل وإدخالِ النُّظُم والأساليبِ التكنولوجيةِ الحديثةِ والمتطورة، إنّ ضَمَانَ استمراريةِ هذه العملية يتوقّفُ على وضع سياسةٍ علميةٍ سليمةٍ للاستفادة من المُنجَزاتِ العلمية والتكنولوجية والانتقال التدريجي الى وضع خطةٍ للعلم والتكنولوجيا تَتّفِقُ مَعَ الظروفِ الموضوعيةِ. ومن ثمّ العمل على ربْطِهَا بالخطَطِ التنمويةِ الشاملةِ. وممّا لاشك فيه أن ذلك سيكونُ له الأثر الفعال ليس في زيادة النموّ وتأثّره فحسب، بل كذلك في تقليصِ الهُوّةِ ما بين البلدان المتطوّرة والبلدان النّامِيةِ غير أنّهُ من الملاحَظ على كثيرٍ من هذه البلدانِ التباسُ الرُّؤيا سواء في تحديد مفهومِ العلم والتكنولوجيا أو في كيفيةِ وضع مثل هذه السّياسات موضعَ التنفيذ السليم.

فَكَثِيرًا مَا يُفهَمُ العلم وَبِشَكْلٍ خَاص التكنولوجيا بأنَّهَا المرادفُ للتكنيك ، فِي حين أن التكنولوجيا تمثل « نسقًا من الصِّيغ المستخدمةِ كوسائل في أنشطة الإنسان المتعددة التي تنطوى على خِبْرَاتِ العمل في المجتمع » ، بينما يعني التكنيكُ المعرفة المتجسّدةَ في الواقع الماديّ لتحقيق غايات معيّنة » فهو إذَن يمثل « الأسلوبَ المُتَّبَعَ لاستخدامِ القوة الانتاجية الكامنةِ في « التكنولوجيا » وبِذَا يعكِس قوةَ الإنسان الاجتماعية التي يُمَثِّل العلم أحَدَ مقوماتها الهامة .

وعليه فإن توجّه العلم والتكنولوجيا يجب أن يكونَ للإنسان وأن يُسَخَّرَا لخدمته ورفاهِته لأنهما ثمرةٌ من ثمرات جهوده ، ومن هنا يتصنع مبدأ التَّلَازُم ، أي تلك العلاقة الوثيقة ما بين العلم والعلاقاتِ الإنتاجيةِ والاجتماعيةِ لكل مجتمع من المجتمعات فالسُّؤَالُ الذي يجب أن يُوَجَّهَ باستمرار هو ، لِمصلحةِ مَنْ يُسْتَخْدَمُ العلم والتكنولوجيا ؟ وللإجابة على هذا السُّؤال نقول:إن العلم والتكنولوجيا هما مُسخَّران لخدمة الإنسانية ولتعميق « إنسانسيةِ الانسان » ، لأنَّ الانسان هو الغاية العظمى لكل التطوراتِ الاجتماعيةِ . وعلى العكس من ذلك تكون الخسارةُ الكبرى إذا سُخِّرَ العلم والتكنولوجيا لمصلحة فئةٍ معيّنة في مجتمع معيّن لخدمة أهدافها وأغراضِها الرّيحية فقط .

لِذَا يُخطئُ الكثيرُونَ وفي مقدمتهم مَا يُسَمَّى بِفِئَةِ التكنوقراط الحديث في اعتبار العلم والتكنولوجيا ظاهرةً مطلقة معزولةً عن الإنسان وبالتَّالِي عن المجتمع والعلاقَاتِ الإنتاجيةِ السَّائِدَةِ فيه فَحَصْرُ هذا المفهوم ضمن المختبرات وأعمالِ البَحْثِ والتطوير دون نظرة شمولية للبُعْدِ

الاجتماعي والإنسانيّ لَهُمَا ، لن يؤدّي الى تحقيقِ الأهدافِ الاجتماعيةِ والإنسانِيةِ التي سُخّرَا لخدمتِهَا . فالعلم والتكنولوجيا موجُودَان فِي كُلّ مكانٍ ، في مكتب الإداريّ والفنّي والمهندسِ والطبيبِ والعامل والتّاجر ، في المدرسة وفي البيت وفي الشّارع . فالعلم الى جانب كونه نظامًا متكامِلًا من المعرفة النظريةِ عن الحقيقة الموضوعية ، هو في الوقت نفسه نظامٌ للتصرف والنشاطِ الإنساني ويعتَبَرُ الأسلوبُ المنهجيّ الجدليّ من المقوّماتِ الأساسيةِ لذلك النظام . وبذا يفترضُ في الانسان ـ الفرد ـ لا المعرفة والعلم فقط ، بل كيفية نقلِ هذه المعرفة وذلك العلم وتطبيقهما بشكل يتفقُ ومتطلبّاته حيثمَا وُجد .

جواد هاشم وعثمان زيد *
عن « العلم والتكنولوجيا والتنمية الصناعية »
ـ بتصرف ـ ضئيل ص ، 4 ـ 5 ط 1
بغداد 1976

* **جواد هاشم** : ولد بكربلاء في العراق سنة 1938 ـ اتشتغل بالتدريس في جامعة بغداد وتولّى وزارة التّخطيط سنة 1968 وسنة 1972 وأعيد تعيينه مستشارًا في مكتب الشؤون الاقتصادية عام 1974 .

* **عثمان زيد** : ولد عام 1936 ـ متحصّل على شهادة الدّكتوراه في الاقتصاد والدكتوراه في الحاسبات الالكترونية وتطبيقاتها ـ تولّى أمانة لجنة الصّناعة الكويتية وعيّن خبيرًا في مجلس التخطيط العراقي ثمّ نائبا لرئيس المؤسّسة العربية الافريقية للأبحاث والخدمات الاستشارية للشؤون العلمية والتكنولوجية .

محاور الاهتمام :

1 - مفهوم العلم والتكنولوجيا .
2 - صلة العلم والتكنولوجيا بالانتاج والانتاجية .
3 - الوظيفة الحقيقية للعلم والتكنولوجيا .

شهادةُ عالِمٍ في الذرة

إنَّ الحكْمَةَ اللاتِينِيةَ القَائِلَةُ بِوجُودِ الخَطَإِ الإنْسَانِيّ تَصِحُّ بِصُورَةٍ أَسَاسِيَّةٍ عَلَى رَجُلِ العِلْمِ ، وَبِخَاصَّةٍ عَلَى تَقْنِيّ الذرّة . فَإِذَا كَانَ هَامِشُ الخَطَإِ عِنْدَ البِيُولُوجِيّ يُسَاوِي ثَلاَثِينَ مِن المَائَةِ تَقْرِيبًا ، فَلاَ يُمْكِن فِي الوَقْتِ الحَاضِرِ أَنْ يَضع لَهُ الفِيْزِيَائِيُّ الذَّرِيُّ أَيَّةَ نِسْبَةٍ مِئَوِيَّةٍ .

إن التَّجْرِبَةَ البِيُولُوجِيَّةَ الَّتِي تَفْشِلُ نَتِيجَةَ تَفَاعُلاَتٍ غَيْرِ متوقعَةٍ فِي المِضْوِيَّةِ ، تَقْتُل حَتْمًا بَعْضَ أَزَانِبِ التَّجْرِبَةِ البَشَرِيَّةِ ، كَمَحْكُومِي الحَقّ العَامّ بِالإِعْدَامِ ، أَوْ مُتَطَوِّعِي المُسْتَشْفِيَاتِ ، أَوْ أَفْرَادٍ لاَ يُمْكِنُ إِصْلاَحُهُم اجْتِمَاعِيًّا ، وَهُنَا يَسْهُل حَصْرُ الأَضْرَارِ .

أَمَّا فِي التَّجْرِبَةِ الذَّرِيَّةِ فَالأَمْرُ عَلَى العَكْسِ من ذَلِكَ إِذْ أَنَّ الكَوْكَب [1] بِأَجْمَعِهِ ، أَيِ الإِنْسَانِيَّةَ بِأَجْمَعِهَا ، هِيَ الَّتِي تُقَدِّمُ أَرْنَبَ التَّجْرِبَةِ لِلعُلَمَاءِ المتطَلِّعِينَ الى مَعْرِفَةِ صِحَّةِ حِسَابَاتِهِمْ أو خَطَئِهَا ، وَلِنَذْهَبْ الى أَبعَدَ من هَذَا فَلاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُؤَكِّدَ أَنْ الكَارِثَةَ لَمْ تَقَعْ بَعْدُ . فَإِذَا وَقَعَتْ فَإِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَدْفَعَ خِلاَلَ المِائَةِ أَوْ المِائَتَيْ سَنَةٍ القَادِمَةِ ثمنَ التَّجَارِبِ الَّتِي أُجْرِيَتْ سَوَاءٌ فِي « إِينِيفِيُتُوك » أو فِي « سِيبِرِيَا » .

لَقَدْ تَرَكَ خَطَأُ أَوَّلِ شَهْرِ مَارِسَ 1945 فِي نَفْسِي أَثَرًا كَأَثَرِ صَدْمَةٍ كَهْرَبَائِيَّةٍ تَعْمَلُ فِي دِمَاغٍ مَرِيضٍ. كُنْتُ قَدْ تَيَقَظْتُ ـ أو بِصُورَةٍ أَكْثَرَ ضَبْطًا ـ كَانَ قَدْ تَيَقَظَ فِي دَاخِلِي رَجُلٌ آخَرُ .

فَشَعَرْتُ فَجْأَةً بِأَنَّ الهِوَايَةَ ٱلَّتِي كَانَتْ قَدْ سَيْطَرت عَلَى حَيَاتِي مُنْذُ طُفُولَتِي قَدْ قَلَبَتْنِي حَتْمًا إِلَى مُجْرِم . وَحَتَّى ذَلِكَ الوَقْتِ مَا كُنْتُ أَطرَحُ عَلَى نَفْسِي أَسْئِلَةً خَاصَّةً بِأَعْمَالِي . لَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ مُبَرَّرَةً بِنَجَاحِهَا . كَانَتْ الجُمَلُ الفلسَفِيَّة ٱلَّتِي أَسْتَشْهِدُ بِهَا دَائِمًا بسِيطَةً وَسَاذَجَةً بَعْضَ الشَّيْء ... وَأَيُّ مَا كَانَ يَبْدُو لِي أَنَّ هُنَاكَ أعظَمَ مِنْ سَيرِ الإِنْسَانِ ٱلَّذِي يُوقِفُ نَفْسَهُ عَلَى ٱكتِشَافِ أَرْضِهِ وَحَلِّ ٱلْغَازِ ٱلأَسْرَارِ ٱلَّتِي أَحَاطَتْهُ بِهَا الطَّبِيعَةُ ... تَارِكًا جَانِبًا كَوْنَهُ حَيَوَانًا لِيَتَحَوَّلَ الى إِلهٍ .

كَانَ يَبْدُو لِي أَن نُمُوَّ التَّارِيخ مرتبطٌ بِنَحْوِ الاِكْتِشَافِ ، عِنْدَ مَا يَكُونُ بِإِمْكَانِ الإِنْسَانِ أَن يَفْهَم كُلَّ شَيْءٍ وَأَنْ يَخْلُقَ كُلَّ شَيْءٍ بِمَا فِي ذَلِكَ القُوَّةُ الخَفِيَّةُ ٱلَّتِي وَضَعَتْهُ فِي العَالَمِ يَكُونُ قَدْ بَلَغَ كَمَالَه وَفَرَدَوْسُهُ . كُنْتُ ، مِنْ أَجْلِ هَذَا مُقْتَنِعًا بِأَنَّنِي أُقَرِّبُ لَحْظَةَ هَذَا ٱلكَمَالِ . وَبِأَنَّنِي أَقْتَرِبُ مِنْ هَذِهِ ٱلجَنَّةِ ، إِلاَّ أَنَّنِي كُلَّمَا تَقَدَّمْتُ بَدَتْ لِي رُؤْيَةُ العَالَمِ شَائِكَةً أَكْثَرَ ... وَصَارَ يَبْدُو لِي رَجُلُ العِلْمِ فِي القَرْنِ العَشْرِينَ ٱلَّذِي يَزْعَم ٱكتشافَ الحَقِيقَةِ فِي البِنَاء الشَّاسِعِ لِلعَالَمِ ، مِنْ الحَقَارَةِ كَالحشرةِ ٱللَّيْلِيَّةِ الشَّفُوفَةِ بِالضَّوْءِ ٱلَّتِي تُرِيدُ أَنْ تَحُومَ حَوْلَ القَمَرِ . فَهُوَ فِي رِحْلَتِهِ هَذِهِ ٱلَّتِي يُسْرِعُ فِيهَا لاَيَمْتَلِكُ أَيَّةَ نُقْطَةِ ٱرْتِكَازٍ وَلاَ أَيَّةَ صِحَّةٍ . يَطْفُو كَفَرِيقٍ بَيْنَ مَائَيْنِ فِي الفَرَاغِ الشَّاسِعِ لِسَجْنِه .

ادفين اوبنهايجر
« سجناء العالم الدرى » تعريب صالح يحياوي
مجلة العلم والإيمان عدد 2524 ـ 1978 ص ، 104 ـ 106

1 - التّعريـف بالكـاتب :

* أدفين أوبنهايجر عالم وباحث أمريكيّ معاصر من علماء الذرّة في فترة ما بين الحربين العالميتين . وقد كان من أبرز العلماء الذين شاركوا في صنع القنبلة الذرية الامريكية التي حطمت المدينة اليابانية هيروشيما سنة 1945 . وقد صور في كتابه « سجناء العالم الذرّي » الأثر السيء والذي تركته في نفسه نتائج اكتشاف تلك القنبلة . وقد ترجم الكتاب الى العربية الباحث الجزائريّ صالح يحياوي .

2 - شـرح المفـردات :

1) الكَوْكَبُ : يَقْصِدُ الكَوْكَبَ الأَرْضِيَّ .

3 - محـاور الاهْتِمَامِ :

1 - الفرق بين خطإ العالم البيولوجيّ والعالم الذّرّي .
2 - شعور العالم ـ المؤلف خاصة ـ بالذنب عندما يكتشف فداحة خطإه .
3 - دور العالم ، تقريب الانسان من الكمال .
4 - غاية العِلم ، خلق عالم أفضل .

اِكْتِشَافُ عَدوَى ٱلكَلْبِ.

أَخَذَ « بستور » (*) يَصْنَعُ أَنَابِيبَ من الزُّجَاجِ فِي حُلُوقِ الكِلَابِ وهي تَتَلَوَّى وَتَتَضَوَّرُ مِن دَاءِ الكَلَبِ وَكَيْفَ اسْتَطَاعَ أَنْ يَصْنَعَ هَذِهِ الأَنَابِيبَ فِي هَذِهِ الحلوق لهذه الضَّارِيَاتِ ؟ لَا يَعْلَمُ هَذَا غَيْرُ ٱللَّهِ ، هَذَانِ خَادِمَانِ قَائِمَانِ عَلَى فَكَّيْ كَلْبٍ قَوِيٍّ عَصِيٍّ يَفْتَحَانِ فَاهُ كَرْهًا وَٱغْتِصَابًا وَهَذَا « بستور » قَائِمًا فِي وَجْهِ هَذَا الكلبِ تَكَادُ لحيتُه تَمَسُّ هَذِهِ ٱلْأَنْيَابَ وَفِيهَا المَوْتُ المريرُ ... وَهَذَا هُوَ يمصُّ فِي أُنْبُوبَتِهِ من حَلْقِ الكلبِ بَعْضَ رُغَائِهِ ، لِيَأْتِيَ مِنْهُ بِمَيِّنَةٍ يَبْحَثُ فِيهَا عَنْ مكروب الدَّاءِ .

لَيْتَ شِعْرِي مَا ٱلَّذِي وَجَّهَ « بستور » إِلَى صَيْدِ مكروبِ الكَلَبِ لَقَدْ كَانَ فِي الوُجُودِ عَشَرات مِن ٱلأدواء يجهلُهَا العلماء،ادواء قَتَلَتْ من النَّاسِ اضْعَافَ مَا قَتَلَ دَاءُ الكلب ولم يكن بِهَا من الخَطَرِ عَلَى بحائةِ مغامرٍ مثل الذي كَانَ بِهَذَا الدَّاء اللعين ٱلَّذِي لَا يَنْجُو صَاحِبُه أبدا . فَمَا هُوَ إلا أن ينفكُّ الكَلْبُ من قيده فَتَقَعُ الواقِعَةُ التي لَامَرَدَّ لَهَا ...

عَرَفَ « بَسْتور » من صباه كيف كانت دماءُ النَّاس تبردُ لصوت كلب مسعورٍ وَذَكَرَ أنه قبل مائة عام أَوْ دونَهَا كان الفرنسيون يشتَبِهُون فِي الرَّجُلِ يحسبونه مُصَابًا بِالكَلَبِ فَيَذْعَرُونَ فيقومون عليه فيَسُمُّونَه أو يخنقُونَه أو يُطلِقُونَ عَلَيْهِ الرَّصَاصَ ، وَشَاعَ هَذَا حَتَّى سَنَّت القَوَانِينُ لحماية هَؤُلَاء المساكين ، ذَكَرَ « بستور » كُلَّ هَذَا فاعتَزَمَ أَنْ يُعِيدَ فِي النَّاسِ السَّلَامَ وَيَمْنَعَ عنهم هذه الآلامَ والآثَامَ ، ...

وَذَاتَ يومٍ جَاءوا الى المَعْمَلِ بِكلبٍ سعْرَان ... فَأَدْخَلُوه وَهُوَ يُنْذِرُ بِالشَّرِّ إلى قَفَصٍ بِهِ كِلَابٌ أُخْرَى كي يَعَضَّهَا وَيُعَطِيَهَا من الداء الذي بِهِ ، وَجَاءَ « رُوْ » (*) وَ « شَمِيرلاند » (*) فَأَخَذَا من رُغَاء فمه بَعْضَ

الشيء ومقّاهُ فِي مَحقنٍ وَحَقَنَا بِهِ الخَنَازِيرَ الغينيّة ومن الأرانب ، واصطَبَرَا ينتظران ظُهورَ الدّاءِ فِيهَا ، فَكَانَ يظهَر فِي بعضِهَا أحْيَانًا ويتخلّفُ عن بعضها أحْيَانًا أُخْرَى ، فَسَاءَهما تَخلّفُهُ ، وعضّ الكلبُ المجنونُ أربعةً من الكلابِ ، ومَضَتْ ستّةُ أسَابِيعَ فَإِذَا كلبَان مِنْهَا هَائِجَان يَضْرِبَانِ فِي جَوَانِبِ القفص وَيَمويَان ، أمّا الآخَرَانِ فمضت أشْهرٌ لم يظهر فيها عليهما من الجُنُونِ شَيْءٌ ،أمْرٌ يُحَيرُ البَاحِثَ وَيُغيظُه ... لَقَدْ ضَاعَ اتساقُ العِلم وانسجامهُ لاَ فِي هَذِهِ الكلابِ وحدهَا ، بَلْ فِي الخنازيرِ والأرَانبِ كذلك فقد يُصَابُ من الستة الأرانب المحقونةِ اِثْنَانِ يَمُدَّانِ رجليهما الخَلفيتين الى الوراء مِن الشَّلَل ثُمَّ يَمُوتَانِ بَعْدَ ارتجَاجَاتٍ من الصَّرْعِ عَنيفةٍ ، أمّا الأربعة الباقيةُ فتظل قَائِمةً تَقضم الحشيش قَضْمًا ، فَكأنما جرثومةُ الكَلب لم تخالط دمها أبَدًا .

وَذاتَ يَوْمٍ خَطرتْ فكرةٌ عَلَى بَالِ « بستور » فَأسْرَعَ إلَى رُو (*) يحدّثُه بِهَا قَالَ ، إنَّ جرثومةَ الكلَب تدخلُ أجسام النَّاسِ بِالعَضّ عَنْ طَرِيق الجلْد ثُمَّ هِيَ تستقرُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي أمخَاخِهِمْ وَفقر [1] ظهورهم : إنَّنَا اعْتَدْنَا ان نُحقن الرُّغاء الخَبِيثَ تَحْتَ جلدِ هَذِهِ الأرانب والخنازير ، فَمَا أدرانَا أنَّ الجرثوماتِ التي بِهِ لاَ تضيعُ فِي أجسامِ هذه الحيوانات قبل وصولها الى أمخاخِهَا ؟ لَوَدَدْتُ وَاللّه أن أرشقَ هَذِهِ الجراثيمَ مباشرةً في هذه الأمخاخ رَشقًا ...

قَامَ « رو » الى كلبٍ سليمٍ فسمّمَه قليلًا من الكلوروفوم [2] حَتّى أفْقَدَه إلاحساس ثُمَّ ثَقَبَ رأسه ثقبًا كَشَفَ عن مُخِّهِ الحَيّ فكان يدقّ بِالنَّبضِ دَقًّا بَيّنًا ، ثُمَّ أتَى بِقليلٍ من مخّ كلب كان قَدْ مَات مكلُوبًا ، فَسَحَقَه وحَقَنَ فِي مُخّ الكلب النائِمِ بِرفق شَديدٍ ... وَلَمْ يمضِ أسبوعان حتى تحقّقَتْ أحلامُ بستور ، فالكلبُ أخَذَ يعْوِي عُواءً أليمًا حَزِينًا وَصَار يمزّقُ فِرَاشَه وَيَعَضُّ قفصه ، ثُمَّ مات بعد أيّامٍ مات هذه

الميتَةَ القاسيةَ . وَلَكِنَّهُ ماتها ليحيا من بعده ألوفُ من الناس كانت تموت مثل ميتَتِه .

أحمد زكي
قصة المكروب كيف كشفه رجاله . مجلة
« الرسالة » عدد 137 ـ 17 فيفري 1936
ص : 257 ـ 259 (ببعض التصرف)

1 - شرح المُفْردات :

1) الفِقر : ج فِقْرة وهي الخِرزةُ من خرزات الظهر .

2) الكلوروفوم : سائل كيمياويّ لا لون له ينتج عن خلط مادة الكحول بأملاح أخرى ويستعمل للتخدير .

2 - تراجم الأعلام :

* الدكتور أحمد زكي : عالم وكاتب وصحفي مصري ولد بالسّويس سنة 1894 م. من آثاره « مع الله في السماء » و « قصة الميكروب كيف كشفه رجاله » الذي أخذ منه النّصّ ـ والدكتور أحمد زكي كان عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ورئيس تحرير مجلّة العربي التي تصدر بالكويت ـ توفيّ سنة 1976 .

* بستور = 1822 ـ 1895 = عالم فرنسي أكبّ على درس الأمراض السارية واكتشف دواء الكلَب بالتلقيح .

* رُو وشمبرلند : طبيبان فرنسيان ساعدان لبستور .

3 - محاور الاهتمام :

1 - تضحية العالم الطبيب وتفانيه .
2 - قيمة الاكتشاف الذي يروم بستور الوصول إليه .
3 - النّجاح الجزئي للتجربة وحيرة بستور .
4 - التجربة الأخيرة وقيمتها .

اَلسَّيْطَرَةُ عَلى جُرثُومَةِ اَلْكَلب .

وَأَخِيرًا اهْتَدَوْا الى طَرِيقَةٍ لِتَأْنِيسِ جَرْثُومَةِ الكَلبِ ، وَذَلِكَ بِأَنْ اسْتَخْرَجُوا قِطعَةً مِنْ نُخَاعِ أَرنَبٍ مَاتَ مِنْ الدَّاء ، ثُمَّ عَلَّقُوهَا مُدَّة أَربعة عَشَرَ يَوْمًا فِي قَارُورَةٍ لَا تَدْخلهَا جَرَاثِيمُ اَلْهَوَاء ، فَلَمَّا جَفَّتْ وَانْضَمَرَتْ ، حَقَنُوهَا فِي أَمْخَاخِ كِلَابٍ سَلِيمَةٍ فَإِذَا هَذه الكلاب لَا تَمُوت .

قَالَ « بستور » ، (*) « مَات الجرثُوم ، أو خَير من ذلك أَضْعَفَ إِضْعَافًا كَبِيرًا ... وَالآنَ فَلْنُجَفِّفْ قِطَعًا أُخْرَى من النُّخَاعِ الوبِيء اثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا ، ثُمَّ أخرى عشرة أيام فَأُخرى ثمانية ثُمَّ ستة ثُمَّ نرى أنستطيعُ بهذه القطع أن نُعْطِيَ كِلَابَنَا قَلِيلًا مِنْ الدَّاء ... إِذَنْ وَاللَّهِ لتحصنت منه » .

وَأَخَذُوا جَمِيعًا فِي سَبِيلِ هَذِهِ التجربة الخالبة ، ومضت أربعة عشر يَوْمًا ذَرَعَ فِيهَا « بستور » أَرْضَ المعمل رَائِحًا غَادِيًا بَيْنَ القَوَارِيرِ والمجاهرِ والأَقْفَاص المنثورة فيه ... وَفِي اليوم الأولِ حُقنت كلابٌ بالنخاع الوبِيء الذي جُفِّفَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا وفِي اليَوْمِ الثَّانِي حُقنت بِالنُّخَاعِ الأَقْوَى وَبَاءً ، ذَلِكَ الذي جُفِّف فِي القارورة ثلاثة عشر يومًا ، وَهَكَذَا الى اليَوْم الرَّابع عشر وفيه حُقنت الكلابُ بالنخاع الذي جُفِّف يَوْمًا وَاحِدًا ، وَبِهِ وَبَاءٌ لَاشَكَّ يقتلُ الكلاب لو أَنَّهَا فوجئت به أَوَّلَ مرَّة .

وَظَلُّوا جَمِيعًا يَنْتَظِرُونَ هَذِهِ الكِلَابَ أَيَّامًا شَابَت فِيهَا رُؤُوسُهُمْ ، وَلَكِن شَيْئًا من دَاء الكَلَب لَمْ يَظْهر عَلَيْهَا أَبَدًا ، فَانبسطت أَسَارِيرُ هَذِهِ الأَغْوَالِ الثَّلَاثَةِ اَلَّتِي قَامَتْ تُحَارِب الموتَ فَتَكَشَّر لَهُ كَمَا كَشَّر . حَقَنُوا فِي الكلاب أربع عشرة حقنةً وَبِيئَةً فلم يُصِبها من الضَّرر قَلِيلٌ أَوْ كَثِيرٌ . وَلَكِنْ هَلْ تَحَصَّنَتْ حَقًّا من الدَّاء ؟

وَخَشِيَ « بستور » ألا تكون . فَأجفَلَ من ذِكْرَى ضيَاع كُلِّ هَذِهِ الأعوامِ فِي عَمَلٍ غير نَافع ... وَكَانَ لَابُدَّ من إجراء التجربةِ الفاصلة الأَخِيرة . وَكَانَ لَابَدَّ « لبستور » أن يتجلَّدَ على إجْرَائها مهما كانت عواقِبُهَا . كَانَ لَابُدَّ له أن يعلمَ أن تحتملَ هذه الكِلَابُ بعد كل الذي جَرَى لها حَقنَةً قَوِيةً غير مضعفة من التي تُحقَنُ في الكلاب المائة السليمة فَتَقتلُ منها المائةَ .

وَذَاتَ يَوْمٍ ثَقَبَ « رُوْ » (*) فِي رَأسِ كَلبَيْن من هذه الكلاب ثُقبًا حقَنَ فيه وباءً قَوِيًا لم يضعفْ،وَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي كَلْبَيْن سلِيمَيْن لَمْ يُحْقَنَا بحقنة أبَدًا . وَبَعْدَ أشهر أيْقَنَ « بستور » وأصحابُه أن النصر أتاهم أخِيرًا بعد عَمَلٍ ثلاث سنين،فالكلبَانِ اللَّذَانِ كَانَا حُقِنَا أرْبَعَ عشرة مرّة ظَلاَّ يجريَانِ فِي قَفَصَيْهما ويلعبَانِ وَلَمْ يَتَوَعَّكَا أصْلاً . أمَّا الكلبان الآخران اللَّذَان لَمْ يَتَحَصَّنَا فنَبَحَا آخرَ نُبَاحٍ وَمَاتَا من الدَّاء .

أحمد زكي
« قصة المكروب كيف كشفه رجاله
مجلة « الرسالة » عدد 138 ـ
24 فيفري 1936 ص : 292 ـ 293

تراجم الاعلام :

* أحمد زكي،وبستور،ورُو : انظر النّص السّابق = اكتشاف عدوى الكلب ص : **353** .

محاور الاهتمام :

1 - الإعداد للتّجربة .
2 - مَراحل التجربة .
3 - جدّية العالم وحرصه .
4 - نَجاح التجربة وقيمة هذا النّجاح .

غَزْوُ الفَضَاء بَيْنَ ٱلْعِلْمِ وَٱلْحِكْمَةِ .

كَانَتْ الصَّوَارِيخُ الأولَى مِنْ طِرَازِ ٱلأَلْعَابِ النَّارِيَّةِ فِي حَفَلَاتِ ٱلأَعْيَادِ ... وَلَكِنْ نَشَأَ مِنْهَا . وَبِخَاصَّةٍ مُنْذُ أَوَائِلِ هَذَا القَرْن . هَذِهِ الصَّوَارِيخُ ٱلْمُحَرَّكَةُ ٱلَّتِي ٱطَّرَدَتْ ضَخَامَةً وَقُدْرَةً وَتَعْقِيدًا . حَتَّى لَصَارَ فِي وِسْعِهَا أَنْ تُرْسِلَ النَّاسَ إِلَى القَمَرِ وَأَنْ تُمَكِّنَ لَهُمْ أَنْ يَعُودُوا مِنْهُ أَوْ مِنْ جوَارِهِ إِلَى ٱلأَرْضِ . وَأَنْ تَحْمِلَهُمْ عَلَى الطُّمُوحِ إِلَى تَخَطِّي القَمَرِ . فِي غَزْوِ الفَضَاء الكَوْكَبِيِّ إِلَى ٱلْمَرِيخِ . وَمَا يَلِيهِ .

فَلِمَ هَذَا العَنَاءُ وَهَذَا السَّخَاءُ فِي بَذْلِ مَالٍ وَوَقْتٍ وَطَاقَةٍ . كَانَ خَلِيقًا بِالنَّاسِ أن يَبْذُلُوهَا لِتَحْسِين بِيئَتِهِمْ عَلَى ٱلأَرْضِ . وَحَلِّ عَدَدٍ مُتَزَايِدٍ مِنْ مُشْكِلَاتِهَا الطَّبِيعِيَّةِ وَالإِنْسَانِيَّةِ ؟

ٱلْجَوَابُ عَنْهُ ذُو حَدَّيْنِ . أَمَّا ٱلأَوَّلُ فَعِلْمِيٌّ خَالِص . وَالحَافِزُ إِلَيْهِ مُسْتَكِنٌّ فِي أَعْمَاقِ العَقْلِ الإِنْسَانِيِّ ٱلَّذِي لَا يَقِفُ عَن السُّؤَالِ وَالبَحْثِ . إِشْبَاعًا لِرَغْبَةٍ مُلِحَّةٍ فِيهِ . تَدْفَعُهُ إِلَى ٱلمُغَامَرَةِ فِي سَبِيلِ تَوْسِيعِ نِطَاقِ ٱلمَعْرِفَةِ وَٱلْفَهْمِ ... وَأَمَّا الشَّقُّ الثَّانِي فَهُوَ ٱلانْدِفَاعُ المُنْبَثِقُ من الرَّغْبَةِ الطَّاغِيَةِ فِي السَّبْقِ لَا إِلَى الكَشْفِ العِلْمِيِّ وَحَسْبُ . بَلْ وَإِلَى السُّلْطَانِ أَيْضًا .

وَعِلْمُ الفَلَكِ أَوْ عِلْمُ الهَيْئَةِ مِنْ أَرْوَعِ العُلُومِ . وَقَدْ يَكُونُ فى حُدُودِهِ العِلْمِيَّةِ أَبْعَدَهَا عَنْ الضَّرَرِ وَأَدْنَاهَا إِلَى النَّفْعِ ... وَهُوَ يَسْتَهْوِي النَّفْسَ كَالشِّعْرِ وَٱلْمُوسِيقَى بِمَا فِيهِ مِنْ رَوَائِعَ تَشُوقُ النَّفْسَ المَنْجَذِبَةَ إِلَى ٱسْتِطْلَاعِ ٱلْمَجْهُولِ وَٱلانْذِهَالِ بِالغَرِيبِ مِنْ حَقَائِقِ الكَوْنِ وَٱلْحَيَاةِ وَزِيَادَةِ الفَضَاء بِٱلأَقْمَارِ الصِّنَاعِيَّةِ وَالسَّوَابِرِ [1] وَٱلْمَرْكَبَاتِ الفَضَائِيَّةِ ....

وَلَكِنَّ النَّاسَ يَخْشَوْنَ اليَوْمَ . وَقَدْ خَرَجُوا مِنْ نِطَاقِ ٱلأَرْضِ إِلَى حَوَائِي الفَضَاء ٱلكَوْكَبِيِّ . أَنْ تَجْمَعَ بِهِمْ شَهْوَةُ السُّلْطَانِ فَتَغْلِبَ

النُّزُوعَ إلى العِلْمِ وَالْفَهْمِ وَالتَّأَمُّلِ الْمُتَمَثِّلَيْنِ فِي اسْتِكْشَافَاتِ الفَلَكِ وَغَزْوِ الفَضَاءِ فَتَنْتَهِيَ إلَى الدَّمَارِ . وَمِنْ هُنَا كَانَ الأَمَلُ مَعْقُودًا عَلَى أَنْ يَكُونَ مِنْ فَضْلِ هَذِهِ الْحَقَائِقِ الخَارِقَةِ وَالأُعْجِزَةِ الْعَجِيبَةِ ، أَنْ تُدْنِيَ الإِنْسَانَ شَيْئًا مَا ، فِي تَشَوُّفِهِ وَشَوْقِهِ ، إلَى مَا هُوَ وَرَاءَ أَرْضِهِ وَنَفْسِهِ وَفَوْقَهُمَا ، حَتَّى إذَا وَقَفَ وَجْهًا لِوَجْهٍ مَعَ الرَّوَائِعِ الْمُخْطُوطَةِ فِي عَرْضِ الفَضَاءِ أَدْرَكَ تَفَاهَةَ الأَشْيَاءِ الَّتِي يَتَصَارَعُ عَلَيْهَا النَّاسُ عَلَى سَطْحِ كُرَةٍ ، هِيَ فِي حِسَابِ الكَوْنِ كَحَبَّةِ الرَّمْلِ أَوْ أَقَلَّ ...

فـــؤاد صـــروف

عن مجلة « عالم الفكر » ، عدد أكتوبر

- نوفمبر - ديسمبر - 1970 ، ص ، 39 - 40

1) شـــرح المفـــردات :

1) السَّوَابِرُ ، جمع مُفْرَدُه سَابِرَة ، مِنْ سَبَرَ يَسْبُرُ سَبْرًا ، خَبَرَ ، وَالسَّابِرَةُ هِيَ سَفِينَةُ الفَضَاءِ أَوْ مَرْكَبَةُ الفَضَاءِ الَّتِي تَغُوصُ فِي أَعْمَاقِ الفَضَاءِ لِتَكْشِفَ مَجَاهِلَهَا

2 -التعريـــف بالـكاتب :

✱ **فـؤاد صروف :** هُو عَالِمٌ لُبْنَانِيٌّ حَاصِلٌ عَلَى الدُّكْتُورَاه فِي العُلوم ، رَأَسَ تَحْرِيرَ مجلتي المُقْتَطَفَ) القاهرة 1927 - 1944) وَالْمُخْتَار (القاهرة 1942 - 1948) وَشَغَلَ خِطَّةَ نائب رئيس الجامِعَةِ الأمريكِيَّةِ فِي بَيْرُوت لِلشُّوونِ الْجَامِعِيَّةِ العَامَّةِ ، وَهُوَ عضْو فِي كثير مِنْ الْهَيْئَاتِ العِلْمِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ بِالعَالَمِ العَرَبِيّ ومن مُؤَلَّفَاته العِلْمِيَّة ، « فُتُوحَاتُ الْعِلْمِ الْحَدِيث » (القاهرة 1934) . « الإِنْسَانُ وَالكَوْنُ » (بيروت ، 1961). « العِلْمُ الحَدِيثُ فِي الْمُجْتَمَعِ الْحَدِيثِ » (بيروت 1966) .

3 - محـــاور الاهتمام :

1 - الجهود الانسانية في سبيل تقدم العلوم .

2 - الغايات من ذلك ، المحمودة والمذمومة .

3 - أهميّة غزو الفضاء في تقدم العلوم .

4 - أهميّة غزو الفضاء في تقدم الانسانية .

مِـنْ فـوَائِـدِ ٱلأَقْـمَـارِ ٱلصّـنَـاعِيّـةِ.

قَدْ شَهِدَ العالَمُ ، فِي العَقْدِ ٱلأَخِيرِ ، ثَوْرَةً عَارِمَةً فِي أَسَالِيبِ البَحْثِ ٱلعِلْمِيِّ وَذَلِكَ بِفَضْلِ مَا ٱبْتَكَرَه العِلْمُ مِنْ وَسَائِلَ ، وَأَجْهِزَةٍ وَادواتٍ ذَات فَعالِيَّةٍ لَمْ يَعْرِفْهَا العُلَمَاءُ مِنْ قَبْلُ ... فَهَذِهِ ٱلأَقْمَارُ الصّنَاعِيَّةُ وَٱلأَجْهِزَةُ الالكترونِيَّةُ ، ٱلَّتِي تَحْمِلُهَا سفُن الفَضَاءِ وَمَرَاكِبُهُ ، تُهيِّءُ السَّبِيلَ الى دِرَاسَاتٍ لَمْ يَكُنْ لَنَا بِهَا عَهْدٌ ، وَتُضِيفُ الى مَعْلُومَاتِنَا من ٱلوَانِ ٱلمعْرِفَةِ مَا كَانَ أُدْخِل فِي بَابِ ٱلمُسْتَحِيلَاتِ ، أَوْ لَعَلَّهُ كَانَ ضرْبًا مِن ٱلخيالِ ، فَإِذَا بِهَذِهِ ٱلوَسَائِل تُحِيلُهُ حَقَائِقَ مَلْمُوسَةً وَمُؤَكَّدَةً ، وَإِذَا مَجَالَاتٌ جَدِيدَةٌ لِلبَحْثِ وَالدِّرَاسة ، تَغيّر مِنَ مَفْهُومِنَا ٱلَّذِي أَلِفْنَاهُ فِي بَعْضِ القَضَايَا العِلْمِيَّةِ .

وَلَا مِرَاءَ فِي أَنَّ دِرَاسَاتِ الفَضَاءِ قَدْ أَلْقَتْ هِيَ ٱلأُخْرَى بِثِقَلِهَا فِي المُكْتَشَفَاتِ الحَدِيثَةِ .فَمُنْذُ حَطَّت مراكِبُ الفَضَاءِ فِي رِفْقٍ وَأَنَاةٍ عَلَى سَطْحِ القَمَرِ ، ثُمَّ عَلَى سَطْحِ الزُّهْرَةِ ، وَنَحْنُ نَسْمَعُ كُلَّ يَوْمٍ جَدِيدًا مِنَ النظريات والآرَاء العِلْمِيَّةِ .

وَقَدْ أَمْكَن بِوَاسطة ٱلأَقْمَارِ الصّنَاعِيَّةِ وَمَرَاكب الفَضَاءِ إجراءُ تَجَارِبَ فَضَائِيَّةٍ مجالُهَا المَجْمُوعَةُ الشَّمْسِيَّةُ [1] . وَمَعَ تَقَدُّمِ الوَسَائِل التِّقْنِيَّةِ ، ٱسْتَطَاعَ ٱلإِنْسَانُ أَنْ يُجْرِيَ بِنَفْسِهِ تجَارِبَ وَقِيَاسَاتٍ دُونَ أَنْ يَعْتَمِد عَلَى ٱلأَجْهِزَة التِّلْقَائِيَة [2] وحدها .

وَاستطَاعت ٱلأَقْمَارُ الصناعِيّة التي تَحْمِلُ السَّاعَات النَّوَوِيَّةَ

والجيروسكوبات [2] الدقيقة ، أن تحقق بعض مظاهر النظرية النسبية [4] التي يمكن تحقيقها على سطح الأرض ...

وقد استطاع العلم تسخير الأقمار الصناعية في نقل الرسائل اللاسلكية والصور التلفزيونية عبر القارات جميعا . وبذلك حلت هذه الطريقة محل الطرق التقليدية القديمة من نقل عبر قيعان البحار والمحيطات . وسيرى المستقبل القريب تعميم هذا النظام في المواصلات اللاسلكية ، مما يعم نفعه وترخص كلفته .

وهناك فائدة أخرى محققة ، هي الاستفادة من هذه الأقمار الصناعية ومحطات الفضاء في تأمين مواصلات الطيران عبر أجواء ، وكذلك المواصلات البحرية في خلال أعالي البحار والمحيطات ، وذلك بتخديد الممرات المأمونة في البحر أو الجو ، طبقا لما تعلنه هذه الأقمار من معلومات ورصدات عن حالة الجو والبحر ، مما يجعل الرحلة أكثر متعة وأمانا ، وثمة أموال ضخمة ترصد في الوقت الحاضر لدى الدول المتقدمة لتعميم هذا النظام وتطبيقه في أسفار البر والبحر والجو ، فضلا عن الإفادة منها عبر أجواء الفضاء العليا للسفر بين الكواكب ، ثم العودة الى الأرض . ويمكن تصور مدى الفائدة التي تعم قطان الأرض .

لقد أصبح معروفا للكافة اليوم أن دنيانا ما هي إلا جرم في المجموعة الشمسية التي تسبح في مجرة هي واحدة من ملايين المجرات ... وكذلك تمتد آفاق العلم الحديث لتحيط بالتقدم

ٱلإنسَانِيّ فِي مُخْتَلفِ ٱلْمَجَالاَتِ فِي سَبِيلِ ٱلْخَيْرِ ٱلْمُشْتَرَكِ لِلإنسَانِيَّة جَمْعَاءَ .

عبد الحليم منتصر

من مقال ... من آفاق العلم الجديث :
الأقمار الصناعية مجلة « العربي » عدد 130
سبتمبر 1969 ص : 111 ـ 117

1 - التّعريف بالكاتب :

✷ **عبد الحليم منتصر :** هو باحث مصريّ معاصر مختص في العلوم الطبيعيّة ، وعضو في مجمع اللغة العربية بالقاهرة . قد شارك مشاركة كبيرة في أعمال لجانه العلمية ، ونشرت له ابحاث كثيرة في المجلات والدوريات العلمية والثقافية العربية .

2 - شـــرح المفـــردات :

1) المجموعة الشّمسية : هي الكواكب التي تدور حول الشمس ، ومنها الارض .

2) الاجهزة التلقائية : هي الاجهزة التي تنجز العمليات او الافعال من ذات نفسها .

3) الجيروسكوبات : جمع مفرده جيروسكوب ، وهو آلة تسيرها حركة دائرية حول أحد محاورها ، ويمكن أن تحول من مكانها بدون أن يحصل تغير في اتجاه ذلك المحـور .

4) النظرية النسبية : هيَ النظرية التي يتوصل فيها على أساس مبدأ النسبية الى معرفة ما يفضي إليه من نتائج . ومبدأ النسبية هو القول بتكافؤ صيغ القوانين الفيزيقيّة كيفما اختلفت حركات الراصدين لها أو كيفما اختلفت حركات المراجع التي تسند اليها تلك القوانين .

3 - محـــاور ٱلاَهْتِمَام :

1 - أهمية الأجهزة والأدوات التي ابتكرها العلم الحديث بالنسبة الى العلماء (خاصة) والانسان (عـامة) .

2 - أهمية الأقطار الصناعية والأجهزة الالكترونية خاصة في تطوير النظريات العلمية .

3 - فوائد الأقمار الصّناعية في المواصلات بأنواعها : ـ اللاسلكية ، الجويّة ؟ ـ البحرية .

4 - دور العلم عامّة في التقدم الإنسانيّ .

الطـــائـــرَةُ : كَـيْـفَ تَـرْتَـفِـعُ فِـي الـسَّـمَـاء ؟

أَصْبَحَتِ الطَّائِرَاتُ اليومَ مَألُوفةً فِي حَيَاتِنَا أُلفَةَ السَّيارَاتِ . فَالطَّائِرَاتُ لِلنَّقْلِ فِي السَّمَاء عَبْرَ الهَوَاء ، والسَّيارَاتُ لِلتَنقلِ فِي الأرض فوق سطحِهَا .

وَالطَّائِرَاتُ والسَّيارَاتُ كلتاهما من نتاج المدنيَّة الحاضرة ، من نتاج هذه التكنية الحاضرة ...

فَكَيْفَ تَرْتَفِعُ الطَّائِرَةُ عَن الأرض ؟

القُوَى ٱلَّتِي تَعْمَلُ فِي الطَّائِرَة وهي تطير أَرْبَعٌ ،

- ثِقلُ الطائرة ،وَتَنْشَأُ من جَاذِبيةِ ٱلأرض وتَعْمل الى أسفل .

- القوةُ الرَّافعةُ وَتَعْمَلُ ضدَ جَاذِبيةِ الأرْض ، فَتَرْفَعُ الطَّائِرَةَ فِي ٱلْجَوَّ ، وَتَعْمَلُ مِن أَسْفَل الى أعلى .

- القوةُ الدَّافِعَةُ وتدفع الطَّائِرَة الى أَمَام .

- القوَّةُ أو القُوَى العَائقةُ وهي التي تَعُوقُ حَرَكَة الطَّائِرة الى أمامٍ عِنْدَ اقتحامها الهَوَاءَ شَقًّا وَهْيَ تتحرَّكُ وَغَيْر ذلك ...

فِي ٱلْحَقِيقَةِ تُوجَدُ قُوَّتَانِ لِرَفْع الطَّائِرَة وَهُمَا لَا تَعْمَلَانِ إلاَّ والطَّائِرَةُ جَارِيةٌ عَلى ٱلأرْض أَوَّلاً ، وَبِسرعة ، وَفِي هَذِهِ ٱلْحَالَةِ يصْطَدمُ الجَنَاحَان بِالهَوَاء ، وَيَنْتجُ عَنْ هَذَا الاصطِدامِ ، قُوَّةٌ رافعةٌ بسبب عَمل الرِّيح فِي ٱلْجَنَاحَيْنِ مُبَاشرة وَقُوةٌ رَافِعَةٌ بسبب اختلافِ ضغْط ٱلْهواءيْن : الهواء ٱلَّذي فوق الجناح وٱلْهواءُ ٱلَّذي تحْته .

أمّا الهَوَاءُ ، فَهُوَ ٱلهَوَاءُ المتحرّكُ بِالنِّسْبَة للطَّائِرَة ٱلجَارِيَة بِسُرْعَةٍ عَلَى ٱلأَرْضِ . فَهُوَ رِيحٌ ذَاتُ قُوَّة ، وَهِيَ رِيحٌ تَضْرب ٱلجَنَاحَيْنِ مِنْ أَسْفَلَ أي تَضْرِبُ سَطْحَيْهِمَا ٱلأَسفَلَيْنِ لأَنَّ سَطْحَي ٱلجَنَاحَيْنِ لَيْسَا أُفُقِيَيْنِ تَمَامًا وَإِنَّمَا يَمِيلُ طَرَفَاهُمَا ٱلأَمَامِيَانِ إِلَى أَعْلَى حَيْثُ تَأْتِي الرِّيحُ ، فَالرِّيحُ إِذْ تَضْرِبُ ٱلجَنَاحَيْنِ ٱلمَائِلَيْن مِنْ أسفل ، يَعْمَلُ جُزْءٌ مِنْ قُوَّةِ الضَّرْبِ هَذِهِ عَلَى رَفْعِهَا .

وَإِذَنْ فَرَفْعُ الطَّائِرَة هُنَا يَتَوَقفُ عَلَى مَيْلِ ٱلجَنَاحِ عَلَى ٱلمُسْتَوَى ٱلأُفُقِيّ ، وَالطَّائِرَةُ تَدْرجُ سَرِيعَة عَلَى ٱلأَرْضِ ، وَكُلَّمَا زَاد الميلُ زَادَتْ قُوَّةُ الدَّفْعِ الى أعْلَى .

وَتُسَمَّى زَاوِيةُ الميل هَذِهِ بِزَاوِيةِ الهُجُوم ، وَكَأَنَّ الطَّائِرَةَ بِتَحْرِكِهَا عَلَى ٱلأَرْضِ بِسُرْعَة تَضْرِبُ الهَوَاءَ بِجَنَاحَيْهَا فَيضربهما الهَوَاءُ فَيَرْفعهما . وَكَذَلك والطَّائِرَة عَالِيةً فِي ٱلهَوَاء ، يَسْتَطِيعُ الطَّيَارُ أَنْ يَنْتَفعَ بِقُوَّةِ الرَّفْعِ هَذِهِ بخلق « زَاوِية هجوم » بَيْنَ سَطْحَي ٱلجَنَاحَيْنِ وَٱلهَوَاء ٱلَّذِي تَشُقَّانه ، وَذَلِكَ بِتَعْدِيل جِسمِ الطَّائِرَة كلّه بِالنِّسْبَة لِلهَوَاء بِوَاسطةِ أَجْهِزَةِ الذَّيْل ، وَبِتَعْدِيلِ جِسمِ الطَّائِرَة مِن الهَوَاء ، تَتَعدَّلُ سطوحُ ٱلأَجْنِحة طَبْعًا لأَنَّهَا هِيَ وَجِسْمُ الطَّائِرَة كِيَانٌ وَاحِد .

وَالطَّائِرَةُ عِنْدَمَا تَتَحَرَّكُ بِوَاسِطَة مُحَرِّكِهَا الى أَمَام ، يَشُقُّ جَنَاحَاهَا ٱلهَوَاءَ ، فَٱلهَوَاءُ ينقسم عِنْدَ شقِّهَا إِيَّاه قسمَيْن ، قِسْمًا يَجْرِي فَوق ٱلجَنَاح ، وَقِسْمًا يَجْرِي مِنْ تَحْتِهِ .

وَإِذَا نَحْنُ لَوْ شَكَّلْنَا ٱلْجَنَاح ، بِحَيْثُ ٱنْحَنَى سَطحُه الأعْلَى ، نَشَأ عَنْ ذَلِكَ أَن الهَوَاءَ ٱلْجَارِيَ فَوْقَ هَذَا السُّطْح يَجْرِي بِسُرْعَة أَكْبَرَ ، مِنْ سرعة يَجْرِي بِهَا الهَوَاءُ ٱلْجَارِي تَحْتَ هَذَا السُّطْح .

وَإِذَنْ ، تَبَعًا لِقَاعِدَةِ بِرْنُولِي [1] ، يَكُونُ ضغطُ ٱلْهَوَاء بِأَعْلَى الجَنَاح أَقَلَّ مِنْ ضَغْطِ ٱلْهَوَاء أَسفَلَه .

وَالفَرْقُ بَيْنَ الضَّغْطَيْن لَا شَكَّ يَرْفع الجَنَاح ، بَلْ الجَنَاحَيْن ، بَلِ الطَّائِرة ، فَهُوَ قُوةٌ رَافِعَةٌ ...

وَلَا يَفُوتُنَا أن نَذكر أَن محرِّكَ الطَّائِرَة يَحْتَاجُ الى وقُود ، هُوَ البَنْزِين ، فَهَذَا يُخْتَزَنُ فِي صَفَائِحَ تُودَعُ فِي جوف أَجْنِحَةِ الطَّائِرَة .

وَلَا نَنْسَى أن الإنسانَ لَيْسَ من الحيواناتِ الطَّائِرة ، وَبَيْنه وَبَيْنَ الطيور رُتَبٌ مِنْ الحَيَوَانَات كَثِيرةٌ وَأَجْنَاس كَثِيرة وَأَنْوَاع . وَهُوَ لَمْ يُخْلَقْ ذَا جَنَاحٍ ، وَهُوَ مَا عَرَفَ الريشَ قَط ، وهو قد خُلِق ، ظَاهِرا ، ليكون حَبِيسًا بسطح هَذِهِ ٱلارض ، وَلَكِنَّ ٱللّه أَوْدَعَ فِي رَأْسِهِ العَقْلَ . وَفِي قَلْبه الطُّمُوحَ ، وَفِي طبعه حُبَّ التَّقْلِيد ، من أجل ذَلِكَ هُوَ راح يُقلد الطَّيْر ، وَبَلَغَ بِحِنْكَتِهِ وَعَقله وَحِيلَتِهِ مِنْ الطَّيَرانِ مَا بَلَغَ ، فَهَلْ بَلَغَ مِنْهُ مِثل مَا بَلَغَ الطَّيْرُ ؟ أَلَا هيهاتَ إنه بَلَغَ مَا بَلَغَ بِنَاءً عَلَى عِلمٍ كَسَبَه وَتَكنية خَاضَهَا ، وَالطَّيْرُ بَلَغَ مَا بَلَغَ وَلَا مَعْرِفَةَ لَهُ بِعلم أو تَكْنِيةٍ ، وَهُوَ لَا يَدْرِي كَيْفَ يَطِيرُ ، إنَّهُ يَبْسُط جَنَاحَيْهِ فَتَعْمَلُ ٱلآلاتُ التي أَودعَهَا ٱللّهُ فِي

كيانه . وَتَعْمَل مَتَنَاسقةً . فَيَطِيرُ . وَهْيَ آلاتٌ من لَحْمٍ وَعَظْمٍ ودمٍ . حلّت بِهَا الغريزة فَعَمِلَتْ بِعقلٍ غَيرِ عقلها وَفَهْمٍ غَيْر فهمها ، إنّ الغريزة هِيَ ذَلِكَ العقلُ الرَّبَانِي ٱلَّذِي يودعه الخَلّاقُ فِي ٱلأجْسَام الحَيَّةِ ٱلَّتِي خَلَتْ من عَقَلٍ وَخَلَتْ من فهمٍ لتقوم مقامَ العقل ومقام الفهمِ ، وَلَوْ إلى حينٍ .

أحمد زكي مجلة العربي

العدد 174 ماي 1973 ص ، 36 ـ 41

* أحمد زكي ، أنظر النّصّ اكتشاف عدوى الكَلَب ص355 .

محـــاور الاهتمـــام :

1 - منزلة الطائرة بأعتبارها إحدى وسائل النّقل المتطوّرة .
2 - هندسة الطائرة ووظيفة كلّ جزء فيها .
3 - طموح الإنسان .

الإلكترونيك وأهميّة استغلاله في العالم اليوم

يجْدُرُ في مُقدّمةِ هَذا العَرْضِ شرحُ مَعْنَى الألكترونيك ، هُوَ عِلْمٌ يَهْدِفُ الى دراسَةِ كَافةِ الظّوَاهِرِ ٱلّتِي يَبْرزُ فِيهَا الاكترونُ ، وَهو فِي عِلْم الطّبِيعَةِ عُنْصرٌ دَقِيقٌ لِلغَايَةِ ذُو شُحْنَةٍ كَهْرَبَائِية سَلْبِيَّةٍ ، وَلَهُ دَوْرٌ أَسَاسِيٌّ فِي كيفِيةِ تَرْكِيبِ الذّرّةِ . وَاتسَعَ اليَوْم مَعْنَى الألكترونيك حَتّى أصبَحَ يَشْملُ العلمَ ٱلّذِي يَجْمَعُ النشاطاتِ المستعملةَ وَٱلمُنْتجَةَ لعوامل ماديةٍ تُسْتَخْدمُ فِيهَا خَاصِياتٌ أجسام دقيقة وضئيلة جدًّا ذَات شُحْنَةٍ كَهْرَبَائِيةٍ .

وَيَرْجعُ ظهورُ عَلمِ الألكتونيك الى سنة 1878 وَبِدَايَة من 1930 وَلاَ سيّمَا فِي فترةِ الحرب العالمية الثانية (1939 ـ 1945) تطوّرَ استعمال الألكترونيك في تقنيات جَدِيدةٍ شملتْ بِوجهٍ خَاصٍ ٱلكَشْفَ بِوَاسطةِ الرّادَار . فَأصْبَحَتْ كَلمةُ الألكترونيك في استعمالٍ مُتَزَايِدٍ ، وَأخَذَتْ تقنياتُه وصناعتُهُ تَتَبلورُ بِسُرْعَةٍ حَتّى بَلَغَ هَذَا العلمُ شكلَه النهائيّ والملائِمَ ممّا جَعَلَه الميدَانَ المميّز للكهرباء ... وَقَدْ أصْبَحَ علمُ الألكترونيك يتميّزُ بِالحَسَاسيةِ ٱلمُفْرِطَة والسُّرْعَةِ المذْهِلة ، وَٱتّخَذَ هذين العَامِلَيْنِ ٱلأَسَاسِيَيْن شعَارَين دَائِمَيْن لَهُ .

لَقَدْ قَضَى الأكلترونيك بصورةٍ ملموسةٍ عَلَى العوَائِقِ القَائِمَةِ فِي وَجه الإنسانِ من جَرّاء بُعْد ٱلمَسَافَاتِ . فَتَمكّنَ من تغييرِ مُعْطَيَاتِ الحضاراتِ وَطرق تَفْكِيرِ ٱلبَشَرِ وَذَلِكَ بِفَضْلِ ٱسْتِكْشَافِ الفَضَاء وَبلوغ القمر ، والاستطلاع على مخبّئَاتِ المَرّيخ إلَى غَيْرِ ذَلِكَ من

ٱلْمُمْجِزَاتِ . وَسَيْطَرَ علم الألكترونيك عَلَى ٱلْمُوَاصَلَاتِ السِّلْكِيةِ وَاللَّاسلكية . واندمجَ فِي جَمِيع ٱلْأَنْشِطَةِ ٱلاقتصاديةِ وَالإنسانيةِ والثقافيةِ والاجتماعيةِ والصناعيةِ، ودخلت تغييراتٌ ذَاتُ بال على عمليات الخَلْقِ والإبداع في شَتَّى الميادين . وَيجدرُ في هَذَا المضمار استعراضُ أهم الميادينِ التي تَغَلْغَل فِيهَا الألكترونيك والميادين المحدثةِ، أو التي تطوَّرتْ بفضله،أو التي لم تكن تَحْدُثُ لولا ظهورُ الألكترونيك.وفِي مَجَالَات استعمال الألكترونيك على أوسع مجالٍ وعلى المستوى العالَمي يُوَجَدُ بوجهٍ خَاصّ ميدانُ القَيْسِ فِي مختلف أشْكَالِه واستعمالِه. ويتجلَّى ذَلِكَ فِي المجموعَةِ الهَامةِ من الطُّرُقِ وٱلأجهزةِ الدقيقة التي غَيَّرتْ بصورةٍ كُلِّيَّةٍ أَسَاليبَ عَمَلِ العَدِيدِ مِن الاختصاصيّين والتِّقنيين . وَفِي طليعتهم المهتمين بالتلفزةِ الذين صَار فِي مقدُرتهم ضبطُ أَقَلّ ذبذبَةٍ مِمَّا سَاعَدَ الى حَدٍّ بَعِيدٍ عَلَى ضمانِ وُصولِ أَدَقِّ الصورةِ والمناظر وأوضحها من أبعد النّقط . وَتُوجد كذلك آلاتٌ دقيقةُ الصّنع وعلى غَايَةٍ من الضَّبْطِ تستعملُ عَلَى نِطَاقٍ وَاسِعٍ في الصناعاتِ والخاصةِ بتحويلِ المعادنِ والصناعات الكيمياوية وصناعات الصُّلْب . والمجاهرِ المكبّرة التي أعطت نتائج غَيْرَ منتظرةٍ . ومن ذَلِكَ أنّه تم الحُصُولُ على صُورٍ استطاعت الزِّيَادَةَ فِي حَجْمِ نُقْطَةٍ بسيطةٍ تُشَابِه عينَ إبْرَةٍ الى حَدٍّ بَالِغ الأهمية فَتَغَيُّرَ الحَجْمُ المذكورُ إلَى دَائِرَةٍ يبلغ قِيَاسُهَا 100 متر .

وَتُوجدُ أيْضًا آلاتٌ ألكترونيةٌ عَلَى غَايَةٍ من الدّقةِ تُسْتَعْمَلُ

بنجاح فَائِقٍ وَعَلَى نِطَاقٍ وَاسِعٍ فِي مَجَالِ الطبّ والكشفِ الطبّي بصورة خَاصَةٍ إذ تَمَّ التعرُّفُ بِوَاسطة هَذِهِ الآلات الى حَالاتٍ لاَتُحْصَى وَلاَ تُعَدُّ مِنْ الإصابَاتِ والأمراض لَمْ يستطع الطبّ ضَبْطَهَا بوضوح من قبل ، وَسَاعَدَتْ الى حَدٍّ بَعِيدٍ عَلَى المعالجة ونوعيةِ الأدويةِ الملائمةِ ، وَذَلِكَ بِالإضَافَةِ الى آلاتٍ عَلَى غَايَةٍ مِنْ الأهمية تَخُصُّ تَحْلِيلَ الأجرام ودراستها ...

وَأُجْمِعَ الأَخصائِيُّونَ عَلَى الاعترافِ بِأَنَّ أَبرزَ صناعةٍ ظَهَرتْ للوجود بفضل الألكترونيك هِيَ التلفزةُ وَما تبعها من آلاتِ التصوير وَالقَيْسِ والالتقاط والبثّ ، تَحَقَّقت جميعها نتيجة تضافُر الجهود الى أقصى حَدٍّ وَتَحْقِيق نَجَاحَات علمية وتقنية باهرة .

أَمَّا ٱلْمَجَالُ الثَّانِي ٱلَّذِي شَهِد ظُهُورَ صِنَاعَاتٍ جَدِيدَةٍ بِوَاسطة الألكترونيك فهو يَهُمُّ شُؤُونَ الفضاء ٱلَّتِي ٱزْدَهَرَتْ الى أَقْصَى حَدٍّ فِي العشرية الأخيرة .

رضا الشاهرلي*

مجلة الحياة الثقافية العدد 9 السنة الثانية

ص ، 133 ـ 135

* رضا الشاهرلي ، بَاحِثٌ تُونِسِيٌّ مُعَاصِرٌ نَشَرَ فُصُولاً عِلْمِيَّةً بِمَجَلَّةِ ٱلْحَيَاةِ ٱلثَّقَافِيَّةِ.

محاور الاهتمام :

1 - مفهوم الألكترونيك .
2 - تاريخه .
3 - دور الألكترونيك ووظيفته .
4 - ميادينه .

ميـزات الحاسبـة الالكتـرونيـة

لَمْ يَحْظ أَيٌّ مِنَ المنجَزَاتِ التكنُولُوجيَّةِ بِذَلِكَ ٱلاهْتِمَامِ ٱلكَبِير ٱلَّذِي حَظِيَتْ بِهِ ٱلحَاسِبَاتُ ٱلالكترُونية . إن أهمية هَذِهِ التكْنُولُوجْيَا لاَ تكمُنُ فِي أنها إحْدَى مُقَوِّمَاتِ الصِّنَاعِة الألكرُونِيَّةِ ٱلَّتِي أَصْبَحَتْ فِي عَصْرِنَا الرَّاهِن عَصبَ التطور الصنَاعِيّ وَإحْدَى العَنَاصِر المحدّدَة لهيكله ، بَلْ لِأن ٱلحَاسِبَات الألكترونية لَهَا مِنْ المِيزَاتِ مَا لاَ تَتَوَفَرُ فِي ٱلمُنْتَجَاتِ التكنُولُوجية ٱلأُخْرَى . تِلْكَ الميزات يمكن تلخيصُهَا فِيمَا يَلِي ،

- تُعْتَبَرُ ٱلحَاسِبَاتُ الألكترُونِيَّة أَكْثَرَ ٱلمُنْتَجَاتِ التكنولُوجيَّة ٱلحَدِيثَةِ تَعْقِيدًا ، لِكَثْرة العَنَاصِر المتداخلة وَالمترابطَةِ ـ سَوَاءً فِي تَكْوِينِهَا أو فِي تَطْبِيقِهَا ـ وَٱلَّتِي لاَ بُدَّ مِنْ أَخْذِهَا بِعَيْنِ ٱلاعْتِبَارِ حِينَ اتِّخَاذِ القرار بِضَرُورَةِ ٱسْتِخْدَامِهَا . وَلِذَا فَهِيَ تَتَطَلَّبُ مقْدَرَةً مُعَيَّنَة فِي مَوْضُوع تَقْيِيمِهَا وَٱسْتِيعَابِهَا ، لِأَنَّ فِقْدَانَ النَّظْرَةِ الشُّمُولِيَّةِ سَيُؤَدِّي حَتْمًا إِلَى ضِيَاعِ ٱلكَثِيرِ مِنْ الاسْتِثْمَارَاتِ ، سِيَّمَا إِذَا قِيسَ ذَلِكَ عَلَى نِطَاقِ الاقْتِصَادِ ٱلقَوْمِي وَنِسْبَةِ ٱسْتِخْدَامِ الحَاسِبَاتِ ٱلألكتُرُونِيَّةِ فِي هَذَا ٱلمَجَالِ .

- إنَّ ٱلحَاسِبَاتِ ٱلالكُتُرُونِيَّةِ تَخْتَلِفُ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ ٱلمُنْتَجَاتِ التَّكْنُولُوجيَّةَ مِنْ نَاحِيَةِ ٱلاخْتِيَارِ حَيْثُ تَلْعَبُ هُنَا عَوَامِلُ مُتَعَدِّدَةٌ . أَهَمُّهَا عَامِلُ الشُّهْرَةِ وَالعَامِلُ السِّيَاسِيُّ . وَهَذَان

العَامِلَانِ فِي كَثِيرٍ مِنْ ٱلأَحْيَانِ . كَمَا دَلَّتْ التَّجَارِبُ العَدِيدَةُ فِي البَلْدَانِ ٱلْمُتَطَوِّرة صِنَاعِيًّا وَالبُلْدَانِ النامية يَغْلِبَانِ عَلَى بَقِيَّةِ العَوَامِلِ ٱلأُخْرَى (ٱلَّتِي لَا بُدَّ مِن أَخْذِهَا بِعَيْنِ ٱلاعْتِبَارِ) . وَيُؤَدِّيَان الى عدد مِن الآثَارِ والنَّتَائِج سَوَاءٌ عِنْدَ الاخْتِيَار أَوْ عِنْدَ التَّطْبِيقِ .

لَيْسَ هُنَاكَ (إِذَنْ) تِكْنُولُوجِيَا لَهَا ارتباط وَثِيقٌ بِالإِنْسَانِ كَالحَاسِبَات الألكْتُرُونِيةِ . فَهْيَ تُحَرِّر الإِنْسَانَ مِن عَمِلِه الرُّوتِينِيِّ وَتُشكِّلُ جُزْءًا مِنْ عَمِلِه الخَلَّاقِ ، وَتَفْتَحُ أَمَامَهُ آفَاقًا وَاسِعَةً لِلتَّطَوُّرِ وَٱلإِبْدَاع (فَهْيَ) تُنْتِجُ بِضَاعَةً خَاصَّةً هِيَ ٱلْمَعْلُومَاتِ وَالبَيَانَاتُ . وَعَلَى قِيمةِ هَذِهِ ٱلبِضَاعَة يَتَوقَّفُ اِتِّخَاذُ ٱلْكَثِير مِنْ القَرَارَاتِ فِي العَدِيدِ مِنْ ٱلْمَجَالَاتِ وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا مِنْ نَتَائِجَ ذَاتِ أَبْعَادٍ مُخْتَلِفَةٍ .

وَتَتَمَيَّزُ ٱلْحَاسِبَاتُ الألكترونيةُ فِي كَوْنِهَا أَدَاةً لِتَغْيِير ٱلْهَيَاكِل التَّنْظِيمِيَّةِ وَالإِدَارِيَّةِ لِلْمُؤَسَّسَات ، وَوَضْع الضوابط وَالقَوَاعِدِ التَّنْظِيمِيَّةِ فِي مَوْضِعِهَا الصَّحِيح ، وَتَظْهَرُ أَهمِّيَةُ ذَلِكَ بِشَكْلٍ خَاصٍّ كُلَّمَا تَكَامَلَتْ عَمَلِيَّة التَّطْبِيقَاتِ عَلَى ٱلْحَاسبة ضِمْن إِطَار ٱلْمُؤَسَّسَةِ .

إِنَّ البُعْدَ المُتَرتِّبَ عَلَى ذَلِكَ ، هُوَ أَنَّهَا تَفْتَحُ الآفَاقَ أَمَامَ إِدْخَال قَوَاعِد ونظم تَتَعَدَّى حُدُودَ ٱلْمُؤَسَّسَةِ ٱلْمَعْنِيَّةِ . وَهُنَا تَبْرزُ مِيزَاتُهَا التَّشَابُكِيَّةُ ، وَبِالتَّالِي الآثَارُ الاجْتِمَاعِيَّةِ ٱلْمُتَرَتِّبَةُ عَلَى ٱسْتِخْدام ٱلْحَاسِبَاتِ عَلَى نِطَاقِ ٱلْمُجْتَمع . حَيْثُ تَفْتَرِضُ أَن التَّعَامُلَ مَعَهَا يَتَطَلَّبُ نَوْعًا آخَرَ مِنْ التَّعَامل غَيْرِ التَّعَامُل

التقليدي ، مما يؤدي حتما إلى تغيرات أساسية في علاقة الإنسان التقنية والفنية بأساليب العمل .

جواد هاشم وعثمان زيد*
العلم والتكنولوجيا والتنمية الصناعية
ط ، 1 بغداد ، 1976 ص : 131 - 132

1 - تراجم - علام :

* **جواد هاشم وعثمان زيد** : قد سبقت ترجمتهما في نص « الانسان غاية العلم والتكنولوجيا » للكاتبين نفسهما .ص. 349

2 - محاور الاهتمام :

1 - الخصائص التكنولوجية للحاسبة الألكترونية .
2 - دور الحاسبة الألكترونية في المجتمع ، في الاقتصاد خاصة .
3 - ارتباط الحاسبة الألكترونية بالإنسان .
4 - علاقة الانسان التقنية والفنية بأساليب العمل .

الإعـــلامُ الآلـــيُ

إنَّ اسْتِعْمَالَ ٱلْحَاسِبَاتِ والأَدْمِغَةِ الألكترونية ودورَهَا صَار عِلْمًا كَامِلاً قَائِمًا بذاتِه وَأَخَذَ آسمَ « الإعلام الآلِي » أَوْ « الإعْلَامِية ».وَيُعَدُّ هَذَا العِلْمُ أَهَمَّ وَلِيدٍ لِلألكترونيك وَهُوَ فَنٌّ حَدِيثٌ صَدَرَتْ فِي شَأْنِه عَدَّةُ شُرُوحٍ وَدراساتٍ.وَأَقَرَّتْ الأكادِيمية الفرنسيةُ فِي سنةِ 1966 أَنَّهُ علمُ المعرفةِ والاستخدام والتحليلِ المُدقّق وَالعَمِيقِ لمعلومات أَوْ مُعْطِيَات مَا بِوَاسِطَةِ آلاتِ ٱلكترونية ـ تُعدُّ رَكِيزَةَ مَعَارِفِ الإنسانِ قَصْد استعمالها في المجَالاَتِ الفنيّة والاقتصادية والاجتماعية .

وَيُعَدُّ هَذَا الاصطلاحُ المتطورُ لمفهوم دراسةِ المعلُومَات العنصر الشَّافِي لرغبة الإنسانِ منذ وجودِهِ في التعرُّفِ إلَى أسرارِ الحياة والبشر .

لَقَدْ بَقِيَ الإنسانُ العهودَ الطويلةَ بَاحِثًا عَنِ الوسيلةِ الكَفِيلَةِ بِتَلْبِيةِ رغباتِه فِي التعرُّف إلَى خَبَايَا الأُمور ، وَشَيْئًا فَشَيْئًا تَعَوَّدَ بِتَجْمِيع المعلومات وتفسيرِهَا بِوَاسطةِ العمليات الحِسَابِيَةِ .

وبِمُرورِ الزَّمَن تَكَاثَرَ حجمُ هَذِهِ المعلومَاتِ وَبَرَزَتْ قِيمتُهَا ، وضرورةُ استغلالِهَا فِي القَرْن الماضي بمناسبة ظهورِ الصِّنَاعَةِ فِي عَدَدٍ قَلِيلٍ مِنْ البُلْدَان السَّبَّاقَةِ نَحْوَ الانطلاقِ والتَّطوُّرِ ، وَتَطلَّبَ ظهورُ هَذِهِ الصناعةِ إِعْدَادَ البَرَامج وَٱلأَبْحَاثِ والتَّصْمِيمَاتِ المختلفة ٱلَّتِي غَيَّرت بصورة كُلِّيَّةٍ الأَوْضَاعَ السِّيَاسِيَّةَ والاقتصاديَةَ وَالاجتماعيةَ فِي العالم خِلاَل النصفِ الأَوَّلِ من هَذَا القَرْن ، وَسُجِّلَ تَطورٌ كَبِيرٌ فِي حجم المعلوماتِ الجديدةِ ٱلَّتِي يَتَعَيَّنُ تَحْلِيلُهَا وَتَفْسِيرُهَا مِمَّا دَعَا

الاختصاصيّين الى التّعجيلِ بِاخْتِرَاعِ جِهَازٍ سُمّي بِالآلة الحاسبة لمساعدة الإنسان عَلَى إيجَادِ الحُلُولِ فِي مدّة وَجِيزَةٍ للمعلومات التي تراكمت فِي مَيَادِينَ عَدِيدَةٍ ، وَوَاكَبَت صِنَاعةُ هَذِهِ الآلاتِ التقدّمَ التقنِيَّ الى أنْ آلَ الأمرُ الى استعمال الألكترونيك في تركيبِ آلاتٍ جَدِيدَةٍ قَادرةٍ فِي أسْرَعِ وَقْتٍ مُمْكن وَبِكُل دقّة وَثبَاتٍ عَلَى تَفْسِير وتَحْلِيل الكميّات المهولَةِ من المعلوماتِ والمُعْطَيَاتِ ٱلّتِي تَهُمُّ مختلِفَ الأنْشِطَةِ ، وَتَأكدَ أنَّ لَها عَلاَقَةً مُبَاشرةً بِمضاعَفَةِ سير عَجَلة التقدم وَالتّنْمِيةِ الاجتماعية والاقتصادِية للملايين من البَشَر فِي كُلّ مناطقِ المعمورة .

وَكَانَ لتَزَايدِ الوعْي لَدَى الإنسانِ فِي الظُّرُوفِ ٱلحَالِيةِ بِأهمِيَّةِ مَيْدَانِ الإعْلاَمِ وَالاتّصَالاَتِ وَجمع المعلوماتِ أحسن الأثرِ فيما يتعلّق بِاسْتِغلالِ المعلومات الجديدةِ التي توفّرتْ وَأصْبَحَتْ تُشكّلُ ثَرْوَةً طَبِيعِيةً تُعتَبر مَوْرِدًا هَامًّا لاستغلاَلِ الطّاقَةِ الخَلاّقَةِ لَدَى الإنسان لفائدة البشريةِ جمعاءَ .

وَمَا فَتِىءَ مدلُولُ الإعلامِيةِ فِي تطوُّرٍ ليشْمَلَ أكبَرَ عَدَدٍ ممكن من ٱلمَيَادِينِ مِنْ نَاحِية استغلاَلِ ٱلمَعْلُومَاتِ وَظَهَرَتْ أخِيرًا عِدّةُ اصطلاَحَات جَدِيدَةٍ أهمُّهَا ينصُّ عَلَى أنّ الإعلامِيةَ هِيَ التّطْبِيقُ والتنفيذُ الكَامِلُ والمنظّمُ وَٱلجذْرِيُّ لِلمَعْلُومَاتِ فِي حلّ المشاكل الاقتصادية والاجتماعية وحتّى السياسية .

ومن هُنَا يَتّضِحُ أن الإعلاميّةَ أصْبَحَتْ فِي أيّامنا هذه تُعْتَبَرُ العنصرَ ٱلّذِي يَحْتَلُّ المرتبة الاولَى فِي مُختلف مظاهر حَيَاتنا ٱلْيَوْمِية السيّاسية والاقتصادية

والاجتماعيّة والثقافية ذلك أن هذا العلم يؤثّر في كيفية تنظيم المجتمعات وعاداتها بصورة عميقة نظرًا للثّورة الاقتصادية الكاملة الّتي نعيشها بصورة مباشرة أو بالتّبعية . وصار من الواضح أيضًا بعد المعاينات الكثيرة أنّ الاعلامية يمكن أن تساعد على إبقاء الدّرجة التّقليدية للقيم الثقافية والمحافظة عليها والمساهمة في حركة الرّعاية والحماية والنشر بالنسبة للتّراث الثّقافيّ للمجتمعات . كما أنّ الإعلامية باعتبارها دافع التّغييرات الاجتماعية في وسعها المساهمة الى حد بعيد وبكلّ ثبات وتروٍّ في مجهود تركيز مجتمعات جديدة قادرة اجتماعيًا وسياسيًا وثقافيًا على مجابهة التّغييرات العميقة والسّريعة الّتي سجّلتْ داخل المجتمعات الديناميكية الحالية . وكذلك على توجيه هذه التّغييرات لصالح الإنسانية وتسهيل التفتّح الى الثقافات الأجنبية وإقرار التّلاقح والانسجام الى أبعد حدّ في كنف الأمن والتّصالح .

رضا الشاهرلي*

مجلة « الحياة الثقافية »

العدد 9 سبتمبر ـ أكتوبر 1976

السنة الثانية ص ، 136 ـ 138

* **رضا الشاهرلي** : انظر النصّ الالكترونيك وأهمية استعماله ص 369

محاور الاهتمام :

1 - مفهوم الإعلام الآلي .
2 - علاقته بالتطوّر الانساني
3 - مشمولات الإعلام الآلي.
4 - دوره ووظيفته

« نَقْلُ التكنولوجيا » في البلدان المتخلفة

إنّ المفهومَ السائدَ « لِنَقْلِ التكْنولوجيا » عَنْ طريقِ شِراء كِمّياتٍ ضَخْمَةٍ مِنَ التّجْهيزاتِ وَالمُعِدّاتِ وَالنُظُمِ التّكْنولوجيّةِ مِنْ اقْتِصادٍ مُتَقَدّمٍ إلى اقْتِصادٍ مُتَخَلّفٍ وَبِفَرْضِ تُوافُرِ القُدْرَةِ عَلى الدّفْعِ ، لا يَخْرُجُ في حَقيقَةِ الأمْرِ عَنْ كَوْنِهِ مَفْهومًا مُبْتَذَلًا يَحْصُرُ المَسْألَةَ في صَفَقاتِ « الشِّراء وَالبَيْعِ » دُونَ أنْ يَعْنِيَ ذَلِكَ عَلى الإطْلاقِ « النّقْلَ » بِمَعْنى « الاسْتِيعابِ » [1] الحَضاريّ وَالتّنْظيميّ للتّكْنولوجيا الوافِدَةِ وَالمُشْتَراةِ مِنَ الخارِجِ .

إنّ ثِمارَ المعرفةِ التّكْنولوجيّةِ قابِلَة لِلانْتِقالِ ، أمّا « التّكْنولوجيا » ذاتُها فَهِيَ مُمارَسَةٌ اجْتِماعِيّةٌ وَتاريخِيّةٌ لَها شُرُوطُها الحَضارِيّةُ وَالاجْتِماعِيّةُ وَالاقْتِصادِيّةُ وَالسّياسِيّةُ المُتَكامِلَةُ . وَلِذا فَإنّ التّكْنولوجيا الحَديثَة إنّما تُكْتَسَبُ وَتُسْتَوْعَبُ مِنْ خِلالِ المُمارَسَةِ الخَلّاقَةِ فَقَطْ وَلَيْسَ مِنْ خِلالِ الشِّراء وَالتّسْويق [2] مِنَ الأسْواقِ العالَمِيّةِ . إذْ أنّهُ بَيْنَما تُعْتَبَرُ التّكْنولوجيا الغَرْبِيّةُ الحَديثَةُ نِتاجًا طَبيعِيًّا لِلْبيئَةِ الصّناعِيّةِ المُتَقَدّمَةِ الّتي وُلِدَتْ فيها وَمَحْصَلَة [3] لِلصّراعِ التّاريخِيّ الطّويلِ لِسَيْطَرَةِ الإنْسانِ عَلى الطّبيعَةِ ... نَجِدُ أنّ هَذِهِ التّكْنولوجيا الغَرْبِيّةِ المُسْتَوْرَدَة ذاتَها تَهْبِطُ عَلى المُجْتَمَعاتِ النّامِيَةِ كَالمَوْلودِ الغَريبِ المُنْقَطِعِ الصِّلَةِ بِالتّرْبَةِ وَالتّرْكيبَةِ الاجْتِماعِيّةِ القائِمَةِ وَنِظامِ القِيَمِ السّائِدِ .

فَالقَضِيّةُ المَحْوَرِيّةُ الّتي يَجِبُ أنْ تَدورَ حَوْلَها مَجْهودَاتُ التّنْمِيَةِ وَالتّحْديثِ [4] في بُلْدانِ العالَمِ الثّالِثِ هِيَ « اسْتِيعابُ التكنولوجيا » وَلَيْسَ نَقْلُها » .

محمود عبد الفضيل
« النفط والمشكلات المعاصرة للتنمية
العربيّة » (سلسلة عالم المعرفة) . ط . 1 الكويت 1979 . ص ، 53 ـ 54

1 - شـرح المفـردات :

1) الاسْتِيعَابُ : من اسْتَوْعَب الشَّيءَ ، أيْ أخذه أجْمَعَ ، وَاسِيعَابُ التكنولوجيا أي أخذها جَمِيعًا مَعَ فهْمها وهضمها وَتَطْبِيقهَا وَمُلاَءَمَتِهَا بِالْمُجْتَمَعَ الآخذِ

2) التَّسْوِيقُ ، من سَوَّق البضاعَة ، طَلَبَ لَهَا سُوقًا . وَالمعنى فِي النصّ جَلَبَ البَضَاعَةَ من السُّوقِ .

3) مَحْصَلَة ، مَصْدَرٌ مِيمِيٌّ من حَصَلَ الشَّيْءُ حُصُولاً ، بَقِيَ وَذَهَبَ ما سِوَاهُ . والمَعْنَى هُنَا « الْمحْصُولُ » أو « الحَصِيلَةَ » أو « الحَاصِل » وَهِيَ خَلاَصة الشَّيء وَمَا بَقِيَ مِنْهُ .

4) التَّحْدِيثُ ، من حَدَثَ الأَمْرُ أيْ جَدَّ ، وَحَدَّث المجتَمع تحديثا أي جَدَّدَ هَيَاكله وطَوَّرَ أَسَالِيبَ عَيْشه وَتَفْكِيره ليصير مجتمعا حديثًا متطورًا

2 - ترجمـة الـكاتب :

✱ **محمود عبد الفضيل** : عَالِمٌ مصريٌّ ولد بالقاهرة سنة 1941 ، وَتَخَرَّجَ من كُلِّية التجارة بجامعة القاهرة سنة 1962 وَنَالَ درجة دكتوراه الدولة في العُلوم الاقتصادية من جامعة السربون بباريس سنة 1972 . عمل خبيرًا بقسم الاقتصاد التَّطْبِيقِي بجامعة كمبورج خلال فترة 1973 - 1975 وَيَعْمل حَالِيًا خَبِيرًا للتَخْطِيطِ وَمنسقا للبُحُوث بِالْمَعْهد العَرَبِيّ للتَخْطِيط بِالْكَوِيت منذ 1977 . له عِدَّةُ مُؤلفاتٍ وابحاثٍ بالعَربية والفرنسيَّةِ والانقليزية أهمُّهَا : « أَسَاليبُ تَخْطِيطِ الأثمان » (بالفرنسية . باريس 1975) و « التَّنْمِيَة وتوزيعُ الدَّخلِ والتغييرُ الاجتماعِيُّ فِي الرِّيفِ الْمصْرِيِّ » بالانقليزية . كمبر دج . 1975) .

3 - محـاور الاهتمام :

1 - نقل التكنولوجيا في مفهومه المبتذل ، أسباب ذلك الابتذال .
2 - المعنى الصحيح لنقل التكنولوجيا .
3 - مفهوم التكنولوجيا .
4 - واجب المجتمعات المتخلفة للخروج من تخلفها باستخدام التكنولوجيا .

التَّفاوُتُ الحَضارِيُّ بَيْنَ المُجْتَمَعاتِ تَفاوُتٌ تكنولوجيٌّ

... إنَّ الثَّقافَةَ أوِ الحَضارَةَ نَسَقٌ حِوارِيٌّ دِينامِيكِيٌّ يُمْكِنُ تَحْلِيلُهُ إلَى ثَلاثَةِ عَناصِرَ رَئِيسِيَّةٍ هِيَ ، الطَّاقَةُ وَالآلاتُ وَالإنْتاجُ . فَالحَضارَةُ أوِ الثَّقافَةُ هِيَ عَمَلٌ آلِيٌّ لإشْباعِ حاجاتِ الإنْسانِ . وَلكِيْ يَتَحَقَّقَ ذَلِكَ فَلا بُدَّ مِنَ التَّحكمِ فِي الطَّاقَةِ وَتَشْغِيلها بيد أن استخدام الطَّاقَةِ يَتَطَلَّبُ تَوافُرَ أجْهِزَةٍ وَأساليبَ وَوَسائل تَكْنُولُوجِيَّةٍ هِيَ الَّتِي نُطْلِقُ عَلَيْهَا أدَواتٍ أوْ آلاتٍ ،وَنَسْتَخْدِمُهَا فِي التَّحَكُّم فِي الطَّاقَةِ وَتَحْوِيلِهَا وَبَذْلِهَا إلَى إنْتاجِ السِّلَعِ وَالخَدَماتِ الَّتِي تَسُدُّ حَاجَاتِ الإنْسانِ المُخْتَلِفَةِ ...

وَإنَّ الظَّاهِرَة التكنُولُوجية في عَصرنَا الحَاضر لتُوشِكُ أنْ تُصْبحَ نِظَامًا عَالَمًا بِحُكم الاقْتِصَادِ المعَاصِر وَمُشْكَلَةِ التَّفَاوُتِ بَينَ العَالَمِ الثَّالِثِ المتحَفِّزِ للإقْلاعِ وَالنُّمُوِّ وَبَيْنَ العَالَمِ المُتَطَوِّرِ ، وَمَسْأَلَةِ الفَقْرِ وَالغِنَى ، وَتَبَاعُدِ الشُّقَّةِ كُلَّ يَوْمٍ بَيْنَ دُوَلٍ فَاقَتْ مُنْجَزَاتُهَا العِلْمِيَّةُ حَدَّ الخَيَالِ وَبَيْنَ دُولٍ أخْرَى عَجَزَتْ عَنْ مُجَرَّد التَّصْدِيقِ بِمَا وَصَلَتْ اليْهِ هَذِهِ الدُّولُ ، كُلُّ هَذَا وَغَيْرُهُ يَتَحَدَّانَا اليَوْمَ ، وَيَتَحَدَّى جَمِيعَ المُجْتَمَعَاتِ السَّائِرَةِ فِي طَرِيقِ النُّمُوِّ وَيَصِمُهَا بِالعَجْزِ وَمُرَكَّبَاتِ القُصُورِ .

وَإزَاءَ ذَلِكَ فَنَحْنُ لا نَكَادُ نَمْلِكُ غَيْرَ اخْتِيَارٍ وَاحِدٍ ، هُوَ أنْ نُجَابِهَ هَذَا التَّحَدِّيَ وَنُوَاجِهَهُ بِالعِلْمِ وَالبَحْثِ وَالتَّطَلُّعِ وَتَكْرِيسِ

جَمِيع مَوَاهِبِنَا العَقْلِيَّةِ فِي سَبِيلِ الاكتِشَافَاتِ التكنُولُوجيَّةِ بِأَنْمَاطِهَا ٱلْمُخْتَلِفَةِ ....

محمود المسعـدي

من « دور العلوم الصحيحة في تنمية البلدان النّامية ، دراسات ملتقى علي القلصادي »
1 ، تونس 1978 ، ص ، 9 ـ 10

1 - ترجمـة الـكاتب :

- سبقت ترجم محمود المسعدي في قسم الادب ص 247 - 249

2 - محـاور ٱلْاهْتِمـام :

1 - عَنَاصِرُ الثَّقَافَة أو الحضارة كما وَرَدَتْ فِي النَّصّ .
2 - التكنولُوجِيَا مِحْوَرُ الثَّقَافَةِ أو الحضارة .
3 - التكنُولُوجيا فِي المجتمعات السَّائِرَة فِي طَرِيقِ النَّموّ .
4 - وَاجِبَات تِلْكَ المجتمعات لكي تتطوَّر .
5 - مَسالة التفاوُتِ بَيْنَ المجتمعات الصِّنَاعِيَّةِ وَالمجتمعَات السَّائِرة فِي طريق النمُوّ وَعلَاقتُها بِالتكنُولُوجيَا .

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
lisanerab.com
رابط بديل

الفهرس

عنوان النص	المؤلف	الصفحة
1 - الأدب القديم		
1 - أبو حيان التوحيدي :		
- ترجمة أبي حيّان التّوحيديّ		9
أ - الإمتاع والمؤانسة :		
صراع العصبيّات	أبو حيّان التوحيديّ	15
إستعانة أُولي الأمر بأهل عصبيّتهم	» »	18
المهمّة الصّعبة	» »	22
ثورة الرّوم	» »	25
النّائس اللّاهي	» »	28
كما تكونون يُولّى عليكم	» »	31
عيشة الرّضى والهروب	» »	34
ولع الشّيوخ باللّهو	» »	37
في النّظم والنّثر	» »	40
نقد معاصريه من الشّعراء	» »	43
الفلسفة والشّريعة	» »	46
طريقة تأليف كتاب الإمتاع (للمطالعة) ...	أحمد أمين	50
ب - الإشارات الإلهيّة (الرّسالة الثّانية عَشْرَة)		
الغريب من هو في غربته غريب	أبو حيّان التّوحيديّ	57
أغرب الغرباء	» »	60
أنت الغريب في معناك	» »	64
سعادة المؤمن	» »	66
الإشارات الصّوفيّة في كتاب « الإشارات » (للمطالعة)	وداد القاضي	69
2 - إخوان الصّفاء		
التّعريف بهم		75
حاجة الإنسان إلى التّعاون	إخوان الصفاء	78
لِمِّيَّةُ عظم الأصوات	» »	81
فصل في مَثْنَويّة الإنسان		84

عنوان النص	المؤلف	الصفحة
في السّياسة	إخوان الصّفاء	86
طلب العلم	» »	89
إصلاح السّلطان	» »	92
إثارُ الشّباب	» »	95
تَنْقِيَة الشّريعة من الضّلالات	» »	98
سياسة الأصحاب	» »	101
إخوان الصّفاء (للمطالعة)	أبو حيّان التّوحيديّ	104
3 - أبو العلاء المعريّ :		
ترجمة أبي العلاء		109
أ - اللّزوميّات :		
الأمّ الخيسة	أبو العلاء المعريّ	115
القبر الملتهم	» »	118
بنو حوّاءَ بَرٌّ وفَاجِرُ	» »	120
بئس المعاشر بنو آدمَ	» »	122
فساد العقائد		124
التّنشئة الدّينيّة	» »	126
إمْتِزاج العالم	» »	128
طريق الصّلاح	» »	130
لا إمام سوى العقل		132
عِشْ واحدًا	» »	134
أولُو الفَضْل	» »	136
أبو العلاء فيما بينك وبين نفسك (للمطالعة)	محمود المسعديّ	139
أبو العلاء بين الإيمان والكفر (للمطالعة)	محمد الطالبيّ	145
ب - رسالة الغفران :		
الكلمة الطّيّبة	أبو العلاء المعريّ	153
حديث النّزهة	» »	157
مع عديّ بْنِ زَيْد	» »	160
مع أبي ذُؤَيْب الهُذَلِيّ	» »	164
مع الشّمّاخ بن ضِرار	» »	167
مع رِضْوان خازن الجنان	» »	170
حديث الفقّاع	» »	173

عنـــوان النـصّ	المـــؤلف	الصفحة
مع الحُـورِ العِيـنِ	أبـو العـلاء المعـريّ	175
في أقصى الجنّة : مع الحُطَيْئَـة	» »	179
مع أوس بن حَجْر	» »	182
ملاذعُ رسالة الغفران (للمطالعة)	زكيّ المحاسنيّ	186

2 - الأدب الحـديـث

4 - توفيـــق الحكيـــم :

ترجمـة توفيق الحكيم	.....	197
إيمـان يَمْليخـا	توفيـق الحكيـم	202
كيف أصبحت بِرِيسكا مـيحيّة	» »	
بـدْء الحَيْـرة	» »	209
قلـب المـرأة	» »	213
بيـن يـدي الملك	» »	216
هزيمـة يمليخـا	» »	219
هزيمـة مَـرْنُوشَ	» »	222
هزيمـة مِـنْلِينِيَـا	» »	224
في الكهف من جديد (1)	» »	228
في الكهف من جديد (2)		232
قصّة أهل الكهف في القرآن (للمطالعة)	قـرآن	235
أهـل الكهف (للمطالعة)	صلاح عبـد الصّبور	238
الإنسان في مسرح الحكيم (للمطالعة)	أحمـد عبـد الرّحيم	241

5 - محمود المسعديّ في أحاديث أبـي هُرَيْرَةَ

ترجمة المسعديّ	.....	247
ابتداء المغامرة الوجوديّة	محمود المسعديّ	250
ريحـانـة	»	254
التّعـارف في الخمـر	» »	258
يُثقِـل الكون أذاهم أن يكون	» »	261
امتـلاء الكيـان	» »	264
الحيـاةُ بيـن العـدم والكيان	» »	268
هـل الحياة عبث ؟	» »	271
حـديث الحـاجة	» »	274
رفـض السّبـل المسطورة	» »	277

عنـــوان النّـص	المـــؤلف	الصفحة
اللّـذّة لاتغلـب	محمـود المسـعديّ	280
الغيبـة تطلب فـلا تـدرك	» »	283
حـديث الحكمـة	» »	287
مـن لهـو أبـي هـريـرة	» »	292
البعـث الآخـر	» »	295
أبو هُريرة بَيْن التّجربة الذّاتيّة والتّجربـة الجمـاعيّة	محمود طرشونـة	297

6 - نعيمـــة في « اليـوم الأخيـر »

ترجمة ميخائيل نعيمة	.....	301
هاتف مـن الغيـب	ميخـائيل نعيمة	305
مـا اليـوم الأخيـر ؟	» »	308
عندما يضمحل الإنسان وكأنّه لم يكن	» »	311
بـدايـة الحيـرة	» »	313
الحيـاة النّخِـرَة	» »	315
قـدرة الفكـر	» »	317
تأمّلات في دنيـا النّاس	» »	320
الحياة بين النّظام واللامعنى	» »	324
النّظـام الـكونيّ	» »	327
قيمة جهد الانسان الحقيقيّة	» »	330
الحياة مراحـل تتلو مراحـل	» »	332
الغاية من الحياة الكمال	» »	336
لاقيمة لـلانسان ما لم يُصْحِ إلَهَ نفسِه	» »	339
بين نعيمة وأبـي العلاء المعريّ (للمطالعة)	ثـريّا ملحس	342

3 - قضـايـا حضاريـــة

التّقدّم العلميّ والتّقني وأثره في حياة الإنسان والتّعاون البشريّ

الانسان غاية العلم والتّكنولوجيا	جواد هاشم وعثمان زيـد	247
شهادة عالم في الذّرّة	أدفين أوينهايجر	350
اكتشاف عـدوى الكلب	أحمـد زكـيّ	353
السّيطرة على جرثومة الكلب	أحمـد زكـي	356
غـزو الفضـاء	فـؤاد صَـرّوف	358
من فوائد الأقمار الصناعيّة	عبد الحليم منتصر	360
الطائرة ، كيف ترتفع في السماء	أحمـد زكـي	363

عنـــوان النـــصّ	المـــؤلف	الصفحة
الإلكترونيك وأهمّيّة استغلاله في العالم اليوم .	رضا الشّاهـرلي	367
مِيزَاتُ الحاسبة الإلكترونيّة	جواد هاشم وعثمان زيـد	370
الإعـلام الآليّ	رضا الشاهرلي	373
نقل التّكـنولوجيا في البُلدان المتخلّفة	محمد عبد الفضيل	376
التّفاوت الحضاريّ بين المجتمعات تفاوت تكـنولوجيّ	محمود المسعدي	378

طبع المركز القومي للبيداغوجيا

www.lisanarb.com

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
lisanerab.com رابط بديل

الإمتاع
في الأدب والحضارة
السنة السابعة من التعليم الثانوي

ثمن البيع
للعموم
0د 750